



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

كتاب  
لواعظ وواعظ  
بذكر الخطط والآثار  
لمعروف بالخطط المقررة

تأليف  
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر

البيهقي المقرري  
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تدقيق وتحقيقه

محمد بن محمد بن محمد

أحمد الشافعي

مستوفى

مركز البحوث

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت

كاتب:

احمد بن على مقریزی

نشرت فی الطباعة:

دارالكتب العلمیة

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

## الفهرس

- ٥ ..... الفهرس
- ١٢ ..... المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، المجلد ٢
- ١٢ ..... اشارة
- ١٢ ..... الجزء الثاني
- ١٢ ..... ذكر تاريخ الخليفة
- ١٢ ..... اشارة
- ١٣ ..... ذكر ما قيل فى مدة أيام الدنيا ماضيها و باقيها
- ٢٢ ..... ذكر التواريخ التى كانت للأمم قبل تاريخ القبط
- ٢٥ ..... ذكر تاريخ القبط
- ٢٧ ..... ذكر دقلطيانوس الذى يعرف تاريخ القبط به
- ٢٧ ..... اشارة
- ٢٨ ..... ذكر أسابيع الأيام
- ٢٨ ..... ذكر أعياد القبط من النصرى بديار مصر
- ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الأعمال فى الزراعات، و زيادة النيل، و غير ذلك على ما نقله أهل مصر عن قدمائهم و اعتمدوا عليه فى أمو
- ٤٠ ..... ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية
- ٥٤ ..... ذكر فسطاط مصر
- ٥٤ ..... اشارة
- ٥٤ ..... ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الإسلام إلى أن اختطه المسلمون مدينة
- ٥٥ ..... ذكر الحصن الذى يعرف بقصر الشمع
- ٥٧ ..... ذكر حصار المسلمين للقصر و فتح مصر
- ٥٧ ..... اشارة
- ٦٤ ..... ذكر ما قيل فى مصر هل فتحت بصلح أو عنوة؟
- ٦٦ ..... ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم

- ٦٦ ..... ذكر السبب فى تسمية مدينة مصر بالفسطاط
- ٦٧ ..... اشارة
- ٦٧ ..... ذكر الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط
- ٧٠ ..... ذكر أمراء الفسطاط من حين فتحت مصر إلى أن بنى العسكر
- ٧٧ ..... ذكر العسكر الذى بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر
- ٧٨ ..... ذكر من نزل العسكر من أمراء مصر من حين بنى إلى أن بنيت القطنع
- ٨٨ ..... ذكر القطنع و دولة بنى طولون
- ١٠٣ ..... ذكر من ولى مصر من الأمراء بعد خراب القطنع إلى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر
- ١٠٧ ..... ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة
- ١١٢ ..... ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر
- ١١٣ ..... ذكر خراب الفسطاط
- ١١٨ ..... ذكر ما قيل فى مدينة فسطاط مصر
- ١٢٢ ..... ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفتها
- ١٢٣ ..... ذكر ساحل النيل بمدينة مصر
- ١٢٥ ..... ذكر المنشأة
- ١٢٨ ..... ذكر أبواب مدينة مصر
- ١٢٨ ..... ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله
- ١٢٨ ..... اشارة
- ١٢٩ ..... ذكر ما قيل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناء القاهرة
- ١٢٩ ..... اشارة
- ١٣٠ ..... ذكر الخلفاء الفاطميين
- ١٤٢ ..... ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها
- ١٤٣ ..... ذكر حدّ القاهرة
- ١٤٤ ..... ذكر بناء القاهرة و ما كانت عليه فى الدولة الفاطمية

- ١٤٨ ..... ذكر ما صارت إليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الأيوبية عليها
- ١٤٩ ..... ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنتزهاتها
- ١٥٧ ..... ذكر ما قيل في مدّة بقاء القاهرة و وقت خرابها
- ١٥٨ ..... ذكر مسالك القاهرة و شوارعها على ما هي عليه الآن
- ١٦٢ ..... ذكر سور القاهرة
- ١٦٦ ..... ذكر أبواب القاهرة
- ١٦٦ ..... اشارة
- ١٦٦ ..... باب زويلة
- ١٦٧ ..... باب النصر
- ١٦٨ ..... باب الفتوح
- ١٦٩ ..... باب القنطرة
- ١٦٩ ..... باب الشعريّة
- ١٦٩ ..... باب سعادة
- ١٧٠ ..... الباب المحروق
- ١٧٠ ..... باب البرقية
- ١٧٠ ..... ذكر قصور الخلفاء و مناظرهم و الإلماع بطرف من مآثرهم و ما صارت إليه أحوالها من بعدهم
- ١٧٠ ..... اشارة
- ١٧١ ..... القصر الكبير
- ١٧١ ..... اشارة
- ١٧٤ ..... كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة
- ١٧٤ ..... اشارة
- ١٧٥ ..... عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة
- ١٧٦ ..... الإيوان الكبير
- ١٨٦ ..... الدواوين

١٨٦	.....	اشارة
١٨٧	.....	ديوان المجلس
١٩١	.....	ديوان النظر
١٩١	.....	ديوان التحقيق
١٩١	.....	ديوان الجيوش و الرواتب
١٩٣	.....	ديوان الإنشاء و المكاتبات
١٩٣	.....	التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم
١٩٣	.....	التوقيع بالقلم الجليل
١٩٣	.....	مجلس النظر فى المظالم
١٩٤	.....	رتب الأمراء
١٩٤	.....	قاضى القضاء
١٩٥	.....	قاعة الفضة
١٩٥	.....	قاعة السدره
١٩٥	.....	قاعة الخيم
١٩٥	.....	المناظر الثلاث
١٩٦	.....	قصر الشوك
١٩٦	.....	قصر أولاد الشيخ
١٩٦	.....	قصر الزمرد
١٩٦	.....	الركن المخلق
١٩٧	.....	السقيفة
١٩٨	.....	دار الضرب
١٩٩	.....	خزائن السلاح
١٩٩	.....	المارستان العتيق
١٩٩	.....	التربة المعزیه



- ٢٠٠ ..... القصر النافعى
- ٢٠١ ..... الخزائن التى كانت بالقصر
- ٢٠١ ..... اشارة
- ٢٠١ ..... خزانه الكتب
- ٢٠٢ ..... خزانه الكسوات
- ٢٠٧ ..... خزائن الجوهر و الطيب و الطرائف
- ٢١٠ ..... خزائن الفرش و الأمتعة
- ٢١١ ..... خزائن السلاح
- ٢١٢ ..... خزائن السروج
- ٢١٣ ..... خزائن الخيم
- ٢١٤ ..... خزانه الشراب
- ٢١٥ ..... خزانه التوابل
- ٢١٧ ..... دار التعبئة
- ٢١٧ ..... خزانه الأدم
- ٢١٧ ..... خزائن دار أفتكين
- ٢١٩ ..... خزانه البنود
- ٢٢١ ..... دار الفطرة
- ٢٢٣ ..... المشهد الحسينى
- ٢٢٧ ..... ما كان يعمل فى يوم عاشوراء
- ٢٢٩ ..... ذكر أبواب القصر الكبير الشرقى
- ٢٣٣ ..... ذكر المنحر
- ٢٣٤ ..... ذكر دار الوزارة الكبرى
- ٢٣٨ ..... ذكر رتبة الوزارة، و هيئة خلعمهم، و مقدار جاريمهم، و ما يتعلق بذلك
- ٢٤٢ ..... ذكر الحجر التى كانت برسم الصبيان الحجرية

- ٢٤٣ ..... ذكر المناخ السعيد
- ٢٤٤ ..... ذكر اصطبل الطارمة
- ٢٤٥ ..... ذكر دار الضرب و ما يتعلق بها
- ٢٥١ ..... ذكر ما كان يضرب فى خميس العدس من خرايب الذهب
- ٢٥١ ..... ذكر دار الوكالة الأمريكية
- ٢٥٢ ..... ذكر مصلى العيد
- ٢٥٢ ..... ذكر هيئة صلاة العيد و ما يتعلق بها
- ٢٥٩ ..... ذكر القصر الصغير الغربى
- ٢٥٩ ..... اشارة
- ٢٦٠ ..... أبواب القصر الغربى
- ٢٦١ ..... ذكر دار العلم
- ٢٦٣ ..... ذكر دار الضيافة
- ٢٦٤ ..... ذكر اصطبل الحجرية
- ٢٦٥ ..... ذكر الدار المأمونية
- ٢٦٧ ..... ذكر الحسبة و دار العيار
- ٢٦٩ ..... ذكر المناظر التى كانت للخلفاء الفاطميين، و مواضع نزههم ما كان لهم فيها من أمور جميلة
- ٢٦٩ ..... اشارة
- ٢٧٥ ..... ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج
- ٢٩١ ..... منازل العز
- ٢٩٧ ..... ذكر الأيام التى كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً، و مواسم تتسع بها أحوال الرعية، و تكثر نعمهم
- ٢٩٨ ..... اشارة
- ٣٠٠ ..... ذكر مذاهبهم فى أول الشهور
- ٣٠١ ..... ذكر النوروز
- ٣٠٥ ..... ذكر ما كان من أمر القصرين، و المناظر بعد زوال الدولة الفاطمية

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ..... ٣٠٧

## المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، المجلد ٢

## إشارة

نام كتاب: المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت

نويسنده: مقریزی، احمد بن علی

تاریخ وفات مؤلف: ٨٤٥ هـ. ق

موضوع: جغرافیای شهرها

زبان: عربی

تعداد جلد: ٤

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ١٤١٨ هـ. ق

نوبت چاپ: اول

رده بندی کنگره:

٨١٣٧٦٤/م٧٧ DT٧٧

almwaa'th walaa'tbar bthkr alkhtt wala'thar alma'rouf balkhtt almkriziah

تألیف: تقدی الدین العییدی المقریزی تاریخ النشر: ١/١٠/١٩٩٨

ترجمه، تحقیق: خلیل المنصور الناشر: دار الکتب العلمیة

النوع: ورقی غلاف فنی، حجم: ١٧×٢٤، عدد الصفحات: ١٨٣٢ صفحة الطبعة: ١ مجلدات: ٤

## الجزء الثاني

## ذكر تاريخ الخليفة

## إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم: أنه لما كانت الحوادث لا- بد من ضبطها، و كان لا يضبط ما بين العصور، و بين أزمنة الحوادث إلّا بالتاريخ المستعمل العام الذي لا ينكره الجماعة أو أكثرها، و ذلك أنّ التاريخ المجمع عليه، لا يكون إلّا من حادث عظيم يملأ ذكره الأسماع، و كانت زيادة ماء النيل، و نقصانه، إنما يعتبرهما أهل مصر، و يحسبون أيامهما بأشهر القبط، و كذلك خراج أراضى مصر إنما يحسبون أوقاته بذلك، و هكذا زراعات الأراضى، إنما يعتمدون فى أوقاتها أيام الأشهر القبطية عادة، و سلكوا فيها سبيل أسلافهم، و اقتفوا مناهج قدمائهم، و ما برح الناس من قديم الدهر أسراء العوائد.

احتيج فى هذا الكتاب إلى إيراد جملة من تاريخ الخليفة لتعيين موقع تاريخ القبط منها، فإنّ بذكر ذلك يتم الغرض. فأقول: التاريخ عبارة عن يوم، ينسب إليه ما يأتى بعده، و يقال أيضاً: التاريخ عبارة عن مدّة معلومة تعدّ من أوّل زمن مفروض لتعرف بها الأوقات المحدودة، و لا- غنى عن التاريخ فى جميع الأحوال الدنيوية، و الأمور الدنيوية، و لكل أمية من أمم البشر تاريخ تحتاج إليه فى معاملاتهما، و فى معرفة أزمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الأمم.

و أول الأوائل القديمة و أشهرها هو، كون مبدأ البشر، و لأهل الكتاب من اليهود و النصارى و المجوس فى كفيته، و سياقه التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله فى التواريخ، و كل ما تتعلق معرفته ببدا الخلق، و أحوال القرون السالفه، فإنه مختلط بتزويرات و أساطير لبعده العهد، و عجز المعتنى به عن حفظه، و قد قال الله سبحانه و تعالى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ [إبراهيم / ٩]. فالأولى أن لا يقبل من ذلك إلا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ، و لا طرقة تبديل، أو خبر ينقله الثقات، و إذا نظرنا فى التاريخ وجدنا فيه بين الأمم خلافا كثيرا، و سأتلو عليك من ذلك ما لا أظنك تجده مجموعا فى كتاب، و أقدم بين يدي هذا القول ما قيل فى مدة بقاء الدنيا.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤

### ذكر ما قيل فى مدة أيام الدنيا ماضيها و باقيها

اعلم: أن الناس قد اختلفوا قديما و حديثا فى هذه المسألة، فقال قوم من القدماء الأول: بالأكوار و الأدوار و هم الدهرية، و هؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة، و هم فى ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم، و ذلك أنهم وجدوا قوما من الهند و الفرس قد عملوا أدوارا للنجوم ليصححوا بها فى كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم، و إنه كلما مضى ذلك العدد عادت الأشياء إلى حالها الأول.

و قد وقع فى هذا الظن ناس كثير مثل، أبى معشر وغيره، و تبع هؤلاء خلق و أنت تقف على فساد هذا الظن إن كنت تخبر من العدد شيئا ما، و ذلك أنك إذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة، فإنك تقدر أن تضع لكل زيغ أياما معلومة كالذى وضعه الهند و الفرس، فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال فى هذه الأدوار، ظنوا أنها عدد أيام العالم، فتفظن ترشد.

و عند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة و هى سائر حتى تعود إلى تلك النقطة، و أن الكور هو استئناف الكواكب فى أدوارها سيرا آخر إلى أن تعود إلى مواضعها مرة بعد أخرى.

و زعم أهل هذه المقالة، أن الأدوار منحصرة فى أنواع خمسة:

الأول: أدوار الكواكب السيارة فى أفلاك تدويرها.

الثانى: أدوار مراكز أفلاك التدوير فى أفلاكها الحاملة.

الثالث: أدوار أفلاكها الحالة فى فلك البروج.

الرابع: أدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج.

الخامس: أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة، و هذه الأدوار المذكورة، منها ما يكون فى كل زمان طويل مرة واحدة، و منها ما يكون فى كل زمان قصير مرة واحدة، فأقصر هذه الأدوار، أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة فإنه يدور فى كل أربع و عشرين ساعة، دورة واحدة، و باقى الأدوار يكون فى أزمنة آخر أطول من هذه لا حاجة بنا فى هذه المسألة إلى ذكرها.

قالوا: و أدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج تكون فى كل سنة و ثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة، و حينئذ تنتقل أوجات الكواكب، و جوز هراتها إلى مواضع حضيضها، و نوبهراتها و بالعكس، فيوجب ذلك عندهم، عود العوالم كلها إلى ما كانت عليه من الأحوال فى الزمان و المكان و الأشخاص و الأوضاع، بحيث لا يتخالف ذرة واحدة، و هم مع ذلك

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥

مختلفون فى كمية ما مضى من أيام العالم، و ما بقى.

فقال البراهمة من الهند فى ذلك قولاً غريباً، و هو ما حكاه عنهم الأستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى فى كتاب القانون المسعودى: إنهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له: إبراهيم، و يزعمون أنه محدث محصور الموت بين مبدأ و انتهاء عمره كعمرها

مائة سنة برهومية، كل سنة منها ثلاثمائة وستون يوماً زمان النهار، منها بقدر مده دوران الأفلاك، و الكواكب لإثارة الكون و الفساد، و هذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في أول برج الحمل بأوجاتها، و جوز هراتها، و مقدارها: أربعة آلاف سنة، و ثلاثمائة ألف سنة و عشرون ألف سنة شمسية، و هو زمان اثني عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة، ثلاثمائة ألف سنة و ستون ألف سنة شمسية، و اسم هذا النهار بلغتهم الكلية، و زمان الليل عندهم كزمان النهار، و في الليل تسكن المتحرّكات، و تستريح الطبيعة من إثارة الكون و الفساد، ثم يثور في مبدأ اليوم الثاني بالحركة و التكوّن، فيكون زمان اليوم بليته من سني الناس، ثمانية آلاف سنة و ستمائة ألف سنة و أربعين ألف سنة، فإذا ضربنا ذلك في ثلاثمائة و ستين تبلغ سنو أيام السنة البرهومية، ثلاثة آلاف ألف سنة، و عشرة آلاف ألف سنة، و أربعمائة ألف سنة شمسية، فإذا ضربناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهوميّ من سني الناس، ثلاثمائة ألف سنة، و أحد عشر ألف سنة، و أربعين ألف سنة شمسية، فإذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة، و التكوين ما شاء الله، ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور.

و قسموا زمان النهار المذكور إلى تسع و عشرين قطعة، سموها كل أربع عشرة قطعة منها نوبا، و سموها الخمس عشرة قطعة الباقية فصولاً، و جعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين، و كل فصل محصوراً بين نوبتين، و قدّموا زمان الفصل على النوبة إلى تمام المدة، و زمان الفصل هو خمساً الدور و الدور جزء من ألف جزء من المدة، فإذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور، أربعة آلاف سنة، و ثمانية و عشرون ألف سنة، و زمان النوبة عندهم أحد و سبعون دوراً مقدارها من السنين ثلاثمائة ألف سنة، و ستة آلاف سنة و سبعمائة ألف سنة و عشرون ألف سنة.

و قد قسموا الدور أيضاً بأربع قطع، أولها أعظمها، و هي مدة الفصل المذكور و ثانيها ثلاثة أرباع الفصل، و مدتها ألف سنة، و مائتا ألف سنة و ستة و تسعون ألف سنة، و ثالثها نصف الفصل، و مدته ثمانمائة ألف سنة و أربعة و ستون ألف سنة، و رابعها ربع الفصل، و هو عشر الدور المذكور، و مدته أربعمائة ألف سنة و اثنان و ثلاثون ألف سنة.

و لكل واحد من هذه القطع الأربع اسم يعرف به، فاسم القطعة الرابعة عندهم، كلكال

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦

لأنهم يزعمون أنهم في زمانها، و إنّ الذي مضى من عمر الملك الطبيعيّ على زعم حكيمهم الأعظم المسمى عندهم: برهمكوت ثمان سنين و خمسة أشهر و أربعة أيام.

و نحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة، و مضى من النهار الخامس ست نوب، و سبعة فصول و سبعة و عشرون دوراً من النوبة السابعة، و ثلاث قطع من الدور المذكور أعني تسعة أعشاره، و مضى من القطعة الرابعة أعني من أول كلكال إلى هلاك، شككال عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة للإسكندر ثلاثة آلاف سنة و مائة سنة و سبعون سنة، و قال: إنّما عرفنا هذا الزمان من علم إلهي، وقع إلينا من عظماء أنبيائنا المتألهين برواياتهم جيلاً بعد جيل على ممّر الدهور و الأزمان، و زعموا أن في مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة، تتجدد أزمته العوالم، و تنتقل من حال إلى حال، و أن الماضي من أول كلكال إلى شككال ثلاثة آلاف، و مائة و تسع و سبعون سنة، و الماضي من النهار المذكور إلى آخر سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة للإسكندر ألف ألف سنة، و تسعمائة ألف سنة، و اثنان و سبعون ألف سنة، و تسعمائة ألف سنة و سبعة و أربعون ألف سنة، و مائة سنة و سبع و سبعون سنة.

فيكون الماضي من عمر الملك الطبيعيّ إلى آخر هذه السنة ستة، و عشرين ألف ألف ألف سنة، و ثلاثمائة ألف ألف سنة و خمسة عشر ألف ألف سنة، و سبعمائة ألف ألف سنة، و اثنين و ثلاثين ألف ألف سنة، و تسعمائة ألف سنة، و سبعة و أربعين ألف سنة و مائة سنة و تسعا و سبعين سنة، فإذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الإسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضي

من عمر الملك بالوقت المفروض، و الله أعلم بحقيقة ذلك.

وقال الخطا و الايعز في ذلك قولاً أعجب من قول الهند، و أغرب على ما نقلته من زيغ أدوار الأنوار، و قد لخص هذا القول من كتب أهل الصين، و ذلك أنهم جعلوا مبادئ سنينهم مبنية على ثلاثة أدوار: الأول: يعرف بالعشرى مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به، و الثانى: يعرف بالدور الاثنى عشرى، و هو أشهرها خصوصاً في بلاد الترك يسمون سنه بأسماء حيوانات بلغت الخطا و الايعز، و الثالث: مركب من الدورين جميعاً و مدته ستون سنة، و به يؤرخون سنى العالم و أيامه و يقوم عندهم مقام أيام الأسبوع عند العرب و غيرها، و اسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعاً، و كذلك كل يوم من أيام السنة.

و لهذا الدور ثلاثة أسماء، و هى: شانكون، و جونكون، و خاون، و يصير بحسبها مرّة أعظم و مرّة أوسط، و مرّة أصغر، فيقال: دور شانكون الأعظم، و دور: جونكون الأوسط، و دور: خاون الأصغر، و بهذه الأدوار يعتبرون سنى العالم و أيامه، و جملتها مائة و ثمانون المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧

سنة، ثم تدور الأدوار الثلاثة عليها مرة أخرى. و اتفق وقوع مبدأ الدور الأعظم في الشهر الأول من سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة: ليزجر، و اسمه بلغتهم: كادره، و بلغه العرب: سنة الغار، و كان دخول أول افرودين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس، و هو بلغتهم: سن جن، و من هذا اليوم و على هذا التاريخ ترتب مبادئ سنينهم و أيامهم في الماضى و المستقبل، و شهورهم اثنا عشر شهراً، لكل شهر منها اسم بلغه: الخطا، و بلغه الايعز لا حاجة بنا هنا إلى ذكره.

و يقسمون اليوم الأول بليلته اثني عشر قسماً، كل قسم منها يقال له: جاغ، و كل جاغ ثمانية أقسام، كل قسم منها يقال له: كه، و يقسمون اليوم بليلته أيضاً عشرة آلاف فنك، و كل فنك منها: مائة مياو، فيصيب كل جاغ: ثمانمائة و ثلاثة و ثلاثين فنكا و ثلث فنك، و كل: كه مائة و أربعة أفناك و سدس فنك، و ينسبون، كل جاغ إلى صورة من الصور الاثنتى عشرة، و مبدأ اليوم بليلته عندهم من نصف الليل، و فى منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار و آخره بحسب الطول و القصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان، و فى منتصف النهار ينتصف جاغ يوند، و هم يكبسون فى كل ثلاث سنين قمرية شهراً واحداً يسمونه: سيون ليحفظوا بالكبس مبادئ سنى الشمس فى زمان واحد من سنة أخرى، و يكبسون أحد عشر شهراً فى كل ثلاثين سنة قمرية، و لا يقع عندهم شهر الكبس فى موضع واحد بعينه من السنة، بل يقع فى كل موضع منها، و كل شهر عدّة أيامه إما ثلاثون يوماً أو تسعة و عشرون يوماً، و لا يمكن عندهم أكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامّة، و لا أكثر من شهرين ناقصين.

و مبادئ شهورهم، يوم الاجتماع إن وقع اجتماع النيرين نهاراً، فإن وقع الاجتماع ليلاً كان أول الشهر فى اليوم الذى بعد الاجتماع و زمان السنة الشمسية بحسب أوصادهم، ثلاثمائة و خمسة و ستون يوماً و ألفان و أربعمائة و ستة و ثلاثون فنكا، و السنة أربعة و عشرون قسماً، كل قسم منها: خمسة عشر يوماً و ألفان و مائة و أربعة و ثمانون فنكا و خمسة أسداس فنك، و لكل قسم من هذه الأقسام اسم، و كل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة، فاسم أول قسم من فصولها الحن، و أوله أبدا، حيث تكون الشمس فى ست عشرة درجة من برج الدلو و هكذا أوائل كل فصل، إنما تكون فى حدود أواسط البروج الثابتة، و كان بعد مدخل الحن من أول الدور الستينى فى السنة المذكورة أحد عشر يوماً، و سبعة آلاف و ستمائة و ستين فنكا، و اسم مدخله بى خاينى، و كان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوماً، و يبعد مدخله عن أول الدور الستينى، و يتفاضل البعد بينهما فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التى هى ثلاثمائة و أربعة و خمسون يوماً، و ثلاثة آلاف و ستمائة و اثنان و سبعون فتكا، و مقدار الفضل بينهما عشرة أيام و ثمانية آلاف و سبعمائة و أربعة و ستون فنكا، فإن زادت الأيام على زمان الشهر القمري الأوسط الذى هو تسعة و عشرون يوماً، و خمسة آلاف و ثمانمائة و ستة أفناك، نقص منها هذا العدد، و احتسب بالباقي.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨

فإذا عرفت هذا من حسابهم، فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف و ستون ألف و ن، و كل و ن: عشرة آلاف سنة. مضى من

ذلك إلى أول سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة ليزدجرد، و هي دور: شانكون الأعظم: ثمانية آلاف و ثمانمائة و ثلثة و ستون ونا، و تسعة آلاف و سبعمائة، و أربعون سنة، فتكون المدّة العظمى على هذا: ثلاثة آلاف ألف ألف سنة و ستمائة ألف ألف سنة بهذه الصورة ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ و الماضي منها إلى السنة المذكورة: ثمانية، و ثمانون ألف ألف سنة و ستمائة ألف سنة و تسعة و ثلاثون ألف سنة، و سبعمائة سنة و أربعون سنة بهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠ و لله غيب السماوات و الأرض و إليه يرجع الأمر كله.

و إنما ذكرت طرفا من حساب سنى البراهمة، و طرفا من حساب سنى الخطا و الايعز المستخرج من حساب الصين ليعلم المنصف أن ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا، و لأمر ما جدع قصير أنفه، و كم من جاهل بالتعاليم إذا سمع أقوالهم فى مدّة سنى العالم يبادر إلى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه، و طريق الحق أن يتوقف، فيما لا- يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجحه على الآخر، و الله يعلم و أنتم لا تعلمون.

و قال أصحاب السند هند: و معناه: الدهر الداهر أن الكواكب و أوجاتها و جوزهراتها تجتمع كلها فى أول برج الحمل عند كل أربعة آلاف ألف سنة و ثلثمائة ألف ألف سنة و عشرين ألف سنة شمسية، و هذه مدّة سنى العالم.

قالوا: و إذا جمعت برأس الحمل فسدت المكوّنات الثلاث التى يحويها عالم الكون و الفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا، و هذه المكوّنات هى: المعدن و النبات و الحيوان، فإذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرًا طويلا إلى أن تتفرق الكواكب، و الأوجات و الجوزهرات فى بروج الفلك، فإذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد، فعادت أحوال العالم السفلى إلى الأمر الأول، و هذا يكون عودا بعد بدء إلى غير نهاية، قالوا: و لكل واحد من الكواكب و الأوجات و الجوزهرات عدّة أدوار فى هذه المدّة يدل كل دور منها على شىء من المكوّنات، كما هو مذکور فى كتبهم مما لا حاجة بنا هنا إلى ذكره، و هذا القول منتزع من قول البراهمة الذى تقدّم ذكره.

و قال أصحاب الهازروان من قدماء الهند: إن كل ثلثمائة ألف سنة و ستين ألف سنة شمسية: يهلك العالم بأسره و يبقى مثل هذه المدّة، ثم يعود بعينه، و يعقبه البدل، و هكذا أبدا يكون الحال لا إلى نهاية.

قالوا: و مضى من أيام العالم المذكورة إلى طوفان نوح عليه السلام: مائة ألف و ثمانون ألف سنة شمسية.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩

و مضى من الطوفان إلى سنة الهجرة المحمدية ثلاثة آلاف و سبعمائة و ثلاث و عشرون سنة، و أربعة أشهر و أيام.

و بقى من سنى العالم حتى يبتدئ و يفنى مائة ألف و بضع و سبعون ألف سنة شمسية، أولها تاريخ الهجرة الذى يؤرخ به أهل الإسلام.

و قال أصحاب الأزجهير: مدّة العالم التى تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هى و أوجاتها و جوزهراتها: جزء من ألف جزء من مدّة: السند هند، و هذا أيضا منتزع من قول البراهمة.

و قال أبو معشر، و ابن بو بخت: إن بعض الفرس يرى أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة بعدة البروج، لكل برج ألف سنة، فكان ابتداء أمر الدنيا فى أول ألف الحمل، لأنّ الحمل و الثور و الجوزاء تسمى: أشرف الشرف، و ينسب إلى الحمل: الفصل، و فيها تكون الشمس فى شرفها، و علوّها، و طول نهارها، و لذلك كانت الدنيا كانت إلى ثلاثة آلاف سنة: علوية روحانية طاهرة، و لأن السرطان و الأسد و السنبلة: منتقصة، فإنّ الشمس تنحط من علوّها فى أول دقيقة من السرطان، و كان قدر الدنيا و أبنائها منحطًا فى الثلاثة آلاف الثانية، و لأن الميزان أهبط الهبوط، و بثر الآبار، و ضدّ البرج الذى فيه شرف الشمس دل على أنه أصابت الدنيا و اكتسب أهلها المعصية، و الميزان و العقرب و القوس إذا نزلتها الشمس لم تزدد إلّا انحطاطا، و الأيام إلّا نقصانا. فلذلك دلت على البلايا و الضيق، و الشدّة و الشّرّ، و حيث تبلغ الآلاف إلى أول الجدى الذى فيه أول ارتفاع الشمس، و إشرافها على شرفها، و فيه تزداد الأيام طولًا، و الدلو و الحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودًا، حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير، و ضعف الشّرّ، و ثبات الدين و العقل و



العمل بالحق و العدل، و معرفة فضل العلم و الأدب في تلك الثلاثة الآلاف سنة، و ما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الألف و المائة و العشرة، و على حسب اتفاق الكواكب في أول سلطان صاحب الألف، فلا يزال ذلك في زيادة حتى يعود أمر الدنيا في آخرها إلى مثل ما كان عليه ابتدائها، و هي في ألف الحمل و كلما تقارب آخر كل ألف من هذه الألف اشتدّ الزمان، و كثرت البلايا لأنّ أواخر البرج في حدود النحوس، و كذلك في آخر المئين و العشرات، فعلى هذا الانقضاء للدنيا إذا كان الزمان يعود إلى الحمل كما بدأ أول مرّة.

و زعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان و الشمس في ابتداء المسير، فدار الفلك، و جرت المياه، و هبت الرياح، و اتقدت النيران، و تحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير و شرّ، و الطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان، و فيه المشتري، و في البيت الرابع الذي هو بيت العافية، و هو برج الميزان زحل، و كان الذنب في القوس، و المريخ و الجدى و الزهرة و عطارد في الحوت، و وسط السماء برج الحمل، و في أول دقيقة منه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠

الشمس، و كان القمر في الثور و في بيت السعادة، و كان الرأس في برج الجوزاء، و هو بيت الشقاء، و في تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا، فكان خيرا و شرّا و انحطاطها و ارتفاعها، و سائر ما فيها على قدر مجارى البروج و النجوم، و ولاية أصحاب الألف، و غير ذلك من أحوالها. و لأنّ المشتري كان في السرطان في شرفه و زحل في الميزان في شرفه و المريخ و الشمس و القمر في إشرافها دلت على كائنه جليئة، فكان نشوء العالم، و انبرز زحل.

فتولى الألف هو و الميزان و كان المشتري في الطالع مقبولا. و كذلك جميع الكواكب كانت مقبولة، فدل على نماء العالم و حسن نشوءه، و كان زحل هو المستولى و العالى في الفلك و البرج طويل المطالع، فطالت أعمار تلك الألف و قويت أبدانهم، و كثرت مياههم و كون الميزان تحت الأرض دل على خفاء أول حدوث العالم، و على أن أهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الأرضين و تشييد البنيان. ثم ولى الألف الثاني العقرب و المريخ، و كان في الطالع المريخ، فدل على القتل في ذلك الألف و سفك الدماء، و السبى و الظلم و الجور و الخوف و الهّم و الأبحزان و الفساد و جور الملوك، و ولى الألف الثالث القوس و شاركه عطارد و الزهرة بطلو عهما، و كان الذنب في القوس، فدل المشتري على النجدة في تلك الألف و الشدة و الجلد و البأس و الرياسة و العدل، و تقسيم الملوك الدنيا، و سفك الدماء بسبب ذلك، و دلت الزهرة على ظهور بيت العباد و على الأنبياء، و دل عطارد على ظهور العقل و الأدب و الكلام، و كون البرج مجسدا دلّ على انقلاب الخير و الشرّ في تلك الألف مرّات، و على ظهور ألوان من آيات الحق و العدل و الجور.

ثم ولى الألف الرابع الجدى، و كان فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الألف من إهراق الدماء، و دلت الشمس على ظهور الخير و العلم، و معرفة الله تعالى، و عبادته و طاعته و طاعة أنبيائه، و الرغبة في الدين مع الشجاعة و الجلد، و كون البرج منقلبا هو و البرج الذي فيه الشمس دلّ على انقلاب ذلك في آخرها، و ظهور الشرّ و التفزق و القسم و القتل و سفك الدماء و الغصب في أصناف كثيرة، و تحوّل ذلك و تلونه، و كون الجدى منحطا دلّ على أنه يظهر في آخر تلك الألف الحسن الشبيه بصفة زحل و المريخ و انقطاع العظماء و الحكماء، و بوارهم و ارتفاع السفلة، و خراب العامر، و عمارة الخراب، و كثرة تلون الأشياء، و ولى الألف الخامس الدلو بطلوع القمر، و كان القمر في الثور، فدل الدلو لبرودته و عسره على سقوط العماء و عطلة أمرهم، و ارتفاع السفلة و العبيد، و محمّدة البخلاء، و ظهور الجيش الأسود و السواد، و على كثرة التفتيش، و التفكير و ظهور الكلام في الأديان و محبة الخصومات و كون القمر في شرفه يدل على قهر الملوك، و ظهور ولاية الحق، و نفاذ الخير، و ظهور بيوت العباد و الكف عن الدماء، و الراحة و السعادة في العامية و ثبات ما يكون من العدل و الخير، و طول المدّة فيه و كون البرج مائيا يدل على كثرة الأمطار و الغرق و آفة من البرد يهلك فيها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١

الكثير، و يلي الألف السادس برج الحوت بطول المشترى و الرأس فيدل على المحمده في الناس عامية و على الصلاح و الخير و السرور، و ذهاب الشر، و حسن العيش، و لكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة، فصار عطارد خاتما في برج السنبله. و زعم ابن بوبخت: أن من يوم سارت الشمس إلى تمام خمس و عشرين من ملك أنوشروان ثلاثة آلاف و ثمانمائة و سبع و ستون سنة، و ذلك في ألف الجدى و تدبير الشمس، و منه إلى اليوم الأول من الهجرة سبع و ثمانون سنة شمسية و ستة و عشرون يوما، و من الهجرة إلى قيام يزدجرد تسع سنين و ثلثمائة و سبعة و ثلاثون يوما فذلك الجميع إلى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف و تسعمائة و ست و ستون سنة.

و قال أبو معشر: و زعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة. و زعم أبو معشر: أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة و ستون ألف سنة، و أن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس مائة ألف و ثمانين ألف سنة. و قال قوم: عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة، و للرأس ألف سنة، و للذنب ألف سنة و شرها ألف الذنب، و إن الأعمار طالت في تدبير آلاف الثلاثة العلوية، و قصرت في آلاف الكواكب السفلية. و قال قوم: عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثني عشر لكل برج ألف سنة و بعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة.

و قال قوم: عمر الدنيا أحد و عشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس، و ألف للذنب. و قال قوم: عمر الدنيا ثمانية و سبعون ألف سنة في تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة، و في تدبير برج الثور أحد عشر ألف سنة، و في تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة، فكانت الأعمار في هذا الربع أطول، و الزمان أجده، ثم تدبير الربع الثاني مدة أربعة و عشرين ألف سنة، فتكون الأعمار دون ما كانت في الربع الأول، و تدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة، و تدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة. و قال قوم: كانت المدة من آدم إلى الطوفان ألفين و ثمانين سنة و أربعة أشهر و خمسة عشر يوما، و من الطوفان إلى إبراهيم عليه السلام تسعمائة و اثنيتين و أربعين سنة و سبعة أشهر و خمسة عشر يوما، فذلك ثلاثة آلاف، و مائتان و ثلاث و عشرون سنة. و قال قوم من اليهود: عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة في ألف جيل و لفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلواته: إن الجيل سبعون سنة، و من قوله في الزبور: إن إبراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء البشر ألف جيل، فجاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة، و استظهروا لقولهم هذا بما في التوراة من قوله، و اعلم أن الله إلهك

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢

هو القادر المهيم الحافظ العهد و الفضل لمحبيه و حافظي وصاياه لألف جيل. و ذكر أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتاب أخبار الزمان عن الأوائل: أنهم قالوا: كان في الأرض ثمان و عشرون ذات أرواح و أيد و بطش و صور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة أمة منفردة تعرف بها تلك الأمة، و يزعمون أن تلك الأمم كانت الكواكب الثابتة تدبرها، و كانوا يعبدونها، و يقال: لما خلق الله تعالى البروج الاثني عشر قسم دوامها في سلطانها، فجعل للحمل اثني عشر ألف عام، و للثور أحد عشر ألف عام، و للجوزاء عشرة آلاف عام، و للسرطان تسعة آلاف عام، و للأسد ثمانية آلاف عام، و للسنبله سبعة آلاف عام، و للميزان ستة آلاف عام، و للعقرب خمسة آلاف عام، و للقوس أربعة آلاف عام، و للجدى ثلاثة آلاف عام، و للدلو ألفي عام، و للحوت ألف عام، فصار الجميع ثمانية و سبعين ألف عام، فلم يكن في عالم الحمل و الثور و الجوزاء حيوان، و ذلك ثلاثة و ثلاثون ألف عام، فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء و هوام الأرض.

فلما كان عالم الأسد تكونت ذوات الأربع من الوحش و البهائم، و ذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء و الهوام، فلما كان

عالم السنبله، تكوّن الإنسانان الأولان، وهما:

أدمانوس، وحنوانوس، وذلك لتمام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء، وهوام الأرض ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الأرض، و خلقت الأرض في عالم الميزان، ويقال:

بل خلقت الأرض أولًا، وأقامت خالية ثلاثة و ثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني، ثم خلق الله تعالى هوام الماء، و دواب الأرض، و ما بعد ذلك على ما تقدّم ذكره، فلما تمّ أربعة و عشرون ألف عام لخلق دواب الماء و هوام الأرض، و لتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الأربع، و لتتمه سبعة آلاف عام من لدن تكوّن الإنسانين خلقت الطيور.

و يقال: إنّ مدّة مقام الإنسانين و نسلهما في الأرض مائة ألف و ثلاثة و ثلاثون ألف عام منها لزلح: ستة و خمسون ألف عام، و للمشتري أربعة و أربعون ألف عام، و للمريخ ثلاثة و ثلاثون ألف عام، و يقال: إنّ الأمم المخلوقات قبل آدم هي كانت الجبله الأولى، و هي ثمان و عشرون أمة بإزاء منازل القمر خلقت من أمزجة مختلفة أصلها: الماء، و الهواء، و الأرض، و النار، فتباين خلقها، فمنها أمة خلقت طوالا زرقا ذوات أجنحة كلامهم قرقة على صفة الأسود، و منها أمة أبدانهم أبدان الأسود و رؤوسهم رؤوس الطير لهم شعور، و آذان طوال، و كلامهم دوى، و منها أمة لها وجهان: وجه أمامها، و وجه خلفها، و لها أرجل كثيرة، و كلامهم كلام الطير، و منها أمة ضعيفة في صور الكلاب لها أذنان، و كلامهم همهمة لا يعرف، و منها أمة تشبه بنى آدم أفواههم في صدورهم يصفرون إذا تكلموا تصفيرا، و منها أمة يشبهون نصف إنسان لهم عين واحدة، و رجل يقفزون بها قفزا، و يصيحون كصياح الطير، و منها أمة لها وجه كوجوه الناس و أصلاب كأصلاب السلاحف في رؤوسهم قرون

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣

طوال لا يفهم كلامهم، و منها أمة مدورة الوجوه لهم شعور بيض، و أذنان كأذنان البقر و رؤوسهم في صدورهم لهم شعور و ثدى، و هم أناس كلهم ليس فيهم ذكر يلحقن من الرياح، و يلدن أمثالهم، و لهنّ أصوات مطربة يجتمع إليهنّ كثير من هذه الأمم لحسن أصواتهنّ، و منها أمة على خلق بنى آدم سود و جوههم، و رؤوسهم كرؤوس الغربان، و منها أمة في خلق الهوام و الحشرات إلا أنها عظيمة الأجسام تأكل، و تشرب مثل الأنعام، و منها أمة كوجوه دواب البحر لها أنياب كأنياب الخنازير، و آذان طوال، و يقال: إنّ هذه الثمانية و العشرين أمة تناكحت، فصارت مائة و عشرين أمة.

و سئل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه: هل كان في الأرض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى؟ فقال: نعم خلق الله الأرض، و خلق فيها الجنّ يسبحون الله و يقدّسونه لا-يفترون، و كانوا يطيرون إلى السماء، و يلقون الملائكة، و يسلمون عليهم و يستعملون منهم خبر ما في السماء، ثم إنّ طائفة منهم تمردت، و عتت عن أمر ربها، و بغت في الأرض بغير الحق، و عدا بعضهم على بعض، و جحدوا الربوبية، و كفروا بالله، و عبدوا ما سواه، و تغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء، و أظهروا في الأرض الفساد، و كثر تقائلهم، و علا بعضهم على بعض، و أقام المطيعون لله تعالى على دينهم، و كان إبليس من الطائفة المطيعة لله و المسبحين له، و كان يصعد إلى السماء، فلا يحجب عنها لحسن طاعته.

و يروى: أنّ الجنّ كانت تفترق على إحدى و عشرين قبيلة، و أنّ بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له: شملال بن ارس، ثم افترقوا فملكوا عليهم: خمسة ملوك، و أقاموا على ذلك دهرا طويلا، ثم أغار بعضهم على بعض، و تحاسدوا، فكانت بينهم وقائع كثيرة، فأهبط الله تعالى إليهم إبليس، و كان اسمه بالعربية: الحارث، و كنيته أبو مرّة، و معه عدد كثير من الملائكة، فهزمهم و قتلهم، و صار إبليس ملكا على وجه الأرض، فتكبر و طغى، و كان من امتناعه من السجود لآدم ما كان، فأهبطه الله تعالى إلى الأرض، فسكن البحر، و جعل عرشه على الماء، فألقيت عليه شهوة الجماع، و جعل لقاحه لقاح الطير و بيضه.

و يقال: إنّ قبائل الجنّ من الشياطين خمس و ثلاثون قبيلة، خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء و عشر قبائل مع لهب النار، و ثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء، و لكل قبيلة ملك موكل بدفع شرّها، و منهم صنف من السعالي يتصوّرون في صور النساء الحسان، و

يتزوجن برجال الأنس و يلدن منهم، و منهم صنف على صور الحيات إذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته، فإن كانت صغيرة هلك ولده أو عزيز عنده.

و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إن الكلاب من الجن فإذا رأوكم تأكلون،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤

فألقوا إليهم من طعامكم، فإن لهم أنفسا يعنى إنهم يأخذون بالعين.

و قد روى: أن الأرض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم: الطم، و الرم، و الجن، و البن، و الحسن، و البسن، و أن الله تعالى لما خلق السماء عمّرها بالملائكة، و لما خلق الله الأرض عمرها بالجن، فعاشوا و سفكوا الدماء، فأنزل الله إليهم جندا من الملائكة، فأتوا على أكثرهم قتلا و أسرا، فكان ممن أسر إبليس، و كان اسمه عزازيل، فلما صعد به إلى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد فى العبادة و الطاعة رجاء أن يتوب الله عليه، فلما لم يجد ذلك عليه شيئا خامر الملائكة القنوط، فأراط الله أن يظهر لهم خبث طويته، و فساد نيته، فخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره، و إبانة ما خفى عنهم من مكتوم أنبائه، و إلى عمارة الأرض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ [البقرة/ ٣٠] يعنون كما فعل بها من قبل، و الله أعلم بمراده. و قال أبو بكر بن أحمد بن علي بن وحشية فى كتاب الفلاح: إنه عزب هذا الكتاب، و نقله من لسان الكلدانين إلى اللغة العربية، و إنه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء و هم: صعيرت و سوساد و فوقاي ابتداء الأول، و كان ظهوره فى الألف السابعة من سبعة آلاف سننى زحل، و هى الألف التى يشارك فيها زحل القمر، و تممه الثانى، و كان ظهوره فى آخر هذه الألف، و أكمله الثالث، و كان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سننة من دور الشمس الذى هو سبعة آلاف سننة، و إنه نظر إلى ما بين زمان الأول و الثالث، فكان ثمانية عشر ألف سننة شمسية، و بعض الألف التاسعة عشر، و قد اختلف أهل الإسلام فى هذه المسألة أيضا، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة، و اليوم ألف سننة، فذلك سبعة آلاف سننة، و روى سفيان عن الأعمش عن أبي صالح قال: قال كعب الأحمار: الدنيا ستة آلاف سننة.

و عن وهب بن منبه أنه قال: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سننة و ستمائة سننة إنى لأعرف كل زمان منها، و من فيه من الأنبياء، فقليل له: فكم الدنيا؟ قال: ستة آلاف سننة.

و روى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

و فى حديث أبي هريرة: الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا، و الحقب هنا بكسر الحاء و ضمها.

قال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني فى كتاب الإكليل: و كأن الدنيا جزء من أربعة آلاف و سبعمائة و ثلاثة و عشرين جزءا و ثلث جزء من الحقب، على أن السنة القمرية ثلثمائة و أربعة و خمسون يوما و خمس و سدس يوم، فإذا كانت الدنيا ستة آلاف سننة، و اليوم ألف سننة تكون سنين قمرية ستة آلاف ألف سننة، فإذا جعلناه جزءا و ضربناه فى أجزاء

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥

الحقب، و هى أربعة آلاف و سبعمائة سننة و ثلاث و عشرون و ثلث خرج من السنين: ثمانية و عشرون ألف ألف و ثلثمائة ألف ألف و أربعون ألف ألف، و إذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه، و هذا عدد الحقب.

و قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: الصواب من القول ما دل على صحته الخبر الوارد، فذكر قوله عليه السلام: «أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس»، و قوله عليه السلام: «بعثت أنا و الساعة كهاتين» و أشار بالسبابة و الوسطى، و قوله عليه السلام: «بعثت أنا و الساعة جميعا إن كادت لتسبقنى». قال: فمعلوم إن كان اليوم أوله طلوع الشمس، و آخره غروب الشمس، و كان صحيحا عن النبى صلى الله عليه و سلم قوله: «أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس»، و

قوله: «بعثت أنا و الساعة كهاتين» و أشار بالسبابة و الوسطى، و كان قدر ما بين أوسط أوقات العصر، و ذلك إذا صار ظل كل شىء مثليه على التحزى إنما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا أو ينقص قليلا، و كذلك فضل ما بين الوسطى و السبابة، إنما يكون نحوا من ذلك، و كان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام: «لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأُمّة نصف يوم» يعنى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنه، فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس و الآخر عن كعب. قول ابن عباس:

إنّ الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف، و إذا كان كذلك، و كان قد جاء عنه عليه السلام: أنّ الباقي من ذلك فى حياته نصف يوم، و ذلك خمسمائة عام إذا كان ذلك نصف يوم من الأيام التى قدر الواحد منها ألف عام كان معلوما أنّ الماضى من الدنيا إلى وقت قوله عليه السلام: «ستة آلاف سنه و خمسمائة سنه» أو نحو ذلك، و قد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال: إنّ الدنيا كلها ستة آلاف سنه لو كان صحيحا لم يعد القول به إلى غيره، و هو حديث أبى هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا، فتبين من هذا الخبر أنّ الدنيا كلها ستة آلاف سنه، و ذلك أنه حيث كان اليوم الذى هو من أيام الآخرة مقداره ألف سنه من سنى الدنيا، و كان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوما أنّ جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، و ذلك ستة آلاف سنه، و قال أبو القاسم السهيلي: و قد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه و سلم إلى اليوم بنيف عليها، و ليس فى قوله: لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأُمّة نصف يوم، ما ينفى الزيادة على النصف، و لا فى قوله: بعثت أنا و الساعة كهاتين، ما يقطع به على صحة تأويله، يعنى الطبرى، فقد نقل فى تأويله غير هذا و هو أنه ليس بينه و بين الساعة نبى، و لا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها، كما قال تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ [القمر / ١]، و قال: أتى أمرُ الله فلا تَسْتَعْجِلُوهُ [النحل / ١] و لكن إذا قلنا: إنه عليه السلام إنما بعث فى الألف الآخر بعد ما مضت منه سنون

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦

و نظرنا إلى الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك. (ألم يسطع نص حق كره). ثم تأخذ العدد على حساب أبى جاد، فيجىء تسعمائة و ثلاثه، و لم يسم الله تعالى أوائل السور إلا هذه الحروف، فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها، و بعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنين لما قدّمناه من حديث الألف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته و كل قريب بعضه من بعض، فقد جاء أشرطها، و لكن لا تأتكم إلا بغته، و قد روى أنه عليه السلام قال: «إن أحسنتم أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة» و ذلك ألف سنه، و إن أساءت فنصف يوم. ففى الحديث تتميم للحديث المتقدم، و بيان له، إذ قد نقضت الخمسمائة و الأمة باقية، و قال شادان البلخى المنجم: مدّة مله الإسلام ثلاثمائة و عشرين سنين، و قد ظهر كذب قوله و لله الحمد، و قال أبو معشر: يظهر بعد المائة و الخمسين من سنى الهجرة اختلاف كثير.

و قال حراس: إنّ المنجمين أخبروا كسرى أنوشروان بتملك العرب، و ظهور النبوة فيهم، و أنّ دليلهم الزهرة، و هى فى شرفها، و الزهرة دليل العرب، فتكون مدّة ملك نبوتهم ألفا و ستين سنه، و لأنّ طالع القرآن الدال على ذلك برج الميزان و الزهرة صاحبتة فى شرفها، قال: و سأل كسرى وزيره بزرحمهر عن ذلك، فأعلمه أن الملك يخرج من فارس، و ينتقل إلى العرب، و تكون ولادة القائم بإمرة العرب لخمس و أربعين سنه من وقت القران، و أنّ العرب تملك المشرق و المغرب من أجل أن المشتري دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب، و القران قد انتقل من المثله الهوائية إلى المثله المائية، و إلى برج العقرب منها، و هو دليل العرب أيضا، و هذه الأدلة تقتضى بقاء الملّة الإسلامية بقدر دور الزهرة، و هو ألف و ستون سنه شمسية.

و قال نفيل الرومى: و كان فى أيام بنى أمية تبقى ملّة الإسلام، بقدر مدّة القران الكبيرة، و هى تسعمائة و ستون سنه شمسية، فإذا عاد القران بعد هذه المدّة إلى برج العقرب كما كان فى ابتداء الملّة، و تغيير وضع تشكيل الفلك عن هيئته فى الابتداء، فحينئذ يفتقر العمل، و يتجدد ما يوجب خلاف الظن.

قال: و اتفقوا على أنّ خراب العالم يكون باستيلاء الماء و النار حتى تهلك المكونات بأسرها، و ذلك إذا قطع قلب الأسد أربعا و



عشرين درجة من برج الأسد الذي هو حدّ المَرِيخ بعد تسعمائة و ستين سنة شمسية من قران الملة، و يقال: إن ملك رابليستان و هي عزبة بعث إلى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دويان في جملة هدية، فأعجب به المأمون، و سأله عن مدّة ملك بني العباس، فأخبره بخروج الملك عن عقبه، و اتصاله في عقب أخيه، و أنّ العجم تغلبهم على الخلافة، فيتغلب الديلم أولاً- ثم يسوء حالهم، حتى يظهر الترك من

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧

شمال المشرق، فيملكون الفرات و الروم و الشام، و قال يعقوب بن إسحاق الكندي: مدّة ملة الإسلام ستمائة و ثلاث و تسعون سنة. و قال الفقيه الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: و أما اختلاف الناس في التاريخ، فإن اليهود يقولون: أربعة آلاف سنة، و النصراري يقولون: الدنيا خمسة آلاف سنة، و أما نحن يعني أهل الإسلام، فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا، و من ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه لفظه تصح، بل صح عنه عليه السلام خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمدا لا- يعلمه إلا- الله تعالى، قال الله تعالى: ما أشهدتْهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ [الكهف / ٥١]، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود و الشعرة السوداء في الثور الأبيض». و هذه نسبة من تدبرها، و عرف مقدار عدد أهل الإسلام، و نسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، و إنه الأكثر علم أن للدنيا أمدا لا يعلمه إلا الله تعالى، و كذلك قوله عليه السلام: «بعثت أنا و الساعة كهاتين» و ضم أصبعيه المقدستين السبابة و الوسطى، و قد جاء النص: بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى لا أحد سواه، فصح أنه صلى الله عليه و سلم، إنما عنى شدة القرب لا فضل السبابة على السباحة إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الإصبعين، و نسب من طول الأصبع، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة، و هذا باطل و أيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه و سلم إيانا من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذبا، و معاذ الله من ذلك، فصح أنه عليه السلام، إنما أراد شدة القرب، و له صلى الله عليه و سلم منذ بعث أربعمئة عام و نيف، و الله تعالى أعلم بما بقى للدنيا، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف لقتله، و تفاهته بالإضافة إلى ما مضى، فهو الذي قاله صلى الله عليه و سلم من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة في ذراع الحمار.

و قد رأيت بخط الأمير أبي محمد عبد الله بن الناصر قال: حدّثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان و سبعون ألف سنة، و قد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمئة ألف سنة، قال أبو محمد: إلا أن لكل ذلك أولا، و لا بدّ و نهاية لم يكن شيء من العالم موجودا قبله، و لله الأمر من قبل و من بعد، و الله أعلم.

### ذكر التواريخ التي كانت للأمم قبل تاريخ القبط

التاريخ: كلمة فارسية أصلها: ماروز، ثم عزّب.

قال محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب مفاتيح العلوم، و هو

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨

كتاب جليل القدر، و هذا اشتقاق بعيد لو لا أنّ الرواية جاءت به، و قال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج: تاريخ كل شيء آخره، و هو في الوقت غايته، يقال: فلان تاريخ قومه، أي إليه ينتهي شرفهم، و يقال: ورّخت الكتاب توريخا و أرخته تأريخا، اللغّة الأولى لتسيم، و الثانية لقيس، و لكل أهل ملة تاريخ، فكانت الأمم تؤرخ أولا بتاريخ الخليقة، و هو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام، ثم أرخت بالطوفان، و أرخت ببخت نصر، و أرخت بفيلبس، و أرخت بالإسكندر، ثم بأغشطش، ثم بأنطيس، ثم بدقلطيانوس، و به تؤرخ القبط، لم يكن بعد تاريخ القبط إلا تاريخ الهجرة، ثم تاريخ يزدجرد، فهذه تواريخ الأمم المشهورة، و للناس تواريخ أخر قد انقطع ذكرها. فأما تاريخ الخليقة، و يقال له: ابتداء كون النسل، و بعضهم يقول: بدو التحرك، فإن لأهل الكتاب من اليهود و النصراري و المجوس

في كفيته، و سياقة التاريخ منه خلافا كثيرا، قال المجوس و الفرس: عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك و شهور السنة، و زعموا أن زرادشت صاحب شريعتهم قال: إن الماضي من الدنيا إلى وقت ظهوره ثلاثة آلاف و مائتا سنة و ثمان و خمسون سنة، و إذا حسبنا من أول يوم كيومرت الذي هو عندهم الإنسان الأول، و جمعنا مدة كل من ملك بعده، فإن الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم، كان العدد منه إلى الإسكندرية ثلاثة آلاف و ثلثمائة و أربعا و خمسين سنة، فإذا لم يتفق التفصيل مع الجملة، و قال قوم: الثلاثة الآلاف الماضية إنما هي من خلق كيومرت فإنه مضى قبله ألف سنة، و الفلك فيها واقف غير متحرك، و الطبايع غير مستحيلة، و الأمهات غير متمازجة، و الكون و الفساد غير موجود فيها، و الأرض غير عامرة، فلما تحرك الفلك حدث الإنسان الأول في معدن النهار، و تولد الحيوان و توالد و تناسل الإنس فكثروا، و امتزجت أجزاء العناصر للكون و الفساد، فعمرت الدنيا، و انتظم العالم.

و قال اليهود: الماضي من آدم إلى الإسكندرية ثلاثة آلاف و أربعمائة و ثمان و أربعون سنة.

و قال النصارى: المدة بينهما خمسة آلاف و مائة و ثمانون سنة، و زعموا أن اليهود نقصوها، ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في الألف الرابع وسط السبعة آلاف التي هي مقدار العالم عندهم، حتى تخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الأنبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام، بولادة المسيح عيسى، و إذا جمع ما في التوراة التي بيد اليهود من المدة التي بين آدم عليه السلام، و بين الطوفان، كانت ألفا و ستمائة و ستا و خمسين سنة، و عند النصارى في إنجيلهم ألفان و مائتا سنة و اثنتان و أربعون سنة، و تزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخليط، و تزعم النصارى: أن توراة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف، و لا تبديل، و تقول اليهود: فيها خلاف ذلك، و تقول السامرية: بأن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩

توارثهم هي الحق، و ما عداها باطل، و لس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجالبة له، و هذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا في الإنجيل، و ذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد، أحدهما إنجيل متى، و الثاني لمارقوس، و الثالث للوقا، و الرابع ليوحنا، قد ألف كل من هؤلاء الأربعة إنجيلا على حسب دعوته في بلاده، و هي مختلفة اختلافا كثيرا، حتى في صفات المسيح عليه السلام، و أيام دعوته، و وقت الصلب بزعمهم، و في نسبة أيضا، و هذا الاختلاف لا يحتمل مثله، و مع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون، و أصحاب ابن ديسان إنجيل يخالف بعضه هذا الأناجيل، و لأصحاب ماني إنجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله إلى آخره، و يزعمون أنه هو الصحيح، و ما عداه باطل.

و لهم أيضا إنجيل يسمى: إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس، و النصارى و غيرهم ينكرونه، و إذا كان الأمر من الاختلاف بين أهل الكتاب، كما قد رأيت و لم يكن للقياس و الرأي مدخل في تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم، و لم يعول على شيء من أقوالهم فيه، و أما غير أهل الكتاب، فإنهم أيضا مختلفون في ذلك.

قال أسوش: بين خلق آدم و بين ليلة الجمعة أول الطوفان ألفا سنة و مائتا سنة و ست و عشرون سنة و ثلاثة و عشرون يوما و أربع ساعات، و قال ما شاه: و اسمه منشا بن أثرى منجم المنصور و المأمون في كتاب القرائن: أول قران وقع بين زحل و المشتري في بدء التحرك، يعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة و تسع سنين و شهرين و أربعة و عشرين يوما مضت من ألف المريخ، فوقع القران في برج الثور من المثلثة الأرضية على سبع درج و اثنتين و أربعين دقيقة، و كان انتقال الممر من برج الميزان، و مثلثته الهوائية إلى برج العقرب، و مثلثته المائبة بعد ذلك بألفى سنة و أربعمائة سنة و اثنتي عشرة سنة و ستة أشهر و ستة و عشرين يوما، و وقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الأولى من القران الثاني من قرائن هذه المثلثة المائبة، و كان بين وقت القران الأول الكائن في بدء التحرك، و بين الشهر الذي كان فيه الطوفان ألفان و أربعمائة و ثلاث و عشرون سنة و ستة أشهر و اثنا عشر يوما، قال: و في كل سبعة آلاف سنة و سنتين و عشرة أشهر و ستة أيام يرجع القران إلى موضعه من برج الثور الذي كان في بدء التحرك، و هذا القول أعزك الله هو الذي اشتهر، حتى ظن كثير من الملل، أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به، و تنبه إلى أصله تجده

أوهى من بيت العنكبوت فاطرحة.

وقيل: كان بين آدم و بين الطوفان ثلاثة آلاف و سبعمائة و خمس و ثلاثون سنة، و قيل:

كانت بينهما مدّة ألفين و مائتين و ست و خمسين سنة، و قيل: ألفان و ثمانون سنة.

و أما تاريخ الطوفان: فإنه يتلو تاريخ الخليفة، و فيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من أجل الاختلاف فيما بين آدم و بينه و فيما بينه و بين تاريخ الإسكندر، فإن اليهود

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠

عندهم أنّ بين الطوفان، و بين الإسكندر ألفا و سبعمائة و اثنتين و تسعين سنة، و عند النصارى بينهما ألفا سنة و تسعمائة و ثمان و ثلاثون سنة، و الفرس و سائر المجوس، و الكلدانيون أهل بابل، و الهند، و أهل الصين، و أصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان، و أقرّ به بعض الفرس، لكنهم قالوا: لم يكن الطوفان بسوى الشام و المغرب، و لم يعمّ العمران كله و لا- غزق إلا- بعض الناس، و لم يتجاوز عقبه حلوان، و لا بلغ إلى ممالك المشرق، قالوا: و وقع في زمان طمهورت، و إنّ أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالهرمين بمصر، و نحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه، و لما بلغ طمهورت الإنذار بالطوفان قبل كونه بمائة و إحدى و ثلاثين سنة، أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء و التربة، فوجد ذلك بأصبهان، فأمر بتجليد العلوم، و دفنها فيها في أسلم المواضع، و يشهد لهذا ما وجد بعد الثلاثمائة من سنى الهجرة في حى من مدينته أصبهان من التلال التى انشقت عن بيوت مملوءة أعد الأعدّة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسي، و تسمى:

التور مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هي؟.

و أما المنجمون: فإنهم صححوا هذه السنين من القران الأوّل من قرانات العلويين:

زحل و المشتري التى أثبت علماء أهل بابل، و الكلدانيين مثلها إذا كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم، فإنّ السفينة استقرت على الجودى و هو غير بعيد من تلك النواحي، قالوا: و كان هذا القران قبل الطوفان بمائتين و عشرين سنة و مائة و ثمانية أيام، و اعتنوا بأمرها و صححوا ما بعدها، فوجدوا ما بين الطوفان، و بين أوّل ملك بخت نصر الأوّل ألفى سنة و ستمائة و أربع سنين، و بين بخت نصر هذا، و بين الإسكندر أربعمائة و ست و ثلاثون سنة، و على ذلك بنى أبو معشر أوساط الكواكب فى زيجه، و قال: كان الطوفان عند اجتماع الكواكب فى آخر برج الحوت، و أوّل برج الحمل، و كان بين وقت الطوفان، و بين تاريخ الإسكندر قدر ألفى سنة و سبعمائة و تسعين سنة مكبوسة و سبعة أشهر و ستة و عشرين يوما، و بينه و بين يوم الخميس أوّل المحرم من السنة الأولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم و ثلثمائة ألف يوم و تسعة و خمسون ألف يوم و تسعمائة يوم و ثلاثة و سبعون يوما، يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة، و سبعمائة و خمسا و عشرين سنة، و ثلثمائة يوم و ثمانية و أربعين يوما.

و منهم من يرى أنّ الطوفان كان يوم الجمعة، و عند أبى معشر أنه كان يوم الخميس، و لما تقرّر عنده الجملة المذكورة، و خرجت له المدّة التى تسمى: أدوار الكواكب، و هى بزعمهم ثلثمائة ألف و ستون ألف سنة شمسية، و أولها متقدّم على وقت الطوفان بمائة ألف

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١

و ثمانين ألف سنة شمسية، حكم بأنّ الطوفان كان فى مائة ألف و ثمانين ألف سنة، و سيكون فيما بعد كذلك، و مثل هذا لا يقبل إلّا بحجّة أو من معصوم.

و أما تاريخ بخت نصر: فإنه على سنى القبط، و عليه يعمل فى استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطى، ثم أدوار قالليس، و أوّل أدواره فى سنة ثمانى عشرة و أربعمائة لبخت نصر، و كل دور منها ست و سبعون سنة شمسية، و كان قالليس من جلة أصحاب التعاليم، و بخت نصر هذا ليس هو الذى خرّب بيت المقدس، و إنما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس، بمائة و ثلاث و أربعين سنة، و هو اسم فارسى أصله بخت برسى، و معناه كثير البكاء و الأين، و يقال له بالعبرانية: نصار، و قيل تفسيره: عطار، و هو



ينطق و ذلك لتحييه على الحكمة، و تغريب أهلها ثم عزّب فقيل: بخت نصر.

و أما تاريخ فيلبس: فإنه على سنى القبط، و كثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الإسكندر البناء المقدوني، و كلا الأمرين سواء، فإن القائم بعد البناء هو فيلبس فسواء كان من موت الأول أو من قيام الآخر، فإن الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما، و فيلبس هذا هو أبو الإسكندر المقدوني، و يعرف هذا التاريخ: بتاريخ الإسكندرانيين، و عله بنى تاون الإسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون، و أعلم.

و أما تاريخ الإسكندرية فإنه على سنى الروم عليه يعمل أكثر الأمم إلى وقتنا هذا من أهل الشام، و أهل بلاد الروم، و أهل المغرب و الأندلس، و الفرنج و اليهود، و قد تقدّم الكلام عليه عند ذكر الإسكندرية من هذا الكتاب.

و أما تاريخ أغشطش فإنه لا- يعرف اليوم أحد يستعمله، و أغشطش هذا هو أول القياصرة، و معنى قيصر بالرومية شقّ عنه، فإنّ أغشطش هذا لما حملت به أمه ماتت في المخاض، فشق بطنها حتى أخرج منه، فقيل: قيصر، و به يلقب من بعده من ملوك الروم، و يزعم النصارى أنّ المسيح عليه السلام: ولد لأربعين سنة من ملكه، و في هذا القول نظر، فإنه لا يصح عند سياقه السنين، و التواريخ بل يجيء تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشر من ملكه. و أما تاريخ أنطينس: فإن بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطي لأول ملكه على الروم و سنو هذا التاريخ رومية.

### ذكر تاريخ القبط

إعلم: أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج إذا تحرّكت على

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢

خلاف حركة الكل إلى أي نقطة فرضت، ابتداء حرّكتها، و ذلك أنها تستوفى الأزمنة الأربعة التي هي الربيع، و الصيف، و الخريف، و الشتاء، و تحوز طابعها الأربع، و تنتهي إلى حيث بدأت، و في هذه المدّة يستوفى القمر اثنتي عشرة عودة، و أقلّ من نصف عودة، و يستهل اثنتي عشرة مرّة، فجعلت المدّة التي فيها عودات القمر اثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح، و أسقط الكسر الذي هو أحد عشر يوما بالتقريب، فصارت السنة على قسمين: سنة شمسية، و سنة قمرية، و جميع من على وجه الأرض من الأمم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس و القمر، فالأخذون بسير الشمس خمس أمم و هم:

اليونانيون، و السريانيون، و القبط، و الروم، و الفرس، و الأخذون بسير القمر خمس أمم هم:

الهند، و العرب، و اليهود، و النصارى، و المسلمون.

فأهل قسطنطينية و الإسكندرية، و سائر الروم و السريانيون و الكلدانيون، و أهل مصر، و من يعمل برأى المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و ربع يوم بالتقريب، و صيروا السنة ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما، و ألقوا الأرباع بها في كل أربع سنين يوما حتى انجبرت السنة، و سمّوا تلك السنة كبيسة لانكباس الأرباع فيها.

و أما قبط مصر القدماء: فإنهم كانوا يتركون الأرباع حتى يجتمع منها أيام سنة تامّة، و ذلك في كل ألف و أربعمائة و ستين سنة، ثم يكبسونها سنة واحدة، و يتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع أهل الإسكندرية و قسطنطينية.

و أما الفرس: فإنهم جعلوا السنة ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم في مائة و عشرين سنة أيام شهر تامّ، و من خمس الساعة الذي يتبع ربع اليوم عندهم، يوم واحد، فألحقوا الشهر التامّ بها في كل مائة و ست عشرة سنة، و اقتفى أثرهم في هذا أهل خوارزم القدماء و الصفد، و من دان بدين فارس، و كانت الملوك البيشداية منهم، و هم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما كل شهر منها: ثلاثون يوما سواء، و كانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم، و يسمونها كبيسة، و كل مائة و عشرين سنة بشهرين أحدهما بسبب خمسة الأيام، و الثاني بسبب ربع اليوم، و كانوا يعظمون تلك السنة

و يسمونها المباركة.

و أما قدماء القبط: و أهل فارس في الإسلام، و أهل خوارزم و الصفد فتركوا الكسور أعنى الربع، و ما يتبعه أصلا. و أما العبرانيون، و جميع بني إسرائيل، و الصابئون، و الحرّانيون فإنهم أخذوا السنة من مسير الشمس، و شهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم، و صيامهم على حساب قمرى، و تكون مع ذلك حافظه لأوقاتها من السنة، فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بستة أشهر، و وافقهم النصرى في صومهم، و بعض أعيادهم لأن مدار أمرهم على نسخ اليهود، و خالفوهم في الشهور إلى مذهب الروم و السريانيين، و كانت

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣

العرب في جهالتها تنظر إلى فضل ما بين سنتهم، و سنة القمر، و هو عشرة أيام و إحدى و عشرون ساعة و خمس ساعة، فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى أيام شهر، و لكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام و عشرون ساعة، و كان يتولى ذلك النساء من بني كنانة المعروفون بالقلامس، و أحدهم قلمس، و هو البحر الغزير، و هو أبو تمام جنادة بن عوف بن أمية بن قلع، و أول من فعل ذلك منهم: حذيفة بن عبد فقيم، و آخر من فعله أبو تمام، و أخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجيء دين الإسلام بنحو المائتي سنة، و كانوا يكبسون في كل أربعة و عشرين سنة، تسعة أشهر حتى تبقى أشهر السنة ثابتة مع الأزمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن أوقاتها، و لا تتقدم إلى أن حج رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أنزل الله تعالى عليه: **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّوْنَهُ عَامًا لِّيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [التوبة/ ٣٧]**، فخطب صلى الله عليه و سلم و قال: **«إِنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَبَطَلَ النَّسِيءُ، وَ زَالَتْ شُهُورُ الْعَرَبِ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَ صَارَتْ أَسْمَاؤُهَا غَيْرَ دَالَّةٍ عَلَى مَعَانِيهَا»**.

و أما أهل الهند فإنهم يستعملون رؤية الأهل في شهورهم، و يكبسون كل تسعمائة سنة و سبعين يوما بشهر قمرى، و يجعلون ابتداء تاريخهم: اتفاق اجتماع في أول دقيقة من برج ما، و أكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في إحدى نقطتي الاعتدالين، و يسمون السنة الكبيسة بدمات فهذه آراء الخليفة في السنة.

و أما اليوم فإنه عبارة عن عود الشمس بدوران الكل إلى دائرة قد فرضت، و قد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس إلى غروبها من الغد، و من أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر، و أوائلها مقيدة برؤية الهلال، و الهلال يرى لدن غروب الشمس، صارت الليلة عندهم قبل النهار، و عند الفرس و الروم، اليوم بليته من طلوع الشمس بارزة من أفق المشرق إلى وقت طلوعها من الغد، فصار النهار عندهم قبل الليل، و احتجوا على قولهم:

بأن النور وجود، و الظلمة عدم، و الحركة تغلب على السكون لأنها وجود لا عدم، و حياة لا موت، و السماء أفضل من الأرض، و العامل الشاب أصح، و الماء الجارى لا يقبل عفونه كالراكد، و احتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور، و النور طارىء عليها، فالأقدم يبدأ به، و غلبوا السكون على الحركة بإضافة الراحة و الدعة إليه، و قالوا: الحركة إنما هي الحاجة و الضرورة، و التعب تنتجه الحركة، و السكون إذا دام في الاستقصاءات مدة لم يولد فسادا، فإذا دامت الحركة في الاستقصاءات و استحكمت أفسدت، و ذلك كالزلازل و العواصف، و الأمواج و شبهها، و عند أصحاب التنجيم أن اليوم بليته من موافاة الشمس فلك نصف النهار إلى موافاتها إياه في الغد، و ذلك من وقت الظهر إلى وقت العصر، و بنوا على ذلك حساب أزياجهم، و بعضهم ابتداء باليوم من نصف الليل، و هو صاحب زيح شهر بارازانسه،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤

و هذا هو حدّ اليوم على الإطلاق إذا اشترط الليلة في التركيب فأما على التفصيل: فالיום بانفراده، و النهار بمعنى واحد، و هو من طلوع جرم الشمس إلى غروب جرمها، و الليل خلاف ذلك و عكسه، و حدّ بعضهم أول النهار بطلوع الفجر و آخره بغروب الشمس لقوله

تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ [البقرة/ ١٨٧] وقال: هذان الحدان هما طرفا النهار، و عورض بأن الآيه إنما فيها بيان طرفى الصوم لا تعريف أول النهار، و بأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق، و هما متساويان فى العلة، فلو كان طلوع الفجر أول النهار، لكان غروب الشفق آخره، و قد التزم ذلك بعض الشيعة، فإذا تقرّر ذلك، فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء، و يسميه بعضهم، تاريخ دقلطيانوس.

### ذكر دقلطيانوس الذى يعرف تاريخ القبط به

#### إشارة

إعلم: أن دقلطيانوس هذا: أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك فى منتصف سنة خمس و تسعين و خمسمائة من سنى الإسكندر، و كان من غير بيت الملك، فلما ملك تجبر و امتدّ ملكه إلى مدائن الأكاسرة، و مدينة بابل، فاستخلف ابنه على مملكة رومه، و اتخذ تخت ملكه بمدينة أنطاكية، و جعل لنفسه بلاد الشام و مصر إلى أقصى المغرب، فلما كان فى السنة التاسعة عشر من ملكه، و قيل: الثانية عشر خالف عليه أهل مصر، و الإسكندرية، فبعث إليهم و قتل منهم خلقا كثيرا، و أوقع بالنصارى فاستباح دماءهم و غلق كنائسهم، و منع من دين النصارى، و حمل الناس على عبادة الأصنام، و بالغ فى الإسراف فى قتل النصارى، و أقام ملكا إحدى و عشرين سنة، و هلك بعد علل صبعة دود منها بدنه، و سقطت أسنانه، و هو آخر من عبد الأصنام من ملوك الروم، و كل من ملك بعده فإنما كان على دين النصرانية، فإن الذى ملك بعده ابنه سنة واحدة، و قيل: أكثر من ذلك، ثم ملك قسطنطين الأكبر، فأظهر دين النصرانية، و نشره فى الأرض، و يقال: إن رجلا ثار بمصر، يقال له: أجله، و خرج عن طاعة الروم، فسار إليه دقلطيانوس و حصر الإسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر، حتى أخذ أجله و قتله، و عمّ أرض مصر كلها بالسبى و القتل، و بعث قائده، فحارب سابور ملك فارس، و قتل أكثر عسكره، و هزمه و أسر امرأته و إخوته و أثخن فى بلاده، و عاد بأسرى كثيرة من رجال فارس، ثم أوقع بعامّة بلاد رومه، فأكثر فى قتلهم و سبيهم، فكانت أيامه شنعاء، قتل فيها من أصناف الأمم، و هدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر، و كانت واقعة بالنصارى هى الشدة العاشرة، و هى أشنع شدائدهم،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥

و أطولها لأنها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتري يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم، و يعذب رجالهم، و يطلب من استتر منهم أو هرب ليقتل، يريد بذلك قطع أثر النصارى، و إبطال دين النصرانية من الأرض، فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا، و كان ابتداء ملكه يوم الجمعة، و بينه و بين يوم الاثنين أول يوم من توت، و هو أول أيام ملك الإسكندر بن فيلبس المقدونى خمسمائة و أربع و تسعون سنة، و أحد عشر شهرا، و ثلاثة أيام، و بين يوم الجمعة أول يوم من تاريخ دقلطيانوس، و بين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة و ثمان و ثلاثون سنة قمرية و تسعة و ثلاثون يوما، و جعلوا شهور السنة القبطية اثنى عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء، فإذا تمت الأشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها، و سموا هذه الخمسة الأيام أبو عمنا، و تعرف اليوم: بأيام النسيء، فيكون الحال فى النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات، فإذا كان فى السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة أيام، فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة و خمسة و ستون يوما و الرابعة يصير عددها ثلثمائة و ستة و ستين يوما، و يرجع حكم سنتهم إلى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة و خمسة و ستين يوما و ربع يوم إلا أن الكبس يختلف، فإذا كان كبس القبط فى سنة كان كبس اليونانيين فى السنة الداخلة.

و أسماء شهور القبط: توت، بابه. هتور، كهيك، طوبه، أمشير، برمها، برمودة، بشنس، بؤونة، أبيب، مسرى؛ فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما، و إذا كانت عدّة شهر مسرى، و هو الشهر الثانى عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك، و عملوا النوروز أول

يوم من شهر توت.

### ذكر أسابيع الأيام

إعلم: أن القدماء من الفرس و الصغد و قبط مصر الأول يم يكونوا يستعملون الأسابيع من الأيام في الشهور، و أول من استعملها أهل الجانب الغربي من الأرض لا سيما أهل الشام، و ما حواليه من أجل ظهور الأنبياء عليهم السلام فيما هنا لك، و أخبارهم عن الأسبوع الأول و بدء العالم فيه، و إنّ الله خلق السماوات و الأرض في ستة أيام من الأسبوع، ثم انتشر ذلك منهم في سائر الأمم، و استعملته العرب العاربة بسبب تجاوز ديارهم، و ديار أهل الشام، فإنهم كانوا قبل تحوّلهم إلى اليمن ببابل، و عندهم أخبار نوح عليه السلام، ثم بعث الله تعالى إليهم هوداً، ثم صالحاً عليهما السلام، و أنزل فيهم إبراهيم خليل الرحمن ابنه إسماعيل عليهما السلام، فتعرّب إسماعيل، و كانت القبط الأول تستعمل أسماء الأيام الثلاثين من كل شهر، فتجعل لكل يوم منها اسماً، كما هو العمل في تاريخ الفرس، و المواظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦

و ما زالت القبط على هذا إلى أن ملك مصر أغشطش بن بوحس، فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبداً فيها، فوجدوا الباقي حينئذ إلى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين، فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين، ثم حملهم على كبس الشهور في كل أربع سنين بيوم، كما تفعل الروم، فترك القبط من حينئذ استعمال أسماء الأيام الثلاثين، لاحتياجهم في يوم الكبس إلى اسم يخصه، و انقضى بعد ذلك مستعملو أسماء الأيام الثلاثين من أهل مصر، و العارفون بها، و لم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس، بل دثرت كما دثر غيرها من أسماء الرسوم القديمة، و العادات الأول سنة الله في الذين خلوا من قبل، و كانت أسماء شهور القبط في الزمن القديم: توت، يؤوني، أتور، سواق، طوبي، ماكير، فامينوت، برموتى، باحون، باونى، افيعى، ابيقا؛ و كل شهر منها ثلاثون يوماً، و لكل يوم اسم يخصه، ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الأسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر، إلا- أن من الناس من يسمى كيهك كياك، و يقول في برمهات برمهور، و فى بشنس بشانس، و فى مسرى ماسورى، و من الناس من يسمى الخمسة الأيام الزائدة أيام النسب، و منهم من يسميها أبو عمنا، و معنى ذلك الشهر الصغير، و هى كما تقدّم تلحق فى آخر مسرى، و فيه يزداد اليوم الكبس، فيكون أبو عمنا ستة أيام حينئذ، و يسمون السنة الكبيسة النقط، و معناه العلامة، و من خرافات القبط أنّ شهورهم هى شهور سنى نوح و شيث و آدم منذ ابتداء العالم، و إنها لم تزل على ذلك إلى أن خرج موسى بنى إسرائيل من مصر، فعملوا أول سنتهم خامس عشر نيسان، كما أمره به فى التوراة إلى أن نقل الإسكندر رأس سنتهم إلى أول تشرين، و كذلك المصريون نقل بعض ملوكهم أول سنتهم إلى أول يوم من ملكه، فصار أول توت عندهم يتقدّم أول يوم خلق فيه العالم بمائتين و ثمانية أيام أولها يوم الثلاثاء، و آخرها يوم السبت، و كان توت أوله فى ذلك الوقت يوم الأحد، و هو أول يوم خلق الله فيه العالم الذى يقال له الآن: تاسع عشرى برمهات و ذلك أنّ أول من ملك على الأرض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح، فعمر بابل، و هو أبو الكلدانيين، و ملك بنو مصرام بن حام بن نوح عليه السلام: متش فبنى منف بمصر على النيل، و سماها باسم جدّه مصرام، و هو ثانى ملك على الأرض، و هذان الملكان استعمالاً تاريخ جدّهما نوح عليه السلام، و استن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدّم.

### ذكر أعياد القبط من النصرى بديار مصر

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: اجتنبوا عيد اليهود و النصرى، فإنّ السخط ينزل عليهم فى مجامعهم، و لا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم.

و عن ابن عباس فى قوله تعالى: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧

كراماً [الفرقان / ٧٢] قال: أعياد المشركين، فقيل له: أو ما هذا فى الشهادة بالزور، فقال:

لا إنما أية شهادة الزور، و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً.

اعلم: أن نصارى مصر من القبط ينحلون مذهب اليعقوبية كما تقدّم ذكره، و أعيادهم الآن التى هى مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيداً فى كل سنة من سنينهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً، و سبعة يسمونها أعياداً صغاراً. فالأعياد الكبار عندهم: عيد البشارة، و عيد الزيتونة، و عيد الفصح، و عيد خميس الأربعين، و عيد الخميس، و عيد الميلاد، و عيد الغطاس.

و الأعياد الصغار: عيد الختان، و عيد الأربعين، و خميس العهد، و سبت النور، و أحد الحدود، و التجلى، و عيد الصليب، و لهم مواسم آخر ليست هى عندهم من الأعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية، و هو يوم النوروز، و سأذكر من خبر هذه الأعياد ما لا تجده مجموعاً فى غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى، و تواريخ أهل الإسلام.

عيد البشارة: هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام، و هم يسمون جبريل غبريال، و يقولون: مارت مريم، و يسمون المسيح: ياشوع، و ربما قالوا: السيد يشوع، و هذا العيد تعمله نصارى مصر فى اليوم التاسع و العشرين من شهر برمهاث .

عيد الزيتونة: و يعرف عندهم: بعيد الشعانين، و معناه التسييح، و يكون فى سابع أحد من صومهم و سنتهم فى عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة، و يرون أنه يوم ركوب المسيح العنود، و هو الحمار فى القدس، و دخوله إلى صهيون، و هو راكب و الناس بين يديه يسبحون، و هو يأمر بالمعروف، و يحث على عمل الخير، و ينهى عن المنكر، و يباعد عنه، و كان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التى تزين فيها كنائسهم، فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان و سبعين و ثلثمائة، كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم، و حملهم الخوص على ما كانت عاداتهم، و قبض على عدّة ممن وجد معه شيئاً من ذلك، و أمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الأملاك، و أدخلها فى الديوان، و كتب لسائر الأعمال بذلك، و أحرقت عدّة من صلبانهم على باب الجامع العتيق و الشرطة.

عيد الفصح: هذا العيد عندهم هو العيد الكبير، و يزعمون أن المسيح عليه السلام،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨

لما تملاً اليهود عليه، و اجتمعوا على تضليله و قتله، قبضوا عليه، و أحضروه إلى خشبة ليصلب عليها، فصلب على خشبة عليها لسان، و عندنا و هو الحق أن الله تعالى رفعه إليه، و لم يصلب، و لم يقتل و أن الذى صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح، قالوا: و اقتسم الجند ثيابه، و غشى الأرض ظلمة من الساعة السادسة من النهار إلى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين، و تاسع عشرى برمهاث، و خامس عشرى آذار سنة و دفين الشبيه آخر النهار بقبر، و أطبق عليه حجر عظيم، و ختم عليه رؤساء اليهود، و أقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت، كيلا يسرق فزعموا أن المقبور قام من القبر ليلة الأحد سحراً، و مضى بطرس، و يوحنا التلميذان إلى القبر، و إذا الثياب التى كانت على المقبور بغير ميت، و على القبر ملاك الله بثياب بيض، فأخبرهما بقيام المقبور من القبر، قالوا: و فى عشية يوم الأحد هذا، دخل المسيح على تلاميذه، و سلم عليهم، و أكل معهم، و أوصاهم، و أمرهم بأمر قد تضمنها إنجيلهم، و هذا العيد عندهم بعد عيد الصلوات بثلاثة أيام.

خميس الأربعين: و يعرف عند أهل الشام بالمسلاق، و يقال له أيضاً: عيد الصعود، و هو الثانى و الأربعون من الفطر، و يزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامته خرج إلى بيت عيناء، و التلاميذ معه، فرفع يديه و بارك عليهم، و صعد إلى السماء، و ذلك عند إكماله ثلاثاً و ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر، فرجع التلامذة إلى أوراسليم يعنى بيت المقدس، و قد وعدهم باشتهاؤهم، و



غير ذلك مما هو معروف عندهم، فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح، و من أصدق من الله حديثاً.

عيد الخميس: و هو العنصرة، و يعملونه بعد خمسين يوماً من يوم القيام، و زعموا أن بعد عشرة أيام من الصعود و خمسين يوماً من قيامة المسيح، اجتمع التلاميذ في عليه صهيون، فتجلى لهم روح القدس في شبه ألسنة من نار، فامتأوا من روح القدس، و تكلموا بجميع الألسن، و ظهرت على أيديهم آيات كثيرة، فعاداهم اليهود، و حبسوهم فنجاهم الله منهم، و خرجوا من السجن، فساروا في الأرض متفرقين يدعون الناس إلى دين المسيح.

عيد الميلاد: يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح، و هو يوم الاثنين فيحون عشية ليلة الميلاد، و سنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس، و تزيينها، و يعملونه بمصر في التاسع و العشرين من كيهك و لم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة، فكان يفرق في أيام الدولة الفاطمية على أرباب الرسوم من الأستاذين المحنكين، و الأمراء المطوقين، و سائر الموالى من الكتاب و غيرهم، الجامات من الحلاوة القاهرية، و المتارد التي فيها السمين،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩

و قربات الجلاب، و طماير الزلاية، و السمك المعروف بالبورى، و من رسم النصارى في الميلاد اللب بالنار. و من أحسن ما قيل:

ما للعب بالنار في الميلاد من سفه و إنما فيه للإسلام مقصود

ففيه بهت النصارى أن ربهم عيسى ابن مريم مخلوق و مولود

و أدركنا الميلاد بالقاهرة و مصر، و سائر إقليم مصر موسماً جليلاً يباع فيه من الشموع المزهرة بالأصباغ المليحة، و التماثيل البديعة بأموال لا- تنحصر، فلا- يبقى أحد من الناس أعلاهم و أدناهم حتى يشتري من ذلك لأولاده و أهله، و كانوا يسمونها: الفوانيس، و احدها فانوس، و يعلقون منها في الأسواق بالحوانيت شيئاً يخرج عن الحد في الكثرة و الملاحه، و يتنافس الناس في المغالات في أثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها: ألف درهم و خمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالاً من الذهب و اعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم، و هم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس، فيشتري لهم من صغار الفوانيس، ما يبلغ ثمنه الدرهم، و ما حوله ثم لما اختلت أمور مصر، كان من جملة ما بطل من عوايد الترف، عمل الفوانيس في الميلاد إلا قليلاً. الغطاس: و يعمل بمصر في اليوم الحادى عشر من شهر طوبه، و أصله عند النصارى، أن يحيى بن زكرياء عليهما السلام اتصل به روح عندهم بيوحنا المعمدانى: عميد المسيح أى غسله في بحيرة الأردن، و عندما خرج المسيح عليه السلام من الماء، اتصل به روح القدس، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم، و ينزلون فيه بأجمعهم، و لا يكون ذلك إلا في شدة البرد، و يسمونه يوم الغطاس، و كان له بمصر موسم عظيم إلى الغاية.

قال المسعودى: و ليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها، و هى ليلة الحادى عشر من طوبه، و لقد حضرت سنة ثلاثين و ثلثمائة ليلة الغطاس بمصر، و الإخشيد محمد بن طفج أمير مصر فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة للنيل، و النيل يطيف بها، و قد أمر فأسرج فى جانب الجزيرة، و جانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل و الشمع، و قد حضر بشاطئ النيل فى تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين، و من النصارى منهم فى الزواريق، و منهم فى الدور الدانية من النيل، و منهم على سائر الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل و المشارب و الملابس، و آلات الذهب و الفضة، و الجواهر و الملاهى، و العزف و القصف، و هى أحسن ليلة تكون بمصر، و أشملها سرورا، و لا تغلق فيها الدروب، و يغطس أكثرهم فى النيل، و يزعمون أن ذلك أمان من المرض و نشزة للداء.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠

و قال المسبحى فى تاريخه: من حوادث سنة سبع و ستين و ثلثمائة: منع النصارى من إظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس من الاجتماع، و نزول الماء، و إظهار الملاهى، و نودى أن من عمل ذلك نفى من الحضرة، و قال فى سنة ثمان و ثمانين و ثلثمائة: كان الغطاس

فضربت الخيام والمضارب والأسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل، ونصبت أسرة للرئيس فهد بن إبراهيم النصراني كاتب الأستاذ برجوان، وأوقدت له الشموع والمشاعل، وحضر المغنون والملهون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس، فغطس وانصرف.

وقال: في سنة إحدى وأربعمائه، وفي ثامن عشر جمادى الأولى، وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس، فلم يغطس أحد منهم في البحر، وقال: في حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائه، وفي ليلة الأربعاء رابع ذى القعدة، كان غطاس النصارى، فجرى الرسم من الناس في شراء الفواكه والضأن وغيره، ونزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله لقصر جدّه العزيز بالله في مصر، لنظر الغطاس، و معه الحرم، ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في النيل، وضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولى الشرطتين، خيمه عند الجسر، وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل في الليل، وكان وقيدا كثيرا، وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران، فمسسوا هناك طويلا. إلى أن غطسوا، وقال ابن المأمون في تاريخه: من حوادث سنة سبع عشرة وخمسائة، وذكر الغطاس، ففرّق أهل الدولة ما جرت به العادة لأهل الرسوم من الأترج والنانج والليمون في المراكب، وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد.

الختان: يعمل في سادس شهر بؤونه، ويزعمون أنّ المسيح ختن في هذا اليوم، وهو الثامن من الميلاد، والقبط من دون النصارى تختن بخلاف غيرهم.

الأربعون: وهو عندهم دخول المسيح الهيكل، ويزعمون أنّ سمعان الكاهن: دخل بالمسيح مع أمّه، وبارك عليه، ويعمل في ثامن شهر أمشير.

خميس العهد: ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام، وسنتهم فيه أن يملئوا إناء من ماء، ويزمزمون عليه، ثم يغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى، ويزعمون أنّ المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرّقوا، وأن المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١

يتواضع بعضهم لبعض، وعوام أهل مصر في وقتنا يقولون: خميس العدس من أجل أنّ النصارى تطبخ فيه العدس المصفى، ويقول أهل الشام: خميس الأرز وخميس البيض، ويقول أهل الأندلس: خميس أبريل، وأبريل اسم شهر من شهورهم، وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خميس العدس هذا خمسمائة دينار، فتعمل خرايب تفرّق في أهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر في أخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب، وأدركنا خميس العدس هذا في القاهرة ومصر، وأعمالها من جملة المواسم العظيمة، فيباع في أسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حدّ الكثرة، فيقامر به العبيد والصبيان والغوغاء، وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الأحيان، ويهادى النصارى بعضهم بعضا، ويهدون إلى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى، والبيض، وقد بطل ذلك لما حلّ بالناس وبقيت منه بقية.

سبت النور: وهو قبل الفصح بيوم، ويزعمون: أنّ النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا اليوم بكنيسة القيامة من القدس، فتشعل مصابيح الكنيسة كلها، وقد وقف أهل الفصح، والتفتيش على أنّ هذا من جملة مخاريق النصارى، لصناعة يعملونها، وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم، ويكون ثالث يوم من خميس العدس، ومن توابعه.

حدّ الحدود: وهو بعد الفصح بثمانية أيام فيعمل أول أحد بعد الفطر لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم، وفيه يجدون الآلات والأثاث واللباس، ويأخذون في المعاملات، والأمور الدنيوية والمعاش.

عيد التجلى: يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أنّ المسيح تجلى لتلاميذه بعد ما رفع، وتمنوا عليه أن يحضر لهم إلباء، وموسى عليهما السلام، فأحضرهما إليهم بمصلى بيت المقدس، ثم صعد إلى السماء وتركهم.

عيد الصليب: ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت، وهو من الأعياد المحدثه، وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة أم

قسطنطين، و له خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه.

ذكر قسطنطين: و قسطنطين هذا: هو ابن قسطنش بن و ليطنوش بن أرشميوش بن دقبون بن كلوديش بن عايش بن كتيان اعسب الأَعْظَم الملقب قيصر، و هو أول من ثبت دين النصرانية، و أمر بقطع الأوثان، و هدم هياكلها، و بنى البيع، و آمن من الملوك بالمسيح، و كانت أمه هيلانة من مدينة الرها، فنشأ بها مع أمه، و تعلم العلوم، و لم يزل في غاية من

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢

الظفر و السعادة معانا منصورا على كل من حاربه، و كان في أول أمره على دين المجوس شديدا على النصارى ماقتا لدينهم، و كان سبب رجوعه عن ذلك إلى دين النصرانية أنه ابتلى بجذام ظهر عليه، فاعتم لذلك غما شديدا، و جمع الحذاق من الأطباء، فاتفقوا على أدوية دبروها له، و أوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الأدوية في صهريج مملوء من دماء أطفال رضع ساعة يسيل منهم، فتقدم أمره بجمع جملة من أطفال الناس، و أمر بذبحهم في صهريج ليستنقع في دمائهم، و هي طرية، فجمعت الأطفال لذلك، و برز ليمضى فيهم ما تقدم به من ذبحهم، فسمع ضجيج النساء اللاتي أخذ أولادهن، فرحمهنّ و أمر فدفع لكل واحدة ابنها، و قال: احتمال علتى أولى بي، و أوجب من هلاك هذه العدة العظيمة من البشر، فانصرف النساء بأولادهنّ، و قد سررن سرورا كثيرا، فلما صار من الليل إلى مضجعه رأى في منامه شيئا يقول له: إنك رحمت الأطفال و أمهاتهم، و رأيت احتمال علتك أولى من ذبحهم، فقد رحمك الله، و وهبك السلامة من علتك، فابعث إلى رجل من أهل الإيمان يدعى: شلبشقر، قد فر خوفًا منك، وقف عندما يأمرك به، و التزم ما يخصك عليه تتم لك العافية، فانتبه مذعورا، و بعث في طلب شلبشقر الأسقف، فأتى به إليه و هو يظنّ أنه يريد قتله، لما عهده من غلظته على النصارى، و مقته لدينهم، فعندما رآه تلقاه بالبشر، و أعلمه بما رآه في منامه، فقص عليه دين النصرانية، و كانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم، فبعث قسطنطين في جمع الأساقفة المنفيين، و المسيرين و التزم دين النصرانية، و شفاه الله من الجذام، فأيد الديانة، أعلن بالإيمان بدين المسيح، و بينا هو في ذلك إذ توقع و ثوب أهل رومه عليه، و إيقاعهم به، فخرج عنها و بنى مدينة قسطنطينية بنيانا جليلا فعرفت به، و سكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده، و قد كان النصارى من لدن زمان بيرون الملك الذى قبل الحواريين، و من بعده ممن ملك رومه في كل وقت يقتلون، و يحبسون و يشردون بالنفى، فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع إلى نفسه أهل المسيح، و قوى وجوههم و أذلّ عبياد الأوثان، فشق ذلك على أهل رومه، و خلعوا طاعته، و قدّموا عليهم ملكا، فأهمه ذلك، و مرّت له معهم عدّة أخبار مذكورة في تاريخ رومه، ثم إنه خرج من قسطنطينية يريد رومه، و قد استعدّوا لحربه، فلما قاربهم أذعنوا له، و التزموا طاعته، فدخلها فأقام إلى أن رجع لحرب الفرس، و خرج إليهم، فقهرهم و دانت له أكثر ممالك الدنيا، فلما كان في عشرين سنة من دولته، خرجت الفرس على بعض أطرافه، فغزاهم و أخرجهم عن بلاده، و رأى في منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت، و قائلا يقول له: إن أردت أن تظفر بمن خالفك، فاجعل هذه العلامات على جميع برلكك، و سككك، فما انتبه أمر بتجهيز أمه هيلانة إلى بيت المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام، و بناء الكنائس، و إقامة شعائر النصرانية، فسارت إلى بيت المقدس، و بنت الكنائس، فيقال: إنّ الأسقف مقاريوس دلّها على الخشبة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣

التي زعموا أن المسيح صلب عليها، و قد قص عليها ما عمل به اليهود، فحفرت فإذا قبر و ثلاث خشبات على شكل الصليب، فزعموا أنهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة، فقام حيّا عندما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها، فاتخذوا ذلك اليوم عيداً، و سمّوه: عيد الصليب، و كان في اليوم الرابع عشر من أيلول و السابع عشر من توت، و ذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة و ثمان و عشرين سنة، و جعلت هيلانة لخشب الصليب غلافا من ذهب، و بنت كنيسة القيامة بيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم، و كانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم، ثم انصرفت بالصليب معها إلى ابنها، و ما زال قسطنطين على ممالك الروم إلى أن مات بعد أربع و عشرين سنة من ولايته، فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الأصغر، و قد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم



يخرج الناس فيه إلى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر، و يتظاهرون في ذلك اليوم بالمنكرات من أنواع المحرمات، و يمر لهم فيه ما يتجاوز الحد، فلما قدمت الدولة الفاطمية إلى ديار مصر، و بنوا القاهرة، و استوطنوها، و كانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و هو يوم الصليب، فمنع الناس من الخروج إلى بنى وائل و ضبط الطرق و الدروب، ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين و ثمانين و ثلثمائة خرج الناس فيه إلى بنى وائل، و جروا على عادتهم في الاجتماع و اللهو، و في صفر سنة اثنتين و أربعمائة قرىء في سابعه سجل بالجامع العتيق و في الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب، و أن لا يظهرُوا بزِينتهم فيه، و لا يقربوا كنائسهم، و أن يمنعوا منها ثم بطل ذلك، حتى لم يكف يعرف اليوم بديار مصر البتة.

النوروز: هو أول السنة القبطية بمصر، و هو أول يوم من توت، و سنتهم فيه إشعال النيران، و التراش بالماء، و كان من مواسم لهم المصريين قديما و حديثا. قال ابن وهب:

بردت النار في الليلة التي ألقى فيها إبراهيم، و في صبيحتها على الأرض كلها، فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة، و ذلك الصباح، فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمى فيها إبراهيم عليه السلام، و وثبوا عليها، و تبخروا بها، و سموا تلك الليلة:

نيروزا، و النيروز في اللسان السرياني: العيد. و سئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذه عيدا، فقال: إنه أول السنة المستأنفة و آخر السنة المنقطعة، فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف، و الهدايا، فاتخذته الأعاجم سنة.

قال الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤

عنهما، قال: إن فرعون لما قال للملأ من قومه: إن هذا لساحر عليم، قالوا له: ابعث إلى السحرة، فقال فرعون لموسى: يا موسى اجعل بيننا و بينك موعدا لا نخلفه نحن، و لا أنت، فتجتمع أنت و هارون و تجتمع السحرة، فقال موسى: موعدكم يوم الزينة، قال:

و وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، و هو يوم النيروز، و في رواية: أن السحرة قالوا لفرعون: أيها الملك واعد الرجل، فقال: قد واعدته يوم الزينة، و هو عيدكم الأكبر، و وافق ذلك يوم السبت، فخرج الناس لذلك اليوم، قال: و النوروز أول سنة الفرس، و هو الرابع عشر من آذار، و في شهر برمها، و يقال: أول من أحدثه جمشيد من ملوك الفرس، و إنه ملك الأقاليم السبعة، فلما كمل ملكه، و لم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا، و سماه نوروزا في اليوم الجديد، و قيل: إن سليمان بن داود عليهما السلام، أول من وضعه في اليوم الذي رجع إليه فيه خاتمه، و قيل: هو اليوم الذي شفى فيه أيوب عليه السلام، و قال الله سبحانه و تعالى له: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ [ص / ٤٢] فجعل ذلك اليوم عيدا، و سنوا فيه رش الماء، و يقال: كان بالشام سبط من بنى إسرائيل أصابهم الطاعون، فخرجوا إلى العراق، فبلغ ملك العجم خبرهم، فأمر أن تبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها، فلما صاروا فيها ماتوا، و كانوا أربعة آلاف رجل، ثم إن الله تعالى أوحى إلى نبي ذلك الزمان أ رأيت بلاد كذا و كذا، فحاربهم بسبط بنى فلان، فقال: يا رب كيف أحارب بهم، و قد ماتوا، فأوحى الله إليه: إنى أحبيهم لك، فأمطهم الله ليلة من الليالي في الحظيرة، فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم: أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ [البقرة / ٢٤٣] فرجع أمرهم إلى ملك فارس، فقال: تبركوا بهذا اليوم، و ليصب بعضكم على بعض الماء، فكان ذلك اليوم يوم النوروز، فصارت سنة إلى اليوم، و سئل الخليفة المأمون عن رش الماء في النوروز، فقال قول الله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ [البقرة / ٢٤٣] هؤلاء قوم أجذبوا تقول مات فلان هزالا- فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا، فأخصب بلدهم، فلما أحياهم الله بالغيث، و الغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء في مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها إلى يومنا هذا.

و قد روى: أن الذين خرجوا من ديارهم و هم أُلُوفٌ قوم من بنى إسرائيل فرّوا من الطاعون، و قيل: أمروا بالجهد، فخافوا الموت

بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأما تهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم على يد حزقييل أحد أنبياء بني إسرائيل في خبر طويل قد ذكره أهل التفسير.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥

وقال علي بن حمزة الأصفهاني في كتاب أعياد الفرس: إن أول من اتخذ النيروز، جمشيد، و يقال: جمشاد أحد ملوك الفرس الأول، و معنى النيروز اليوم الجديد، و النيروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي، كما أن المهرجان أول الاعتدال الخريفي، و يزعمون أن النيروز أقدم من المهرجان، فيقولون: إن المهرجان كان في أيام أفريدون، و إنه أول من عمله لما قتل الضحاك، و هو بيوراست، فجعل يوم قتله عيداً سماه المهرجان، و كان حدوثه بعد النيروز بألفي سنة و عشرين سنة.

وقال ابن وصيف شاه في ذكر مناوش بن منقوش أحد ملوك القبط في الدهر القديم:

و هو أول من عمل النيروز بمصر، فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون و يشربون إكراماً للكواكب.

وقال ابن رضوان: و لما كان النيل هو السبب الأعظم في عمارة أرض مصر، رأى المصريون القدماء، و خاصة الذين كانوا في عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا أول السنة في أول الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الأمر الأكثر، فجعلوا أول شهورهم توت، ثم بابه ثم هاتور، و على هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور.

وقال ابن زولاق: و في هذه السنة، يعني سنة ثلاث و ستين و ثلثمائة، منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النيروز في السكك، و من صب الماء يوم النيروز.

وقال: في سنة أربع و ستين، و في يوم النيروز زاد اللعب بالماء، و وقود النيران، و طاف أهل الأسواق، و عملوا فيه و خرجوا إلى القاهرة بلعبهم، و لعبوا ثلاثة أيام، و أظهروا السماجات و الحلوى في الأسواق، ثم أمر المعز بالنداء بالكف، و أن لا توقد نار، و لا يصب ماء، و أخذ قوم فحبسوا، و أخذ قوم فطيف بهم على الجمال. و قال ابن المأمون في تاريخه:

و حلّ موسم النيروز في اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة و خمسمائة، و وصلت الكسوة المختصة بالنيروز من الطراز، و ثغر الإسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة، و الحريري و السوادج، و أطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية و النسائية و العين و الورق، و جميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها، و أسماء أربابها، و أصناف النيروز البطيخ و الرمان، و عنقيد الموز، و أفراد البسر، و أقفاص التمر القوصي، و أقفاص السفرجل، و بكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج، و من لحم الضأن، و من لحم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦

البقر من كل لون بكله مع حبرير مارق، قال: و أحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من إطلاق العين و الورق، و الكسوات على اختلافها في يوم النيروز، و غير ذلك من جميع الأصناف، و هو أربعة آلاف دينار ذهباً و خمسة عشر ألف درهم فضة، و الكسوات عدّة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات و حريريات، و معاجر و عصائب نسائيات ملونات و سقولات مذهب و حريري، و مسفع، و فوط ديبقية حريرية، فأما العين و الورق و الكسوات، فذلك لا يخرج عن تحوزه القصور، و دار الوزارة و الشيوخ و الأصحاب، و الحواشي و المستخدمين و رؤساء العشاريات، و بحاريها، و لم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب.

و أما الأصناف من البطيخ و الزمان و البسر و الموز و السفرجل و العناب و الهرائس على اختلافها، فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم، و يشركهم فيه جميع الأمراء أرباب الأطواق و الإنصاف و غيرهم من الأماثل، و الأعيان من له جاه، و رسم في الدولة.

وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع و ثمانين و خمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النيروز القبطي، و هو مستهلّ توت، و توت أول سنتهم، و قد كان بمصر في الأيام الماضية و الدولة الخالية من مواسم بطالاتهم، و مواقيت ضلالاتهم، فكانت

المنكرات ظاهرة فيه، و الفواحش صريحة فيه، و يركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز، و مه جمع كثير، و يتسلط على الناس في طلب رسم رتبه، و يرسم على دور الأكارب بالجمل الكبار، و يكتب مناشير، و يندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير، و يقنع بالميسور من الهبات، و يجتمع المغنون، و الفاسقات تحت قصر اللؤلؤ بحيث يشاهدهم الخليفة، و بأيديهم الملاهي، و ترتفع الأصوات، و يشرب الخمر و المزر شربا ظاهرا بينهم، و في الطرقات، و يتراش الناس بالماء، و بالماء و الخمر، و بالماء ممزوجا بالأقذار، و إن غلط مستور، و خرج من بيته لقيه من يرشه، و يفسد ثيابه، و يستخف بحرمته، فإما أن يفدى نفسه، و إما أن يفضح، و لم يجر الحال على هذا، و لكن قد رش الماء في الحارات، و قد أحى المنكرات في الدور أرباب الخسارات.

و قال في متجددات سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة: و جرى الأمر في النوروز على العادة من رش الماء، و استجد في هذا العام التراجم بالبيض، و التصافع بالأنطاع، و انقطع الناس عن التصرف، و من ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة، و خرق به، و ما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء، و التصافع بالجلود، و غيرها إلى أن كانت أعوام بضع و ثمانين و سبعمائة، و أمر الدولة بديار مصر، و تديرها إلى الأمير الكبير برقوق قبل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧

أن يجلس على سرير الملك، و يسمى بالسلطان، فمنع من لعب النوروز، و هدّد من لعبه بالعقوبة، فانكف الناس عن اللعب في القاهرة، و صاروا يعملون شيئا من ذلك في الخلجان، و البرك، و نحوها من مواضع التنزه، بعد ما كانت أسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز زمن البيع و الشراء، و يتعاطى الناس فيه من اللهو و اللعب ما يخرجون عن حدّ الحياء و الحشمة إلى الغاية من الفجور و العهور، و قلما انقضى يوم نوروز إلّا و قتل فيه قتيل أو أكثر، و لم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك، و لا من الرفه و البطر ما يوجب لهم عمله، و ما أحسن قول بعضهم:

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكنى و كل ما فيه يحكىني و أحكيه

فتارة كلهب النار في كبدى و تارة كتوالى دمعتى فيه

و قال آخر:

نوروز الناس و نورزت و لكن بدموعى و ذكت نارهم و النار ما بين ضلوعى

و قال آخر:

و لما أتى النوروز يا غايه المنى و أنت على الأعراض و الهجر و الصدّ

بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشافنورزت صبحا بالدموع على الخدّ

**ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الأعمال في الزراعات، و زيادة النيل، و غير ذلك على ما نقله أهل مصر عن قدمائهم و اعتمدوا عليه في أمورهم**

اعلم: أن المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدّم ذكره ليصير الزمان محفوظا، و أعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة، لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم و لا تأخير البتة.

توت: بالقبطى هو أيلول، و كانت عادة مصر منذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها، و جباية أموالها إنه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها، إلّا عند تمام الماء، و افتراشه على سائر أرضها، و يقع إتمامه في شهر توت، فإذا كان كذلك، و ربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها، ثم لا يزال يترجح في الزيادة و النقصان، حتى يفرغ توت، و فى أول يكون يوم النوروز، و رابعه أول أيلول، و سابعه يلقط الزيتون، و ثانى عشره

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨

يطلع الفجر بالصرفة، و سابع عشره عيد الصليب، فيشرط اللسان، و يستخرج دهنه، و يفتح ما يتأخر من الأبحر و الترع، و ترتب المدامسة لحفظ الجسور، و في ثامن عشرة تنقل الشمس إلى برج الميزان، فيدخل فصل الخريف، و في خامس عشره يطلع الفجر بالعوأ، و يكبر صغار السمك، و في هذا الشهر يعم ماء النيل أراضي مصر، و فيه تسجل النواحي، و تسترفع السجلات و القوانين، و تطلق التقاوى من الغلال لتخضير الأراضي، و فيه يدرك الزمان و البسر و الرطب و الزيتون و القطن و السفرجل، و فيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب، و هبوب الصبا أقوى من الدبور، و كان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا و فيه يكثر بمصر العنب الشتوي و تبذر المحمضات.

بابه: في أوله يحصد الأرز، و يزرع الفول و البرسيم، و سائر الحبوب التي لا تشق لها الأرض، و في رابعه أول تشرين الأول، و في ثامنه طلوع الفجر بالسماك، و هو نهاية زيادة النيل، و ابتداء نقصه، و قد لا يتم الماء فيه، فيعجز بعض الأرض عن أن يركبها الماء، فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال، و في تاسعه يكون مجيء الكراكي إلى أرض مصر، و في عاشره يزرع الكتان، و في ثاني عشره يكون ابتداء شق الأرض بصعيد مصر لبذر القمح، و الشعير، و في ثامن عشره تنقل الشمس إلى برج العقرب، و يقطع الخشب، و في تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل، و يكثر البعوض، و في حادي عشره يطلع الفجر بالغفر .

و في هذا الشهر تصرف المياه عن الأراضي، و يخرج المزارعون لتخضير الأراضي فيبدأون بيزرع القمح، ثم بزراعة الغلة البديرة أولا فأولا، و فيه يستخرج دهن الآس، و دهن النيلوفر، و يدرك التمر و الزبيب و السمسم و القلقاس، و فيه يكثر صغار السمك، و يقل كباره، و يسمن الراي، و الأبرميس من السمك خاصة، و تستحكم حلاوة الزمان، و يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور التي يكون فيها، و يضع الضأن و المعز و البقر الخيسية، و فيه يملح السمك المعروف بالبورى، و يهزل الضأن و المعز و البقر، و لا تطيب لحومها، و تدر المحمضات، و فيه يجب كتابة التذاكر بالأعمال القوصية، و فيه يغرس المنتور، و يزرع السلجم.

هاتور: في خامسه يكون أول تشرين الثاني، و يطلع الفجر بالزبانا في رابعه، و في سادسه يزرع الخشخاش، و في سابعه يصرف ماء النيل عن أراضي الكتان، و يبذر في النصف منه، و بعد تمام شهر يسبخ، و في ثامنه أوان المطر الموسمي، و في حادي عشره تهب ريح الجنوب، و في خامس عشره تبرد المياه بمصر، و في سابع عشره يطلع الفجر بالإكليل، و في ثامن عشره تحل الشمس برج القوس، و في تاسع عشره يغلق

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩

البحر الملح، و في سابع عشره تهب الرياح للواقع.

و في هذا الشهر يلبس أهل مصر الصوف من سابعه، و فيه يكسر ما يحتاج إليه من قصب السكر برسم المعاصر، و براح الغلة في جميع ما يحتاج إليه فيها، و يهتم بعلف أبقارها و جمالها بعد بيع شارفها و عاجزها، و التعويض عنه بغيره، و أفراد الأتيان برسم وقود القنود، و ترتيب القوامصة لعمل الأباليح و القواديس، و الأمطار برسم القنود، و الأعسال، و فيه يدرك البنفسج، و النيلوفر، و المنتور، و من البقوليات الإسباناخ و اللسان، و اختار قدماء المصريين في هاتور نصب الأساسات، و زرع القمح، و أطيب حملان السنة حملة، و فيه يكثر العنب الذي كان يحمل من قوص.

كهيك: أوله الأربعينات بمصر، و يدخل الطير و كره، و في سادسه بشاره مريم بحمل عيسى عليهما السلام، و في سابعه أول كانون الأول، و في عاشره آخر الليالي البلق، و أولها أول هاتور، و في حادي عشره أول الليالي السود، و يدخل النمل الأحجرة، و في ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة، و تظهر البراغيث، و يسخن باطن الأرض، و في سادس عشره يسقط ورق الشجر، و في سابع عشره تنقل الشمس إلى برج الجدى، فيدخل فصل الشتاء، و يزرع الهليون، و في حادي عشره يكون آخر الليالي البلق، و في ثاني عشره عيد البشارة، و في ثالث عشره تزرع الحلبه و الترمس، و في سادس عشره يطلع الفجر بالنعائم، و في ثامن عشره يبض النعام، و في تاسع عشره الميلاذ.

وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد إغراق أرضه، وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي، وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلي، وفيه ترتب حراس الطير، وفيه كسر قصب السكر واعتصاره، واستخدام الطباخين لطبخ القنود، وفيه يكون إدراك النرجس، والمحمضات، والفول الأخضر، والكرنب والجزر والكزاث الأبيض واللفت، وفيه يقل هبوب ريح الشمال، ويكثر هبوب ريح الجنوب، وفيه وجود الجدا، ويكون أطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها، وفيه يزرع أكثر حبوب الحرث، ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السمسم، والمقائى والقطن.

طوبه: في ثالته ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس، وفي سادسه أول كانون الثاني، وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلد، وعاشره صوم الغطاس، وحادي عشره الغطاس، وفي ثاني عشره يشتد البرد، وفي رابع عشره يرتفع الوباء بمصر، ويغرس النخل، وفي سابع عشره تحل الشمس أول برج الدلو، ويكثر الندى، ويكون ابتداء غرس الأشجار، وفي العشرين منه يكون آخر الليالي السود، وحادي عشره الليالي البلق الثانية، وفي ثاني عشره

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠

يطلع الفجر بسعد الذابح، وفي ثالث عشره تهب الرياح الباردة، وفي رابع عشره تفرخ جوارح الطير، وفي خامس عشره يكون نتاج الإبل المحموده، وفي سابع عشره يصفو ماء النيل، وفي ثامن عشره يتكامل إدراك القرط.

وفي هذا الشهر تقلم الكروم، وينظف زرع الغلة من اللسان وغيره، وينظف زرع الكتان من الفجل وغيره، وفيه تبرش الأراضي أول سكة برسم الصيافي والمقائى والقطن والسمسم، وينتهي برشها في أول أمشير، وفيه تسقى أرض القلقاس والقصب، وتشق الجسور في آخره، وفيه تستخرج أراضي الخرس، ويكسر القصب الراس بعد إفراز ما يحتاج إليه من الزريعة، وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس، وفيه يهتم بعمارة السواقى وحفر الآبار، وابتياح الأبقار، وفيه يظهر اللوز الأخضر والنبق والهليون، وفيه أيضا يكون هبوب ريح الجنوب أكثر من هبوب الشمال، وهبوب الصبا أكثر من هبوب الدبور، وفيه يكون الباقل الأخضر والجزر أطيب منهما في غيره، وفيه يتناهى ماء النيل في صفائه، ويخزن فلا يتغير في أوانيه، ولو طال لبثه فيها، وفيه تطيب لحوم الضأن أطيب منها في سائر الشهور، وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من أجل ربيعها، وبطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج، ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود.

أمشير: في أوله تختلف الرياح، وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بلع، وفي سادسه يكون أول شباط، وفي تاسعه يجرى الماء في العود، وحادي عشره أول جمرة بارده، وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت، وفي سابع عشره يخرج النمل من الأحجرة، وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود، وفي العشرين منه ثاني جمرة فاترة، وفي ثالث عشره تقلم الكروم، وخامس عشره يفرخ النحل، وسابع عشره ثالث جمرة حاميه، ويورق الشجر، وهو آخر غرسها، وفي آخره يكون آخر الليالي البلق.

وفي هذا الشهر يقلع السلجم، ويستخرج خراجه، وفيه يثنى برش الصيافي وتبرش أيضا ثالث سكة، وفيه يعمل مقاطع الجسور، وتمسح الأراضي، ويرقد البيض في المعامل أربعة أشهر آخرها بشنس، وفيه يكون ريح الشمال أكثر الرياح هبوبا، وفيه ينبغي أن تعمل أواني الخزف للماء لتستعمل فيه طول السنة، فإن ما عمل فيه من أواني الخزف يبّرد الماء في الصنف أكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور، وفيه يتكامل غرس الشجر، وتقليم الكروم، وفيه يدرك النبق واللوز الأخضر، ويكثر البنفسج والمنثور.

ويقال: أمشير يقول للزرع سير، ويلحق بالطويل القصير، وفيه يقل البرد، ويهب الهواء الذي فيه سخونه ما، وفي أمشير يؤخذ الناس فيه بإتمام ربع الخراج من السجلات.

برمها: أول يوم منه يطلع الفجر بالأخيه، وفي خامسه يحضن دود القز،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١

وسادسه يزرع السمسم، وثاني عشره يقلع الكتان، ورابع عشره يكون أول الأعجاز، ويطلع الفجر بالفرغ المقدم، وفي سادس عشره



تفتح الحيات أعينها، و في سابع عشره تنقل الشمس إلى برج الحمل، و هو أول فصل الربيع، و رأس سنة الجند، و رأس سنة العالم، و في العشرين منه يكون آخر الإعجاز، و ثاني عشره نتاج الخيل المحمودة و ثالث عشره يظهر الذباب الأزرق، و خامس عشره تظهر هوام الأرض، و سابع عشره يطلع الفجر بالفجر المؤخر، و في آخره يتفرق السحاب.

و في هذا الشهر تجرى المراكب السفرية في البحر الملح إلى ديار مصر من المغرب و الروم، و يهتم فيه بتجريد الأجناد إلى الثغور كالإسكندرية و دمياط و تينس و رشيد، و فيه كانت تجهز الأساطيل، و مراكب الشوانى لحفظ الثغور، و فيه زرع المقائى و الصيفى، و يدرك الفول و العدس، و يقلع الكتان، و تزرع أقصاب السكر في الأرض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد عن الزراعة، و يأخذ المقشرون في تنظيف الأرض المزروعة من القش في وقت الزراعة، و يأخذ القطاعون في قطع الزريعة، و يأخذ المزارعون في رمى قطع القصب، و فيه يؤخذ في تحصيل النظرون و حملة من وادى هيبب إلى الشونة السلطانية، و فيه يكون ربح الشمال أكثر الرياح هبوبا، و فيه تزهر الأشجار، و يتعقد أكثر ثمارها، و فيه يكون اللبن الرائب أطيب منه في جميع الشهور التي يعمل فيها، و في برمها يطالب الناس بالربيع الثاني، و الثمن من الخراج.

برموده: في سادسه أول نيسان، و في عاشره يطلع الفجر بالرشاء، و في ثاني عشره يقلع الفجل، و في سابع عشره تحل الشمس أول برج الثور، و في ثالث عشره يطلع الفجر بالشرطين، و هو رأس الحمل، و أول منازل القمر، و فيه ابتداء كسار الفول، و حصاد القمح، و هو ختام الزرع.

و في هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الخراج الذي كان بمصر في القديم أيام الدولة الفاطمية و الأيوبيّة، و يجزّ إلى السواحل لتيسر حملة في زمن النيل إلى ساحل مصر ليعمل شوانى و أحطابا برسم الوقوع في المطابخ السلطانية، و فيه يكتر الورد، و يزرع الخيار شنب و الملوخيا و الباذنجان، و فيه يقطف أوائل عسل النحل، و ينفض بزر الكتان، و أحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه، و فيه يظهر البطن الأول من الجميز، و فيه تقع المساحة على أهل الأعمال، و يطالب الناس بإغلاق نصف الخراج من سجلاتهم، و يحصد بدرى الزرع.

بشنس: في خامسه تكثر الفاكهة، و سادسه أول أيار، و فيه طلوع الفجر بالبطين،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢

و ثامنه عيد الشهيد، و تاسعه انفتاح البحر المالح، و رابع عشره يزرع الأرز، و ثامن عشره تحل الشمس أول بزرج الجوزاء، و فيه يطيب الحصاد، و في تاسع عشره يطلع الفجر بالثرى، و فيه زراعة الأرز و السمسم، و رابع عشره يكون عيد اللسان بالمطرية، و يزعمون أنه اليوم الذي دخلت فيه مريم إلى مصر.

و في هذا الشهر يكون دراس الغلة، و هدار الكتان، و نفص البزر، و النقاوى و الأتبان، و حملها، و فيه زراعة اللسان و تقليمه و سقيه، و تكريم أراضيه من بؤونة إلى آخر هاتور، و استخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت، و إن كان في أوله، فهو أصلح إلى آخر هاتور، و صلاح أيامه أيام الندى، و يقيم في الندى سنة كاملة إلى أن يشرب إعكاره، و أوساخه، و يطبخ الدهن في الفصل الربيعى في شهر برمها، فيعمل لكل رطل مصرى أربعة و أربعون رطلا من مائه، فيحصل منه قدر عشرين درهما، و ما حولها من الدهن.

و في هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمالية، و فيه يدرك التفاح القاسمى، و بيتدى فيه التفاح المسكى، و البطيخ العبدلى، و يقال: إنه أول ما عرف بمصر عندما قدم إليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سننى الهجرة، و نسب إليه، و قيل له العبدلى، و فيه أيضا بيتدى البطيخ الجربى و المشمس و الخوخ الزهرى، و يجنى الورد الأبيض، و فيه تقرّر المساحة، و يطالب الناس بما يضاف إلى المساحة من أبواب، و جوه المال كالصرف و الجهبذة، و حق المراعى و القرط و الكتان على رسوم كل ناحية، و يستخرج فيه إتمام الربيع مما تقرّر عليه العقود، و المساحة و يطلق الحصاد لجميع الناس.

بؤونة: في ثانية يطلع الفجر بالدبران، و في خامسه يتنفس النيل، و في تاسعه أوان قطف النحل، و في حادى عشره تهب رياح السموم،

و في ثانی عشره عيد ميكائيل، فيؤخذ قاع النيل، و في ثالث عشره يشتدّ الحرّ، و في خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة، و في عشريه تحل الشمس أولّ برج السلطان، و هو أولّ فصل الصيف، و في سابع عشريه ينادى على النيل بما زاده من الأصابع، و في ثامن عشريه يطلع الفجر بالهقعة .

و في هذا الشهر تسفر المراكب لإحضار الغلال و التبن و القنود و الأعسال، و غير ذلك من الأعمال القوصية، و نواحي الوجه البحرى، و فيه يقطف عسل النحل، و تحرّص الكروم، و يستخرج زكاتها، و فيه يندى الكتان، و يقلب أربعة أوجه في بؤونة و أيب، و فيه زراعة النيلة بالصعيد الأعلى، و تحصد بعد مائة يوم، ثم تترك و تحصد في كل مائة يوم حصده، و يحصل في أول كيهك و طوبه و أمشير و برمها، و يطلع في برمودة، و تحصد في عشرة أيام من أيب، و تقيم في الأرض الجيدة ثلاث سنين، و تسقى كل عشرة أيام دفعتين، و ثانى سنه ثلاث دفعات، و ثالث سنه أربع دفعات، و في هذا الشهر يكون التين الفيومى و الخوخ الزهرى و الكمثرى و القراصيا و القثاء و البلح و الحصرم، و يبتدى إدراك العصفر، و فيه يدخل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣

بعض العنب و يطيب التوت الأسود، و يقطف جمهور العسل، فتكون رياحه قليلة و التين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور، و فيه يطلع النخل، و فيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة.

أيب: في سابعه أولّ تموز، و في عاشره آخر قطع الخشب، و في حادى عشره يطلع الفجر بالذراع، و ثانى عشره ابتداء تعطين الكتان، و في خامس عشره يقلّ ماء الآبار، و تدرك الفواكه، و يموت الدود، و في حادى عشره تحل الشمس بأولّ برج الأسد، و تذهب البراغيث و يبرد باطن الأرض، و تهيج أوجاع العين، و في خامس عشره يطلع الفجر بالثره، و في سادس عشره تطلع الشعري العبور اليمانية.

و في هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال، و يكثر فيه العنب، و وجود، و فيه يطيب التين المقرون بمجىء العنب، و يتغير البطيخ العبدلى، و تقل حلاوته، و تكثر الكمثرى السكرية، و يطيب البلخ، و فيه يقطف بقايا عسل النحل، و تقوى زيادة ماء النيل، فيقال: في أيب يدب الماء ديب، و فيه ينقع الكتان بالمبلا، و يباع برسيم البذر برسم زراعة القرط و الكتان، و فيه تدرك ثمرة العنب، و يحصد القرطم، و فيه تستم ثلاثة أرباع الخراج.

مسرى: في سابعه يطلع الفجر بالطرف، و في ثامنه أولّ آب، و في حادى عشره يجمع القطن، و في رابع عشره يحمى الماء، و لا يبرد، و في سابع عشره استكمال الثمار، و في عشريه يطلع الفجر بالجبهه، و في حادى عشره تحل الشمس برج السنبله، و في ثالث عشره يتغير طعم الفاكهه لغلبه ماء النيل على الأرض، و في خامس عشره يكون آخر السموم، و في تاسع عشره يطلع سهيل بمصر.

و في هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعاً في غالب السنين، حتى قيل: إن لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنه الأخرى، و فيه يجرى ماء النيل في خليج الإسكندرية، و يسافر فيه المراكب بالغلل و البهار و السكر، و سائر أصناف المتاجر، و فيه يكثر البسر، و كانوا يخرّصون النخل، و يخرجون زكاه الثمار في هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجيها السلطان من الرعيه، و أكثر ما يهب في هذا الشهر ريح الشمال، و فيه يعصر قبط مصر الخمر، و يعمل الخل من العنب، و فيه يدرك الموز و أطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر، و فيه يدرك الليمون التفاحى، و كان من جمله أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له: التفاحى يؤكل بغير سكر لقله حمضه، و لذه طعمه، و فيه يكون ابتداء إدراك الزمان، و إذا انقضت أيام مسرى ابتدأت أيام النسيء ففى أولها ابتداء هيج النعام، و في

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤

رابعها يطلع الفجر بالخراتان، و في مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضي زراعاتهم، و كانوا يؤخرون البقايا على دق الكتان في مسرى و أيب، لأنّ الكتان يبلّ في توت، و يدق في بابه.

## ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية

و كيف عمل ذلك في الإسلام؟ قد تقدّم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية، و السنة القمرية، و ما للأمام في كبس السنين من الآراء، فما جاء الله تعالى بالإسلام تحزّز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع في النسيء الذي قال الله سبحانه و تعالى فيه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا [التوبة/ ٣٧]، ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية، أسقطوا عند رأس كل اثنتين و ثلاثين سنة قمرية، و سموا ذلك الازدلاق لأنّ لكل ثلاث و ثلاثين سنة قمرية، اثنتين و ثلاثين سنة شمسية بالتقريب، و سأتلوا عليك من نبا ذلك ما لم أراه مجموعا.

قال أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد طلحة الموفق ابن المتوكل، و منه نقلت، و خرج أمر المعتضد في ذي الحجة سنة إحدى و ثمانين، و مائتين بتصوير النوروز لإحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رافة بالرعية، و إثارة لإرقاقها، و قالوا: خرج التوقيع في المحرم سنة اثنتين و ثمانين و مائتين بإنشاء الكتب إلى جميع العمال في النواحي و الأمصار بترك افتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذي يقع يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، و أن يجعل ما يفتح من خراج سنة اثنتين و ثمانين و مائتين يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة، و هو اليوم الحادي عشر من حزيران، و يسمى هذا النوروز المعتضديّ ترفيها لأهل الخراج و نظرا لهم.

و نسخة التوقيع الخارج في تصيير افتتاح الخراج في حزيران: أمّا بعد: فإنّ الله لما حوّل أمير المؤمنين للمحل الذي أحله به من أمور عباده و بلاده، رأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها إلا- ما به بالعدل و الإنصاف لها، و السيرة القاصدة، و أن يتولى لها إصلاح أمورها، و يستقرئ السير و المعاملات التي كانت تعامل بها، و يقرّ منها ما أوجب الحق إقراره، و يزيل ما أوجب إزالته غير مستكثر لها كثير ما يسقطه العدل، و لا مستقل لها قليل ما يلزمه إياها الجور، و قد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضيا و لنصيبتها من العدل موازيا، و بالله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها، و حياطة ما قلده من أمورها، و هو خير موفق و معين، و إن أبا القاسم عبيد الله رفع إلى أمير المؤمنين، فيما أمر أمير المؤمنين من ردّ النوروز الذي يفتح به الخراج بالعراق و المشرق، و ما يتصل بهما، و يجري مجراهما من الوقت الذي صار فيه من الزمان إلى الوقت الذي كان عليه متقدّما مع

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٥

ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس، حتى يصير العدل عامّا في الزمان كله باقيا على غابر الدهر، و مرّ الأيام مؤامرة أمير المؤمنين، فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه مع ما وقع به فيها لتمثيله، فافعل ذلك إن شاء الله تعالى و السلام عليك و رحمة الله و بركاته، و كتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة إحدى و ثمانين و مائتين.

نسخة المؤامرة أنهيت إلى أمير المؤمنين أن مما أنعم الله به على رعيته، و رزقها إياه من رأفته، و حسن نظره، و إقامته عليها من عدله، و إنصافه و رفعه عنها في خلافته من الظلم الشامل ما كان الأقصى و الأدنى، و الصغير و الكبير، و المسلم و الذميّ فيه سواء ما حرّرته من نقل كتب الخراج عن السنة التي كانت تنسب إليها من سنى الهجرة إلى السنة التي فيها تدرّك الغلات، و يستخرج المال، و إن ذلك ما كان بعض أهل الجهل حاوله، و بعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على أهله، و مطالبتهم به قبل وقت الزراعة، و إعيائهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لإحدهما، و تدرّك الغلات، و يقع الاستخراج في الأخرى منهما في حساب شهور الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد، و ما يليه، و الأهواز و فارس و الجبل، و ما يتصل به من جميع نواحي المشرق، و ما يضاف إليه إذا كان عمل الشام و الجزيرة و الموصل، جرى على حساب شهور الروم الموافقة للأزمنة، فليست تختلف أوقاتها مع الكبيسة المستعملة فيها، و العمل في خراج مصر، و ما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم، و كانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس، و فتح للمسلمين بلادهم، فصار النوروز الذي كان الخراج



يفتتح فيه بالعراق و المشرق قد تقدّم في ترك الكبس شهرين و صارا بينه و بين إدراك الغلّة، فأمر أمير المؤمنين بما جيل الله عليه رأيه في التوصل إلى كل ما عاد بصلاح رعيته.

و حسما للأسباب المؤدّية إلى إعيائها بتأخير النوروز الذي يقع في شهور سنّة اثنتين و ثمانين و مائتين من سنى الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنّة الفرس، و هو يوم الجمعة لإحدى عشر تخلو من صفر مثل عدّة أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها، و هي ستون يوما، حتى يكون نوروز السنّة واقعا يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنّة اثنتين و ثمانين و مائتين، و هو الحادى عشر من حزيران، و هو يتصل بهما، و يجرى مجراهما، و ينسب و يضاف إليهما، و بسائر أعمالهم، و بما يعمله أصحاب الحساب من التقويمات و جميع الأعمال، و ما يعدّه الفرس من شهورهم إلى شهوره الكبيسة الأول و الآخر، ثم يكبس بعد ذلك في كل أربع سنين من سنى الفرس، و لا يقع تفاوت بينه و بينها على مرور الأيام، و ليكن أبدا واقعا في حزيران، و غير خارج عنه، و أن يلغى ذكر كل سنّة من أربع سنين تنسب إلى الخراج بالعراق، و في المشرق و المغرب، و سائر النواحي و الآفاق إذ كان مقدار سنى أيام الهجرة، و السنّة الجامعة للأزمنة التي تتكامل فيها الغلات، و أن يخرج التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من ديوان الرسائل إلى ولاية المعاون و الأحكام،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٦

و تقرأ على المنابر، و يحمل أصحاب المعاون الرعية عليه، و تأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين، و سنّة الحكام في ديوان حكمهم لتمثيل الضمان و المقاطعين ذلك على حسبه، و استطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك، فرأى أمير المؤمنين في ذلك موفق إن شاء الله تعالى، و تكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك إن شاء الله تعالى، و كتب في شهر ذى الحجة سنّة إحدى و ثمانين و مائتين.

قال: و كان السبب في نقل الخراج إلى حزيران في أيام المعتضد ما حدّثني به أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى المنجم القديم قال: كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد، فذكرت خبر المتوكل في تأخير النوروز، فاستحسنه، و قال لي: كيف كان ذلك؟

قلت: حدّثني أبي قال: دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة التي كانت في يدي و هو متوكئ عليّ يحادثني، و ينظر إلى ما أحدث في ذلك البستان، فمرّ بزراع فرآه أخضر، فقال: يا عليّ، إنّ الزرع اخضرّ بعد ما أدرك، و قد استأمرني عبيد الله بن يحيى في استفتاح الخراج، فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج في النوروز و الزرع لم يدرك بعد؟

قال: فقلت له: ليس يجرى الأمر اليوم على ما كان يجرى عليه في أيام الفرس، و لا- النوروز في هذه الأيام في وقته الذي كان في أيامها، قال: و كيف ذاك؟ فقلت: لأنها كانت تكبس في كل مائة و عشرين سنّة شهرا.

و كان النوروز إذا تقدّم شهرا، و صار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر، فصار في خمس من أيار، و أسقطت شهرا، و ردهته إلى خمس من حزيران، فكان لا يتجاوز هذا، فلما تقلّد العراق خالد بن عبد الله القسرى، و حضر الوقت الذي تكبس فيه الفرس منعها من ذلك، و قال: هذا من النسى الذي نهى الله عنه، فقال: إنما النسى زيادة في الكفر و أنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه أمير المؤمنين، فبدلوا على ذلك مالا جليلا، فامتنع عليهم من قبوله.

و كتب إلى هشام بن عبد الملك يعرّفه ذلك، و يستأمره، و يعلمه أنه من النسى الذي نهى الله عنه، فأمر بمنعهم من ذلك، فلما امتنعوا من الكبس تقدّم النوروز تقدّما شديدا حتى صار يقع في نيسان و الزرع أخضر، فقال له المتوكل: فاعمل لهذا يا عليّ عملا تردّ النوروز فيه إلى وقته الذي كان يقع فيه أيام الفرس، و عرّف بذلك عبيد الله بن يحيى، و أدّ إليه رسالته منى في أن يجعل استفتاح الخراج فيه، قال: فصرت إلى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى، و عرّفته ما جرى بيني و بين المتوكل، و أدّيت إليه رسالته، فقال لي: يا أبا الحسن قد و الله فرّجت عنى، و عن الناس، و عملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه، و كسبت لأمر المؤمنين أجرا و شكرا، فأحسن الله جزاءك، فمثلك من يجالس الخلفاء، و أحب أن يتقدّم بالعمل الذي أمر به المتوكل، و ينفذه إلىّ حتى أجرى الأمر عليه، و أتقدّم في كتب الكتب، باستفتاح الخراج، قال: فرجعت، و حرّرت الحساب، فوجدت النوروز لم يكن يتقدّم في

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٧

أيام الفرس أكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران، فيصير في خمسه أيام تخلو أيار، فتكسب سنتها، و تردّه إلى خمسة أيام من حزيران، و أنفذته إلى عبيد الله بن يحيى، فأمر أن يستفتح الخراج في خمس من حزيران، و تقدّم إلى إبراهيم بن العباس في أن ينشئ كتابا عن أمير المؤمنين في ذلك ينفذ نسخته إلى النواحي، فعمل إبراهيم بن العباس كتابه المشهور في أيدي الناس.

قال أبو أحمد: فقال لي المعتضد: يا يحيى، هذا و الله فعل حسن، و ينبغي أن يعمل به، فقلت: ما أحد أولى بفعل الحسن، و إحياء السنن الشريفه من سيدنا، و مولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن، و وهبه له من الفضائل، فدعا بعبيد الله بن سليمان، و قال له: اسمع من يحيى ما يخبرك به، و امض الأمر في استفتاح الخراج عليه، قال: فصرت مع عبيد الله بن سليمان إلى الديوان، و عزفته الخبر، فأحب تأخيره عن ذلك لثلا يجرى الأمر المجرى الأول بعينه، فجعله في أحد عشر من حزيران، و استأمر المعتضد في ذلك فأمضاه فقلت في ذلك شعرا أنشدته للمعتضد في هذا المعنى:

يوم نوروزك يوم واحد لا يتأخر

من حزيران يوافي أبدا في أحد عشر

قال: و أخبرني بعض مشايخ الكتاب قال: و كانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما، و أقل و أكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على أهله.

و أما المهرجان فلم تكن تؤخره عن وقته يوما واحدا، فكان أول من قدّمه عن وقته بيوم المعتمد بمدينة السلام في سنه خمس و ستين و مائتين، و أمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما.

و قال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية:

و منه نقلت ما ذكر ابن أبي طاهر و زاد، و نفذت الكتب إلى الآفاق يعنى عن المتوكل في محرم سنة ثلاث و أربعين و مائتين، و قتل المتوكل، و لم يتم له ما دبر، و استمر الأمر حتى قام المعتضد، فاحتذى ما فعله المتوكل في تخير النوروز غير أنه نظر فإذا المتوكل أخذ ما بين سنته، و بين أول تاريخ يزدجرد، فأخذ المعتضد ما بين سنته، و بين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد، ظنا أن إهمالهم أمر الكبس من ذلك الوقت، فوجده مائتي سنة، و ثلاثا و أربعين سنة، حصتها من الأرباع ستون يوما و كسر، فزاد ذلك على النوروز في سنة، و جعله منتهى تلك الأيام، و هو من خردادماه في تلك السنة، و كان يوم الأربعاء، و يوافق اليوم الحادي عشر من حزيران، ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكسب شهوره إذا كبست الروم شهورها.

و قال القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٨

ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج: و السنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لأن السنة الشمسية ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و ربع يوم، و رتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أدار الخراج عند إدراك الغلات من كل سنة، و وافقها السنة القبطية، لأن أيام شهورها ثلاثمائة و ستون يوما، و يتبعها خمسة أيام النسيء و ربع يوم بعد تقضى مسرى، و في كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام، لينجبر الكسر.

و يسمون تلك السنة كيبسة، و في كل ثلاث و ثلاثين سنة تسقط سنة، فيحتاج إلى نقلها لأجل الفصل بين السنين الشمسية و السنين الهلالية، لأن السنة الشمسية ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و ربع يوم، و السنة الهلالية ثلاثمائة و أربعة و خمسون يوما و كسر، و لما كان كذلك احتيج إلى استعمال النقل الذي تطابق به إحدى السنين الأخرى، و قد قال أبو الحسن علي بن الحسن الكاتب رحمه الله: عهدت جباية أموال الخراج في سنين قبل سنة إحدى و أربعين و مائتين من خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله عليه، تجرى كل سنة في السنة التي بعدها، بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما و ربع يوم، و زيادة

الكسر عليه، فلما دخلت سنة اثنتين و أربعين و مائتين، كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث و ثلاثون سنة، أولهن سنة ثمان و مائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمه الله عليه، و اجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة، و هي ثلاثمائة و خمسة و ستون يوماً و ربع يوم، و زيادة الكسر، و بها إدراك غلات، و ثمار سنة إحدى و أربعين و مائتين في صفر سنة اثنتين و أربعين و مائتين، و أمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله عليه، بإلغاء ذكر سنة إحدى و أربعين و مائتين، إذ كانت قد انقضت، و ينسب الخراج إلى سنة اثنتين و أربعين و مائتين، فجرت الأعمال على ذلك سنة بعد سنة، إلى أن انقضت ثلاث و ثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع و سبعين و مائتين، فلم ينه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمه الله عليه على ذلك، إذ كان رؤسائهم في ذلك الوقت إسماعيل بن بلبل و بنى الفرات، و لم يكونوا عملوا في ديوان الخراج و الضياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله عليه و لا كانت أسنانهم أسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل، بل كان مولد أحمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين، و مولد علي أخيه فيها، و كان إسماعيل بن بلبل يتعلم في مجلس لم يبلغ أن ينسخ، فلما تقلدت لناصر الدين أبي أحمد طلحة الموفق رحمه الله أعمال الضياع بقزوين و نواحيها، لسنة ست و سبعين و مائتين، و كان مقيماً بأذربيجان، و خليفته بالجلب جرادة بن محمد،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٩

و أحمد بن محمد كاتبه، و احتجت إلى رفع جماعتي إليه ترجمتها بجماعة سنة ست و سبعين و مائتين التي أدركت غلاتها و ثمارها في سنة سبع و سبعين و مائتين، و وجب إلغاء ذكر سنة ست و سبعين و مائتين، فلما وقفا على هذه الترجمة أنكرها، و سألتني عن السبب فيها، فشرحت لهما، و أكدت ذلك بأن عرفتني إني قد استخراجت حساب السنين الشمسية، و السنين القمرية من القرآن الكريم بعد ما عرضته على أصحاب التفسير، فذكروا أنه لم يأت فيه شيء من الأثر، فكان ذلك أوكد في لطف استخراجي، و هو أن الله تعالى قال في سورة الكهف: **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** [الكهف/ ٢٥] فلم أجد أحدا من المفسرين عرف معنى قوله: و ازدادوا تسعا، و إنما خاطب الله عز و جل نبيه صلى الله عليه و سلم بكلام العرب، و ما تعرفه من الحساب، فمعنى هذه التسع أن الثلاثمائة كانت شمسية بحساب العجم، و من كان لا يعرف السنين القمرية، فإذا أضيف إلى الثلاثمائة القمرية زيادة التسع، كانت سنين شمسية صحيحة، فاستحسنه، فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله إلى مدينة السلام، و توفي الناصر رحمه الله، و تقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى له جرادة ذكر هذا النقل، و شرح له سببه تقرباً إليه و طعنا على أبي القاسم عبيد الله في تأخير إياه، فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم إلى أبي القاسم بإنشاء الكتب بنقل سنة ثمان و سبعين إلى سنة تسع و سبعين و مائتين، و كان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه، ثم مضت السنون سنة بعد سنة إلى أن انقضت الآن ثلاث و ثلاثون سنة، أولهن السنة التي كان النقل وجب فيها، و هي سنة خمس و سبعين و مائتين، و آخرتهن انقضاء سنة سبع و ثلاثمائة، و قد تهيأ إدراك الغلات، و الثمار في صدر سنة ثمان و ثلاثمائة، و نسبتها إليها، و قد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها، و قد كان أصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة إحدى و أربعين و مائتين إلى سنة اثنتين و أربعين و مائتين جبا الجوالي و الصدقات لسنتي إحدى و اثنتين و أربعين و مائتين في وقت واحد، لأن الجوالي بسر من رأى، و مدينة السلام، و قصب المدن المشهورة كانت تجبي على شهور الأهلة، و ما كان من جماجم أهل القرى في الخراج و الضياع و الصدقات و المستغلات، كان يجبي على شهور الشمس، و في ثلاث و ثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة، فألزم أهل الذممة خاصة بالجوالي، و رفعها العمال في حساباتهم فمن لم يرفعها ألزمه بجوالي السنة الزائدة، فأحفظ أنه اجتمع من ذلك ألوف دراهم، ثم جدت الكتب إلى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالي على شهور الأهلة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٠

فجرى الأمر على ذلك، قال القاضي أبو الحسن: و قد كان النقل أغفل في الديار المصرية، حتى كانت سنة تسع و تسعين و أربعمائة

الهلالية تجرى مع سنة سبع و تسعين الخراجية، فنقلت سنة سبع و تسعين و أربعمائه إلى سنة إحدى و خمسمائه، هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله، و آخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس و ستين و خمسمائه إلى سنة سبع و ستين و خمسمائه الهلالية، فتطابقت السنن، و ذلك أننى لما قلت للقاضى الفاضل أبى على عبد الرحيم بن على اليسانى: أنه قد آن نقل السنة، فأنشأ سجلا بنقلها نسخ الدواوين، و حمل الأمر على حكمه، و ما برح الملوك و الوزراء يعتنون بنقل السنين فى أحيانها.

و قال أبو الحسين هلال بن المحسن الصابى: حدثنى أبو على قال: لما أراد الوزير أبو محمد المهلبى نقل سنة خمس و ثلثمائه الهلالية أمر أبى إسحاق والدى و غيره من كتابه فى الخراج، و الرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله فى هذا المعنى، فكتب كل منهم، و كتب والدى الكتاب الموجود فى رسائله، و عرضت النسخ على الوزير، فاختره منها، و تقدم بأن يكتب إلى أصحاب الأطراف، و قال لأبى الفرج بن أبى هشام خليفته: اكتب إلى العمال بذلك كتباً محققه، و انسخ فى أواخرها هذا الكتاب السلطانى، فغاظ أبى الفرج وقوع التفضيل و الاختيار لكتاب والدى، و قد كان عمل نسخة اطرح فى جملة ما اطرح و كتب، قد رأينا نقل سنة خمسين إلى إحدى و خمسين، فاعمل على ذلك، و لم ينسخ الكتاب السلطانى، و عرف الوزير ما كتب به أبو الفرج، فقال له: لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطانى فى آخر الكتب إلى العمال، و إثباته فى الديوان، فأجاب جواباً عليك فيه، فقال له: يا أبى الفرج ما تركت ذلك إلا حسداً لأبى إسحاق، و هو فى هذا الفن أكتب أهل زمانه، فأعد الآن الكتاب، و انسخ الكتاب فى أواخرها، قال القاضى أبو الحسن: و أنا أذكر بمشيئة الله نسخة الكتاب الذى أشار إليه أبو الحسن على بن الحسن الكاتب، و كتاب أبى إسحاق، و كتاب القاضى الفاضل، ليستبين للنظر طريق نقل السنين الخراجية إلى السنين الهلالية، فإذا قاربت الموافقة، و حسنت فيها المطابقة، فالكتاب الفاضلى أكثر نجازاً، و أعظم إعجازاً، و لا يخفى على المتأمل قدر ما أورد فيه من البلاغة، كما لا يخفى على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابى من الصناعة.

نسخة الكتاب الذى أشار إليه أبو الحسن الكاتب: إن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين عنايته، و عمل فيه فكره و رويته، و شغل فيه تفقده، و رعايته أمر الفى الذى خصه الله به، و أزمه جمعه، و توفيره و حياطته، و تكثيره و جعله عماد الدين، و قوام أمر المسلمين،  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطوط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥١

و فيما يصرف منه إلى أعطيات الأولياء و الجنود، و من يستعان به لتحصين البيضة، و الذب عن الحرم، و حج البيت، و جهاد العدو، و سد الثغور، و أمن السبيل، و حقن الدماء، و إصلاح ذات البيت، و أمير المؤمنين يسأل الله تعالى، راغباً إليه و متوكلاً عليه أن يحسن عونه على ما حمله منه، و يديم توفيقه بما أرضاه، و إرشاده إلى أن يقضى عنه و له، و قد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أمر جباية هذا الفى فى خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم، فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات و الثمار من كل سنة أولاً أولاً على معارى شهور سنى الشمس فى النجوم التى يحل مال كل صنف منها فيها، و وجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً و ربعاً، و زيادة عليه، و يكون إدراك الغلات و الثمار فى كل سنة بحسب تأخرها، فلا تزال السنون تمضى على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضى منها ثلاث و ثلاثون سنة، و تكون عدّة الأيام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة، و هى ثلثمائة و خمسة و ستون يوماً و ربع يوم و زيادة عليه.

فحينئذ يتهمياً بمشيئة الله تعالى و قدرته إدراك الغلات التى تجرى عليها الضرائب، و الطسوق فى استقبال المحرم من سننى الأهلة، و يجب مع ذلك إلغاء السنة الخارجة إذا كانت قد انقضت، و نسبتها إلى السنة التى أدركت الغلات و الثمار فيها، لأنه وجد ذلك قد كان وقع فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله عليه عند انقضاء ثلاث و ثلاثين سنة آخرتهن سنة إحدى و أربعين و مائتين، فجرت المكاتبات و الحسابات، و سائر الأعمال بعد ذلك سنة بعد سنة إلى أن مضت ثلاث و ثلاثون سنة آخرتهن انقضاء سنة أربع و سبعين و مائتين، و وجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أربع و سبعين و مائتين، و نسبتها إلى سنة خمس و سبعين و مائتين، فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله، و تأخر الأمر أربع سنين إلى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمه الله

عليه في سنة سبع و سبعين و مائتين بنقل خراج سنة ثمان و سبعين إلى سنة تسع و سبعين و مائتين.

فجرى الأمر على ذلك إلى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث و ثلاثون سنة: أولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها، و هي سنة خمس و سبعين و مائتين، و آخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع و ثلثمائة، و وجب افتتاح خراج ما يجري على الضرائب و الطسوق في أولها، و إن من صواب التدبير و استقامة الأعمال، و استعمال ما يخف على الرعية معاملتها به، نقل سنة الخراج سنة سبع و ثلثمائة إلى سنة ثمان و ثلثمائة، فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه، و يؤاخذها به من العناية بهذا الفيء، و حياطة أسبابه، و إجرائها مجاريها، و سلوك سبيل آباءه الراشدين رحمة الله عليهم أجمعين فيها، أن يكتب إليك، و إلى سائر العمال في النواحي

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٢

بالعمل على ذلك، و أن يكون ما يصدر إليكم من الكتب، و تصدرونه منكم، و تجرى عليه أعمالكم و رفوعكم و حساباتكم، و سائر مناظراتكم على هذا النقل، فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين، و اعمل به مستشعرا فيه، و فى كل مضنة تقوى الله، و طاعته و مستعملا عليه ثقات الأعوان و كفاتهم، و مشرفا عليهم، و مقوما لهم، و اكتب بما يكون منك فى ذلك إن شاء الله تعالى.

نسخة أبى إسحاق الصابى: أما بعد: فإن أمير المؤمنين لا زال مجتهدا فى مصالح المسلمين، و باعنا لهم على مرشد الدنيا و الدين، و مهيا لهم أحسن الاختيار فيما يوردون و يصدرون، و أصوب الرأى فيما يبرمون و ينقضون، فلا يلوح له خلة داخله على أمورهم إلا سدها، و تلافها و لا- حال عائده بحظ عليهم إلا اعتمدها، و أتاهها، و لا سنة عادلة إلا أخذهم بإقامة رسمها، و إمضاء حكمها، و الاقتداء بالسلف الصالح فى العمل بها، و الإبتاع لها، و إذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها، و تجهله العامة بقصور أفهامها، و كانت أوامره فيه خارجة إليك، و إلى أمثالك من أعيان رجاله، و أمثال عماله الذين يكتفون بالإشارة، و يجتزون بيسير الإبانة و العبارة لم يدع أن يبلغ من تخلص اللفظ، و إيضاح المعنى إلى الحد الذى يلحق المتأخر بالمتقدم، و يجمع بين العالم و المتعلم، و لا سيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية، و من لا يعرف إلا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية، و لا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة إلى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز فى المعرفة مذكرا، و لمن تأخر فيها مبصرا، و لأنه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين فى صدورهما، و لا- أن يقتصر على اللمحة الدالة فى مخاطبة جمهورها، حتى إذا استوت الأقدام بطوائف الناس فى فهم ما أمروا به و فقه ما دعوا إليه، و صاروا على حكمه سواء لا- يعترضهم شك الشاكين، و لا استرابة المستربين، اطمأنت قلوبهم، و انشرح صدورهم، و سقط الخلاف بينهم، و استمر الاتفاق بهم، و استيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج، و محروسون من حزائز الزيغ و الاعوجاج، فكان الانقياد منهم، و هم دارون عالمون لا- مقلدون مسلمون، و طائعون مختارون لا مكرهون، و لا مجبرون.

و أمير المؤمنين يستمد الله تعالى فى جميع أغراضه، و مراميه و مطالبه، و مغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح، و يفتح له أبواب النجاح، و ينهضه بما أهله لحمله من الأعباء التى لا- يدعى الاستقلال بها إلا بتوفيقه، و معونته، و لا يتوجه فيها إلا بدلالته و هدايته، و حسب أمير المؤمنين الله، و نعم الوكيل يرى أن أولى الأقوال أن يكون سدادا، و أخرى الأفعال أن يكون رشادا ما وجد له فى السابق من حكم الله أصول و قواعد، و فى النص من كتابه آيات و شواهد، و كان منصبا بالأمة إلى قوام من دين أو دنيا، و وفاق فى آخره أو أولى، فذلك هو البناء الذى يثبت، و يعلو، و الغرس الذى ينبت و يزكو، و السعى الذى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٣

تنجح مباديه و هواديه، و تبهج عواقبه و تواليه، و تستنير سبله لسالكها، و توردهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها غير ضالين و لا عادلين، و لا- منحرفين و لا- زائلين، و قد جعل الله عز و جل لعباده من هذه الأفلاك الدائرة، و النجوم السائرة، فيما تنقلب عليه من اتصال و افتراق و يتعاقب عليها من اختلاف، و اتفاق منافع تظهر فى كرور الشهور و الأعوام، و مرور الليالى و الأيام، و تفاوت الضياء و الظلام، و اعتدال المسالك و الأوطان، و تغاير الفصول و الأزمان، و نشو النبات و الحيوان، مما ليس فى نظام ذلك خلل، و لا فى



صنعه زلل بل هو منوط بعضه ببعض، و محوط من كل تلمة و نقض.

قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ [يونس / ٥]، و قال جلّ من قائل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَيَخِرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَدَّدًا وَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [الرعد / ٢]، و قال تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسَدَّتٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [يس / ٣٨]، و قال عزت قدرته: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [يس / ٣٩]، ففضل الله تعالى بهذه الآيات بين الشمس و القمر، و أنبأنا في الباهر من حكمه، و المعجز من كلامه أن لكل منهما طريقا سخر فيها، و طبيعته جبل عليها و أن تلك المباينة و المخالفة في المسير يؤدیان إلى موافقة، و ملازمة في التدبير، فمن هنا لك زادت السنة الشمسية.

فصارت ثلثمائة و خمسة و ستين يوما و ربعا بالتقريب المعمول عليه، و هي المدّة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرّة واحدة، و نقصت الهلالية، فصارت ثلثمائة و أربعة و خمسين يوما، و هي المدّة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرّة، و احتيج إذا انساق هذا الفضل إلى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين بالأخرى إذا افترقنا، و يدانى بينهما إذا تفاوتتا، و ما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على افتتان من طرقها و مذاهبها، و في كتاب الله عز و جل شهادة بذلك إذ يقول في قصة أهل الكهف: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ أزدَادُوا تِسْعًا [الكهف / ٢٥]، فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب.

فأما الفرس: فإنهم أجزوا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا، و أيامها ثلثمائة و ستون يوما، و لقبوا الشهور باثني عشر لقباً، و سمو أيام الشهر منها بثلاثين اسما، و أفردوا الخمسة الأيام الزائدة، و سموها المسترقة، و كبسوا الربع في كل مائة و عشرين سنة شهرا، فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربع تدبيرهم، و زال نوروزهم عن سنته، و انفرج ما بينه، و بين حقيقة وقته انفراجا هو زائد لا يقف، و دائر لا ينقطع، حتى إن موضوعهم في النوروز أن يقع في مدخل الصيف، و سيتهى إلى أن يقع في مدخل الشتاء

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٤

و يتجاوز ذلك، و موضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء، و ينتهي إلى أن يقع في مدخل الصيف، و يتجاوز.

و أما الروم: فكانوا أتقن منهم حكمه، و أبعده نظرا في العاقبة لأنهم رتبوا شهور السنة على أرساد شهورها، و أنواء عرفوها، و فضوا الخمسة الأيام على الشهور، و ساقوها على الدهور، و كبسوا الربع في كل أربع سنين يوما، و رسموا أن يكون إلى شباط مضافا، فقربوها ما بعده غيرهم، و سهلوا على الناس أن يقتفوا أثرهم، لا جرم أن المعتضد بالله رحمه الله على أصولهم بنى، و لمثالهم احتذى في تصيره نوروزه اليوم الحادي عشر من حزيران، حتى سلم مما لحق النواريز في سالف الأزمان، و تلافوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس بأن جبروها بالكبس، فكلما اجتمع من فصول سني الشمس، و ما بقي تمام شهر جعلوا السنة الهلالية، يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا، فربما تمّ الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين، و ربما تمّ في سنتين بحسب ما يوجه الحساب، فتصير سنتا الشمس و الهلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما.

و أمّا العرب: فإنّ الله تعالى فضّلها على الأمم الماضية، و ورثها ثمرات مشاقها المتعبه، و أجرى شهر صيامها، و مواقيت أعيادها، و زكاة أهل ملتها، و جزية أهل ذمتها على السنة الهلالية، و تعبدتها فيها برؤية الأهلّة إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة، و أعلامها لائحة، فيتكافأ في معرفه الغرض، و دخول الوقت الخاص منها و العام، و الناقص الفقه و التام، و الأنثى و الذكر، و الصغير و الكبير و الأ-كبر، فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة، و خراج الأرض الممسوحة، و يجبون في سنة الهلال الجوالي، و الصدقات و الأجزاء، و المقاطعات و المستغلات، و سائر ما يجري على المشاهرات، و حدث من التداخل بين السنين ما لو استمرّ لقبح جدا، و ازداد بعدا إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي إليها تنسب إلى الشمسية، و إلى ما قبلها، فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة، و تلغى و يتجاوز إلى ما بعدها، و يتخطى، و لم يجز لهم أن يعتدوا لمخالفتهم في كبس السنة الهلالية بشهر

ثالث عشر، و لأنهم لو فعلوا ذلك لرححت الأشهر الحرم عن موافقها، و ارتجت المناسك عن حقائقها، و نقصت الجباية في سنى الأهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها، فانتظروا بذلك الفضل إلى أن تتم السنة، و أوجب الحساب المقرّب أن يكون كل اثنتين و ثلاثين سنة شمسية ثلاثا و ثلاثين هلالية، فنقلوا المتقدّمة إلى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية.

و كانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم، و قد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين و ثلثمائة الخراجية إلى سنة إحدى و خمسين و ثلثمائة الهلالية جمعا بينهما، و لزوما لتلك السنة فيهما، فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٥

و تضمنه كتابه هذا إليك، و مر الكتاب قبلك أن يحتذوا رسمه فيما يكتبون به إلى عمال نواحيك، و يخلدونه في الدواوين من ذكورهم و رفوعهم، و يعدونه من خروج الأموال و ينظمونه في الدواوين و الأعمال، و يثبتون عليه الجماعات و الحسابات، و يوغرون بكتبه من الروزنامجات، و البراءات و ليكن المنسوب من ذلك إلى سنة خمسين و ثلثمائة التي وقع النقل إليها، و أقم في نفوس من بحضرتك من أصناف الجند و الرعية، و أهل الملة و الذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما، و لا يلحق بهم ثلما، و لا يعود على قابضى العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه، و لا- على مؤدى حق بيت المال بإغضاء عما وجب أدائه، فإنّ قرائح أكثرهم فقيرة إلى إفهام أمير المؤمنين الذى آثر أن تراح فيه العلة، و يسدّ بهم سهم الخلّة إذ كان هذا الشأن لا يتجدّد إلا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج إلى تعريف الناسى، و أجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك إن شاء الله تعالى.

و قال ابن المأمون في تاريخه: من حوادث سنة إحدى و خمسمائة، و أول ما تحدّث فيه نقل السنة الشمسية إلى العربية، و كان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين، فتحدّث القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي مع الأفضل بن أمير الجيوش في ذلك، فأجاب إليه، و خرج أمره إلى الشيخ أبي القاسم بن الصيرفي بإنشاء سجل به.

فأنشأ ما نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين أمينه فى أرضه و خليفته، و ألهمه أن يعمّ بحسن التدبير عبيده و خليفته، و وفقه لمصالح يستمدّ أسبابها، و يفتح بحسن نظره أبوابها، و أورثه مقام آباءه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر، و جعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة فى المحشر، و عناهم بقوله: يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، و أعلى منار سلطانه بمدبر أفلاكك دولته، و ميّد أعداء مملكته، و أشرف من نصب للجند علما و رايه، و وقف على مصلحة البرية نظره و رايه، و أرشد بهداتيه الأبواب الحائرة، و أذهب بمعدلته الأحكام الجائرة السيد الأجل الأفضل، و نتمم النعوت بالدعاء للذى كمل تدبيره نظام الصلاح و تممه، و سدّد تقريره الأمور فى كل ما قصده و يممه، و تبه فى السياسة على ما أهمله من سبقه، و أغفله من تقدّمه، و تتبع أحوال المملكة، فلم يدع مشكلا إلا أوضحه و بين الواجب فيه، و لا خلا إلا أصلحه، و بادر بتلافيه، و لا مهملا إلا استعمله على ما يوافق الصواب، و لا ينافيه إيثارا لعمارة الأعمال، و قصدا لما يقضى بتوفير الأموال.

و توخيا لما عاد بضروب الاستغلال، و اعتناء برجال الدولة العلوية و أجنادها، و اهتماما

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٦

بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها، و رعاية لمن ضمنه أقطار المملكة من الرعايا، و حملا لهم على أعدل السنن، و أفضل القضايا يحمد أمير المؤمنين على ما أعانه عليه من حسن النظر للأمة، و ادّخره لأيامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة، و وفقه لما يعود على الكافة بشمول الانتفاع، حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الأدلة و استيفائها بمقتضى المعدلة، فيما يجرى على أحكام الخراج، و أوضاع الأهلة، و يرغب إليه بالصلاة على محمد الذى ميزه بالحكمة، و فصل الخطاب، و بين به ما استيهم من سبل الصواب، و أنزل عليه فى محكم الكتاب: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ [يونس / ٥] صلى الله عليه، و على أخيه و ابن عمه أينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كافييه فيما أعضل لئما عدم المساعد، و واقيه بنفسه لما تخاذل الكف و الساعد، و على الأئمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون و يفعلون، و



الذين يهددون بالحق، و به يعدلون، و إن أولى ما أولاه أمير المؤمنين حضا وافيا من تفقده، و أسهم له جزءا وافرًا من كريم تعهده، و نظر إليه بعين اهتمامه، و اختصه بالقسم الأجزل من استمالة أمر الأموال التي يستعان بها على سدّ الخلل، و برجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل، و بوفورها تستثبت شؤون المملكة، و تستقيم أحوال الدول، و باستخراجها على حكم العدل الشامل، و وصية إنصاف المعامل تكون العمارة التي هي أصل زيادتها، و مادة كثرتها و غزارتها.

و لما كانت جباياتها على حكمين: أحدهما: يجيء هلاليا، و ذلك ما لا يدخله عارض و لا إشكال، و لا إبهام، و لا يحتاج فيه إلى إيضاح و لا إفهام، لأن شهور الهلال يشترك في معرفتها الأمير و المقصر، و يستوى في الفهم بها المتقدم في العلم و المتأخر، إذ كان الناس آلفين لأزمته متعباداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسوم، و الآخر يجيء خراجيا و يثبت بنسبته إلى الخراج لأنها تضبط أوقات ما يجري ذلك لأجله من النيل المبارك، و الزراعة و تحفظ أحيانه دون السنة الهلالية، و تحرس أوضاعه، و لا يستقل بمعرفته إلا من باشره، و عرف موارده و مصادره، فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر، و يفعل فيها ما تعظم به الفائدة، و يحسن فيه الأثر و يعتمد في إيضاح أمرها، و تقديم حكمها على ما تتحلى به التواريخ، و تزين به السير، و يكون ذلك شاهدا لمساعي السيد الأجل الأفضل الذي لا يزال ساهرا ليله في حياطة الهاجرين شاهرا لسيفه في حماية الوادعين مطالعا للدولة بدور السعادة، و شموستها مدلا صعب الحوادث، و شموستها ناطقة تارة بأن أمة هو راعيها قد فضل الله سائسها، و أسعد مسوسها، و هذا حين التبصير و الإرشاد، و أوان التبيين للغرض و المراد، لتساوي العامة و الخاصة في علمه و تسعهم الفائدة في معرفة حكمه، و تتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين و استقبالها، و تتيقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التي يحتاج إلى استدراكها.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٧

و معلوم أنّ أيام السنة الخراجية، و هي السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية لأن أيام السنة الخراجية من استقبال النوروز إلى آخر النسيء ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و ربع يوم، و أيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم إلى آخر ذى الحجة ثلاثمائة و أربعة و خمسون يوما، و الخلاف في كل سنة بالتقريب أحد عشر يوما، و في كل ثلاث و ثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب و يتقضي ما تقدم من الترتيب، فإذا اتفق أن يكون أول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية، و كانت نسبتها واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما، و بقي ذلك جاريا عليهما، و لم يزالا متداخلين لكون مدخل الخراجية في أثناء شهور الهلالية إلى انقضاء ثلاث و ثلاثين سنة، فإذا انقضت هذه المدّة بطلت المداخل، و خلت السنة الهلالية من نوروز يكون فيها، و بحكم ذلك بطل اتفاق التسمية، و يكون التفاوت سنة واحدة للعلّة المقدم ذكرها، و من أين يستمر بينهما ائتلاف، أو يعدم لهما اختلاف، أم كيف يعتقد ذلك أحد من البشر.

و الله تعالى يقول: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [يس / ٤٠] فقد وضع دليل التباعد بما جاء منصوصا في الكتاب، و ظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب، فيحتاج بحكم ذلك إلى نقل السنة الشمسية إلى التي تليها لتكون موافقة للهلالية، و جارية معها، و فائدة النقل أن لا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب إلى السنة الموافقة لها، لأن واجبات العسكرية على عظمها، و اتساعها و أرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها، و أوضاعها جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الأحوال، و المحافظة على ثمره ارتفاعها متعينه، و منفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة، و لما أهلت سنة إحدى و خمسمائة، و دخلت فيها سنة تسع و تسعين و أربعمائة الخراجية الموافقة لسنة إحدى و خمسمائة الهلالية كان في ذلك من التباين، و التعارض و التفاوت، و التنافر بحكم إهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبي خراج ما يوافقها فيها، و لا تدرك غلات السنة المجرى ما لها عليها إلّا في السنة التي تليها، فهي تستهل و تنقضى.

و ليس لها في الخراجي ارتفاع و الأعمال تطيف بالزراعة، و لا حظ لها في ذلك، و لا انتفاع، و هذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية، و الأذية فيها للرجال المقطعين بادية، و أسباب لحوقها إياهم مستمرة متمادية، و لا سيما من وقع له بإثبات و أنعم عليه بزيادات، فإنهم يتعجلون الاستقبال، و يتأجلون الاستغلال، و متى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنين هلالية، و هي

موافقةً لغيرها، و ما لها يجرى على سنة تجرى بينهما لأن مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى و خمسمائة، و انقضاؤها في العشرين من المحرم سنة اثنتين و خمسمائة، و هي متداخلة بين هاتين السنتين، و ما لهما يجرى على سنة إحدى و خمسمائة، و الحال في ذلك لا ينتهي إلى أمد، و لا يزال الفساد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٨

يتزايد طول الأبد، و قد رأى أمير المؤمنين و بالله توفيقه ما خرج به أمره إلى السيد الأجل الأفضل الذي نبه على هذا الأمر، و كشف غامضه، و أزال بحسن توصله تنافيه، و تناقضه أن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه و دبره مودعا إنفاذ ما أحكمه، و قرره من نقل سنة تسع و تسعين و أربعمائة إلى سنة إحدى و خمسمائة، لتكون موافقة لها.

و يجرى عليها ما لها، و يكون ما يستأدونه من إقطاعاتهم، و يستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس، و نطاق محيط غير منحوس، و شاهدا بنصيب موفى غير منقوص، و يتضح ما أبهم إشكاله التعمية، و يزول الاستكراه في اختلاف التسمية، و يستمر الوفاق بين السنين الهلالية و الخراجية إلى سنة أربع و ثلاثين و خمسمائة، و ينسب مال الخراج و المقاسمات، و ما يستغل، و يجبي من الإقطاعات مما كان جاريا على ذكر سنة تسع و تسعين و أربعمائة إلى سنة إحدى و خمسمائة، و تجرى الإضافة إليها مجرى ما يرتفع من الهلالي فيكون سنة إحدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها، و على مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها، و كذلك نقل سنة تسع و تسعين و أربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية إلى سنة إحدى و خمسمائة المشار إليها، و يكون مالها جاريا عليها، فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة، و في سائر أعمال الدولة قاصيها و دانيها، و فارسها و شاميها، و ليتنبه كافة الكتاب و المستخدمين، و جميع العمال و المتصرفين إلى اقتفاء هذه السنن و أتباعه، و ليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة و أوضاعه، و ليبادروا إلى امتثال المرسوم فيه، و ليحذروا من تجاوزه و تعدييه، و لينسخ في دواوين الأموال و الجيوش المنصورة، و ليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعمورة، و كتب في محرم سنة إحدى و خمسمائة.

و قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع و ستين و خمسمائة و من خطه نقلت مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية إلى السنة الهلالية، و المطابقة بين اسمهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية، و خلو سنة سبع من نوروز، فنقلت سنة خمس و ستين و خمسمائة الخراجية إلى هذه السنة، و كان آخر نقل نقلته هذه السنة في الأيام الأفضلية، فإن سنة ثمان و تسعين و أربعمائة، و سنة تسع و تسعين الخراجيتين نقلتا إلى سنة إحدى و خمسمائة الخراجية، و سبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية أحد عشر يوما، و إغفال النقل في سنة ثلاث و ثلاثين في أيام الوزير الأفضل رضوان بن و لخشى، و انسحب ذيل هذه الزيادة، و تداخل السنين بعضها في بعض إلى أن صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت، و هو انتقال لا يتعدى التسمية، و لا يتجاوز اللفظ، و لا ينقص مالا لديوان، و لا لمقطع، و إنما يقصد به إزالة الإلباس، و حل الإشكال.

و قال القاضي أبو الحسين: و نسخة الكتاب الذي أنشأه القاضي الفاضل خرجت الأوامر الملكية الناصرية زاد الله في إعلانها بإبداع هذا المنشور إنا نؤثر من حسن النظر ما

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٥٩

يؤثر أحسن الخبر، و لا- ينصرف بنا الفكر عمّا تحلى به السير، و تجلى به الغير، و لا- تزال خواطرنا تعلى فتطلع الدراري، و تغوص فتخرج الدرر، و إن أولى ما استحدثت به البصائر، و حرست فيه المصائر كل أمر يصحح المعاملات و يشرحها، و يطلق عقولهم من عقول الإشكال، و يسرحها، و لما وجب نقل السنة الخراجية، و المطابقة بينها و بين الهلالية، لانفراجهما بسنتين، و موافقة الشهور الخراجية و الهلالية في هذه السنة مطلع المستهلين أمضينا هذه السنة الخالية في هذه السنة الآتية، و استخرنا الله تعالى في نقل سنتي خمس و ست و ستين و خمسمائة إلى سنة سبع و ستين و خمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفا للأموار المشتبهة، و التسمية المموّهة، و تنزيها لسنى الإسلام عن التكبيس، و لتاريخه عن ملابسة التلبيس، و إعلاما بالوفاق الذي استشعرته آباؤها و بنوها،

و إعلانا باتباعه عناية بعوايد السلف التي خلفوها للخلف و بنوها، و في ذلك ما تحمد به العواقب، و تنفسخ به المذاهب، و تيسر به المطالب، و يزول به الإشكال، و يؤمن به الاختلال، و ينحسم به الغلط في الحساب، و يؤلف بين السنين المتلفه الأنساب، و يحفظ على القمر معاملته، و يبعد عن التاريخ معاطلته، و يقرب على الكاتب محاولته، و يصرف عن نعمه الله هجته كونها مقدمه في التسنيه مؤخره في التسميه، و عن معامله بيت المال و صمه كونها معذوقه بالمطل، و قد بالغت في التوفيه لأن من أعطى في سنه سبع و ستين و خمسمائه استحقاق سنه خمس، فلا-ريب أنه قد مطل بحكم السمع، و إن كان قد أنجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنه المباركه بالهلاليه الخراجيه، و ترفع الحسابات بهذا الوضع، و يعمل في التقارير و التسجيلات على هذا، فليفعل في ذلك ما يقضى يارتاج هذا الانفراج، و جبر هذا الصدع، و ليعلم في الدواوين علمه، و لينفذ فيها حكمه بعد ثبوته إلى حيث يثبت مثله إن شاء الله تعالى.

و أما تاريخ العرب: فإنه لم يزل في الجاهليه و الإسلام يعمل بشهور الأهله، و عدّه شهور السنه عندهم: اثنا عشر شهرا، إلا أنهم اختلفوا في أسمائها، فكانت العرب العاربه تسميها: ناطق، و نقيط، و طليق، و اسخ، و أنخ، و حللك، و كسح، و زاهر، و نوط، و حرف، و بغش. فناطق هو: المحرم، و نقيط هو: صفر، و هكذا ما بعده على سرد الشهور.

و كانت ثمود تسميها: موجب، و موجر، و مورد، و ملزم، و مصد، و هوبر، و هوبل، و موها، و ديمر، و دابر، و حيقل، و مسيل، فموجب هو: المحرم، و موجر: صفر، إلا أنهم كانوا يبدأون بالشهور من ديمر، و هو شهر رمضان، فيكون أول شهور السنه عندهم، ثم كانت العرب تسميها بأسماء آخره: مؤتمر، و ناجر، و خوآن، و صوان، و حنتم، و زبا، و الأصم، و عادل، و بايق، و وعل، و هواع، و برك، و معنى المؤتمر: أنه يأتي بركل شئ مما تأتي به السنه من أفضيتها، و ناجر: من النجر، و هو شدّه الحرّ، و خوآن: فعال من الخيانه، و صوان، بكسر الصاد و ضمها: فعال من الصيانه، و الزبا: الداهيه العظيمة المتكاثفه سمي

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٠

بذلك لكثرة القتال فيه، و منهم من يقول: بعد صوان الزبا، و بعد الزبا بائده، و بعد بائده الأصم، ثم واغل، و باطل، و عادل، و رنه، و برك، فالبائد من القتال إذ كان فيه يبيد كثير من الناس، و جرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى و رجب، و كانوا يستعجلون فيه و يتوخون بلوغ النار و الغارات قبل رجب فإنه شهر حرام، و يقولون له الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال، فلا يسمع فيه صوت السلاح، و الواغل الداخل على شرب و لم يدعوه، و ذلك لأنه تهجم على شهر رمضان، و كان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لأن الذي يتلوه هي شهور الحج، و باطل هو مكيال الخمر سمي به لإفراطهم فيه في الشرب، و كثرة استعمالهم لذلك المكيال، و أما العادل فهو من العدل لأنه من أشهر الحج، و كانوا يشتغلون فيه عن الباطل، و أما الزبا فلأن الأنعام كانت تزب فيه لقرب النحر، و أما برك فهو لبروك الإبل إذا حضرت المنحر.

و قد روى: أنهم كانوا يسمون المحرم: مؤتمر، و صفر: ناجر، و ربيع الأول: نصار، و ربيع الآخر: خوان، و جمادى الأولى: حمتن، و جمادى الآخرة: الرنه، و رجب: الأصم و هو شهر مضر، و كانت العرب تصومه في الجاهليه، و كانت تمتاز فيه، و تميز أهلها، و كان يأمن بعضهم بعضا فيه، و يخرجون إلى الأسفار، و لا يخافون، و شعبان: عادل، و رمضان:

ناطق، و شؤال: واغل، و ذو القعدة: هواع، و ذو الحجه: برك، و يقال فيه أيضا: أبروك، و كانوا يسمونه الميمون، ثم سمت العرب أشهرها بالمحرم، و صفر، و ربيع الأول، و ربيع الآخر، و جمادى الأولى، و جمادى الآخرة، و رجب، و شعبان، و رمضان، و شؤال، و ذي القعدة، و ذي الحجه، و اشتقوا أسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها، فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال، و صفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم إلى الغزو، و شهرا ربيع كانا زمن الربيع، و شهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشده البرد، و رجب الوسط، و شعبان يشعب فيه القتال، و رمضان من الرمضاء لأنه كان يأتي فيه القيظ، و شؤال تشيل فيه الإبل أذناها، و ذو القعدة لعودهم في دورهم، و ذو الحجه لأنه شهر الحج، و أنت إذا تأملت اشتقاق أسماء شهور الجاهليه أولا، ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا، فإن صفر في أحدهما هو: صميم الحروب، و في الآخر: رمضان، و لا يمكن ذلك في وقت واحد أو وقتين متقاربين، و

كانت العرب أُولاً تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله أهل الإسلام إما بطريق إلهي، أو لأنّ العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين، فاحتاجت إلى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الأهلة، و جعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين، فربما كان بعض الشهور تاماً أعني ثلاثين يوماً، و ربما كان ناقصاً أعني تسعة و عشرين يوماً، و ربما كانت أشهر متوالية تامّة أكثرها أربعة، و هذا نادر، و ربما كانت أشهر متوالية ناقصة أكثرها ثلاثة، و كان يقع حج العرب في أزمته السنة كلها، و هو أبداً عاشر ذى الحجة من عهد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، فإذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦١

طالبة أماكنها، و أقام أهل مكة بها، فلم يزالوا على ذلك دهرًا طويلاً إلى أن غيروا دين إبراهيم و إسماعيل، فأحبوا أن يتوسعوا في معيشتهم، و يجعلوا حجهم في وقت إدراك شغلهم من الأدم و الجلود و الثمار و نحوها، و أن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الأزمنة، و أخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبي بني إسرائيل، و عملوا النسيء قبل الهجرة بنحو مائتي سنة، و كان الذي يلي النسيء يقال له: القلمس يعني الشريف، و قد اختلف في أول من أنسا الشهور منهم فقيل: القلمس هو:

عدى بن زيد، و قيل: القلمس هو: سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، و إنه قال:

أرى شهور الأهلة ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوماً، و أرى شهور العجم ثلاثمائة و خمسة و ستين يوماً، فبيننا و بينهم أحد عشر يوماً، ففي كل ثلاث سنين ثلاثة و ثلاثون يوماً، ففي كل ثلاث سنين شهر، و كان إذا جاءت ثلاث سنين قدّم الحج في ذى القعدة، فإذا جاءت ثلاث سنين آخر في المحرم، و كانت العرب إذا حجت قلّدت الإبل النعال، و ألبستها الجلال، و أشعتها، فلا يتعرض لها أحد إلّا خثعم، و كان النسيء في بني كنانة، ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة، و كان الذي يلي ذلك منهم: أبو ثمامة المالكي، ثم من بني فقيم، و بنو فقيم هم النساء، و هو منسيء الشهور، و كان يقوم على باب الكعبة، فيقول: إن إلهتكم العزى قد أنسات صفر الأول، و كان يحله عاماً و يحرمه عاماً، و كان يتباعهم على ذلك غطفان و هوازن و سليم و تميم، و آخر النساء: جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم.

و قيل: القلمس هو: حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه السلام أبو ثمامة جنادة، و كانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فأحلّ لهم من الشهور، و حرّم، فأحلوا ما أحلّ و حرّموا ما حرّم، و كان إذا أراد أن ينسى منها شيئاً أحلّ المحرم، فأحلوه، و حرّم مكانه صفر حرّمه ليوأطوا عدّة الأربعة، فإذا أرادوا الهدى اجتمعوا إليه، فقال: اللهم إني لا أجاب، و لا أعاب في أمري و الأمر لما قضيت، اللهم إني قد أحللت دماء المحلين من طي و خثعم، فاقتلوهم حيث ثقتموهم أي ظفرتهم به، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول و أنسات الآخر من العام المقبل، و إنما أحل دم طي و خثعم لأنهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب.

و قيل: أول من أنسا سرير بن ثعلبة، و انقرض فأنسا من بعده ابن أخيه: القلمس و اسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن كنانة، ثم صار النسيء في ولده، و كان آخرهم أبو ثمامة جنادة، و قيل: عوف بن أمية بن قلع عن أبيه أمية بن قلع عن جدّه قلع بن عباد عن المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٢

جدّ أبيه عباد بن حذيفة عن جدّ جدّه حذيفة بن عبد بن فقيم، و كان يقال لحذيفة القلمس، و هو أول من أنسا الشهور على العرب، فأحلّ منها ما أحلّ و حرّم ما حرّم، ثم كان بعد عوف المذكور ولده أبو ثمامة جنادة بن عوف، و عليه قام الإسلام، و كان أبعدهم ذكراً، و أطولهم أمداً يقال: إنه أنسا أربعين سنة، و لهم يقول عمير بن قيس جدل الطعان يفتخر:

و أيّ الناس لم يسبق بوترو أيّ الناس لم يعلك لجاما

ألّسنا الناسين على معدّشهور الحل نجعلها حراما

و قال آخر:

أ تزعم أنى من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت أعلم

لهم ناسئ يمشون تحت لوائه يحل إذا شاء الشهور و يحرم

وقيل: كانت العرب تكبس في كل أربع و عشرين سنة قمرية بتسعة أشهر، فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها، ولا تتقدم و كان النسيء الأول للمحرم، فسمى صفر باسمه، و شهر ربيع الأول باسم صفر، ثم والوا بين أسماء الشهور، فكان النسيء الثانى بصفر، فسمى الذى كان يتلوه بصفر أيضا، و كذلك حتى دار النسيء فى الشهور الاثنى عشر، و عاد إلى المحرم، فأعادوا فعلهم الأول، و كانوا يعدون أدوار النسيء، و يحدون بها الأزمنة، فيقولون: قد دارت السنون من لدن زمان كذا إلى زمان كذا: و كذا دورة، فإن ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الأربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها، و بين سنة القمر الذى ألقوه بها كبسوها كبسا ثانيا، و كان يظهر لهم ذلك بطولع منازل القمر، و سقوطها حتى هاجر النبى صلى الله عليه و سلم، و كانت نوبة النسيء بلغت شعبان، فسمى: محرما، و شهر رمضان: صفر، و قيل: إن الناسىء الأول نسا المحرم، و جعله كبسا، و آخر المحرم إلى صفر، و صفر إلى ربيع الأول، و كذا بقية الشهور، فوقع لهم فى تلك السنة عشر المحرم، و جعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا، و نقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهرا فمضى على ذلك مائتان و عشر سنين، و كان انقضاؤها سنة حجة الوداع، و كان وقوع الحج فى السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذى القعدة، و هى السنة التى حج فيها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس، ثم حجر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذى الحجة كما كان فى عهد إبراهيم و إسماعيل، و لذلك قال صلى الله عليه و سلم فى حجته هذه: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض» يعنى رجوع الحج و الشهور إلى الوضع، و أنزل الله تعالى إبطال النسيء بقوله تعالى: إِنَّمَّا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُّوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ [التوبة/ ٣٧] فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسيء، و استمر وقوع الحج و الصوم برؤية الأهل، و لله الحمد.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٣

و كانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت، فما كانت تؤرخ به، إن كنانة أرخت من موت كعب بن لؤى حتى كان عام الفيل، فأرخوا به، و هو عام مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان بين كعب بن لؤى، و الفيل خمسمائة و عشرون سنة، و كان بين الفيل، و بين الفجار أربعون سنة، ثم عدوا من الفجار إلى وفاة هشام بن المغيرة، فكان ست سنين، ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة إلى بنيان الكعبة، فكان تسع سنين، ثم كان بين بنائها، و بين هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم خمس عشرة سنة.

ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية، فعن سعيد بن المسيب قال: جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من أى يوم يكتب التاريخ؟ فقال على بن أبى طالب:

من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ترك أرض الشرك، ففعله عمر، و عن سهل بن سعد الساعدي قال: أخطأ الناس فى العدد ما عدوا من مبعثه، و لا من وفاته إنما عدوا من مقدمه المدينة، و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، و قال قرّة بن خالد عن محمد: كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر: أما تؤرخون؟ تكتبون فى سنة كذا و كذا من شهر كذا و كذا، فأراد عمر و الناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم قالوا: من عند وفاته، ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة، ثم قالوا: من أى شهر، فأرادوا أن يكون من رمضان، ثم بدا لهم، فقالوا:

من المحرم. و قال ميمون بن مهران: رفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، صك محله شعبان، فقال: أى شعبان هو؟ أشعبان الذى نحن فيه أو الآتى؟ ثم جمع وجوه الصحابة فقال: إن الأموال قد كثرت، و ما قسمنا منها غير مؤقت، فكيف التوصل إلى ما



يضبط به ذلك، فقالوا: يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس، فعندها استحضر عمر رضى الله عنه الهرمزان، و سأله عن ذلك، فقال: إن لنا حسابا نسمة: ماه روز، معناه:

حساب الشهور و الأيام، فعزبوا الكلمة، و قالوا: مؤرخ، ثم جعلوه اسم التاريخ و استعملوه، ثم طلبوا وقتا يجعلونه أولا لتاريخ دولة الإسلام، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة، و كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، و قد تصرّم من شهور السنة، و أيامها المحرّم و صفر، و أيام من ربيع الأول، فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية و ستين يوما، و جعلوا التاريخ من أول محرّم هذه السنة، ثم أحصوا من أول يوم فى المحرّم إلى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكان عشر سنين و شهرين، و أما إذا حسب عمره المقدّس من الهجرة حقيقة، فيكون قد عاش صلى الله عليه و سلم بعدها تسع سنين، و أحد عشر شهرا و اثنين و عشرين يوما، و كان بين مولده صلى الله عليه و سلم و بين مولد المسيح عليه السلام، خمسمائة و ثمان و سبعون سنة تنقص شهرين و ثمانية أيام.

و ابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس أول شهر الله المحرّم، و بينه و بين الطوفان ثلاثة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٤

آلاف و سبعمائة، و خمس و ثلاثون سنة، و عشرة أشهر و اثنين و عشرون يوما على ما عرّفناه من الخلاف فى ذلك، و بينه و بين تاريخ الإسكندر بن فيليبس المقدونى الرومى: تسعمائة و إحدى و ستون سنة قمرية و أربعة و خمسون يوما لتكون من السنين الشمسية تسعمائة و اثنتين و ثلاثين سنة، و مائتين و تسعة و ثمانين يوما عنها تسعة أشهر و تسعة عشر يوما، و بينه و بين تاريخ القبط: ثلاثمائة و سبع و ثلاثون سنة و تسعة و ثلاثون يوما.

و قال ابن ماشا الله: إن انتقال المرمن المثلثة الهوائية التى هى برج الجوزاء دولتها إلى برج السرطان، و مثلثته المائية التى كانت دولة الإسلام فيها عند تمام ستة آلاف و ثلاثمائة و خمس و أربعين سنة و ثلاثة أشهر و عشرين يوما من وقت القران الأول الواقع فى بدء التحرك يعنى خلق آدم عليه السلام، و إن القران من هذه المثلثة وقع فى أربع درج و دقيقة واحدة من برج العقرب، و هو قران الملة الإسلامية، قال: و فى السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان بين دخول الشمس برج الحمل فى هذه السنة، و بين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها إحدى و خمسون سنة، و ثلاثة أشهر و ثمانية أيام و ست عشرة ساعة، فكان من وقت الطوفان إلى وقت قران الملة ثلاثة آلاف و تسعمائة و اثنتا عشرة سنة، و ستة أشهر و أربعة عشر يوما.

و زعمت اليهود أن من آدم عليه السلام إلى سنة الهجرة أربعة آلاف و اثنتين و أربعين سنة و ثلاثة أشهر.

و زعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف و تسعمائة و تسعين سنة و ثلاثة أشهر.

و زعمت المجوس أعنى الفرس أن بينهما أربعة آلاف و مائة و اثنتين و ثمانين سنة و عشرة أشهر، و تسعة عشر يوما، و قد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قمرية، و أيام كل سنة منها عدتها ثلاثمائة و أربعة و خمسون يوما، و خمس و سُدس يوم، و جميع الأحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الإسلام ما عدا الشيعة، فإن الأحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ما ستراه فى ذكر القاهرة و خلفائها، ثم لما احتاج منجمو الإسلام إلى استخراج من لا بد منه من معرفة الأهلّة، و سمت القبلة، و غير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربى، و جعلوا شهور السنة العربية شهرا كاملا، و شهرا ناقصا، و ابتدأوا بالمحرّم اقتداء بالصحابّة رضى الله عنهم، فجعلوا المحرّم ثلاثين يوما، و صفر تسعة و عشرين يوما، و ربيعا الأول ثلاثين يوما، و ربيعا الآخر تسعة و عشرين يوما، و جمادى الأولى ثلاثين يوما، و جمادى الآخرة تسعة و عشرين يوما، و رجب ثلاثين يوما، و شعبان تسعة و عشرين يوما، و رمضان ثلاثين يوما، و شوالا تسعة و عشرين يوما، و ذا القعدة ثلاثين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٥

يوما، و ذا الحجة تسعة و عشرين يوما، و زادوا من أجل كسر اليوم الذى هو خمس و سُدس يوما فى ذى الحجة إذا صار هذا الكسر

أكثر من نصف يوم، فيكون شهر ذى الحجة في تلك السنة ثلاثين يوماً، و يسمون تلك السنة كبيسة، و يصير عددها ثلاثمائة و خمسة و خمسين يوماً، و يجتمع في كل ثلاثين من الكبس أحد عشر يوماً، و الله أعلم.

و أما تاريخ الفرس، و يعرف أيضا بتاريخ يزدجرد، فإنه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهر بار بن كسرى أبرويز، أرخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعد ما تبدد ملك فارس، و استولى عليه النساء، و المتغلبون، و هو أيضا آخر ملوك فارس، و بقتله تمزق ملكهم، و أول هذا التاريخ يوم الثلاثاء، و بينه و بين تاريخ الهجرة تسع سنين، و ثلاثمائة و ثمانية و ثلاثون يوماً، و أيام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم، فيكون في كل مائة و عشرين سنة شهرا واحدا، و لهم في كبس السنة آراء ليس هذا موضع إيرادها، و على هذا التاريخ يعتمد في زمننا أهل العراق و بلاد العجم، و لله عاقبة الأمور.

### ذكر فسطاط مصر

#### إشارة

قال الجوهري: الفسطاط بيت من شعر، قال: و منه فسطاط مدينة مصر، أعلم: أن فسطاط مصر اختط في الإسلام بعد ما فتحت أرض مصر، و صارت دار إسلام، و قد كانت بيد الروم، و القبط و هم نصارى ملكانية، و يعقوبية و ميانية، و حين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسي المملكة من مدينة الإسكندرية بعد ما كانت منزل الملك، و دار الإمارة زيادة على تسعمائة سنة، و صار من حينئذ الفسطاط دار إمارة ينزل به أمراء مصر، فلم يزل على ذلك حتى بنى العسكر بظاهر الفسطاط، فنزل فيه أمراء مصر، و سكنوه، و ربما سكن بعضهم الفسطاط، فلما أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها، و اتخذها الأمراء من بعده منزلا إلى أن انقرضت دولة بني طولون، فصار أمراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط، و ما زالوا على ذلك حتى قدمت عساكر الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد، فبنى القاهرة، و صارت خلافة، و استمر سكنى الرعية بالفسطاط، و بلغ من وفور العمارة، و كثرة الخلائق، ما أربى على عامية مدن المعمور حاشا بغداد، و ما زال على ذلك، حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية، و نزل مخرى ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلاء على مملكة مصر، و أخذ الفسطاط و القاهرة، فعجز الوزير شاور ابن مجير السعدي عن حفظ

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٦

البلدين معا، فأمر الناس بإخلاء مدينة الفسطاط، و اللحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج، و كانت القاهرة إذ ذاك من الحصانة، و الامتناع بحيث لا ترام، فارتحل الناس من الفسطاط، و ساروا بأسرهم إلى القاهرة، و أمر شاور، فألقى العبيد النار في الفسطاط، فلم تزل به بضعا و خمسين يوماً حتى احترقت أكثر مساكنه، فلما رحل مري عن القاهرة، و استولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس إلى الفسطاط، و رموا بعض شعثه، و لم يزل في نقص و خراب إلى يومنا هذا، و قد صار الفسطاط يعرف في زمننا بمدينة مصر، و الله أعلم.

### ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الإسلام إلى أن اختطه المسلمون مدينة

أعلم: أن موضع الفسطاط الذي يقال له اليوم: مدينة مصر كان فضاء و مزارع فيما بين النيل، و الجبل الشرقي الذي يعرف بالجبل المقطم، ليس فيه من البناء، و العمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه: بقصر الشمع، و بالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصر ملوك الروم عند مسيره من مدينة الإسكندرية، و يقيم فيه ما شاء، ثم يعود إلى دار الإمارة، و منزل الملك من الإسكندرية، و كان هذا الحصن مطلا على النيل، و تصل السفن في النيل إلى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد، و منه ركب



المقوقس فى السفن فى النيل من بابه الغربى حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور، و صار فيه إلى الجزيرة التى تجاه الحصن، و هى التى تعرف اليوم: بالروضة قبالة مصر، و كان مقياس النيل بجانب الحصن.

و قال ابن المتوج: و عمود المقياس موجود فى زقاق مسجد ابن النعمان قلت: و هو باق إلى يومنا هذا، أعنى سنة عشرين و ثمانمائة، و كان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة، و سيرد فى هذا الكتاب خبره إن شاء الله تعالى، و كان بجوار هذا الحصن من بحريه، و هى الجهة الشمالية أشجار و كروم صار موضعها الجامع العتيق، و فيما بين الحصن و الجبل عدّة كنائس، و ديارات للنصارى فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة، و بجانب الحصن فيما بين الكروم التى كانت بجانبه، و بين الجرف الذى يعرف اليوم: بجبل يشكر، حيث جامع ابن طولون، و الكبش عدّة كنائس، و ديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف فى أوائل الإسلام بالحمرى، و عرف الآن بخط قناطر السباع و السبع سقايات، و بقى بالحمرى عدّة من الديارات إلى أن هدمت فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون على ما ذكر فى هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى، فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٧

الإسكندرية الفتح الأوّل نزل بجوار هذا الحصن، و اختط الجامع المعروف بالجامع العتيق، و بجامع عمرو بن العاص، و اختط قبائل العرب من حوله، فصارت مدينة عرفت بالفسطاط، و نزل الناس بها، فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن أرض تجاه الحصن و الجامع العتيق، فصار المسلمون يوقفون هناك دوابهم، ثم اختطوا فيه المساكن شيئاً بعد شىء، و صار ساحل البلد حيث الموضع الذى يقال له اليوم فى مصر: المعاريج ماراً إلى الكوم الذى على يسرة الداخل من باب مصر بحدّ الكبارة، و فى موضع هذا الكوم كانت الدور المطلّة على النيل، و يمرّ الساحل من باب مصر المذكور إلى حيث بستان ابن كيسان الذى يعرف اليوم: ببستان الطواشى فى أوّل مراغة مصر، و جميع الأماكن التى تعرف اليوم:

بمراغة مصر و بالجرف إلى الخليج عرضاً، و من حيث قنطرة السدّ إلى سوق المعاريج طولاً، كان غامراً بماء النيل إلى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ستمائة من سنى الهجرة، فصار رملته، ثم اختط فيه الأمراء مما يلى النيل آدرا عند ما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، و اختط بعضه شونا إلى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون جامع المعروف بالجامع الجديد الناصرى ظاهر مصر، فعمر ما حوله، و قد كان عند فتح مصر سائر المواضع التى من منشأة المهرانى إلى بركة الحبش طولاً، و من ساحل النيل بموردة الحلفاء، و تجاه الجامع الجديد إلى سوق المعاريج، و ما على سمتة إلى تجاه المشهد الذى يقال له: مشهد الراس، و تسميه العامّة اليوم: مشهد زين العابدين كلها بحراً لا يحول بين الحصن و الجامع، و ما على سمتهما إلى الحمرى الدنيا التى منها اليوم: خط قناطر السباع، و بين جزيرة مصر التى تعرف اليوم: بالروضة شىء سوى ماء النيل، و جميع ما فى هذه المواضع من الأبنية انكشف عنه النيل قليلاً قليلاً، و اختط على ما يتبين لك فى هذا الكتاب.

### ذكر الحصن الذى يعرف بقصر الشمع

اعلم: أن هذا القصر أحدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر، و قد اختلف فى الوقت الذى بنى فيه، و من أنشأه من الملوك، فذكر الواقدي: أن الذى بناه اسمه: الريان بن الوليد بن أرسلاوس، و كان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر، و ذلك أنه إذا حلّت الشمس فى برج من البروج أوقد فى تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر، فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه إلى برج آخر غيره، و لم يزل القصر على حاله، إلى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلدانى، فأقام خراباً خمسمائة سنة، و لم يبق منه إلا أثره فقط، فلما غلب الروم على مصر، و ملكوها من أيدي اليونانيين، ولى مصر من قبلهم رجل يقال له: أرجاليس بن مقراطيس فبنى القصر على ما وجد من أساسه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٨

وقال ابن سعيد: وصارت مصر و الشام بعد بخت نصر في مملكة الفرس، فوليتها منهم: كشرجوش الفارسيّ باني قصر الشمع، و بعده طخارست الطويل الولاية، و توالى بعده نواب الفرس إلى ظهور الإسكندر، و قال غيره: إن الذي بناه طخشاشت أحد ملوك الفرس عند ما سار لمحاربة أهل مصر، فلما غلب قسطو ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان، و فرّ منه إلى مقدونية غلب على ملك مصر، و استولى عليها و بنى للفرس قصرا، و جعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقيّ، و عرف بقصر الشمع لأنه كان له باب يقال له: باب الشمع، و جعل في القصر بيت نار و هو باق.

وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد: و كانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له: باب اليون، و هو الحصن الذي بفسطاط مصر اليوم، فلما انكشفت جموع فارس عن الروم، و أخرجتهم الروم من الشام أتمت بناء ذلك الحصن، و أقامت به، فلم تنزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال: و كان أبو الأسود نصر بن عبد الجبار يقولها بالميم، يعني باب اليوم، و يقال: إنما سمى كذا لأنهم كانوا يقولون: من يقاتل اليوم.

وقال القضاعيّ: ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال: إن فارس لما ظهرت على الروم و ملكت عليهم الشام، و ملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر، و بنت فيه هيكلا لبيت النار، و لم يتم بناؤه على أيديهم إلى أن ظهرت الروم عليهم، فتمت بناءه و حصنته، و لم تنزل فيه إلى حين الفتح، و هيكل الناس هو القبّة المعروفة اليوم بقبّة الدخان، و بحضرتها مسجد معلق أحدثه المسلمون.

وقال أبو عبيد البكريّ: باب اليون بمصر إن كان عربيا، فإنه مثل يوم، و يوح مما فاؤه ياء، و عينه واو، و قد يجوز أن يكون فعلا من بين، و هو اسم موضع على مذهب أبي الحسن في فعل من البيع بوع قال: و ليست الألف و اللام فيه للتعريف، فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم. و قال أبو صخر:

و حلوا تهامي أرضنا و تبدّلوا بمكّة باب اليون و الربط بالعصب  
و الرواية في شعر كثير عزّة في قوله:

جرى بين باب اليون و العصب دونه رياح أشفت بالنقى و أشمت

بالباء، و بفتح النون غير مجرور للعجمة على أن همزته مقطوعة، وصلها للضرورة. و قال الحازميّ: باب اليون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون، و سموها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٦٩

الفسطاط، و قال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب إليه مصر هو: بابليون بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان و أن من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا، و هو الملك على مصر لما قدم إليها إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه، و القبط تسمى عمرا هذا: طوطيس، و من ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس، و به سميت حلوان.

وقال القاضي القضاعيّ: في ظاهر الفسطاط القصر المعروف باباب ليون بالشرف، ليون اسم بلد مصر بلغة السودان و الروم، و قد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة على طرف الجبل بالشرف، و عليه اليوم مسجد.

قال المؤلف: فهذا كما ترى صريح في أن قصر باب اليون غير قصر الشمع، فإنّ قصر الشمع في داخل الفسطاط، و قصر باب اليون هذا عند القضاعيّ على الجبل المعروف بالشرف، و الشرف خارج الفسطاط، و هو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر، و الله أعلم. و يقال: إنّ في زمن ناحور بن شاروع، و هو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه: أفطوطس مدّة اثنتين و ثلاثين سنة، و أنه أوّل من أظهر علم الحساب و السحر، و حمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين إلى مصر، و في ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر، و ذلك لتمام ثلاثة آلاف و ثلثمائة و تسعين للعالم، و قال ابن سعيد في كتاب المعرب: و أما فسطاط مصر، فإنّ مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس، و جاء الإسلام، و بها بناء يعرف: بالقصر حوله مساكن، و عليه نزل عمرو بن العاص، و ضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه، و هذا و هم من ابن سعيد، فإنّ فسطاط عمرو إنما كان مضروبا عند

درب حمام شموط بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة، و هو أقعد بخط مصر، و أعرف من ابن سعيد، و أما موضع الجامع، فكان كروما و جنانا، و حاز موضعه قيسبة التجيبي، ثم تصدق به على المسلمين، فعمل المسجد، و ستقف على هذا إن شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب.

و قال ابن المتوج: خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع، و فيه قصر الروم و فيه أزقة و دروب، قال: و كنيسة المعلقة بمصر بباب القصر، و هو قصر الروم.

و قال ابن عبد الحكم: و أقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه و وقفه.

و قال أبو عمرو الكندي في كتاب الأمراء: و قد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٠

الحسن بن علي بن أبي طالب، و طروق المسجد في إمارة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة على مصر، و ورد كتاب أبي جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط، و أن يجعل الديوان في كنائس القصر، و ذلك في سنة ست و أربعين و مائة، و الله أعلم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧١

## ذكر حصار المسلمين للقصر و فتح مصر

### إشارة

اختلف الناس في فتح مصر، فقال محمد بن إسحاق، و أبو معشر، و محمد بن عمرو الواقدي، و يزيد بن أبي حبيب، و أبو عمرو الكندي: فتحت سنة عشرين، و قال سيف بن عمر: فتحت سنة ست عشرة، و قيل: فتحت سنة ست و عشرين، و قيل: سنة إحدى و عشرين، و قيل: سنة اثنتين و عشرين، و الأول أصح و أشهر.

قال ابن عبد الحكم: لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الجابية قام إليه عمرو بن العاص، فخلا به، فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر، و حرّضه عليها، و قال: إنك إن فتحها كانت قوّة للمسلمين، و عوناً لهم، و هي أكثر الأرض أموالاً، و أعجز عن القتال و الحرب.

فتخوّف عمر بن الخطاب، و كره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب، و يخبره بحالها، و يهوّن عليه فتحها حتى ركن لذلك، فعقد له على أربعة آلاف رجل، كلهم من عك، و يقال: بل ثلاثة آلاف و خمسمائة، و قال له عمر: سر و أنا مستخير الله في مسيرك، و سيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله تعالى، فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، أو شيئاً من أرضها، فانصرف، و إن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك، و استعن بالله و استنصره.

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل، و لم يشعر به أحد من الناس، و استخار عمر الله، فكأنه تخوّف على المسلمين في وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين، فأدرك عمراً الكتاب إذ هو برفج فتخوّف عمرو إن هو أخذ الكتاب، و فتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول، و دافعه و سار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رنج و العريش، فسأل عنها فقيل: إنها من مصر، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين، فقال عمرو لمن معه: أ لستم تعلمون أنّ هذه القرية من مصر؟ قالوا: بلى، قال: فإن أمير المؤمنين عهد إليّ، و أمرني إن لحقني كتابه،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٢

و لم أدخل أرض مصر أن أرجع، و لم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر، فسيروا، و امضوا على بركة الله.

و يقال: بل كان عمرو بفلسطين، فتقدم عمرو بأصحابه إلى مصر بغير إذن، فكتب فيه إلى عمر رضى الله عنه، فكتب إليه عمر و هو دون العريش، فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش، فقرأه فإذا فيه من عمر بن الخطاب إلى العاصى ابن العاصى: أما بعد، فإنك سرت إلى مصر، و من معك و بها جموع الروم، و إنما معك نفر يسير، و لعمرى لو نكل بك ما سرت بهم، فإن لم تكن بلغت مصر، فارجع. فقال عمرو: الحمد لله أية أرض هذه؟

قالوا: من مصر فتقدم كما هو، و يقال: بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع من كان بها من أجناد المسلمين، و عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ذاك بالجابية، فكتب سراً فاستأذن أن يسير إلى مصر، و أمر أصحابه، فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل إلى منزل قريب، ثم سار بهم ليلاً، فلما فقدته أمراء الأجناد استنكروا الذى فعل، و رأوا أن قد غدر، فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر إلى العاصى ابن العاصى: أما بعد، فإنك قد غررت بمن معك، فإن أدركك كتابى، و لم تدخل مصر فارجع، و إن أدركك، و قد دخلت فامض، و اعلم أنى ممدك.

و يقال: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كتب إلى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام: أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر، فمن خف معك فسر به، و بعث به مع شريك بن عبدة، فندبهم عمرو، فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو، ثم إن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على عمر بن الخطاب، فقال عمر: كتبت إلى عمرو بن العاص يسير إلى مصر من الشام، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين إن عمر لجرىء و فيه إقدام و حب للإمارة، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة و لا جماعة، فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا؟ فندم عمر على كتابه إلى عمرو، و أشفق مما قال عثمان، فكتب إليه: إن أدركك كتابى قبل أن تدخل إلى مصر، فارجع إلى موضعك، و إن كنت دخلت، فامض لوجهك.

فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص إلى مصر توجه إلى موضع الفسطاط، فكان يجهز على عمرو الجيوش، و كان على القصر رجل من الروم يقال له: الأعيرج، واليا عليه، و كان تحت المقوقس، و أقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الجلال نفرت معه راشدة، و قبائل من لحم فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر، فضحى عن أصحابه يومئذ بكبش، و تقدم، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما قاتلته الروم قتالا شديدا نحواً من شهر، ثم فتح

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٣

٢ لله عليه، و كان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ توجه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه، و كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: أبو ميامين، فلما بلغه قدوم عمرو إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة، و إن ملكهم قد انقطع، و يأمرهم بتلقى عمرو.

فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا، ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى نزل القواصر، فسمع رجل من لحم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض: أ لا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم، و إنما هم فى قلعة من الناس، فأجابه رجل منهم فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه، حتى يقتلوا خيرهم، و تقدم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحواً من الشهر حتى فتح الله عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى أتى أم دينين، فقاتلوه بها قتالا شديدا، و أبطأ عليه الفتح، فكتب إلى عمر يستمدّه فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف، و قيل: بل أمدّه باثنى عشر ألفاً، فوصلوا إليه أرسالا يتبع بعضهم بعضاً.

فكان فيهم أربعة آلاف عليهم أربعة: الزبير بن العوام، و المقداد بن الأسود، و عبادة بن الصامت، و مسلمة بن مخلد. و قيل: إن الرابع: خارجه بن حدافة دون مسلمة، ثم أحاط المسلمون بالحصن، و أميره يومئذ المندوقور الذى يقال له: الأعيرج من قبل المقوقس بن قرقت اليونانى، و كان المقوقس ينزل الإسكندرية و هو فى سلطان هرقل غير أنه كان حاضراً لحصن حين حاصره المسلمون، فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن، و جاء رجل إلى عمرو فقال: اندب معى خيلا حتى آتى من دياراتهم عند القتال، فأخرج معه خمسمائة

فارس عليهم: خارجة بن حذافة في قول، فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح، و كانت الروم قد خندقوا خندقا، و جعلوا له أبوابا، و بنوا في أفنيتهما حسك الحديد، فالتقى القوم حين أصبحوا، و خرج خارجة من ورائهم، فانهزموا حتى دخلوا الحصن، و كانوا قد خندقوا حوله، فنزل عمرو على الحصن، و قاتلهم قتالا شديدا يصحبهم و يمسيهم، و قيل: إنه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده، و يعلمه بذلك، فأمدّه بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الألف الزبير بن العوام، و المقداد بن عمرو، و عبادة بن الصامت، و مسلمة بن مخلد، و قيل: بل خارجة بن حذافة لا يعدون مسلمة. و قال عمر: أعلم أنّ معك اثني عشر ألفا، و لا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة.

و قيل: قدم الزبير في اثني عشر ألفا، و إن عمرا لما قدم من الشام كان في عدّة قليلة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٤

فكان يفرّق أصحابه ليرى العدو أنّهم أكثر مما هم، فلما انتهى إلى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت، و إنّما معك من أصحابك كذا و كذا، فلم يخطئوا برجل واحد، فأقام عمرو على ذلك أيّما يغدو في السحر، فيصف أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح، فيبنا هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوام، أنه قدم في اثني عشر ألفا، فتلّقه عمرو، ثم أقبلا يسيران، ثم لم يلبث الزبير أن ركب، ثم طاف بالخندق، ثم فرّق الرجال حول الخندق، و ألح عمرو على القصر، و وضع عليه المنجنيق، و دخل عمرو إلى صاحب الحصن، فتناظرا في شيء مما هم فيه، فقال عمرو: أخرج و أستشير أصحابي، و قد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مرّ به عمرو أن يلقي عليه صخرة فيقتله، فمرّ عمرو، و هو يريد الخروج برجل من العرب، فقال له: قد دخلت، فانظر كيف تخرج؟ فرجع عمرو إلى صاحب الحصن، فقال له: إنني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت، فقال العليج في نفسه: قتل جماعة أحب إليّ من قتل واحد.

و أرسل إلى الذي كان أمره بما أمره به من قتل عمرو أن لا- يتعرّض له، رجاء أن يأتيه بأصحابه، فيقتلهم، فخرج عمرو و عبادة بن الصامت في ناحية يصلى و فرسه عنده، فرآه قوم من الروم، فخرجوا إليه، و عليهم حلية و بزّة، فلما دنوا منه سلّم من صلاته، و وثب على فرسه، ثم حمل عليهم، فلما رأوه وّلّوا راجعين فأتبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم و متاعهم، ليشغلوه بذلك عن طلبهم، و هو لا يلتفت إليه حتى دخلوا الحصن، و رمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع، و لم يتعرّض لشيء مما طرحوا من متاعهم حتى رجع إلى موضعه الذي كان به، فاستقبل الصلاة، و خرج الروم إلى متاعهم يجمعونه، فلما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير: إنني أهب الله نفسي، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلّما إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، ثم صعد، فأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيئوه جميعا، فما شعروا إلّا و الزبير على رأس الحسن يكبر، و معه السيف، و تحامل الناس على السلم، حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر، و كبر الزبير، فكبرت الناس معه، و أجابهم المسلمون من خارج، فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا، فهربوا، و عمد الزبير و أصحابه إلى باب الحصن، ففتحوه، و اقتحم المسلمون الحصن، فخاف المقوقس على نفسه، و من معه.

فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح، و دعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم، فأجابهم عمرو إلى ذلك و كان مكنثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر، قال: و قد سمعت في فتح القصر وجهها آخر، هو أنّ المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم، و أكابر القبط و رؤسائهم، و عليهم المقوقس، فقاتلوهم شهرا، فلما رأى القوم الجّد من العرب على فتحه و الحرص، و رأوا من صبرهم على القتال، و رغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس و جماعة من أكابر

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٥

القبط، و خرجوا من باب القصر القبلي، و دونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة، و أمروا بقطع الجسر، و ذلك في جرى النيل.

و يقال: إنّ الأعيان تخلف في الحصن بعد المقوقس، و قيل: خرج معهم، فلما خاف فتح الحصن ركب هو و أهل القوّة و الشرف، و



كانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة، فأرسل المقوقس إلى عمرو: إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا، و ألحتم على قتالنا و طال مقامكم في أرضنا، و إنما أنتم عصبه يسيرة، و قد أظلتكم الروم، و جهزوا إليكم، و معهم من العدة و السلاح، و قد أحاط بكم هذا النيل، و إنما أنتم أسارى في أيدينا، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم، فلعلة أن يأتي الأمر فيما بيننا و بينكم على ما تحبون و نحب، و ينقطع عنا و عنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفغننا الكلام، و لا نقدر عليه، و لعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم، و رجائكم فابعثوا إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن و هم به من شيء.

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس، حبسهم عنده يومين و ليلتين، حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أترون أنهم يقتلون الرسل، و يستحلون ذلك في دينهم؟

و إنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فردّ عليهم عمرو مع رسله، أنه ليس بيني و بينكم إلّا إحدى ثلاث خصال: إما أن دخلتم في الإسلام، فكنتم إخواننا، و كان لكم ما لنا، و إن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد و أنتم صاغرون، و إما أن جاهدناكم بالصبر و القتال حتى يحكم الله بيننا و بينكم، و هو خير الحاكمين، فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال:

كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا: رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، و التواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة، و لا نهم، إنما جلوسهم على التراب، و أكلهم على ركبهم، و أميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضعهم، و لا السيد منهم من العبد، و إذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء، و يخشعون في صلاتهم، فقال عند ذلك المقوقس: و الذي يحلف به لو أنّ هؤلاء استقبلوا الجبال لأزوها، و ما يقوى على قتال هؤلاء أحد، و لئن لم نغتنم صلحهم اليوم، و هم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم إذ أمكنتهم الأرض، و قووا على الخروج من موضعهم، فردّ إليهم المقوقس رسله: ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم، و تتداعى نحن و هم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا و لكم.

فبعث عمرو بن العاص: عشرة نفر، أحدهم: عبادة بن الصامت، و كان طوله عشرة أشبار، و أمره أن يكون متكلم القوم، و لا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلّا إحدى هذه الثلاث خصال، فإن أمير المؤمنين قد تقدّم إليّ في ذلك، و أمرني أن لا أقبل شيئا سوى خصلته من هذه الثلاث خصال، و كان عبادة أسود، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، و دخلوا عليه تقدّم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٦

عبادة، فهابه المقوقس لسواده، و قال: نحوا عنى هذا الأسود، و قدّموا غيره يكلمنى، فقالوا جميعا: إنّ هذا الأسود أفضلنا رأيا و علما، و هو سيدنا و خيرنا، و المقدم علينا، و إنما نرجع جميعا إلى قوله و رأيه، و قد أمره الأمير دوننا بما أمره، و أمرنا أن لا نخالف رأيه و قوله، قال: و كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، و إنما ينبغى أن يكون هو دونكم؟ قالوا:

كلا إنه و إن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا و أفضلنا سابقه و عقلا و رأيا، و ليس ينكر السواد فينا، فقال المقوقس لعبادة: تقدّم يا أسود، و كلمنى برفق، فإنى أهاب سوادكم و إن اشتدّ كلامك علىّ ازددت لك هيبه، فتقدّم عليه عبادة، فقال:

قد سمعت مقاتلك، و إنّ فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشدّ سوادا منى و أفضع منظرا، و لو رأيتم لكنت أهيب لهم منك لى، و أنا قد وليت و أدبر شبابى، و إنى مع ذلك بحمد الله، ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا، و كذلك أصحابى، و ذلك إنما رغبتنا و همتنا الجهاد فى الله، و إتباع رضوانه، و ليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا، و لا طلب للاستكثار منها إلا أنّ الله عز و جل، قد أحل لنا ذلك، و جعل ما غنمنا من ذلك حلالا، و ما يبالى أحدنا إن كان له قطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما، لأنّ غاية أحدنا من الدنيا أكله يأكلها يسدّ بها جوعه لليلة و نهاره و شمله يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، و إن كان له قطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله، و اقتصر على هذا الذى بيده، و يبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، و رخاءها ليس برخاء، إنما النعيم و الرخاء فى الآخرة، و بذلك أمرنا الله، و أمرنا به نبينا، و عهد إلينا أن لا تكون همه أحدنا من الدنيا إلّا ما يمسك جوعته، و يستر عورته، تكون همته و شغله فى رضوانه و جهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟

لقد هبت منظره، و إن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا و أصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها، ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت، فقال له: أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقاتلك، و ما ذكرت عنك و عن أصحابك، و لعمرى ما بلغت ما بلغت إلا بما ذكرت، و ما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا، و رغبتهم فيها، و قد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم، ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة و الشدة ما يبالي أحدهم من لقي، و لا من قاتل، و إنا لنعلم أنكم لن تقدرنا عليهم، و لن تطيقوهم لضعفكم و قناتكم، و قد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، و أنتم فى ضيق و شدة من معاشكم و حالكم، و نحن نرق عليكم لضعفكم و قناتكم، و قلنا ما بين أيديكم، و نحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٧

و لأمركم مائة دينار، و لخيفتكم ألف دينار، فتقبضونها و تنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به. فقال عبادة بن الصامت: يا هذا لا تغرن نفسك، و لا أصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم و عددهم و كثرتهم، و أنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذى تخوفنا به، و لا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، و إن كان ما قلتم حقا، فذلك و الله أرغب ما يكون فى قتالهم، و أشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه و جنته، و ما شئ أقر لأعيننا، و لا أحب لنا من ذلك، و إنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسينين: إما أن تعظم لنا بذلك غنيمه الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمه الآخرة إن ظفرتم بنا، و لأنها أحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، و إن الله عز و جل قال لنا فى كتابه: كَمِ مِنْ قَلِيلَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة/ ٢٤٩].

و ما منا رجل إلا و هو يدعو ربه صباحا و مساء أن يرزقه الشهادة، و أن لا يردّه إلى بلده، و لا إلى أرضه، و لا إلى أهله و ولده، و ليس لأحد منا همّ فيمات خلفه، و قد استودع كل واحد منا ربّه أهله و ولده، و إنما همنا ما أمامنا، و أما قولك: إنا فى ضيق و شدة من معاشنا و حالنا، فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه، فانظر الذى تريد فيه فينبه لنا، فليس بيننا و بينك خصلة نقبلها منك، و لا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيتها شئت، و لا تطمع نفسك فى الباطل، بذلك أمرنى الأمير، و بها أمره أمير المؤمنين و هو عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل إلينا، إما إن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره، و هو دين أنبيائه و رسله و ملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه، و رغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا، و عليه ما علينا، و كان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت و أصحابك، فقد سعدتم فى الدنيا و الآخرة، و رجعنا عن قتالكم، و لم نستحل أذاكم، و لا التعرض لكم، و إن أبيتم إلا الجزية، فأدوا إلينا الجزية عن يد و أنتم صاغرون، و أن نعاملكم على شئ نرضى به نحن، و أنتم فى كل عام أبدا ما بقينا، و بقيتم و نقاتل عنكم من ناواكم، و عرض لكم فى شئ من أرضكم و دمائكم و أموالكم، و نقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمتنا، و كان لكم به عهد علينا، و إن أبيتم فليس بيننا و بينكم إلا المحاكمة بالسيف، حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم، هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به، و لا يجوز لنا فيما بيننا و بينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس: هذا ما لا يكون أبدا ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٨

فقال له عبادة: هو ذاك، فاختر لنفسك ما شئت. فقال المقوقس: أ فلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال؟ فرجع عبادة يديه إلى السماء فقال: لا و رب هذه السماء، و رب هذه الأرض، و رب كل شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاخترنا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال: قد فرغ القوم، فما ترون؟ فقالوا:



أو يرضى أحد بهذا الذل! أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم، فهذا لا يكون أبداً أن نترك دين المسيح ابن مريم، و ندخل في دين غيره لا نعرفه، و أما ما أرادوا أن يسبوننا و يجعلونا عبيداً، فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا.

فقال المقوقس لعباده: قد أبى القوم، فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم في مَرْتَكَم هذه، ما تمنيتم و تنصرفون، فقال عباده و أصحابه: لا، فقال المقوقس عند ذلك:

أطيعوني و أجيئوا القوم إلى خصله من هذه الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة، و لئن لم تجيئوا إليها طائعين لتجيبهم إلى ما هو أعظم كارهين، فقالوا: و أى خصله تجيبهم إليها؟ قال: إذا أخبركم، أما دخولكم في غير دينكم فلا آمركم به، و أما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقبوا عليهم، و لن تصبروا صبرهم، و لا بدّ من الثالثة، قالوا: فنكون لهم عبيداً أبداً؟ قال: نعم تكونون عبيداً مسليطين في بلادكم آمنين على أنفسكم و أموالكم و ذرائعكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم، و تكونوا عبيداً تباعوا، و تمزقوا في البلاد مستعبدين أبداً أنتم، و أهليكم و ذرائعكم، قالوا: فالموت أهون علينا، و أمروا بقطع الجسر من الفسطاط، و بالجزيرة و بالقصر من جمع القبط و الروم كثير.

فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم، و أمكن الله منهم، فقتل منهم خلق كثير، و أسر من أسر و انجرت السفن كلها إلى الجزيرة، و صار المسلمون يراقبونهم، و قد أحرق بهم الماء من كل وجه لا يقدر على أن ينفذوا نحو الصعيد، و لا إلى غير ذلك من المدن و القرى، و المقوقس يقول لأصحابه: ألم أعلمكم و أخافه عليكم! ما تنتظرون! فوالله لتجيبهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتجيبهم إلى ما هو أعظم منه كرهاً، فأطيعوني من قبل أن تندموا، فلما رأوا منهم ما رأوا، و قال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزية و رضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه.

و أرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: إنى لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصله من تلك الخصال التي أرسلت إليّ بها، فأبى عليّ من حضرنى من الروم و القبط، فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم، و قد عرفوا نصحى لهم، و حبى صلاحهم، و رجعوا إلى قولى، فأعطينى أماناً أجمع أنا و أنت، أنا فى نفر من أصحابى، و أنت فى نفر من

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٧٩

أصحابك، فإن استقام الأمر بيننا تمّ ذلك جميعاً، و إن لم يتمّ رجعتنا إلى ما كنا عليه.

فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك فقالوا: لا نجيبهم إلى شىء من الصلح و لا الجزية حتى يفتح الله علينا، و تصير الأرض كلها لنا فينا و غنيمه، كما صار لنا القصر و ما فيه، فقال عمرو: قد علمتم ما عهد إليّ أمير المؤمنين فى عهده، فإن أجابوا إلى خصله من الخصال الثلاث التى عهد إليّ فيها أجبتهم إليها، و قبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا، و بين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم، و اصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها و أسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم و وضعهم، ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفانى، و لا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، و لا على النساء شىء، و على أن للمسلمين عليهم لنزل بجماعتهم حيث نزلوا، و من نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، و أن لهم أرضهم و أموالهم لا تعرّض لهم فى شىء منها، فشرط ذلك كله على القبط خاصة، و أحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية، و فرض عليهم الديناران، رفع ذلك عرفاؤهم بالإيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها و أسفلها من جميع القبط فيما أحصوا، و كتبوا و رفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة.

و قال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي: لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط، ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة، و لا شيخ و لا صبى، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين، فبلغت عدّتهم ثمانية آلاف ألف، قال:

و شرط المقوقس للروم أن يخيروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا، أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن أقام بالإسكندرية، و ما حولها من أرض مصر كلها، و من أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، و على أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة، حتى يكتب إلى ملك الروم، و يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك، و رضيه جاز عليهم، و إلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه، و كتبوا به كتابا، و كتب المقوقس إلى ملك الروم كتابا يعلمه بالأمر كله.

فكتب إليه ملك الروم: يقبح رأيه، و يعجزه و يردّ عليه ما فعل، و يقول في كتابه: إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا، و بمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى، فإن كان القبط كرهوا القتال، و أحبوا أداء الجزية إلى العرب، و اختاروهم علينا، فإن عندكم بمصر من الروم و بالإسكندرية، و من معك أكثر من مائة ألف معهم العدة و القوة و العرب و حالهم،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٠

و ضعفهم على ما قد رأيت، فيجرت عن قتالهم، و رضيت أن تكون أنت و من معك من الروم في حال القبط أذلاء فقالتهم أنت و من معك من الروم، حتى تموت أو تظهر عليهم، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم، و قوتكم و على قدر قتلهم، و ضعفهم كاكله، ناهضهم القتال، و لا يكن لك رأى غير ذلك، و كتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم، فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم: و الله أعلم إنهم على قتلهم و ضعفهم أقوى و أشدّ منا على قوتنا، و كثرنا إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، و ذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم، و هو مستقبل يتمنى أن لا يرجع إلى أهله و لا بلده، و لا ولده و يرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوه منا، و يقولون أنهم إن قتلوا دخلوا الجنة، و ليس لهم رغبة في الدنيا، و لا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام، و اللباس، و نحن قوم نكره الموت، و نحب الحياة و لذتها، فكيف نستقيم نحن و هؤلاء؟ و كيف صبرنا معهم، و اعلموا معشر الروم، و الله إنى لا أخرج مما دخلت فيه، و لا صالحت العرب عليه، و إنى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولى و رأيى و تتمنون أن لو كنتم أتعتموني، و ذلك أنى قد عاينت و رأيت، و عرفت ما لم يعاين الملك، و لم يره، و لم يعرفه أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا في دهره على نفسه، و ماله و ولده بدينارين في السنة.

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو، فقال له: إن الملك قد كره ما فعلت، و عجزنى و كتب إلى و إلى جماعة الروم: أن لا نرضى بمصالحتك، و أمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم، و لم أكن لأخرج عما دخلت فيه، و عاقدتك عليه، و إنما سلطاني على نفسي، و من أطاعنى و قد تمّ صلح القبط فيما بينك و بينهم، و لم يأت من قبلهم نقض، و أنا متمّ لك على نفسي، و القبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه و عاقدتهم، و أما الروم فأنا منهم برىء، و أنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال، لا تنقض بالقبط، و أدخلنى معهم، و ألزمنى ما لزمهم، و قد اجتمعت كلمتى و كلمتهم على ما عاقدتك عليه، فهم متمون لك على ما تحب، و أمّا الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم، فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا و عبيدا، فإنهم أهل ذلك لأنى نصحتهم فاستغشونى، و نظرت لهم، فاتهمونى و أما الثالثة: أطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم أن يدفنوني بجسر الإسكندرية، فأنعم له عمرو بذلك، و أجابه إلى ما طلب على أن يضمّنوا له الجسرين جميعا، و يقيموا لهم الأنزال و الضيافة، و الأسواق و الجسور، ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية، ففعلوا.

و صارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث. و قال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح: فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن، فحاصره حتى سأله أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت، و يفتحوا له الحصن، ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينار و جبة و برنسا و عمامة و خفين، و سأله: أن يأذن لهم أن يهيئوا له و لأصحابه صنيعا، ففعل، و أمر عمرو أصحابه فتهيئوا و لبسوا البرود، ثم أقبلوا فلما فرغوا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨١

من طعامهم سألهم عمرو: كم أنفقتم؟ قالوا: عشرين ألف دينار، قال عمرو: لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم أدوا إلينا عشرين ألف

دينار، فجاءه النفر من القبط، فاستأذنوه إلى قراهم و أهليهم، فقال لهم عمرو: كيف رأيتم أمرنا؟ قالوا: لم نر إلّا حسنا، فقال الرجل الذي قال في المرّة الأولى: إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا، فغضب عمرو، و أمر به فطلب إليه أصحابه، و أخبروه أنه لا يدري ما يقول، حتى خلصوه.

فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أرسل في طلب ذلك القبطي، فوجده قد هلك، فعجب عمرو من قوله و يقال: إن عمرو بن العاص قال: فلما طعن عمر بن الخطاب، قلت هو ما قال القبطي، فلما حدثت أنه إنما قتله أبو لؤلؤة رجل نصراني قلت: لم يعن هذا إنما عني من قتله المسلمون، فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال الرجل حق، فلما فرغ القبط من صنيعهم، أمر عمرو بن العاص بطعام، فصنع لهم و أمرهم أن يحضروا لذلك، فصنع لهم الثريد و العراق، و أمر أصحابه بلباس الأكسية، و اشتمال الصماء و القعود على الركب، فلما حضرت الروم، وضعوا كراسي الديباج، فجلسوا عليها، و جلست العرب إلى جوانبهم، فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد، و ينهش من ذلك اللحم، فيتطير على من إلى جنبه من الروم، فبشعت الروم ذلك، و قالت: أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل؟ فقيل لهم: أولئك أصحاب المشورة، و هؤلاء أصحاب الحرب.

و قال الكندي: و ذكر يزيد بن أبي حبيب: أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا و خمسمائة، و ذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص: أن الذي جرت سهمانهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا و ثلثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل و الموت، و يقال: إن الذين قتلوا في هذا الحصار من المسلمين دفنوا في أصل الحصن. و ذكر القضاة: أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين، و قيل: فتحت سنة ست عشرة، و هو قول الواقدي، و قيل: فتحت و الإسكندرية سنة خمس و عشرين، و الأ-كثر على أنها فتحت قبل عام الزمادة، و كانت الزمادة في آخر سنة سبع عشرة، و أول ثمان عشرة.

### ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصلح أو عنوة؟

و قد اختلف في فتح مصر، فقال قوم: فتحت صلحا، و قال آخرون: إنما فتحت عنوة، فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح، فإن حسين بن شفى قال: لما فتح عمرو بن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٢

العاص الإسكندرية بقي من الأسارى بها ممن بلغ الخراج، و أحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء و الصبيان، فاختلف الناس على عمرو في قسمهم، فكان أكثر المسلمين يريد قسمها، فقال عمرو: لا أقدر على قسمها، حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه يعلمه بفتحها و شأنها، و أن المسلمين طلبوا قسمها، فكتب إليه عمر رضى الله عنه: لا تقسمها، و ذرهم يكون خراجهم فينا للمسلمين، و قوّة لهم على جهاد عدوهم، فأقرها عمرو، و أحصى أهلها، و فرض عليهم الخراج، فكانت مصر كلها صلحا بفريضة: دينارين دينارين، إلّا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض و الزرع إلّا الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدّون الخراج و الجزية على قدر ما يرى من وليهم، لأنّ الإسكندرية فتحت عنوة بغير عهد، و لا عقد، و لم يكن لهم صلح و لا ذمّة.

و قال الليث عن يزيد بن أبي حبيب: مصر كلها صلح إلّا الإسكندرية فإنها فتحت عنوة.

و قال عبد الله بن أبي جعفر: حدثني رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال: للقبط عهد عند فلان، و عهد عن فلان، فسمى ثلاثة نفر، و في رواية: إن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم، و في رواية: سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر، قلت له: فإن ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد، فقال: ما يبالي أن لا يصلى من قال: إنه ليس لهم عهد، فقلت: فهل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم، كتب ثلاثة: كتاب عند ظلما صاحب إخنا، و كتاب عند قرمان صاحب رشيد، و كتاب عند بحنس صاحب البرلس؛ قلت: كيف كان صلحهم؟ قال:

دينارين على كل إنسان جزية، و أرزاق المسلمين، قلت: فتعلم ما كان من الشروط؟ قال:

نعم، ستة شروط: لا يخرجون من ديارهم، و لا تتزع نساؤهم، و لا كفورهم، و لا أراضيهم، و لا يزداد عليهم.

و قال يزيد بن أبي حبيب عن أبي جمعة مولى عقبه قال: كتب عقبه بن عامر إلى معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه: يسأله أرضا يسترفق بها عند قرية عقبه، فكتب له معاوية: بألف ذراع في ألف ذراع، فقال له مولى له كان عنده: انظر أصلحك الله أرضا صالحه، فقال له عقبه: ليس لنا ذلك إن في عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من أنفسهم شيء، و لا من نساءهم، و لا من أولادهم، و لا يزداد عليهم، و يدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم، و أنا شاهد لهم بذلك.

و عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطان: أنه كان لقريات من مصر منهن:

أم دنين و بلهيت عهد، و إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك، كتب إلى عمرو يأمره أن يخبرهم، فإن دخلوا في الإسلام فذاك، و إن كرهوا فارددهم إلى قراهم، و قال يحيى بن أيوب و خالد بن حميد: ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الإسكندرية، و ثلاث

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٣

قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس و مصيل و بلهيت، فإنه كان للروم جمع، فظاهروا الروم على المسلمين، فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها، و قالوا: هؤلاء لنا فيء مع الإسكندرية، فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فكتب إليه عمر: أن يجعل الإسكندرية، و هؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين، و يضربون عليهم الخراج، و يكون خراجهم، و ما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيئا، و لا عبيدا، ففعلوا ذلك إلى اليوم.

و قال آخرون: بل فتحت مصر عنوة بلا عهد، و لا عقد. قال سفيان بن وهب الخولاني: لما افتتحننا مصر بغير عهد، و لا عقد، قام الزبير بن العوام فقال: أقسمها يا عمرو بن العاص، فقال عمرو: و الله لا أقسمها، فقال الزبير: و الله لنقسمنها، كما قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم خير، فقال عمرو: و الله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أقرها حتى يغزو منها حبل الحبله، و صلح الزبير على شيء أرضى به، و قال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة: إن مصر فتحت عنوة، و عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: سمعت أبا حنيفة يقولون: إن مصر فتحت عنوة بغير عهد، و لا عقد منهم، أبي يحدثنا عن أبيه، و كان فيمن شهد فتح مصر، و عن أبي الأسود عن عروة: إن مصر فتحت عنوة، و عن عمرو بن العاص أنه قال: لقد قعدت مقعدى هذا، و ما لأحد من قبط مصر على عهد، و لا عقد إلا أهل أنطابلس كان لهم عهد يوفى به إن شئت قبلت، و إن شئت خمست، و إن شئت بعت. و عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد، و لا عقد، و أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درها و ضرعها أن يخرج منه شيء نظرا للإسلام و أهله.

و عن يزيد بن أسلم قال: كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه و بين أحد ممن عاهد، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد، فمن أسلم منهم أقامه و من أقام منهم قومه، و كتب حيان بن شريح إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم، فسأل عمر عراك بن مالك، فقال عراك: ما سمعت لهم بعهد و لا عقد، و إنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد، فكتب عمر إلى حيان: أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم، و قال يحيى بن عبد الله بن بكير: خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الإسكندرية في سفينة، فاحتاج إلى رجل يجذف، فسخر رجلا من القبط، فكلم في

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٤

ذلك، فقال: إنما هم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم.

و قال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم: إنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح: أن مصر فتحت عنوة بغير عهد و لا عقد.

و عن عبيد الله بن أبي جعفر: أن كاتب حيان حدثه: أنه احتجج إلى خشب لصناعة الجزيرة، فكتب حيان إلى عمر بن عبد العزيز يذكر

ذلك له، و أنه وجد خشبا عند بعض أهل الذمّة، و أنه كره أن يأخذها منهم حتى يعلمه، فكتب إليه عمر: خذها منهم بقيمة عدل، فإنني لم أجد لأهل مصر عهدا أفي لهم به، و قال عمر بن عبد العزيز لسالم: أنت تقول ليس لأهل مصر عهد؟ قال: نعم. و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: أنّ عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر، فيموت أحدهم، و ليس له وارث، فكتب إليه عمر: أن من كان منهم له عقب، فادفع ميراثه إلى عقبه، فإن لم يكن له عقب، فاجعل ماله في بيت مال المسلمين، فإن ولاءه للمسلمين.

و قال ابن شهاب: كان فتح مصر بعضها بعهد و ذمّة، و بعضها عنوة، فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمّة، و حملهم على ذلك، فمضى ذلك فيهم إلى اليوم، و اشترى الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لأنه كان يحدث عن يزيد بن أبي حبيب: أن مصر صلح، و كان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك، و أنكر عليه أيضا عبد الله بن لهيعة، و نافع بن يزيد لأنّ مصر عندهم كانت عنوة.

### ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم

قال ابن عبد الحكم: و كان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم من قريش و غيرهم، و ممن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه و سلّم صحبة الزبير بن العوّام، و سعد بن أبي وقاص، و عمرو بن العاص، و كان أمير القوم، و عبد الله بن عمرو، و خارجة ابن حذافة العدويّ، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، و قيس بن أبي العاص السهميّ، و المقداد بن الأسود، و عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح العامريّ، و نافع بن عبد قيس الفهريّ، و يقال: بل هو عقبه بن نافع، و أبو عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهريّ، و أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلّم، و ابن عبدة، و ابن عبد الرحمن و ربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة، و وردان مولى عمرو بن العاص، و كان حامل لواء عمرو بن العاص و قد اختلف في سعد بن أبي وقاص، فقيل: إنما دخلها بعد الفتح، و شهد الفتح من الأنصار عبادة بن الصامت، و قد شهد بدرًا و بيعة العقبة، و محمد بن مسلمة الأنصاريّ، و قد شهد بدرًا و هو الذي بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مصر، فقاسم عمرو بن العاص ماله، و هو أحد من كان سعد الحصن مع الزبير بن العوّام، و مسلمة بن مخلد الأنصاريّ، يقال له: صحبة، و أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاريّ، و أبو الدرداء عويمر بن عامر، و قيل: عويمر بن زيد، و من أحياء

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٥

القبائل أبو نصره جميل بن نصره الغفاريّ، و أبو ذر جندب بن جنادة الغفاريّ، و شهد الفتح مع عمرو بن العاص: هيب بن معقل، و إليه ينسب وادى هيب الذي بالمغرب، و عبد الله ابن الحارث ابن جزء الزبيديّ، و كعب بن ضبة العبسيّ، و يقال: كعب بن يسار بن ضبة، و عقبه بن عامر الجهنيّ، و هو كان رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إلى لم يكن دخل أرض مصر، و أبو زمعة البلويّ و برح بن حسكر و يقال: برح بن عسكر.

و شهد فتح مصر و اختط بها، و جنادة بن أبي أمية الأزديّ، و سفيان بن وهب الخولانيّ، و له صحبة، و معاوية بن خديج الكنديّ، و هو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية، و قد اختلف فيه، فقال قوم: له صحبة، و قال آخرون: ليست له صحبة، و عامر مولى حمل الذي يقال له: عامر حمل شهد الفتح، و هو مملوك، و عمار بن يسار، و لكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان ووجه إليها في بعض أموره. و قال ابن عبد الحكم: منهم من اختط بالبلد، فذكرنا خطته، و منهم من لم يذكر له خطه، قال: فاخط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق، و داره الأخرى اللاصقة إلى جنبها، و فيها دفن عبد الله بن عمرو، فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد، و الحمام الذي يقال له حمام الفار، و إنما قيل له: حمام الفار لأنّ حمامات الروم كانت ديماسات كبارا، فلما نبى هذا الحمام، و رأوا صغره قالوا: من يدخل هذا؟ هذا حمام الفار.

### ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط

## إشارة

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب: أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية، و رأى بيوتها، و بناءها مفروغا منها، هم أن يسكنها، و قال: مساكن قد كفيناها، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك، فسأل عمر الرسول: هل يحول بينى و بين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا جرى النيل، فكتب عمر إلى عمرو: إنى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى و بينهم فى شتاء و لا صيف، فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط، قال: و كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص، و هو نازل بمدائن كسرى، و إلى عامله بالبصرة، و إلى عمرو بن العاص، و هو نازل بالإسكندرية: أن لا تجعلوا بينى و بينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت، فتحول سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة، و تحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه، فنزل البصرة، و تحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٦

قال: و إنما سميت الفسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم، أمر بنزع فسطاطه، فإذا فيه يمام قد فرخ، فقال عمرو: لقد تحزمت منا بمتحزمت، فأمر به فأقر كما هو، و أوصى به صاحب القصر، فلما قفل المسلمون من الإسكندرية قالوا: أين نزل؟ قالوا: الفسطاط، لفسطاط عمرو الذى كان خلفه، و كان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة.

قال الشريف محمد بن أسعد الجوائى: كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع، و قال ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث فى حديث النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:

«عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط» يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم.

و الفسطاط: المدينة، و كل مدينة: فسطاط، و لذلك قيل لمصر: فسطاط. و قال البكرى: الفسطاط بضم أوله و كسره و إسكان ثانيه: اسم لمصر، و يقال: فسطاط و بسطاط.

قال المطرّزى: و فسطاد، و فستاد، و بكسر أوائل جميعها، فهى عشر لغات. و قال ابن قتيبة:

كل مدينة فسطاط، و ذكر حديث: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الفسطاط، و أخبرنى أبو حاتم عن الأصمعى أنه قال: حدّثنى رجل من بنى تميم قال: قرأت فى كتاب رجل من قريش: هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد، اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط، يريد البصرة، و منه قول الشعبى فى الآبق إذا أخذ فى الفسطاط عشرة، و إذا أخذ خارجا عن الفسطاط أربعون، و أراد أن يد الله على أهل الأمصار و أن من شد عنهم، و فارقهم فى رأى فقد خرج عن يد الله، و فى ذلك آثار، و الله أعلم.

## ذكر الخط التى كانت بمدينة الفسطاط

أعلم: أن الخط التى كانت بمدينة فسطاط مصر، بمنزلة الحارات التى هى اليوم بالقاهرة، فقيل لتلك فى مصر: خطه، و قيل لها فى القاهرة: حاره.

قال القضاعى: و لما رجع عمرو من الإسكندرية، و نزل موضع فسطاطه، انضمت القبائل بعضها إلى بعض، و تنافسوا فى المواضع، فولى عمرو على الخطط: معاوية بن خديج التجيبى، و شريك بن سمى الغطيفى، و عمرو بن قحزم الخولانى، و حيويل بن ناشزة المغافرى، و كانوا هم الذين أنزلوا الناس، و فصلوا بين القبائل، و ذلك فى سنة إحدى و عشرين.



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٧

خطه أهل الرابية: أهل الرابية جماعة من قريش، و الأنصار و خزاعة، و أسلم، و غفار، و مزينة، و أشجع، و جهينة، و ثقيف، و دوس، و عبس بن بغيض، و حرش من بني كنانة، و ليث بن بكر، و العتقاء منهم إلا أن منزل العتقاء في غير الرابية، و إنما سمو أهل الرابية، و نسبت الخطه إليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته، فجعل لهم عمرو بن العاص رابية، و لم ينسبها إلى أحد فقال: يكون موقفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، و كان ديوانهم عليها، و كان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه و سلم من الولاية بينهم، و هذه الخطه محيطه بالجامع من جميع جوانبه، ابتدأوا من المصنف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن، و هو باب الحصن الذي يقال له: باب الشمع، ثم مضوا بخطتهم إلى حمام الفار، و شرعوا بغربها إلى النيل، فإذا بلغت إلى النحاسين، فالجانبان لأهل الرابية إلى باب المسجد الجامع المعروف: بباب الوراقين، ثم يسلك على حمام شمول، و في هذه الخطه زقاق القناديل إلى تربة عفان إلى سوق الحمام إلى باب القصر الذي بدأنا بذكره.

خطه مهرة: بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير: و خطه مهرة هذه قبلي خطه الرابية، و اختطت مهرة أيضا على سفح الجبل الذي يقال له: جبل يشكر مما يلي الخندق إلى شرقي العسكر إلى جنان بني مسكين، و من جملة خطه مهرة الموضع الذي يعرف اليوم بمساطب الطباخ، و اسمه حمد، و يقال: إن الخطه التي لهم قبلي الرابية كانت حوزا لهم يربطون فيها خيلهم إذا رجعوا إلى الجمعة، ثم انقطعوا إليها، و تركوا منازلهم يشكر.

خطه تجيب: و تجيب هم بنو عدى، و سعد ابني الأشرس بن شبيب بن السكن بن الأشرس بن كنده، فمن كان من ولد عدى، و سعد يقال لهم: تجيب، و تجيب: أمهم، و هذه الخطه تلي خطه مهرة، و فيها درب المصوصة آخره حائط من الحصن الشرقي.

و

خطط لحم في موضعين: فمنها خطه لحم بن عدى بن مرة بن أدد، و من خالطها من جذام، فابتدأت لحم بخطتها من الذي انتهت إليه خطه الرابية و أصعدت ذات الشمال، و في هذه الخطه سوق بربر، و شارع مختلط فيما بين لحم، و الرابية و لهم خطتان أخريان، إحداهما منسوبة إلى بني رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشد من لحم، و أولها شرقي الكنيسة المعروفة: بمكائيل التي عند خليج بني وائل، و هذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر، و الخطه الثانية: خطه راشد بن أدب بن جزيه من لحم، و هي متاخمة للخطه التي قبلها، و في هذه الخطه جامع راشد، و جنان كهمس بن معمر الذي عرف: بالمادراني، ثم عرف بجنان الأمير تميم، و هو اليوم يقال له: المعشوق بجوار الآثار النبوية، و لهم مواضع مع الليف، و خطط أيضا بالحمراء.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٨

خطط الليف: إنما سمو بذلك لانتفات بعضهم ببعض، و سبب ذلك: أن عمرو بن العاص، لما فتح الإسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت إلى الإسكندرية لقتال المسلمين، فبعث عمرو بعمر بن جماله الأزدي الحجري ليأتيه بالخبر، فمضى و أسرعت هذه القبائل التي تدعى الليف، و تعاقدوا على اللحاق به، و استأذنوا عمرو بن العاص في ذلك، فأذن لهم و هم جمع كثير، فلما رأهم عمرو بن جماله استكثرهم، و قال: تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم، و إنكم كما قال الله تعالى: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا [الإسراء/ ١٠٤] فبذلك سموا من يومئذ الليف، و سألو عمرو بن العاص: أن يفردهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك، فقالوا لعمر: فإننا نجتمع في المنزل حيث كنا، فأجابهم إلى ذلك، فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان إذا دعى كل بطن منهم، انضم إلى بني أبيه.

قال قتادة و مجاهد و الضحاك بن مزاحم في قوله: جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا [الإسراء/ ١٠٤] قال: جميعا، و كان عامتهم من الأزد من الحجر، و



من غسان، و من شجاعة، و التف بهم نفر من جذام و لحم و الزحاف، و تنوخ من قضاة، فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان، و هذه الخطئة أولها مما يلي الراية سالكا ذات الشمال إلى نقاشى البلاط، و فيها دار ابن عشرات إلى نحو من سوق وردان. المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت؛ ج ٢؛ ص ٨٨

ط أهل الظاهر: إنما سمي هذا المنزل بالظاهر، لأن القبائل التي نزلته كانت بالإسكندرية، ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص، و بعد أن اختط الناس خططهم، فخاصمت إلى عمرو، فقال لهم معاوية بن خديج: و كان ممن يتولى الخطط يومئذ أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل، فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك، و كانت القبائل التي نزلت الظاهر العتقاء، و هم جماع من القبائل، كانوا يقطعون على أيام النبي صلى الله عليه و سلم، فبعث إليهم، فأتى بهم أسرى، فأعتقهم، فقبل لهم: العتقاء، و ديوانهم مع أهل الراية، و خطتهم بالظاهر متوسطة فيه، و كان فيهم طوائف من الأزد و فهم، و أول هذه الخطئة من شرقي خطة لحم، و تتصل بموضع العسكر، و من هذه الخطئة سويقة العراقيين، و عرفت بذلك و ن زيادا لما و لاه معاوية بن أبي سفيان البصرة، و غرب جماعة من الأزد إلى مصر، و بها مسلمة بن مخلد في سنة ثلاث و خمسين، فنزل منهم هنا نحو من مائة و ثلاثين، فقبل لموضعهم من خطة الظاهر: سويقة العراقيين. خطط غافق: هو غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، و هذه الخطئة تلي خطة لحم إلى خطة الظاهر، بجوار درب الأعلام.

خطط الصدق: و اسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير، و دعوتهم مع كنده.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٨٩

خطط الفارسيين: و استبدت بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين، و هم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام، أسلموا بالشأم، و رغبوا في الجهاد، فنفروا مع عمرو بن العاص إلى مصر، فاختطوا بها، و أخذوا في سفح الجبل الذي يقال له: جبل باب البون، و هذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالأرض الصفراء، و هي من جملة العسكر. خطة مذحج: بالحاء قبل الجيم، و هو مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان. خطة غطيف: بن مراد.

خطة و علان: بن قرن بن ناجية بن مراد، و كلهم من مذحج، فاختطت و علان من الزقاق الذي فيه الصنم المعروف بسرية فرعون، و هذا الزقاق أوله باب السوق الكبير، و اختطت أيضا بجولان، ثم انفردت و علان بخططها مقابل المسجد المعروف: بالدينوري، و أسندت إلى خولان، و هذه الخطة اليوم: كيما تطل على قبر القاضي بكار.

خطة يحصب: بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث، و هذه الخطة موضعها: كيما، و هي تتصل بالشرف الذي يعرف اليوم: بالرصد المطل على راشدة.

خطة رعين: بن زيد بن سهل.

خطة ذى الكلاع: بن شريحيل بن سعد من حمير.

خطة المغافر: بن يعفر بن مرة بن أدد، و هذه الخطة من الرصد إلى قايه بن طولون، و هي القناطر التي تطل على عفسة، و تفصل بين القرافتين و القناطر للمغافر، و لهم إلى مصلى خولان، و إلى الكوم المشرف على المصلى.

خطة سبا و خطة الرحبة: بن زرع بن كعب.

خطة السلف بن سعد: فيما بين الكوم المطل على القاضي بكار، و بين المغافر.

خطة بنى وائل: بن زيد مناة بن أفصى بن إياس بن حرام بن جذام بن عدى، و هي من سفح الشرف المعروف بالرصد إلى خطة الجولان.

خطة القبض: بالتحريك، بن مرثد، و هي بجانب خطة بنى وائل إلى نحو بركة الحبش، قال: و كان سبب نزول بنى وائل، و القبض و

رية و راشدة و الفارسيين هذه المواضع أنهم كانوا في طوابع عمرو بن العاص، فزلوا في مقدمه الناس، و حازوا هذه المواضع قبل الفتح.

خطط الحمراءات الثلاث: قال الكندي: و كانت الحمراء على ثلاثة: بنو نبه و روبيل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٠

و الأزرق، و كانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر من عجم الشام ممن كان رغب في الإسلام من قبل اليرموك، و من أهل قيسارية و غيرهم.

قال القضاة: و إنما قيل الحمراء لنزول الروم بها، و هط خطط بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة و فهم و عدوان، و بعض الأزدي و هم ثراد، و بنى بحر، و بنى سلامان و يشكر بن لخم و هذيل بن مدركة بن إياس بن مضر و بنى نبه، و بنى الأزرق، و هم من الروم، و بنى روبيل، و كان يهوديا، فأسلم. فأول ذلك الحمراء الدنيا خطه بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة، و منها خطه ثراد من الأزدي، و خطه فهم بن عمرو بن قيس عيلان، و منها خطه بنى بحر بن سواده من الأزدي.

و من ذلك الحمراء الوسطى: منها خطه بنى نبه، و هم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل، و منها خطه هذيل بن مدركة بن إياس بن مضر، و منها خطه بنى سلامان من الأزدي، و منها خطه عدوان.

و من ذلك الحمراء القصوى، و هي خطه بنى الأزرق، و كان روميا حضر الفتح منهم أربعمائة، و خطه بنى روبيل، و كان يهوديا فأسلم، و حضر الفتح منهم ألف رجل، و خطه بنى يشكر بن جزيلة بن لخم و كانت منازل يشكر مفترقة في الجبل، فذرت قديما، و عادت صحراء حتى جاءت المسودة، يعني جيوش بنى العباس، فعمروها، و هي الآن خراب.

و قال ابن المتوج: الحمراءات ثلاث: أولى، و وسطى، و قصوى. فأما الأولى:

فتجمع جابر الأور، و عقبه العداسين، و سوق وردان، و خطه الزبير إلى نقاشى البلاط طولا و عرضا على قدر ذلك، و أما الوسطى: فمن درب نقاشى البلاط إلى درب معانى طولا و عرضا على قدره، و أما القصوى فمن درب معانى إلى القناطر الظاهرية يعنى قناطر السباع، و هي حد ولاية مصر من القاهرة، و كانت هذه الحمراءات جلّ عمارة مصر في زمن الروم، فإذا الحمراء الأولى و الوسطى هما الآن خراب، و موضعهما فيما بين سوق المعاريج، و حمام طن من شريقيهما إلى ما يقابل المراغة في الشرق، و أما الحمراء الدنيا فهي الآن تعرف بخط قناطر السباع، و بخط السبع سقايات، و بحكر الخليلي، و حكر أقبغا و الكوم، حيث الأسرى و منها أيضا خط الكبش، و خط الجامع الطولوني و العسكر، و منها حدرة ابن قميحة إلى حيث قنطرة السد، و بستان الطواشى، و ما في شرقيه إلى مشهد الرأس المعروف بزین العابدين، و سيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى عند ذكر العسكر، و كانت مدينة الفسطاط على قسمين هما: عمل فوق، و عمل أسفل.

فعمل فوق له طرفان غربى و شرقى، فالغربى من شاطيء النيل في الجهة القبليّة، و أنت مار في الشرف المعروف اليوم بالرصد إلى القرافة الكبرى، و الشرقى من القرافة الكبرى إلى العسكر، و عمل أسفل ما عدا ذلك إلى حد القاهرة.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩١

### ذكر أمراء الفسطاط من حين فتحت مصر إلى أن بنى العسكر

اعلم: أنّ عدّة من ولى مصر من الأمراء في الإسلام منذ فتحت، و سكن الفسطاط إلى أن بنى العسكر تسعة و عشرون أميرا في مدّة مائة و ثلاث عشرة سنة و سبعة أشهر، أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية، و هو يوم فتح مصر، و آخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث و مائة آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله بن عباس على مصر، و أول ولاية أبى عون عبد الملك، و هو أول من سكن العسكر من أمراء مصر.

و أول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ما ذكر الكندي وغيره: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك: أبو عبد الله، كان تاجرا في الجاهلية، و كان يختلف بتجارته إلى مصر، و هي الأدم و العطر، ثم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشام، فخلا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه، فاستأذنه في المسير إلى مصر، فسار في سنة تسع عشرة، و أتى الحصن، فحاصره سبعة أشهر إلى أن فتحه في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين، و قيل: كان فتح مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع و خمسين و ثلثمائة لدقليانوس، فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة، و تحرير ذلك أن الذى بين يوم الجمعة أول يوم من ملك دقليانوس، و بين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان و ثلاثون و ثلثمائة سنة فارسية، و تسعة و ثلاثون يوما، فإذا ألغينا ذلك من تاريخ مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع و خمسين و ثلثمائة بقى ثمان عشر سنة، و ثمانية أشهر و ثلاثة أيام، و هذه سنون شمسية عنها من سنى القمر تسع عشر سنة و شهر و ثلاثة عشر يوما، فيكون ذلك في ثالث عشر ربيع الأول سنة عشرين، فلعل الوهم وقع فى الشهر القبطي، و حاز الحصن بما فيه، و سار إلى الإسكندرية فى ربيع الأول منها، فحاصرها ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة، و هو الفتح الأول، و يقال: بل فتحها مستهل سنة إحدى و عشرين، ثم سار عنها إلى برقة، فافتتحها عنوة فى سنة اثنتين و عشرين، و قيل: فى سنة ثلاث و عشرين، و قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدمتين استخلف فى إحداهما زكريا بن جهم العبدري، و فى الثانية ابنه عبد الله، و توفى عمر رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة ثلاث و عشرين، و بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، فوفد عليه عمرو، و سأله عزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن صعيد مصر، و كان عمر و لاه الصعيد، فامتنع من ذلك عثمان، و عقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها، فكانت ولاية عمرو على مصر: صلاتها و خراجها، منذ افتتحها إلى أن صرف عنها أربع سنين و أشهر.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٢

عبد الله بن سعد بن أبى سرح، و اسمه الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، و لى من قبل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه، فجاءه الكتاب بالفيوم، فجعل لأهل أطواف جعلوا فقدموا به الفسطاط، ثم إن منويل الخصي سار إلى الإسكندرية فى سنة أربع و عشرين، فسأل أهل مصر: عثمان أن يرّد عمرو بن العاص لمحاربتة، فردّه و ليا على الإسكندرية، فحارب الروم بها حتى افتتحها، و عبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط، حتى فتحت الإسكندرية الفتح الثانى عنوة فى سنة خمس و عشرين، ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها و خراجها، و مكث أميرا مدّة ولاية عثمان رضى الله عنه كلها، محمودا فى ولايته، و غزا ثلاث غزوات كلها لها شأن، غزا إفريقية سنة سبع و عشرين، و قتل ملكها جرجير، و غزا غزوة الأسود حتى بلغ دنقله فى سنة إحدى و ثلاثين، و غزا ذا الصواري فى سنة أربع و ثلاثين، فلقبهم قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب، و قيل: فى سبعمائة مركب و المسلمون فى مائتى مركب، فهزم الله الروم، و إنما سميت غزوة ذى الصواري لكثرة صواري المراكب، و اجتماعها، و وفد على عثمان حين تكلم الناس بالطعن على عثمان، و استخلف عقبه بن عامر الجهني، و قيل: السائب بن هشام العامري، و جعل على خراجها سليمان بن عتر التجيبي، و كان ذلك سنة خمس و ثلاثين فى رجب.

محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. أمر فى شوال سنة خمس و ثلاثين على عقبه بن عامر خليفة عبد الله بن سعد، فأخرجه من الفسطاط، و دعا إلى خلع عثمان، و أسعر البلاد، و حرّض على عثمان بكل شرّ يقدر عليه، فاعتزله شيعة عثمان، و نابذوه، و هم: معاوية بن خديج، و خارجة بن حذافة، و بسر بن أرطاة، و مسلمة بن مخلد فى جمع كثير، و بعثوا إلى عثمان بأمرهم، و بصنيع ابن أبى حذيفة، فبعث سعد بن أبى وقاص: ليصلح أمرهم، فخرج إليه جماعة، فقلبوا عليه فسطاطه، و شجوه و سيوه، فركب و عاد راجعا، و دعا عليهم، و أقبل عبد الله بن سعد، فمنعوه أن يدخل، فانصرف إلى عسقلان، و قتل عثمان رضى الله عنه، و ابن سعد بعسقلان، ثم أجمع ابن أبى حذيفة على بعث جيش إلى عثمان، فجهز إليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، ثم قتل عثمان فى ذى الحجة منها، فثار شيعة عثمان بمصر، و عقدوا لمعاوية بن خديج، و بايعوه على الطلب بدم عثمان، و

ساروا إلى الصعيد، فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلاً، فهزمت، و مضى ابن خديج إلى بركة، ثم رجع إلى الإسكندرية، فبعث المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٣

إليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخرتبا في أول شهر رمضان سنة ست و ثلاثين، فانهزم الجيش، و أقامت شيعة عثمان بخرتبا. و قدم معاوية بن أبي سفيان يريد الفسطاط، فنزلت سلمت في شؤال، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا، و يتركا الحرب، فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر: الحكم بن الصلت، و خرج في الرهن هو و ابن عديس، و عدّة من قتله عثمان، فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها، و سار إلى دمشق، فهربوا من السجن، و تبعهم أمير فلسطين، فقتلهم في ذى الحجة سنة ست و ثلاثين.

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري: و لاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه، لما بلغه مصاب ابن أبي حذيفة، و جمع له الخراج و الصلاة، فدخل مصر مستهل ربيع الأول سنة سبع و ثلاثين، فاستمال الخارجية بخرتبا شيعة عثمان، و بعث إليهم أعطياتهم، و فد عليهم وفدهم، فأكرمهم، و كان من ذوى الرأى، فجهد عمرو بن العاص، و معاوية بن أبي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها، فإنها كانت من جيش علي رضى الله عنه، فامتنع منهما بالدهاء و المكيدة، فلم يقدر على مصر، حتى كاد معاوية قيسا من قبل علي رضى الله عنه، فأشاع أن قيسا من شيعة، و أنه يبعث إليه بالكتب و النصيحة سراً، فسمع ذلك جواسيس علي رضى الله عنه، و ما زال به محمد بن أبي بكر، و عبد الله بن جعفر، حتى كتب إلى قيس بن سعد يأمره بالقدوم إليه، فولياها إلى أن عزل أربعة أشهر و خمسة أيام، و صرف لخمس خلون من رجب سنة سبع و ثلاثين، فولياها:

الأشتر مالك بن الحارث بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات، فبلغ ذلك عمرا و معاوية، فقال عمرو: إن لله جنودا من عسل.

ثم وليها: محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي رضى الله عنه، و جمع له صلاتها و خراجها، فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع و ثلاثين، فهدم دور شيعة عثمان، و نهب أموالهم و سجن ذراريهم، فنصبوا له الحرب، ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية، فلقوا بمعاوية بالشام، فبعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى الفسطاط و تغيب ابن أبي بكر، فظفر به معاوية بن خديج فقتله، ثم جعله في جيفة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٤

حمار ميت، و أحرقه بالنار لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان و ثلاثين، فكانت ولايته خمسة أشهر.

ثم وليها: عمرو بن العاص: ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، فاستقبل بولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان و ثلاثين، و جعل إليه الصلاة و الخراج جميعا، و جعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها، و النفقة في مصلحتها، ثم خرج عمرو للحكومة، و استخلف على مصر ابنه عبد الله، و قيل: بل خارجه بن حذافة، و رجع إلى مصر، و تعاقد بنو لخم عبد الرحمن و قيس و يزيد على قتل علي و معاوية و عمرو، و تواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين، فمضى كل منهم إلى صاحبه، و كان يزيد هو صاحب عمرو، فعرضت لعمرو علة منعه من حضور المسجد، فصلى خارجه بالناس، فشد عليه يزيد فضره، حتى قتله، فدخل به على عمرو، فقال: أما والله ما أردت غيرك يا عمرو، قال عمرو: و لكن الله أراد خارجه، و لله در القائل:

وليتها إذ فدت عمرا بخارجه فدت عليا بمن شاءت من البشر

و عقد عمرو لشريك بن سمى على غزو لواته من البربر، فغزاهم في سنة أربعين، و صالحهم ثم انتقوا، فبعث إليهم عقبه بن نافع في سنة إحدى و أربعين، فغزاهم حتى هزمهم، و عقد لعقبه أيضا على غزوة هواره، و عقد لشريك بن سمى: على غزوة لبد، فغزواهما في سنة ثلاث و أربعين، فقفلا، و عمرو شديد الدنف في مرض موته، و توفي ليلة الفطر، فغسله عبد الله بن عمرو، و أخرجه إلى المصلى و صلى عليه، فلم يبق أحد شهد العيد إلا صلى عليه، ثم صلى بالناس صلاة العيد، و كان أبوه استخلفه، و خلف عمرو بن

العاص سبعين بهارا دنانير، و البهار: جلد ثور، و مبلغه أردبان بالمصري، فلما حضرته الوفاة أخرجه، و قال: من يأخذه بما فيه، فأبى ولده أخذه، و قال: حتى تردّ إلى كل ذى حقه، فقال: و الله ما أجمع بين اثنين منهم، فبلغ معاوية، فقال: نحن نأخذه بما فيه. ثم وليها: عتبة بن أبي سفيان من قبل أخيه معاوية بن أبي سفيان على صلاتها، فقدم فى ذى القعدة سنة ثلاث و أربعين، و أقام شهرا، ثم وفد على أخيه، و استخلف عبد الله بن قيس بن الحارث، و كان فيه شدة، فكره الناس ولايته، و امتنعوا منها، فبلغ ذلك عتبة، فرجع إلى مصر، و صعد المنبر فقال: يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم، و قد وليكم من إذا قال فعل، فإن أبيتكم درأكم بيده، فإن أبيتكم درأكم بسيفه، ثم رجا فى الأمير ما أدرك فى الأول أن البيعة شائعة لنا عليكم السمع، و لكم علينا العدل، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٥

و أينا غدر، فلا ذمة له عند صاحبه، فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا، ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلات و الخراج، و عقد عتبة لعقمة بن زيد على الإسكندرية فى اثني عشر ألفا من أهل الديوان تكون لها رابطة، ثم خرج إليها مرابطا فى ذى الحجة سنة أربع و أربعين، فمات بها و استخلف على مصر عقبه بن عامر الجهني، فكانت ولايته ستة أشهر. ثم وليها: عقبه بن عامر بن عبس الجهني من قبل معاوية، و جعل له صلاتها و خراجها، و كان قارئا فقيها مفرضا شاعرا، له الهجرة و الصحبة و السابقة، ثم وفد مسلمة بن محمد الأنصاري على معاوية، فولاه مصر، و أمره أن يكتنم ذلك عن عقبه بن عامر، و جعل عقبه على البحر، و أمره أن يسير إلى رودس، فقدم مسلمة، فلم يعلم بإمارته، و خرج مع عقبه إلى الإسكندرية، فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير إمارته، فبلغ ذلك عقبه فقال: أخلعا و غربه، و كان صرفه لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع و أربعين، و كانت ولايته سنتين و ثلاثة أشهر.

فولى مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الأنصاري من قبل معاوية، و جمع له الصلات و الخراج و الغزو، فانظمت غزواته فى البر و البحر، و فى إمارته نزلت الروم البرلس فى سنة ثلاث و خمسين، فاستشهد يومئذ: وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع من المسلمين، و هدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد، و بناه و أمر بابتناء منارات المساجد كلها إلا خولان و تجيب، و خرج إلى الإسكندرية فى سنة ستين، و استخلف عابس بن سعيد، و مات معاوية بن أبي سفيان فى رجب منها، و استخلف ابنه يزيد بن معاوية، فأقر مسلمة، و كتب إليه بأخذ البيعة، فبايعه الجند إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه! فحينئذ بايع يزيد، و قدم مسلمة من الإسكندرية، فجمع لعابس مع الشرط القضاء فى سنة إحدى و ستين، و قال مجاهد: صليت خلف مسلمة بن مخلد، فقرأ سورة البقرة، فما ترك ألفا و لا -واوا، و قال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد: كان مسلمة بن مخلد يصلى بنا، فيقوم فى الظهر، فربما قرأ الرجل البقرة، و توفى مسلمة، و هو وال لخمس بقين من رجب سنة اثنتين و ستين، فكانت ولايته خمس عشرة سنة و أربعة أشهر، و استخلف عابس بن سعيد.

ثم وليها سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدي من أهل فلسطين، فقدم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٦

مستهلّ رمضان سنة اثنتين و ستين فتلقاه عمرو بن قحزم الخولاني، فقال: يغفر الله لأمر المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك، يولى علينا أحدهم، و لم تزل أهل مصر على الشنآن له، و الإعراض عنه، و التكبر عليه حتى توفى يزيد بن معاوية، و دعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه إلى نفسه، فقامت الخوارج الذين بمصر، و أظهروا دعوته، و سار منهم إليه، فبعث لعبد الرحمن بن جحدم، فقدم و اعتزل سعيدا، فكانت ولايته سنتين غير شهر.

ثم وليها: عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير، فدخل فى شعبان سنة أربع و ستين فى جمع كثير من الخوارج، فأظهروا التحكيم، و دعوا إليه، فاستعظم الجند ذلك، و بايعه الناس على غل فى قلوب شيعة بنى أمية، ثم بويع مروان بن الحكم بالخلافة فى أهل الشام، و أهل مصر معه فى الباطن، فسار إليها، و بعث ابنه عبد العزيز فى جيش إلى أيلة ليدخل مصر من هناك، و



أجمع ابن جحدم على حربه، و حفر الخندق في شهر، و هو الذى في شرقى القرافة، و قدم مروان، فحاربه ابن جحدم، و قتل بينهما كثير من الناس ثم اصطالحا، و دخل مروان لعشر من جمادى الأولى سنة خمس و ستين، فكانت مدة ابن جحدم تسعة أشهر، و وضع مروان العطاء، فبايعه الناس إلّا نفرًا من المغافر قالوا: لا نخلع بيعه ابن الزبير، فضرب أعناقهم، و كانوا ثمانين رجلا، و ذلك للنصف من جمادى الآخرة، يومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان، و جعل مروان صلوات مصر، و خراجها إلى ابنه عبد العزيز، و سار و قد أقام بها شهرين لهلال رمضان.

عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص أبو الأصيح ولى من قبل أبيه لهلال رجب سنة خمس و ستين على الصلوات و الخراج، و مات أبوه، و بويغ من بعده عبد الملك بن مروان، فأقر أخاه عبد العزيز، و وقع الطاعون بمصر سنة سبعين، فخرج عبد العزيز منها، و نزل حلوان، فاتخذها دارا و سكنها، و جعل بها الأعوان، و بنى بها الدور و المساجد، و عمرها أحسن عمارة، و غرس نخلها و كرمها، و عزّف بمصر، و هو أول من عزّف بها في سنة إحدى و سبعين، و جهز البعث في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنتين و سبعين، ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ست و ثمانين، فكانت ولايته عشرين سنة، و عشرة أشهر و ثلاثة عشر يوما.

فولى: عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه على صلواتها و خراجها، فدخل يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست و ثمانين، و هو ابن تسع و عشرين سنة، و قد تقدّم إليه أبوه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز، فاستبدل بالعمال بالأصحاب، و مات عبد الملك، بويغ ابنه الوليد بن عبد الملك، فأقر أخاه عبد الله، و أمر عبد الله، فمسخت دواوين مصر بالعربية، و كانت بالقبطية، و فى ولايته غلت الأسعار،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٧

فتشاهم الناس به، و هى أول شدة رأوها بمصر، و كان يرتشى، ثم وفد على أخيه فى صفر سنة ثمان و ثمانين، و استخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولاني، و أهل مصر فى شدة عظيمة، و رفع سقف المسجد الجامع فى سنة تسع و ثمانين، ثم صرف، فكانت ولايته ثلاث سنين و عشرة أشهر.

فولى: قرّة بن شريك بن مرثد بن الحرث العيسى للوليد بن عبد الملك على صلوات مصر و خراجها، فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسعين، و خرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ما ملكه، فأحيط به فى الأردن، و أخذ سائر ما معه، و حمل إلى أخيه، و أمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز فى المسجد، فهدم أول سنة اثنتين و تسعين، و بنى و استنبط قرّة بن شريك: بركة الحبش من الموات و أحياها، و غرس فيها القصب، فقيل لها: اصطلب قرّة، و اصطلب القاش، ثم مات و هو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الأول سنة ست و تسعين، و استخلف على الجند و الخراج عبد الملك بن رفاعه، فكانت ولايته ست سنين و أياما.

ثم ولى: عبد الملك بن رفاعه بن خالد بن ثابت الفهمي: من قبل الوليد بن عبد الملك على صلواتها، و توفى الوليد، و استخلف سليمان بن عبد الملك، فأقر ابن رفاعه، و توفى سليمان، و بويغ عمر بن عبد العزيز، فعزل ابن رفاعه، فكانت ولايته ثلاث سنين. ثم ولى: أيوب بن شريحيل بن أكسوم بن أبرهه بن الصباح، من قبل عمر بن عبد العزيز على صلواتها فى ربيع الأول سنة تسع و تسعين، فورد كتاب أمير المؤمنين:

عمر بن عبد العزيز بالزيادة فى أعطيات الناس عامّة، و خمرة الخمر، و كسرت و عطلت حاناتها، و قسم للغارمين بخمسة و عشرين ألف دينار، و نزعت مواريث القبط عن الكور، و استعمل المسلمون عليها، و منع الناس الحمامات، و توفى عمر بن عبد العزيز، و استخلف يزيد بن عبد الملك، فأقر أيوب على الصلوات إلى أن مات لإحدى عشرة، و قيل: لسع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى و مائة، فكانت ولايته سنتين و نصفًا.

فولى: بشر بن صفوان الكلبي: من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى و مائة، و فى إمرته نزل الروم تنيس، ثم ولاه يزيد على إفريقية،



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٨

فخرج إليها في شوال سنة اثنتين و مائة، و استخلف أخاه حنظلة.

فولى: حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه، فأقره يزيد بن عبد الملك، و خرج إلى الإسكندرية في سنة ثلاث و مائة، و استخلف عقبه بن مسلمة التميمي، و كتب يزيد بن عبد الملك في سنة أربع و مائة بكسر الأضنام و التماثيل، فكسرت كلها، و محيت التماثيل، و مات يزيد بن عبد الملك، و بويج هشام بن عبد الملك، فصرف حنظلة في شوال سنة خمس و مائة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

و ولى: محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلوات، فدخل مصر لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس و مائة، و وقع و باء شديد بمصر، فترفع محمد إلى الصعيد هاربا من الوباء أياما، ثم قدم و خرج عن مصر لم يلبها إلّا نحوًا من شهر، و انصرف إلى الأردن.

فولى: الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلواتها، فدخل ثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس و مائة، و فى إمرته كان أول انتفاض القبط فى سنة سبع و مائة، و رابط بدمياط ثلاثة أشهر، ثم وفد إلى هشام بن عبد الملك، فاستخلف حفص بن الوليد، و قدم فى ذى القعدة من سنة سبع، و انكشف النيل عن الأرض فبنى فيها، و صرف فى ذى القعدة سنة ثمان و مائة، باستغفائه لمغاضبه كانت بينه و بين عبد الله بن الحبحاب متولى خراج مصر، فكانت ولايته ثلاث سنين سواء.

و ولى: حفص بن الوليد بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك، ثم صرف بعد جمعيتين يوم الأضحى بشكوى ابن الحبحاب منه، و قيل: صرف سلخ ثمان و مائة.

فولى: عبد الملك بن رفاعه ثانيا على الصلوات، فقدم من الشام عيليا لثنتى عشرة بقيت من المحرم سنة تسع و مائة، و كان أخوه الوليد يخلفه من أول المحرم، و قيل: بل ولى أول المحرم، و مات للنصف منه، و كانت ولايته خمس عشرة ليلة.

ثم ولى أخوه: الوليد بن رفاعه باستخلاف أخيه، فأقره هشام بن عبد الملك على الصلوات، و فى ولايته نقلت قيس إلى مصر، و لم يكن بها أحد منهم، و خرج وهيب اليحصبي شاردا فى سنة سبع عشرة و مائة من أجل أنّ الوليد أذن للنصارى فى ابتناء كنيسة يوحنا بالحمراء، و توفى و هو وال أول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، و استخلف عبد الرحمن بن خالد، فكانت إمرته تسع سنين و خمسة أشهر.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٩٩

فولى: عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أبو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلواتها، و فى إمرته نزل الروم على تروجه، فحاصروها، ثم اقتتلوا فأسروا، فصرفه هشام، فكانت ولايته سبعة أشهر.

و ولى: حنظلة بن صفوان ثانيا فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع و مائة، فانتفض القبط، و حاربهم فى سنة إحدى و عشرين و مائة، و قدم رأس زيد بن عليّ إلى مصر فى سنة اثنتين و عشرين و مائة، ثم ولاه هشام إفريقية، فاستخلف حفص بن الوليد بامر هشام، و خرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع و عشرين و مائة، فكانت ولايته هذه خمس سنين و ثلاثة أشهر.

و ولى: حفص بن الوليد الحضرمي ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلواتها، فأقره هشام بن عبد الملك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع و عشرين، فجمع له الصلوات و الخراج جميعا، و استسقى بالناس، و خطب و دعا، ثم صلى بهم، و مات هشام بن عبد الملك، و استخلف من بعده: الوليد بن يزيد، فأقر حفصا على الصلوات و الخراج، ثم صرف عن الخراج بعيسى بن أبى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس و عشرين و مائة، و انفرد بالصلوات، و وفد على الوليد بن يزيد، و استخلف عقبه بن نعيم الرعيني، و قتل الوليد بن يزيد، و حفص بالشام، و بويج يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فأمر حفصا بالحق بجنده، و أمره على ثلاثين ألفا و فرض الفروض، و بعث ببيعة أهل مصر إلى يزيد بن الوليد، ثم توفى يزيد و بويج إبراهيم بن الوليد، و خلعه مروان بن محمد الجعدي، فكتب حفص يستغفیه من ولاية مصر، فأعفاه مروان، فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين إلا شهرا.

و ولي: حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن التجيبى و هو بالشام، فكتب إلى خير بن نعيم باستخلافه، فسلم حفص إلى خير، ثم قدم حسان لثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع و عشرين و مائة على الصلوات، و عيسى بن أبى عطاء على الخراج، فأسقط حسان فروض حفص كلها، فوثبوا به، و قالوا: لا نرضى إلا بحفص، و ركبوا إلى المسجد، و دعوا إلى خلع مروان و حصروا حسان فى داره، و قال له: اخرج عنا، فإنك لا تقيم معنا ببلد، و أخرجوا عيسى بن أبى عطاء صاحب الخراج، و ذلك فى آخر جمادى الآخرة، و أقاموا حفصا، فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما.

فولى: حفص بن الوليد الثالثة: كرها أخذه قواد الفروض بذلك، فأقام على مصر رجب و شعبان، و لحق حسان بمروان، و قدم حنظلة بن صفوان من إفريقية، و قد أخرجه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٠

أهلها فنزل الجيزة، و كتب مروان بولايته على مصر، فامتنع المصريون من ولاية حنظلة، و أظهروا الخلع، و أخرجوا حنظلة إلى الحوف الشرقى، و منعوه من المقام بالفسطاط، و هرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط، فحاربوه و هزموه، و سكت مروان عن مصر بقيه سنة سبع و عشرين و مائة، ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان و عشرين.

و ولي: الحوثر بن سهيل بن العجلان الباهلي: فسار إليها فى آلاف، و قدم أول المحرم، و قد اجتمع الجند على منعه، فأبى عليهم حفص، فخافوا حوثره، و سألوه الأمان، فأمنهم، و نزل ظاهر الفسطاط، و قد اطمأنوا إليه فخرج إليه حفص، و وجوه الجند، فقبض عليهم، و قيدهم، فانهزم الجند و دخل معه عيسى بن أبى عطاء على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم، و بعث فى طلب رؤساء الفتنة، فجمعوا له و ضرب أعناقهم، و قتل حفص بن الوليد، ثم صرف فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثلاثين و مائة، و بعث مروان إلى العراق فقتل، و استخلف على مصر حسان بن عتاهية، و قيل: أبا الجراح بشر بن أوس، و خرج لعشر خلون من رجب، و كانت ولايته ثلاث سنين و ستة أشهر.

ثم ولي: المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة الفزارى على الصلاة من قبل مروان، فقدم لست بقين من رجب سنة إحدى و ثلاثين، و خرج إلى الإسكندرية، و استخلف أبا الجراح الحرشى، و توفى لثنتى عشرة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، فكانت ولايته عشرة أشهر، و استخلف ابنه الوليد بن المغيرة، ثم صرف الوليد فى النصف من جمادى الآخرة.

و ولي: عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلوات و الخراج، و كان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلوات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، فأمر باتخاذ المنابر فى الكور، و لم تكن قبله، و إنما كانت ولاء الكور يخطبون على العصى إلى جانب القبلة، و خرج القبط فحاربهم، و قتل كثيرا منهم، و خالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان، و اجتمع عليه جمع من قيس فى الحوف الشرقى، فبعث إليهم عبد الملك بجيش، فلم يكن حرب، و سار مروان بن محمد إلى مصر منهزما من بنى العباس، فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، و قد سؤد أهل الحوف الشرقى، و أهل الإسكندرية، و أهل الصعيد و أسوان، فعزم مروان على تعديه النيل، و أحرق دار آل مروان المذهبة، ثم رحل إلى الجيزة، و خرق الجسرين، و بعث بجيش إلى الإسكندرية، فاقتتلوا بالكريون، و خالفت القبط برشيد،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠١

فبعث إليهم و هزمهم، و بعث إلى الصعيد، فقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى طلب مروان هو و أبو عون عبد الملك بن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة، فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعد ما استخلف على الفسطاط معاوية بن بحيرة بن ريسان، فحارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة، و دخل صالح إلى الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، و بعث برأس مروان إلى العراق، و انقضت أيام بنى أمية.

فولى: صالح بن على بن عبد الله بن عباس، ولى من قبل أمير المؤمنين أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح، فاستقبل بولايته المحرم

سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، و بعث بوفد أهل مصر إلى أبي العباس السفاح ببيعة أهل مصر، و أسر عبد الملك بن موسى بن نصير و جماعته، و قتل كثيرا من شيعته بنى أمية، و حمل طائفة منهم إلى العراق، فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين، و أمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة و العيال، و قسمت الصدقات على اليتامى و المساكين، و زاد صالح في المسجد، و ورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح، بإمارته على فلسطين و الاستخلاف على مصر، فاستخلف أبا عون مستهلاً شعبان سنة ثلاث و ثلاثين، و سار و معه عبد الملك بن نصير ملزما، و عدّه من أهل مصر صحابه لأمير المؤمنين، و أقطع الذين سؤدوا قطائع منها: منية بولاق، و قرى إهناس، و غيرها ثم من بعد صالح بن عليّ.

سكن أمراء مصر العسكر، و أوّل من سكنه أبو عون، و الله تعالى أعلم.

### ذكر العسكر الذي بظاهر مدينة فسطاط مصر

اعلم: أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الإسلام بالحمراء القصوى، و قد تقدّم أن الحمراء القصوى كانت خطّة بنى الأزرق، و بنى روييل، و بنى يشكر بن جزيلة، ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل، حتى صارت صحراء، فلما قدم مروان بن محمّد آخر خلفاء بنى أمية إلى مصر منهزما من بنى العباس نزلت عساكر صالح بن عليّ، و أبي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء، حيث جبل يشكر حتى ملؤوا الفضاء، و أمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه، فبنوا و ذلك في سنة ثلاث و ثلاثين و مائة.

فلما خرج صالح بن عليّ من مصر خرب أكثر ما بنى فيه إلى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمة و عبيده، و عمر الناس، ثم ولي: السري بن الحكم، فأذن للناس في البناء، فابتنوا فيه و صار مملوكا بأيديهم، و اتصل بناؤه ببناء الفسطاط، و بنيت فيه دار الإمارة، و مسجد جامع عرف بجامع العسكر، ثم عرف بجامع ساحل الغلة، و عملت

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٢

الشرطة أيضا في العسكر، و قيل لها: الشرطة العليا، و إلى جانبها بنى أحمد بن طولون جامعه الموجود الآن، و سمي من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر، و صار أمراء مصر إذا ولوا ينزلون به من بعد أبي عون، فقال الناس من يومئذ: كنا بالعسكر، و خرجنا إلى العسكر، و كتب من العسكر، و صار مدينة ذات محال، و أسواق و دور عظيمة، و فيه بنى أحمد بن طولون مارستانه، فأنفق عليه، و على مستغله ستين ألف دينار، و كان بالقرب من بركة قارون التي صارت كيமான، و بعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السدّ، و على بركة قارون هذه كانت جنان بنى مسكين، و بنى كافور الإخشيدى دارا أنفق عليها مائة ألف دينار، و سكنها في رجب سنة ست و أربعين و ثلثمائة، و انتقل منها بعد أيام عليها مائة ألف دينار، و سكنها في رجب سنة ست و أربعين و ثلثمائة، و انتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانها من بخار البركة، و عظمت العمارة في العسكر جدّا إلى أن قدم أحمد بن طولون من العراق إلى مصر، فنزل بدار الإمارة من العسكر، و كان لها باب إلى جامع العسكر، و ينزلها الأمراء منذ بناها صالح بن عليّ بعد قتله مروان، و ما زال بها أحمد بن طولون إلى أن بنى القصر، و الميدان بالقطائع، فتحوّل من العسكر، و سكن قصره بالقطائع، فلما ولي أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بعد أبيه، جعل دار الإمارة ديوان الخراج، ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر، و زوال دولة بنى طولون، فسكن محمد بن سليمان بدار الإمارة في العسكر عند المصلى القديم، و كان المصلى القديم حيث الكوم المطلّ الآن على قبر القاضي بكار، و ما زالت الأمراء تنزل بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر من المغرب، و بنى القاهرة المعزية، و لما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر، و بنى جامعه على جبل يشكر، فعمرها هنا لك عمارة عظيمة تخرج عن الحدّ في الكثرة، و قدم جوهر القائد بعساكر مولاه المعز لدين الله في سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و العسكر عامر إلّا أنه منذ بنيت القطائع هجر اسم العسكر، و صار يقال: مدينة الفسطاط و القطائع، و ربما قيل: و العسكر أحيانا، فلما خرّب محمد بن سليمان قصر ابن طولون، و ميدانه بقي في القطائع مساكن جليّة حيث كان العسكر، و أنزل المعز لدين الله عمه أبا عليّ في دار الإمارة، فلم يزل أهله

بها إلى أن خربت القطائع في الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر أعوام بضع و خمسين و أربعمائه، فيقال: إنه كان هناك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين، و ما هذا ببعيد، فإن ذلك كان ما بين سفح الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل، و بين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبارة خارج مصر، و ما على سمتها إلى كوم الجارح، و من كوم الجارح إلى جامع ابن طولون، و خط المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٣

قناطر السباع، و خط السبع سقايات إلى قنطرة السد، و مراغة مصر إلى المعاريح بمصر، و إلى كوم الجارح، ففي هذه المواضع كان العسكر و القطائع، و يخص العسكر من بين ذلك ما بين قناطر السباع، و حدرة ابن قميحة إلى كوم الجارح حيث الفضاء الذي يتوسط ما بين قنطرة السد، و بين سور القرافة الذي يعرف بباب المجدم، فهذا هو العسكر، و لما استولى الخراب في المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة إذا سار من القاهرة إلى مصر، فيما بين العسكر و القطائع، و بين الطريق، و أمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون.

فلما كان في خلافة الأمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون بن البطائحي، فنودي مدّة ثلاثة أيام في القاهرة و مصر، بأن من كان له دار في الخراب، أو مكان فليعمره، و من عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه، و من تأخر بعد ذلك، فلا حق له و لا حكر يلزمه، و أباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق، و كان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في آخر الشدة العظمى، و قام بعمارة إقليم مصر، أخذ الناس في نقل ما كان بالقطائع و العسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنا لك الهدم، فصار موحشا، و خرب ما بين القاهرة و مصر من المساكن، و لم يبق هنا لك إلّا بعض البساتين، فلما نادى الوزير المأمون عمّر الناس ما كان من ذلك، مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسى إلى ظاهر باب زويلة، كما يرد خبر ذلك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، و نقلت أنقاض العسكر كما تقدّم، فصار هذا الفضاء الذي يتوصل إليه من مشهد السيدة نفيسة، و من الجامع الطولوني، و من قنطرة السد، و من باب المجدم في سور القرافة، و يسلك في هذا الفضاء إلى كوم الجارح، و لم يبق الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون، و ما حوله من الكبش، و حدرة ابن قميحة إلى خط السبع سقايات، و خط قناطر السباع إلى جامع ابن طولون، و أما سوق الجامع من قبله، و ما وراء ذلك إلى المشهد النفيسى، و إلى القبيبات، و الرميّة تحت القلعة، فإنما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر القطائع، و عند ذكر هذه الخطط، إن شاء الله تعالى، و طالما سلكت هذا الفضاء الذي بين جامع ابن طولون، و كوم الجارح، حيث كان العسكر، و تذكرت ما كان هنا لك من الدور الجليّة و المنازل العظيمة، و المساجد و الأسواق و الحمامات و البساتين و البركة البديعة، و المارستان العجيب، و كيف بادت حتى لم يبق لشيء منها أثر البتة فأنشدت أقول:

و بادوا فلا مخبر عنهم و ماتوا جميعا و هذا الخير

فمن كان ذا عبرة فليكن فطينا ففي من مضى معتبر

و كان لهم أثر صالح فأين هم ثم أين الأثر

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٤

و سيأتي لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع، و عند ذكر خط قناطر السباع، و غيره من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

### ذكر من نزل العسكر من أمراء مصر من حين بنى إلى أن بنيت القطائع

إعلم: أنّ أمراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح إلى أن بنى أبو عون العسكر، فصارت أمراء مصر من عهد أبي عون إنما ينزلون بالعسكر، و ما برحوا على ذلك إلى أن أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القصر و الميدان و القطائع، فتحول من العسكر إلى القصر، و سكن فيه و سكنه الأمراء من أولاده بعده إلى أن زالت دولتهم، فسكن الأمراء بعد ذلك العسكر إلى أن

زالت دولة الإخشيدية بقدوم جوهر القائد من المغرب.

و أول من سكن العسكر من أمراء مصر: أبو عون: عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولي صلاة مصر و خراجها، باستخلاف صالح بن علي له، في مستهل شعبان سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، و وقع الوباء بمصر، فهرب أبو عون إلى يشكر، و استخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم، و خرج إلى دمياط في سنة خمس و ثلاثين و مائة، و استخلف عكرمة، و جعل على الخراج: عطاء بن شرحبيل، و خرج القبط بسمنود، فبعث إليهم و قتلهم، و ورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر و فلسطين و المغرب، جمعت له، و وردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب.

فولي: صالح بن علي الثانية على الصلاة و الخراج، فدخل لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست و ثلاثين و مائة، فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط، و جعل على شرطته بالعسكر: يزيد بن هاني الكندي، و ولي أبا عون جيوش المغرب، و قدم أمامه دعاء لأهل إفريقية، و خرج أبو عون في جمادى الآخرة، و جهزت المراكب من الإسكندرية إلى برقة، فمات السفاح في ذي الحجة، و استخلف أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور، فأقر صالحا، و كتب إلى أبي عون بالرجوع، و ردّ الدعاء، و قد بلغوا شبرت، و بلغ أبو عون برقة، فأقام بها أحد عشر يوما، ثم عاد إلى مصر في جيشه، فجهزه صالح إلى فلسطين لحربه فغلب، و سير إلى مصر ثلاثة آلاف رأس، ثم خرج صالح إلى فلسطين، و استخلف ابنه الفضل، فبلغ بليس و رجع، ثم خرج لأربع خلون من رمضان سنة سبع و ثلاثين، فلقى أبا عون بالفرما، فأمره على مصر صلاتها و خراجها، و مضى فدخل أبو عون الفسطاط لأربع بقين من رمضان.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٥

فولي: أبو عون ولايته الثانية من قبل صالح بن علي، ثم أفرده أبو جعفر بولايتها، و قدم أبو جعفر بيت المقدس، و كتب إلى أبي عون بأن يستخلف على مصر، و يخرج إليه، فاستخلف عكرمة على الصلاة، و عطاء على الخراج، و خرج للنصف من ربيع الأول سنة إحدى و أربعين و مائة، فلما صار إلى أبي جعفر بيت المقدس، بعث أبو جعفر: موسى بن كعب فكانت ولاية أبي عون هذه ثلاث سنين، و ستة أشهر.

فوليتها: موسى بن كعب بن عيينة ابن عائشة أبو عيينة من تميم من قبل أبي جعفر المنصور، و كان أحد نقباء بني العباس، فدخلها لأربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة إحدى و أربعين و مائة على صلاتها و خراجها، و نزل العسكر و بها الناس من الجند يغدون، و يروحون إليه، كما كانوا يفعلون بالأمراء قبله، فانتهاوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه، و كان قد اتهم في خراسان بأمر أبي مسلم، فأمر به أسد بن عبد الله البجليّ و إلى خراسان، فألجم بلجام، ثم كسرت أسنانه، فكان يقول بمصر كانت لنا أسنان و ليس عندنا خبز، فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان. و كتب إليه أبو جعفر: إني عزلتك من غير سخطة، و لكن بلغني أنّ غلاما يقتل بمصر يقال له: موسى، فكرهت أن تكونه، فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهديّ، كما يأتي إن شاء الله تعالى، فولي موسى بن كعب سبعة أشهر، و صرف في ذي القعدة، و استخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب، و على الخراج نوفل بن الفرات، و خرج لست بقين منه.

فولي: محمد بن الأشعث بن عقبه الخزاعيّ من قبل أبي جعفر على الصلاة و الخراج، و قدم لخمس خلون من ذي الحجة سنة إحدى و أربعين و مائة، و بعث أبو جعفر إلى نوفل بن الفرات: أن اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر، فإن ضمنه فأشهد عليه، و اشخص إلى، و إن أبي فاعمل على الخراج، فعرض عليه ذلك فأبى، فانتقل نوفل الدواوين، فافتقد ابن الأشعث الناس، فقيل له: هم عند صاحب الخراج، فندم على تسليمه، و عقد على جيش بعث به إلى المغرب لحربه فانهمزم، و خرج ابن الأشعث يوم الأضحى سنة اثنتين و أربعين، و توجه إلى الإسكندرية، و استخلف محمد بن معاوية بن بجير بن رسان صاحب شرطته، ثم صرف ابن الأشعث، فكانت ولايته سنة و شهرا.

و ولي: حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائيّ من قبل أبي جعفر على الصلاة و الخراج، فدخل في عشرين ألفا من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٦

و أربعين و مائة، ثم قدم عسكر آخر في شؤال، و قدم علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لأبيه و عمه، فدرس إليه حميد، فتغيب، فكتب بذلك إلى أبي جعفر، فصرفه في ذي القعدة، و خرج لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع و أربعين. فولى: يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلاة و الخراج، فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة، فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير، و في إمرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر، و تكلم بها الناس، و بايع كثير منهم لعلّي بن محمد بن عبد الله، و طرق المسجد لعشر خلون من شؤال سنة خمس و أربعين، كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، ثم قدمت الخطباء برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذي الحجة، فنصبت في المسجد، و ورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر إلى الفسطاط، و أن يجعل الديوان في كنائس القصر، و ذلك في سنة ست و أربعين و مائة من أجل ليلة المسجد، و منع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس و أربعين، فلم يحج أحد منهم، و لا من أهل الشام، لما كان بالحجاز من الاضطراب بأمر بني حسن، ثم حج يزيد في سنة سبع و أربعين، و استخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته، و بعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجي ظهر هناك، فظفر به الجيش، و قدم رأسه في عدة رؤوس، فحملت إلى بغداد، و ضم يزيد برقة إلى عمل مصر، و هو أول من ضمها إلى مصر، و ذلك في سنة ثمان و أربعين، و خرج القبط بسخا في سنة خمسين و مائة، فبعث إليهم جيشا، فشنته القبط و رجع منهزما، فصرفه أبو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنتين و خمسين و مائة، فكانت ولايته سبع سنين و أربعة أشهر.

و ولى: عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج من قبل أبي جعفر على الصلاة لثنتي عشرة بقية من ربيع الآخر، و هو أول من خطب بالسواد، و خرج إلى أبي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع و خمسين و مائة، و استخلف أخاه محمدا، و رجع في آخرها، و مات و هو وال مستهل صفر سنة خمس و خمسين و مائة، و استخلف أخاه محمدا، فكانت ولايته سنتين و شهرين. فولى: محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه، فأقره أبو جعفر على الصلاة، و مات و هو وال للنصف من شؤال، فكانت ولايته ثمانية أشهر و نصف، و استخلف موسى بن علي.

فولى: موسى بن علي بن رباح باستخلاف محمد بن خديج، فأقره أبو جعفر على

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٧

الصلاة و خرج القبط بهيب في سنة ست و خمسين، فبعث إليهم و هزمهم، و كان يروح إلى المسجد ماشيا، و صاحب شرطته بين يديه يحمل الحرب، و إذا أقام صاحب الشرطة الجدود يقول له: ارحم أهل البلاد، فيقول: أيها الأمير ما يصلح الناس إلا ما يفعل بهم، و كأن يحدث، فيكتب الناس عنه، و مات أبو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان و خمسين و مائة، و بويع ابنه محمد المهدي، فأقر موسى بن علي إلى سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى و ستين و مائة، فكانت ولايته ست سنين و شهرين.

و ولى: عيسى بن لقمان بن محمد الجمحي: من قبل المهدي على الصلاة و الخراج، فقدم لثلاث عشرة بقية من ذي الحجة سنة إحدى و ستين و مائة، و صرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى سنة اثنتين و ستين و مائة فولياها أربعة أشهر.

ثم ولى: واضح مولى أبي جعفر من قبل المهدي على الصلاة و الخراج، فدخل لست بقين من جمادى الأولى و صرف في رمضان.

فولى: منصور بن يزيد بن منصور الرعيني، و هو ابن خال المهدي على الصلاة، فقدم لإحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين و ستين و مائة، و صرف للنصف من ذي الحجة، فكان مقامه شهرين و ثلاثة أيام.

ثم ولى: يحيى بن داود أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدي على الصلاة و الخراج، فقدم في ذي الحجة، و كان أبوه تركيا، و هو من أشد الناس، و أعظمهم هيب، و أقدمهم على الدم، و أكثرهم عقوبة، فمنع من غلق الدروب بالليل، و من غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب، و منع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها، و قال: من ضاع له شيء، فعلى أدائه، و كان الرجل



يدخل الحمام، فيضع ثيابه، و يقول: يا أبا صالح احرسها، فكانت الأمور على هذا مدّة ولايته، و أمر الأشراف و الفقهاء، و أهل النوبات بلبس القلائس الطوال، و الدخول بها على السلطان يوم الاثنين و الخميس بلا أردية، و كان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال: هو رجل يخافني، و لا يخاف الله، فولى إلى المحرّم سنة أربع و ستين.

و قدم: سالم بن سواده التميمي من قبل المهديّ على الصلاة، و معه أبو قطيعة إسماعيل بن إبراهيم على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرّم.

ثم ولى: إبراهيم بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس من قبل المهديّ على الصلاة و الخراج، فقدم لإحدى عشرة خلت من المحرّم سنة خمس و ستين، و ابنتي دارا عظيمة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٨

بالموقف من العسكر، و خرج دحية بن المعصب بن الأصبح بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد، و نابذ، و دعا إلى نفسه بالخلافة، فتراخى عنه إبراهيم، و لم يحفل بأمره حتى ملك عامّة الصعيد، فسخط المهديّ لذلك، و عزله عزلاً قبيحاً لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع و ستين، فوليا ثلاث سنين.

ثم ولى: موسى بن مصعب بن الربيع من أهل الموصل على الصلاة و الخراج من قبل المهديّ، فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور، فردّ إبراهيم، و أخذ منه و ممن عمل له ثلثمائة ألف دينار، ثم سيره إلى بغداد، و شدّد موسى في استخراج الخراج، و زاد على كل فدّان ضعف ما يقبل به، و ارتشى في الأحكام، و جعل خرجاً على أهل الأسواق، و على الدواب، فكرهه الجند و نابذوه، و ثارت قيس و اليمانية، و كاتبوا أهل الفسطاط، فاتفقوا عليه و بعث بجيش إلى قتال دحية بالصعيد، و خرج في جند مصر كلهم لقتال أهل الحوف.

فلما التقوا انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم، و أسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان و ستين و مائة، فكانت ولايته عشرة أشهر، و كان ظالماً غاشماً سمعه الليث بن سعد يقرأ في خطبته: **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهَمِّ سُرَادِقُهَا، فَقَالَ اللَّيْثُ: اللَّهُمَّ لَا تَمَقِّتْنَا.**

ثم ولى: عسامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب، و بعث إلى دحية جيشاً مع أخيه بكار بن عمرو، فحارب يوسف بن نصير، و هو على جيش دحية، فتطاعنا و وضع يوسف الرمح في خاصرة بكار، و وضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معاً، و رجع الجيشان منهزمين، و ذلك في ذى الحجة، و صرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح بأنه ولى مصر، و قد استخلفه، فخلعه إلى سلخ المحرّم سنة تسع و ستين و مائة.

ثم قدم الفضل بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس سلخ المحرّم المذكور في جيوش الشام، و مات المهديّ في المحرّم هذا، و بويح موسى الهادي، فأقرّ الفضل، و قدم مصر يضطرب من أهل الخوف و من خروج دحية، فإنّ الناس كانوا قد كاتبوه و دعوه، فسير العساكر حتى هزم دحية، و أسر و سيق إلى الفسطاط فضربت عنقه، و صلب في جمادى الآخرة سنة تسع و ستين، فكان الفضل يقول: أنا أولى الناس بولاية مصر، لقيامي في أمر دحية، و قد عجز عنه غيري فعزل، و ندم على قتل دحية، و الفضل هو الذي بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع و ستين، فكانوا يجمعون فيه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٠٩

ثم ولى: عليّ بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلاة و الخراج، فدخل في سنة تسع و ستين و مائة، و مات الهادي للنصف من ربيع الأوّل سنة سبعين و مائة، و بويح هارون بن محمد الرشيد، فأقرّ عليّ بن سليمان، و أظهر في ولايته الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و منع الملاهي و الخمر، و هدم الكنائس المحدثه بمصر، و بذل له في تركها خمسون ألف دينار، فامتنع و كان كثير الصدقة في الليل، و أظهر أنه تصلح له الخلافة، و طمع فيها، فسخط عليه هارون الرشيد، و عزله لأربع بقين من ربيع

الأول سنة إحدى و سبعين و مائة.

ثم ولى: موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة، فأذن للنصارى فى بنى الكنائس التى هدمها علي بن سليمان، فبنيت بمشورة الليث بن سعد، و عبد الله بن لهيعة، ثم صرف لأربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين و سبعين و مائة، فكانت ولايته سنة و خمسة أشهر و نصفاً.

ثم ولى: مسلمة بن يحيى بن قرّة بن عبيد الله البجليّ من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلاة، ثم صرف فى شعبان سنة ثلاث و سبعين، فوليا أحد عشر شهراً.

ثم ولى: محمد بن زهير الأزدي على الصلاة و الخراج لخمس خلون من شعبان، فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج، فلم يدفع عنه، فصرف بعد خمسة أشهر فى سلخ ذى الحجة سنة ثلاث و سبعين و مائة.

فولى: داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفره، و قدم هو و إبراهيم بن صالح بن علي، فولى داود الصلاة، و بعث بإبراهيم لإخراج الجند الذين ثاروا من مصر، فدخل لأربع عشرة خلت من المحرم سنة أربع و سبعين و مائة، فأخرجت الجند العديدة إلى المشرق و المغرب فى عالم كثير، فساروا فى البحر فأسرتهم الروم، و صرف لست خلون من المحرم سنة خمس و سبعين، فكانت ولايته سنة و نصف شهر.

ثم ولى: موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلاة و الخراج من قبل الرشيد، فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس و سبعين، و صرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست و سبعين و مائة، فولى سنة واحدة.

ثم ولى: إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ثانياً من قبل الرشيد، فكتب إلى عسامة بن عمرو، فاستخلفه، ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الأول، و توفى عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر، فقدم روح بن روح بن زنباع خليفه لإبراهيم على الصلاة و الخراج، ثم قدم إبراهيم للنصف من جمادى الأولى، و توفى و هو وال ثلاث خلون من شعبان، فكان مقامه بمصر شهرين و ثمانية عشر يوماً، و قام بالأمر بعده ابنه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٠

صالح بن إبراهيم، مع صاحب شرطته خالد بن يزيد.

ثم ولى: عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمرو الضبيّ من قبل الرشيد على الصلاة لإحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست و سبعين و مائة، و صرف فى رجب سنة سبع و سبعين و مائة.

فولى: إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة و الخراج مستهل رجب، فكشف أمر الخراج، و زاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم، فخرج عليه أهل الحوف، فحاربهم، فقتل كثير من أصحابه، فكتب إلى الرشيد بذلك، فعقد لهزيمة بن أعين فى جيش عظيم، و بعث به فنزل الحوف، فتلقاه أهله بالطاعة، و أذعنوا لقبول منهم، و استخرج الخراج كله، فكان صرف إسحاق فى رجب سنة ثمان و سبعين و مائة.

فولى: هرثمة بن أعين من قبل الرشيد على الصلاة و الخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار إلى إفريقية لثنتى عشر خلت من شوال، فأقام بمصر شهرين و نصفاً.

ثم ولى: عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة و الخراج، فلم يدخل مصر، و استخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبيّ، و صرف فى سلخ سنة ثمان و سبعين و مائة.

فولى: عبيد الله بن المهديّ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة و الخراج فى يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من المحرم سنة تسع و سبعين و مائة، فاستخلف ابن المسيب، ثم قدم لإحدى عشرة خلت من ربيع الأول، و صرف فى شهر رمضان، فولى تسعة أشهر و خرج من مصر لليلتين خلتا من شوال. فأعاد الرشيد موسى بن عيسى و ولاه مرة ثالثة على الصلاة،

فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفته له ثلاث خلون من رمضان، ثم قدم آخر ذى القعدة، و صرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين و مائة. فولى الرشيد عبيد الله بن المهديّ ثانيا على الصلاة، فقدم داود بن حباش خليفته له لسبع خلون من جمادى الآخرة، ثم قدم لأربع خلون من شعبان، و صرف لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى و ثمانين و مائة.

فولى: إسماعيل بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس على الصلاة لسبع خلون من رمضان، فاستخلف عون بن وهب الخزاعيّ، ثم قدم لخمس بقين منه. قال ابن عفير:

ما رأيت على هذه الأعواد أخطب من إسماعيل بن صالح، ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة اثنتين و ثمانين و مائة.

فولى: إسماعيل بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة، فقدم لأربع عشرة بقية من جمادى الآخرة، و صرف فى رمضان.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١١

فولى: الليث بن الفضل البيوردىّ من أهل بيورد على الصلاة و الخراج، و قدم لخمس خلون من شوال، ثم خرج إلى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث و ثمانين و مائة بالمال و الهدايا، و استخلف أخاه الفضل بن عليّ، ثم عاد فى آخر السنة، و خرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس و ثمانين، و استخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، و قدم لأربع عشرة خلت من المحرم سنة ست و ثمانين، فكان كلما غلق خراج سنة، و فرغ من حسابها خرج بالمال إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، و معه الحساب، ثم خرج عليه أهل الحوف، و ساروا إلى الفسطاط، فخرج إليهم فى أربعة آلاف ليومين بقيا من شعبان سنة ست و ثمانين و مائة، و استخلف عبد الرحمن بن موسى بن عليّ بن رباح على الجند و الخراج، فواقع أهل الحوف، و انهزم عنه الجند، فبقى فى نحو المائتين فحمل بهم، و هزم القوم من أرض الجبّ إلى غيفة، و بعث إلى الفسطاط بثمانين رأسا، و قدم فرجع أهل الحوف، و منعوا الخراج، فخرج ليث إلى الرشيد، و سأله أن يبعث معه بالجوش، فإنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الأحواف إلّا بجيش، فرفع محفوظ بن سليمان أنه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط و لا عصا، فولاه الرشيد الخراج، و صرف ليثا عن الصلاة و الخراج، و بعث أحمد بن إسحاق على الصلاة، مع محفوظ، و كانت ولاية ليث أربع سنين، و سبعة أشهر.

فولى: أحمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة و الخراج، و قدم لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع و ثمانين، ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع و ثمانين، فولى سنتين و شهرا و نصفا.

ثم ولى: عبيد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس على الصلاة، و استخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرميّ، ثم قدم للنصف من شوال، و صرف لإحدى عشرة بقية من شعبان سنة تسعين و مائة، و خرج و استخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

و ولى: الحسين بن جميل من قبل الرشيد على الصلاة، و قدم لعشر خلون من رمضان، ثم جمع له الخراج مع الصلاة فى رجب سنة إحدى و تسعين، و خرج أهل الحوف، و امتنعوا من أداء الخراج، و خرج أبو النداء بأيلة فى نحو ألف رجل، فقطع الطريق

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٢

بأيلة، و شعيب، و مدين، و أغار على بعض قرى الشام، و ضوى إليه من جذام جماعة، فبلغ من النهب و القتل مبلغا عظيما، فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك، و بعث الحسين بن جميل من مصر: عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروىّ فى عسكر، فالتقى العسكران بأيلة، فظفر عبد العزيز بأبى النداء، و سار جيش الرشيد إلى بليس فى شوال سنة إحدى و تسعين و مائة، فأذعن أهل الحوف بالخراج، و صرف ابن جميل لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين، و تسعين و مائة.

فولى: مالك بن دلهم بن عمير الكلبيّ على الصلاة و الخراج، و قدم لسبع بقين من ربيع الآخر، و فرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الحوف، و قدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة، فكتب إلى أهل الأحواف أن اقدموا حتى أوصى بك مالك بن دلهم،

فدخل الرؤساء من اليمانية و القيسية، فأخذت عليهم الأبواب، و قيدوا، و سار بهم للنصف من رجب، و صرف مالك لأربع خلت من صفر سنة ثلاث و تسعين و مائة.

فولى الحسن بن التختاح بن التختكان على الصلاة و الخراج، فاستخلف العلاء بن عاصم الخولاني، و قدم لثلاث خلون من ربيع الأول، ثم مات الرشيد، و استخلف ابنه محمد الأمين، فثار الجند بمصر، و وقعت فتنه عظيمة قتل فيها عدة، و سير الحسن مال مصر، فوثب أهل الرمل، و أخذوه، و بلغ الحسن عزله، فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع و تسعين و مائة، و استخلف عوف بن وهب على الصلاة، و محمد بن زياد بن طبق القيسي على الخراج.

فولى حاتم بن هرثمة بن أعين من قبل الأمين على الصلاة و الخراج، و قدم فى ألف من الأبناء، فنزل بلييس، فصالحه أهل الأحواف على خراجهم، و ثار عليه أهل تنو و تمى، و عسكروا، فبعث إليهم جيشا، فانهزموا، و دخل حاتم إلى الفسطاط، و معه نحو مائة من الرهائن لأربع خلون من شوال، و صرف فى جمادى الآخرة سنة خمس و تسعين و مائة.

فولى جابر بن الأشعث بن يحيى الطائي من قبل الأمين على الصلاة و الخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة، و كان لنا، فلما حدثت فتنه الأمين و المأمون، قام السري بن الحكم غضبا للمأمون، و دعا الناس إلى خلع الأمين، فأجابوه و بايعوا المأمون المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٣

لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست و تسعين، و أخرجوا جابر بن الأشعث، و كانت ولايته سنة.

فولى عباد بن محمد بن حيان أبو نصر من قبل المأمون على الصلاة و الخراج، لثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن أعين، و كان وكيله على ضياعه بمصر فى الثامن من رجب سنة ست و تسعين، فبلغ الأمين ما كان بمصر، فكتب إلى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشى رئيس قيس الحوف بولاية مصر، و كتب إلى جماعة بمعاونته، فقاموا ببيعة الأمين، و خلعوا المأمون، و ساروا لمحاربة أهل الفسطاط، فخذق عباد، و كانت حروب، فقتل الأمين، و صرف عباد فى صفر سنة ثمان و تسعين و مائة، فكانت ولايته سنة و سبعة أشهر.

فولى المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي من قبل المأمون على الصلاة و الخراج، فدخل من مكة للنصف من ربيع الأول، فكانت فى أيامه حروب، و صرف فى شوال بعد سبعة أشهر.

فولى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المأمون على الصلاة و الخراج، فقدم ابنه عبد الله، و معه الحسين بن عبيد بن لوط الأنصاري فى آخر شوال، فسجنا المطلب، فثار الجند مرارا، فمنعهم الأنصاري أعطياتهم و تهدددهم، و تحامل على الرعية و عسفها، و تهدد الجميع، فثاروا، و أخرجوا المطلب من الحبس، و أقاموه لأربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع و تسعين و مائة، و أقبل العباس، فنزل بلييس، و دعا قيسا إلى نصرته، و مضى إلى الجروي بتئيس، ثم عاد فمات فى بلييس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة، و يقال: إن المطلب دس إليه سما فى طعامه فمات منه، و كانت حروب و فتن، فكانت ولاية المطلب هذه سنة و ثمانية أشهر.

ثم ولى السري بن الحكم بن يوسف من قوم الزط و من أهل بلخ بإجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب فى مستهل رمضان سنة مائتين.

ثم ولى سليمان بن غالب بن جبريل البجلي على الصلاة و الخراج بمبايعة الجند له لأربع خلون من ربيع الأول سنة إحدى و مائتين، فكانت حروب، ثم صرف بعد خمسة أشهر.

و أعيد السري بن الحكم ثانيا من قبل المأمون على الصلاة و الخراج، فذمت ولايته، و أخرج الجند من الحبس لثنتى عشرة خلت من شعبان، و تتبع من حاربه، و قوى أمره و مات، و هو وال لانسلاخ جمادى الأولى سنة خمس و مائتين، فكانت ولايته هذه ثلاث سنين و تسعة أشهر و ثمانية عشر يوما.

فولى ابنه محمد بن السرى أبو نصر أول جمادى الآخرة على الصلاة و الخراج، و كان

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٤

الجروى قد غاب على أسفل الأرض فجرت بينهما حروب، ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست و مائتين، و كانت ولايته أربعة عشر شهرا.

ثم ولى عبيد الله بن السرى بن الحكم بمبايعه الجند لتسع خلون من شعبان على الصلاة و الخراج، فكانت بينه و بين الجروى حروب إلى أن قدم عبد الله بن طاهر، و أطعن له عبيد الله فى آخر صفر سنة إحدى عشرة و مائتين.

فولى عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلاة و الخراج، فدخل يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة و مائتين، و أقام فى معسكره حتى خرج عبد الله بن السرى إلى بغداد للنصف من جمادى الأولى، ثم سار إلى الإسكندرية مستهلاً صفر سنة اثنتى عشرة، و استخلف عيسى بن يزيد الجلودى، فحصرها بضع عشرة ليلة، و رجع فى جمادى الآخرة، و أمر بالزيادة فى الجامع العتيق، فزيد فيه مثله، و ركب النيل متوجها إلى العراق لخمسة بقين من رجب، و كان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا، و عشرة أيام.

ثم ولى عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها إلى سابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة، فصرف ابن طاهر، و ولى الأمير أبو إسحاق بن هارون الرشيد مصر، فأقر عيسى على الصلاة فقط، و جعل على الخراج: صالح بن شيرازاد، فظلم الناس، و زاد عليهم فى خراجهم، فانتفض أهل أسفل الأرض، و عسكروا، فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش، فحاربوه فانهزم، و قتل أصحابه فى صفر سنة أربع عشرة.

فولى عمير بن الوليد التميمى باستخلاف أبى إسحاق بن الرشيد على الصلاة لسبع عشرة خلت من صفر، و خرج و معه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف فى ربيع الآخر، و استخلف ابنه محمد بن عمير فاقتلوا، و كانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر، فكانت مدة إمرته ستين يوما.

فولى عيسى الجلودى ثانيا لأبى إسحاق على الصلاة، فحارب أهل الحوف بمنية مطر، ثم انهزم فى رجب، و أقبل أبو إسحاق إلى مصر فى أربعة آلاف من أتراكه، فقاتل أهل الحوف فى شعبان، و دخل إلى مدينة الفسطاط لثمان بقين منه، و قتل أكابر الحوف، ثم خرج إلى الشام غزوة المحرم سنة خمس عشرة و مائتين فى أتراكه، و معه جمع من الأسارى فى ضر و جهد شديد.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٥

و ولى على مصر عبدويه بن جبله من الأبناء على الصلاة، فخرج ناس بالحوف فى شعبان، فبعث إليهم و حاربهم حتى ظفر بهم، ثم قدم الأفشين حيدر بن كاوس الصفدى إلى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة، و معه على بن عبد العزيز الجروى لأخذ ماله، فلم يدفع إليه شيئا، فقتله، و صرف عبدويه، و خرج إلى برقة.

و ولى عيسى بن منصور بن موسى بن عيسى الرافعى، فولى من قبل أبى إسحاق أول سنة ست عشرة على الصلاة، فانتقضت أسفل الأرض عربها، و قبطها فى جمادى الأولى، و أخرجوا العمال لسوء سيرتهم، و خلعوا الطاعة، فقدم الأفشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة، ثم خرج هو و عيسى فى شؤال، فأوقعا بالقوم، و أسرا منهم و قتلا، و مضى الأفشين و رجع عيسى، فسار الأفشين إلى الحوف، و قتل جماعتهم، و كانت حروب إلى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة و مائتين، فسخط على عيسى و حلّ لواءه، فأخذته بلباس البياض، و نسب الحدث إليه، و إلى عماله و سير الجيوش و أوقع بأهل الفساد و سبى القبط، و قتل مقاتلتهم، ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة و أربعين يوما.

و ولى كيدر و هو نصر بن عبد الله أبو مالك الصفدى، فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالمحنة فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة، و القاضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى، فأجاب، و أجاب الشهود، و من وقف منهم سقطت شهادته، و أخذ بها

القضاء و المحدثون و المؤذنون، فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة إلى سنة اثنتين و ثلاثين، و مات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة، و بويح أبو إسحاق المعتصم، فورد كتابه على كيدر بيعته، و يأمره بإسقاط من في الديوان من العرب، و قطع العطاء عنهم، ففعل ذلك، فخرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لحم و جذام، و مات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة و مائتين.

فولي ابنه المظفر بن كيدر باستخلاف أبيه و خرج إلى يحيى بن وزير، و قاتله و أسره في جمادى الآخرة، ثم صرفت مصر إلى أبي جعفر أشناس فدعى له بها، و صرف مظفر في شعبان.

فولي موسى بن أبي العباس ثابت من قبل أشناس على الصلاة مستهل شهر رمضان

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٦

سنة تسع عشرة، و صرف في ربيع الآخرة سنة أربع و عشرين و مائتين، فكانت ولايته أربع سنين، و سبعة أشهر.

فولي مالك بن كيدر بن عبد الله الصفدي من قبل أشناس على الصلاة و قدم لسبع بقين من ربيع الآخر، و صرف لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست و عشرين، فولي سنتين و أحد عشر يوماً، و توفي لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين.

فولي علي بن يحيى الأرميني من قبل أشناس على صلاتها، و قدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست و عشرين و مائتين، و مات المعتصم في ربيع الأول سنة سبع و عشرين، و بويح: الواثق بالله، فأقره إلى سابع ذي الحجة سنة ثمان و عشرين و مائتين، فكانت ولايته سنتين و ثلاثة أشهر.

ثم ولي عيسى بن منصور الثانية من قبل أشناس على صلاتها، فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع و عشرين و مائتين، و مات أشناس سنة ثلاثين، و جعل مكانه إيتاخ، فأقر عيسى، و مات الواثق، و بويح المتوكل، فصرف عيسى للنصف من ربيع الأول سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين، و قدم علي بن مهرويه خليفه هرثمة بن النضر، ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر.

فولي هرثمة بن نضر الجلي من أهل الجبل لإيتاخ على الصلاة، و قدم لست خلون من رجب سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين، فورد كتاب المتوكل يترك الجدال في القرآن لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع و ثلاثين و مائتين، و مات هرثمة، و هو وال لسبع بقين من رجب سنة أربع، و استخلف ابنه حاتم بن هرثمة.

فولي حاتم بن هرثمة بن النضر باستخلاف أبيه له على الصلاة، و صرف لست خلون من رمضان.

فولي علي بن يحيى بن الأرميني الثانية من قبل إيتاخ على الصلاة لست خلون من رمضان، و صرف إيتاخ في المحرم سنة خمس و ثلاثين، و استصفت أمواله بمصر، و ترك الدعاء له، و دعى للمنتصر مكانه، و صرف علي في ذي الحجة منها.

فولي إسحاق بن يحيى بن معاذ بن مسلم الجلي من قبل المنتصر ولي عهد أبيه المتوكل على الله على الصلاة و الخراج، فقدم لإحدى عشرة خلت من ذي الحجة، فورد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٧

كتاب المتوكل و المنتصر بإخراج الطالبين من مصر إلى العراق، فأخرجوا، و مات إسحاق بعد عزله أول ربيع الآخر سنة سبع و ثلاثين و مائتين.

فولي خوط عبد الواحد بن يحيى بن منصور بن طلحة بن زريق من قبل المنتصر على الصلاة و الخراج، فقدم لتسع بقين من ذي القعدة سنة ست و ثلاثين و مائتين، و صرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع و ثلاثين، و أقر على الصلاة، ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان و ثلاثين بخليفته عنبسة على الصلاة و الشركة في الخراج مستهل ربيع الأول.

فولي عنبسة بن إسحاق بن شمر عبس أبو جابر من قبل المنتصر على الصلاة، و شريكا لأحمد بن خالد الضريقي صاحب الخراج، فقدم لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان و ثلاثين و مائتين و أخذ العمال برد المظالم، و أقامهم للناس، و أنصف منهم، و أظهر من



العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه، و كان يروح ماشيا إلى المسجد الجامع من العسكر، و كان ينادى في شهر رمضان السحور، و كان يرمى بمذهب الخوارج، و في ولايته نزل الروم دمياط، و ملكوها و ما فيها، و قتلوا بها جمعا كثيرا من الناس و سبوا النساء و الأطفال، فنفر إليهم يوم النحر من سنة ثمان و ثلاثين في جيشه، و كثير من الناس، فلم يدركهم، و أضيف له الخراج مع الصلاة، ثم صرف عن الخراج أول جمادى الآخرة سنة إحدى و أربعين، و أفرد بالصلاة، و ورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الأول سنة اثنتين و أربعين، فدعا له، و عنبسه هذا آخر من ولي مصر من العرب، و آخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع، و صرف أول رجب منها، فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفه يزيد بن عبد الله بولاية يزيد، و كانت ولاية عنبسه أربع سنين، و أربعة أشهر، و خرج إلى العراق في رمضان سنة أربع و أربعين.

فولى يزيد بن عبد الله بن دينار أبو خالد من الموالي، و لاه: المنتصر على الصلاة، فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين و أربعين، فأخرج المؤنثين من مصر، و ضربهم و طاف بهم، و منع من النداء على الجنائز، و ضرب فيه، و خرج إلى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس و أربعين و رجع في ربيع الأول، فبلغه نزول الروم الفرما، فرجع إليها، فلم يلقهم، و عطل الرهان و باع الخيل التي تتخذ للسلطان، فلم تجر إلى سنة تسع و أربعين، و تتبع الروافض، و حملهم إلى العراق، و بنى مقياس النيل في سنة سبع و أربعين، و جرت على

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٨

العلويين في ولايته شدا، و مات المتوكل في شوال، و بويغ ابنه محمد المنتصر، و مات الفتح بن خاقان، فأقر المنتصر يزيد على مصر، ثم مات المنتصر في ربيع الأول سنة ثمان و أربعين، و بويغ المستعين، فورد كتابه بالاستسقاء لفتح كان بالعراق، فاستسقا السبع عشرة خلت من ذى القعدة، و استسقى أهل الآفاق في يوم واحد، و خلع المستعين في المحرم سنة اثنتين و خمسين، و بويغ المعتز، فخرج جابر بن الوليد بأرض الإسكندرية، و كانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر، فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد في جيش كثيف لثلاث عشرة بقية من رجب، فواقعهم حتى ظفر بهم، ثم صرف يزيد، و كانت مدته عشر سنين، و سبعة أشهر و عشرة أيام.

فولى مزاحم بن خاقان بن عرطوج أبو الفوارس التركي لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث، و خمسين و مائتين على الصلاة من قبل المعتز، و خرج إلى الحوف، فأوقع بأهله و عاد، ثم خرج إلى الجيزة، فسار إلى تروجه، فأوقع بأهلها، و أسر عدده من أهل البلاد، و قتل كثيرا، و سار إلى الفيوم، فطاش سيفه، و كثر إيقاعه بسكان النواحي و عاد.

و ولي الشرطة أرجوز، فمنع النساء من الحمامات و المقابر، و سجن المؤنثين و النواحي، و منع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث و خمسين، و لم يزل أهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها: أرجوز، و أخذ أهل الجامع بتمام الصفوف، و وكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد، و أمر أهل الحلق بالتحول إلى القبلة قبل إقامة الصلاة، و منع من المساند التي يستند إليها، و من الحصر التي كانت للمجالس في الجامع، و أمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح، و لم يزل أهل مصر يصلونها ستا إلى شهر رمضان سنة ثلاث و خمسين و مائتين، و منع من التثويب، و أمر بالأذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد، و أن يغسل بصلاة الصبح، و نهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجهه، أو يحلق شعره، أو تصيح امرأة، و عاقب في ذلك، و شدد فيه، ثم مات مزاحم لخمس مضي من المحرم سنة أربع و خمسين.

فاستخلف ابنه أحمد بن مزاحم، فولى باستخلاف أبيه على الصلاة إلى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر، فكانت ولايته شهرين و يوما، فاستخلف أرجوز بن أولع طرخان التركي على الصلاة، فولى خمسة أشهر و نصفها، و خرج أول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون في شهر رمضان سنة أربع و خمسين و مائتين، و إليه كان أمر البلد جميعه، من أيام مزاحم، و في أيام ابنه أحمد أيضا، و الله تعالى أعلم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١١٩

### ذكر القطائع و دولة بنى طولون

اعلم: أن القطائع قد زالت آثارها، و لم يبق لها رسم يعرف، و كان موضعها: من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون، و هذا أشبه أن يكون طول القطائع، و أما عرضها: فإنه من أول الرميعة تحت القلعة إلى الموضع الذي يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن: زين العابدين، و كانت مساحة القطائع ميلا في ميل، فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل.

و تحت قبة الهواء: قصر ابن طولون، و موضع هذا القصر: الميدان السلطاني تحت القلعة و الرميعة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل و الحمير و الجمال. كانت بستانا، و يجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم: بالقيبات، فيصير الميدان، فيما بين القصر و الجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون، و بحذاء الجامع: دار الأمانة في جهته القبليّة، و لها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب، و هناك أيضا دار الحرم، و القطائع: عدّة قطع، تسكن فيها عبيد ابن طولون، و عساكره و غلمانها، و كل قطيعة لطائفه، فيقال: قطيعة السودان، و قطيعة الروم، و قطيعة الفَرّاشين، و نحو ذلك، فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة، و كان ابتداء عماره هذه القطائع، و سببها: أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد، لما اختص بالأتراك، و وضع من العرب، و أخرجهم من الديوان، و أسقط أسماءهم، و منعهم العطاء، و جعل الأتراك أنصار دولته، و أعلام دعوته. كان من عظمت عنده منزلته قلده الأعمال الجليّة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره، و يحمل إليه ماله، و يدعى له على منابره كما يدعى للخليفة، و كانت مصر عندهم بهذه السبيل.

و قصد المعتصم، و من بعده من الخلفاء بذلك، العمل مع الأتراك محاكاة ما فعله الرشيد، بعبد الملك بن صالح، و المأمون بطاهر بن الحسين، ففعل المعتصم مثل ذلك بالأتراك، فقلد أشناس، و قلّم الواثق إيتاخ، و قلّد المتوكل نقا و وصيف، و قلّد المهتدي ماجور، و غير من ذكرنا من أعمال الأقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ، فتقلد باكباك مصر، و طلب من يخلفه عليها، و كان أحمد بن طولون قد مات أبوه في سنه أربعين و مائتين، و لأحمد عشرون سنه منذ ولد من جاريه كانت تدعى قاسم، و كان مولده في سنه عشرين و مائتين، و ولدت أيضا أخاه موسى و حسيه و سمانه، و كان طولون من الطغرغر مما حملة نوح بن أسد عامل بخارى إلى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال، و الرقيق و البراذين، و غير ذلك في كل سنه، و ذلك في سنه مائتين، فنشأ أحمد بن طولون نشأ جميلا غير نشأ أولاد العجم، فوصف بعلو الهمة، و حسن الأدب و الذهاب بنفسه عما كان يترامى إليه أهل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٠

طبقتة، و طلب الحديث، و أحب الغزو، و خرج إلى طرسوس مرّات، و لقي المحلّثين، و سمع منهم، و كتب العلم، و صحب الزّهاد و أهل الورع، فتأدّب بآدابهم، و ظهر فضله، فاشتهر عند الأولياء، و تميز على الأتراك، و صار في عداد من يوثق به، و يؤتمن على الأموال و الأسرار، فزوّجه ماجور ابنته، و هي أم ابنه العباس، و ابنته فاطمة.

ثم إنه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر، فأجابته و خرج إلى طرسوس، فأقام بها و شق على أمه مفارقتة، فكاتبته بما ألقفه، فلما قفل الناس إلى سرّ من رأى سار معهم إلى لقاء أمه، و كان في القافلة، نحو خمسمائة رجل، و الخليفة إذ ذاك: المستعين بالله أحمد بن المعتصم، و كان قد أنفذ خادما إلى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسه، فلما عاد بها، و هي: وقر بغل إلى طرسوس، خرج مع القافلة، و كان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرّقين، فطرق الأعراب بعض سوادهم، و جاء الصائح: فبدر أحمد بن طولون لقتالهم و تبعوه، فوضع السيف في الأعراب، و رمى بنفسه فيهم حتى استنفذ منهم جميع ما أخذوه، و فرّوا منه، و كان من جملة ما استنفذ من الأعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم، و كبر في أعين القافلة، فلما وصلوا إلى العراق، و

شاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به، و عرّفه الخادم خروج الأعراب، و أخذهم البغل بما عليه، و ما كان من صنع أحمد بن طولون، فأمر له بألف دينار، و سلم عليه مع الخادم، و أمره أن يعرّفه به إذا دخل مع المسلمين، ففعل ذلك، و توالى عليه صلاة الخليفة حتى حسنت حاله، و وهبه جارية اسمها: مياس استولدها ابنه خمارويه فى النصف من المحرم سنة خمسين و مائتين، فلما خلع المستعين، و بويع المعتز أخرج المستعين إلى واسط، و اختار الأتراك أحمد بن طولون أن يكون معه، فسلم إليه و مضى به، فأحسن عشرته، و أطلق له التنزه و الصيد، و خشى أن يلحقه منه احتشام، فألزمه كاتبه أحمد بن محمد الواسطى، و هو إذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة، فأنس به المستعين.

ثم إن فتحة أم المعتز كتبت إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين، و قلده واسط، فامتنع من ذلك، و كتب إلى الأتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له فى رقبته بيعة، فزاد محله عند الأتراك بذلك، و وجهوا سعيد الحاجب، و كتبوا إلى ابن طولون بتسليم المستعين له، فتسلمه منه و قتله، و وراه ابن طولون، و عاد إلى سرّ من رأى، و قد تقلد باكباك مصر، و طلب من يوجهه إليها، فذكر له أحمد بن طولون، فقلده خلافته، و ضم إليه جيشا، و سار إلى مصر، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع و خمسين و مائتين متقلداً للقبصة دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها، كالإسكندرية و نحوها، و دخل معه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢١

أحمد بن محمد الواسطى، و جلس الناس لرؤيته، فسأل بعضهم غلام أبى قبيل: صاحب الملاحم، و كان مكفوفا عما يجده فى كتبهم، فقال: هذا رجل نجد صفته كذا و كذا و أنه يتقلد الملك هو و ولده قريبا من أربعين سنة، فما تمّ كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون، و إذا هو على النعت الذى قال.

و لما تسلّم أحمد بن طولون مصر كان على الخراج أحمد بن محمد بن المدبر، و هو من دهاة الناس، و شياطين الكتاب، فأهدى إلى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج إلى لقائه هو و شقير الخادم غلام فتحة أم المعتز، و هو يتقلد البريد، فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدبر مائة غلام من الغور، قد انتخبهم و صيرهم عدّة و جمالا، و كان لهم خلق حسن و طول أجسام، و بأس شديد، و عليهم أقيبة و مناطق تقال عراض، و بأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة، و كانوا يقفون بين يديه فى حافى مجلسه إذا جلس، فإذا ركب ركبوا بين يديه، فيصير له بهم هيبه عظيمة فى صدور الناس، فلما بعث ابن المدبر بهديته إلى ابن طولون ردّها عليه، فقال ابن المدبر: إنّ هذه لهممة عظيمة، من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الأطراف، فخافه و كره مقامه بمصر معه، و سار إلى شقير الخادم صاحب البريد، و اتفقا على مكاتبه الخليفة بإزالة ابن طولون، فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون إلى ابن المدبر يقول له: قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها، و لم يجر أن يغتنم مالك كثره الله، فرددتها توفيرا عليك، و نحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك، فأنا إليهم أحوج منك، فقال ابن المدبر: لما بلغت الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدّم قد ظهرت من هذا الرجل إذ كان يرّد الأعراض، و الأموال و يستهدى الرجال، و يثابر عليهم، و لم يجد بدا من أن بعثهم إليه، فتحوّلت هيبه ابن المدبر إلى ابن طولون، و نقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه.

فكتب ابن المدبر فيه إلى الحضرة يغرى به، و يحرض على عزله، فبلغ ذلك ابن طولون، فكنتم فى نفسه، و لم يبد و اتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس و خمسين، و قيام المهتدى بالله محمد بن الواثق، و قتل باكباك، و ردّ جميع ما كان بيده إلى ماجور التركى حموا بن طولون، فكتب إليه: تسلّم من نفسك لنفسك، و زاده الأعمال الخارجة عن قصبه مصر، و كتب إلى إسحاق بن دينار، و هو يتقلد الإسكندرية أن يسلمها لأحمد بن طولون، فعظمت لذلك منزلته، و كثر قلق ابن المدبر و غمه، و دعت ضرورة الخوف من ابن طولون إلى ملاطفته، و التقرب من خاطره، و خرج ابن طولون إلى الإسكندرية و تسلمها من إسحاق بن دينار، و أقرّه عليها، و كان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيبانى يتقلد جندى فلسطين و الأردن.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٢

فلما مات وثب ابنه على الأعمال، و استبد بها، فبعث ابن المدير سبعمائة ألف و خمسين ألف دينار حملا من مال مصر إلى بغداد، فقبض ابن شيخ عليها، و فرّقها في أصحابه، و كانت الأمور قد اضطربت ببغداد، فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات، و أشيع أنه يريد مصر، فلما قتل المهدي في رجب سنة ست و خمسين، و بويح المعتمد بالله أحمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له، و لا بايع هو، و لا أصحابه، فبعث إليه بتقليد أرمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام، و فسح له في الاستخلاف عليها، و الإقامة على عمله، فدعا حينئذ للمعتمد، و كتب إلى ابن طولون أن يتأهب لحرب ابن شيخ، و أن يزيد في عدته، و كتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد، فعرض ابن طولون الرجال، و أثبت من يصلح، و اشترى العبيد من الروم و السودان، و عمل سائر ما يحتاج إليه، و خرج في تجمل كبير و جيش عظيم، و بعث إلى ابن شيخ يدعوه إلى طاعة الخليفة، و ردّ ما أخذ من المال، فأجاب بجواب قبيح، فسار لست خلون من جمادى الآخرة، و استخلف أخاه موسى بن طولون على مصر، ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق، و دخل الفسطاط في شعبان.

و قدم من العراق: ماجور التركي لمحاربة ابن شيخ، فلقبه أصحاب ابن شيخ، و عليهم ابنه، فانهزموا منه، و قتل الابن، و استولى ماجور على دمشق، و لحق ابن شيخ بنواحي أرمينية، و تقلد ماجور أعمال الشام كله، و صار أحمد بن طولون من كثرة العبيد، و الرجال و الآلات بحال يضيق به داره، و لا يتسع له فركب إلى سفح الجبل في شعبان، و أمر بحرث قبور اليهود و النصارى، و اختط موضعها فبنى القصر و الميدان، و تقدّم إلى أصحابه و غلمانه و أتباعه أن يخطوا لأنفسهم حوله، فاخطوا و بنوا حتى اتصل البناء لعمارة الفسطاط، ثم قطعت القطائع، و سميت كل قطيعة باسم من سكنها، فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، و للروم قطيعة مفردة تعرف بهم، و للفرّاشين قطيعة مفردة تعرف بهم، و لكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم.

و بنى القواد مواضع متفرقة، فعمرت القطائع عمارة حسنة، و تفرقت فيها السكك و الأزقة، و بنيت فيها المساجد الحسان و الطواحين و الحمامات و الأفران، و سميت أسواقها، فليل: سوق العيارين، و كان يجمع العطارين و البزازين، و سوق الفامين، و يجمع الجزارين و البقالين و الشوّابين، فكان في دكاكين الفامين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة.

و أكثر و أحسن، و سوق الطبّاخين، و يجمع الصيارف، و الخبازين و الحلوانيين، و لكل من الباعة سوق حسن عامر، فصارت القطائع مدينة كبيرة، أعمر و أحسن من الشام، و بنى ابن طولون قصره و وسعه و حسنه، و جعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجّة، فسمى القصر كله الميدان، و كان كل من أراد الخروج من صغير و كبير إذا سئل عن ذهابه يقول:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٣

إلى الميدان، و عمل للميدان أبوابا لكل باب اسم، و هي باب الميدان، و منه كان يدخل و يخرج معظم الجيش، و باب الصوالجّة، و باب الخاصة، و لا يدخل منه إلا خاصة ابن طولون، و باب الجبل لأنه مما يلي جبل المقطم، و باب الحرم، و لا يدخل منه إلا خادم خصي أو حرمة، و باب الدرّمون لأنه كان يجلس عنه حاجب أسود عظيم الخلقة يتقلد جنائيات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له: الدرّمون، و باب دعناج لأنه كان يجلس عنده حاجب يقال له: دعناج، و باب الساج لأنه عمل من خشب الساج، و باب الصلاة لأنه كان في الشارع الأعظم، و منه يتوصل إلى جامع ابن طولون، و عرف هذا الباب أيضا باب السباع، لأنه كان عليه صورة سبعين من جيس، و كان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون، و هو الذي يعرج منه إلى القصر طريقا واسعا فقطعه بحائط و عمل فيه ثلاثة أبواب كأكبر ما يكون من الأبواب، و كانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر.

و كان ابن طولون إذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة، ثم يخرج ابن طولون من الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به أحد من الناس، و كانت الأبواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد، أو يوم عرض الجيش، أو يوم صدقة، و ما عدا هذه الأيام لا تفتح إلا بترتيب في أوقات معروفة، و كان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض، و يوم الصدقة لينظر من أعلاه من يدخل و يخرج، و كان الناس يدخلون من باب الصوالجّة، و يخرجون من باب السباع، و

كان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان، و تأهبهم و تصرفهم في حوائجهم، فإذا رأى في حال أحد منهم نقصاً أو خللاً، أمر له بما يتسع به، و يزيد في تجملته، و كان يشرف منه أيضاً على البحر، و على باب مدينة الفسطاط، و ما يلي ذلك.

فكان منتهزها حسناً، و بنى الجامع، فعرف بالجامع الجديد، و بنى العين و السقاية بالمغافر، و بنى تنور فرعون فوق الجبل، و اتسعت أحواله و كثرت اصطبلاته و كراعته، و عظم صيته، فخافه ماجور، و كتب فيه إلى الحضرة يعزى به، و كتب فيه ابن المدبر و شقير الخادم، و كانت لابن طولون أعين، و أصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث، فلما بلغه ذلك تلمظ أصحاب الأخبار له ببغداد عند الوزير، حتى سير إلى ابن طولون بكتب ابن المدبر، و كتب شقير من غير أن يعلم بذلك، فإذا فيها: أن أحمد بن طولون عزم على التغلب على مصر و العيصان بها، فكنتم خبر الكتب و ما زال بشقير حتى مات و كتب إلى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن الخراج، و تقليد هلال فأجيب إلى ذلك، و قبض على ابن المدبر و حبسه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٤

و كانت له معه أمور آلت إلى خروج ابن المدبر عن مصر، و تقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة و الثغور الشامية، فأسقط المعاون و المرافق، و كانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار، فأظفره الله عقيب ذلك، بكثر فيه ألف ألف دينار: بنى منه المارستان، و خرج إلى الشام، و قد تقلدها فتسلم دمشق و حمص، و نازل أنطاكية حتى أخذها، و كانت صدقاته على أهل المسكنة و الستر، و على الضعفاء و الفقراء، و أهل التجمل متواترة، و كان راتبه لذلك في كل شهر ألفى دينار سوى ما يطراً عليه من النذور، و صدقات الشكر على تجديد النعم، و سوى مطابخه التي أقيمت في كل يوم للصدقات في داره و غيرها. يذبح فيها البقر و الكباش، و يغرف للناس في القدور و الفخار و القصاع على كل قدر أو قصعة لكل مسكين أربعة أرغفة في اثنين منها فالزوج، و الاثنان الآخران على القدر، و كانت تعمل في داره، و ينادى من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر، و تفتح الأبواب و يدخل الناس الميدان، و ابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر إلى المساكين، و يتأمل فرحهم بما يأكلون و يحملون، فيسرّه ذلك، و يحمد الله على نعمته.

و لقد قال له مرة إبراهيم ابن قراطغان، و كان على صدقاته: أتيد الله الأمير إننا نقف في المواضع التي تفرق فيها الصدقة، فخرج لنا الكف الناعمة المخضوبة نقشا، و المعصم الرائع فيه الحديد، و الكف فيها الخاتم فقال: يا هذا كل من مدّ يده إليك، فأعطه فهذه هي اللطيفة المستوردة التي ذكرها الله سبحانه و تعالى في كتابه فقال: يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ [البقرة/ ٢٧٣] فاحذر أن تردّ يدا امتدّت إليك، و أعط كل من يطلب منك.

فلما مات أحمد بن طولون، و قام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه، و زاد فيه، و أخذ الميدان الذي كان لأبيه، فجعله كله بستاناً، و زرع فيه أنواع الرياحين، و أصناف الشجر، و نقل إليه الودى اللطيف الذي ينال ثمره القائم، و منه ما يتناوله الجالس من أصناف خيار النخل، و حمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب، و أنواع الورد، و زرع فيه الزعفران، و كسا أجسام النخل نحاساً مذهباً حسن الصنعة، و جعل بين النحاس، و أجساد النخل مزاريب الرصاص، و أجرى فيها الماء المدبر، فكان يخرج من تضاعيف، قائم النخل عيون الماء، فتنحدر إلى فساقى معموله، و يفيض منها الماء إلى مجار تسقى سائر البستان، و غرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معموله، و كتابات مكتوبة يتعاهدها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقه على ورقه، و زرع فيه النيلوفر الأحمر، و الأزرق و الأصفر و الجنوى العجيب، و أهدى إليه من خراسان و غيرها، كل أصل عجيب، و طعموا له شجر المشمش باللوز، و أشباه ذلك من كل ما يستظرف و يستحسن، و بنى فيه برجاً من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ، ليقوم مقام الأقفاص، و زوّقه بأصناف الأصباغ و بلط أرضه، و جعل في تضاعيفه أنهاراً لطافاً جداً و لها يجري فيها الماء مدبراً من السواقي التي تدور على

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٥

الآبار العذبة، و يسقى منها الأشجار و غيرها، و سرح في هذا البرج من أصناف القمارى و الدباسى و النونيات، و كل طائر مستحسن



حسن الصوت، فكانت الطير تشرب، و تغتسل من تلك الأنهار الجارية في البرج، و جعل فيه أوكارا في قوادر لطيقة ممكنة في جوف الحيطان، لتفرخ الطيور فيها، و عارض لها فيه عيدانا ممكنة في جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجابوب بعضها بعضا بالصياح، و سرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس، و دجاج الحبش، و نحوها شيئا كثيرا.

و عمل في داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول في أحسن نقش، و أظرف تفصيل، و جعل فيه على مقدار قامه و نصف صورا في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته، و صور حظاياها، و المغنيات اللاتي تغنيه بأحسن تصوير، و أبهج تزويق، و جعل على رؤوسهن الأكاليل من الذهب الخالص الإبريز الرزين، و الكوادر المرصعة بأصناف الجواهر، و في آذانها الأجراس الثقال الوزن، المحكمة الصنعة، و هي مسمرة في الحيطان، و لونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الأصباغ العجيبة.

فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا و جعل بين يدي هذا البيت فسقية مقدره و ملاءه زئبقا، و ذلك أنه شكا إلى طبيبه كثرة السهر، فأشار عليه بالتغيمير، فأنف من ذلك، و قال: لا أقدر على وضع يد أحد عليّ، فقال له: تأمر بعمل بركة من زئبق، فعمل بركة يقال: إنها خمسون ذراعا طولاً في خمسين ذراعا عرضاً، و ملاءها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالا عظيمة، و جعل في أركان البركة سكا من الفضة الخالصة، و جعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة، و عمل فرشاً من آدم يحشى بالريح حتى ينتفخ، فيحكّم حينئذ شدة، و يلقي على تلك البركة الزئبق، و تشدّ زنانير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة، و ينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يرتج و يتحرك بحركة الزئبق، ما دام عليه، و كانت هذه البركة من أعظم ما سمع به من الهمم الملوكية، فكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب، إذا تألف نور القمر بنور الزئبق، و لقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة، و ما عرف ملك قط تقدّم خمارويه في عمل مثل هذه البركة.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٦

و بنى أيضا في القصر قبة تضاهي قبة الهواء سماها الدكة، فكانت أحسن شيء بنى، و جعل لها الستر التي تقى الحرّ و البرد، فتسبل إذا شاء، و ترفع إذا أحب، و فرش أرضها بالفرش السرية، و عمل لكل فصل فرشاً يليق به، و كان كثيرا ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان و غيره، و يرى الصحراء و النيل و الجبل، و جميع المدينة، و بنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه، و كان أحمد بن طولون، قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سماءهم بالمكبرين عدّتهم اثنا عشر رجلا بيت منهم في كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل نوبا يكبرون و يسبحون و يحمّدون، و يهللون و يقرءون القرآن تطريبا بالحنان، و يتوسلون بقصائد زهدية، و يؤذنون أوقات الأذان، فلما ولى خمارويه: أقّره على حالهم، و أجراهم على رسمهم، و كان يجلس للشرب مع حظاياها في الليل، و قيناته تغنين، فإذا سمع أصوات هؤلاء يذكرون الله، و القدح في يده وضعه بالأرض، و أسكت مغنياته، و ذكر الله معهم أبدا، حتى يسكت القوم لا يضجره ذلك، و لا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع.

و بنى أيضا في داره: دارا للسباع عمل فيها بيوتا بأزاج، كل بيت يسع سبعا، و لبوته، و على تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات، و لكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل، و في جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء، و بين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها، و في جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير، فإذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع وظيفة اللحم التي لغذائه، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت، و صاح بالسبع، فيخرج إلى القاعة المذكورة، و يردّ الباب، ثم ينزل إلى البيت من الطاق، فيكنس الزبل، و يبدّل الرمل بغيره مما هو نظيف، و يضع الوظيفة من اللحم في مكان معدّ لذلك بعدما يخلص ما فيه من الغدد، و يقطع لهما، و يغسل الحوض، و يملأه ماء، ثم يخرج و يرفع الباب من أعلاه، و قد عرف السبع ذاك، فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل إليه الأسد، فأكل ما هبى له من اللحم، حتى يستوفيه، و يشرب من الماء كفايته، فكانت هذه مملوءة من السباع، و لهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت



السباع، فتخرج إلى القاعة، و تتمشى فيها و تمرح و تلعب، و يهارش بعضها بعضا، فتقيم يوما كاملا إلى العشي، فيصبح بها السواس، فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتخطاه إلى غيره.

و كان من جملة هذه السباع: سبع أزرق العينين يقال له: زريق قد أنس بخمارويه، و صار مطلقا في الدار لا يؤذى أحدا، و يقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم، فإذا نصبت مائدة خمارويه أقبل زريق معها، و ربض بين يديه، فرمى إليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة، و الفضلة الصالحة من الجدى، و نحو ذلك مما على المائدة، فيتفكه به.

و كانت له لبوة لم تستأنس كما أنس، فكانت مقصورة في بيت، و لها وقت معروف

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٧

يجتمع معها فيه، فإذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه، فإن كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير، و جعل يراعيه، ما دام نائما، و إن كان إنما نام على الأرض بقى قريبا منه، و تظن لمن يدخل، و يقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة، و كان على ذلك دهره قد ألف ذلك، و درب عليه، و كان في عنقه طوق من ذهب، فلا يقدر أحد من أن يدنو من خمارويه ما دام نائما لمراعاة زريق له، و حراسته إياه حتى إذا شاء الله إنفاذ قضائه في خمارويه كان بدمشق، و زريق غائب عنه بمصر، ليعلم أنه لا يغنى حذر من قدر، و بنى أيضا دار الحرم، و نقل إليها أمهات أولاد أبيه، مع أولادهن، و جعل معهن المعزولات من أمهات أولاده، و أفرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته، و فضل عنه منها شيء، و أقام لكل حجرة من الأنزال و الوظائف الواسعة، ما كان يفضل عن أهلها منه شيء كثير، فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين، و غيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة، و التي فيها العدة من الدجاج، فمنها ما قلع فخذها، و منها ما قد تشعب صدرها، و من الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى و لحوم الضأن، و العدة من ألوان عديدة، و القطع الصالحة من الفالودج، و الكثير من اللوزينج، و القطائف و الهرائس من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمأمونية، و أشباه ذلك مع الأرغفة الكبار، و اشتهر بمصر بيعهم لذلك، و عرفوا به، فكان الناس يتناوبونهم لذلك، و أكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين، و منها ما يباع بدرهم، فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات، و كان شيئا موجودا في كل وقت لكثرتهم، و اتساعه بحيث إن الرجل إذا طرقه ضيف، خرج من فوره إلى باب دار الحرم، فيجد ما يشتره ليتجمل به لضيافته، مما لا يقدر على عمله، و لا يتهيأ له من اللحوم، و الفراخ و الدجاج و الحلوى مثل ذلك.

و اتسعت أيضا اصطبالات خمارويه، فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا، لكان للخيل الخاص اصطبيل مفرد و لدواب الغلمان اصطبالات عدة، و لبغال القباب اصطبالات، و لبغال النقل غير بغال القباب اصطبالات، و للنجائب و البخاتي اصطبالات لكل صنف اصطبيل مفرد للاتساع في المواضع و التفنن في الأتقال، و عمل للنمور دارا مفردة، و للفهود دارا مفردة، و للفيلة دارا، و للزرافات دارا، كل ذلك سوى الاصطبالات التي بالجيزة، فإنه كان له عدة ضياع من الجيزة اصطبالات مثل: نهيا، و وسيم، و سفت، و طهرمس، و غيرها، و كانت هذه الضياع لا تزرع إلا القرط برسم الدواب، و كان للخليفة أيضا بمصر اصطبالات سوى ما ذكر تنتج فيها الخيل: لعلبة السباق، و للرباط في سبيل الله تعالى برسم الغزو، و كان لكل دار من الدور المذكورة، و لكل اصطبيل و كلاء لهم الرزق

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٨

السنن و الوظائف الكثيرة و الأموال المتسعة، و بلغ رزق الجيش في أيام خمارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة، و قام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة و عشرين ألف دينار في كل شهر، سوى ما هو موظف لجواريه و أرزاق من يخدمه و يتصرف في حوائجهن.

و كان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف و شناترة الضياع قوما معروفين بالشجاعة، و البأس لهم خلق عظيم تام، و عظم أجسام، و أدر عليهم الأرزاق، و وسع لهم في العطاء، و شغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق، و أذية الناس بخدمته، و ألبسهم الأقبية، و جواشن

الديباج، و صاغ لهم المناطق العراض الثقال، و قلمدهم السيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم، فإذا مشوا بين يديه، و موكبه على ترتيبه، و مضت أصناف العسكر و طوائفه تلاهم السودان، و عدتهم ألف أسود لهم درق من حديد، محكم الصنعة، و عليهم أقبية سود، و عمائم سود، فيخالهم الناظر إليهم بحرا أسود يسير، لسواد ألوانهم، و سواد قياهم، و يصير لبريق درقهم و حلى سيوفهم و البيض التي تلمع على رؤوسهم من تحت العمائم زى بهج، فإذا مضى السودان قدم خمارويه، و قد انفرد عن موكبه، و صار بينه و بين الموكب نحو نصف غلوة سهم و المختارة تحف به، و كان تام الظهر، و يركب فرسا تاما، فيصير كالكوكب إذا أقبل لا يخفى على أحد، كأنه قطعة جبل فى وسط المختارة، و كان مهابا ذا سطوة، و قد وقع فى قلوب الكافة أنه متى أشار إليه أحد ياصبعه، أو تكلم أو قرب من، لحقه مكروه عظيم، فكان إذا أقبل كما ذكرنا لا يسمع من أحد كلمة، و لا سعلة و لا عطسة، و لا نحنحة البتة، كأنما على رؤوسهم الطير، و كان يتقلد فى يوم العيد سيفا بحمائل، و لا يزال يتفرج و يتنزه و يخرج إلى مواضع لم يكن أبوه يهش إليها، كالأهرام، و مدينة العقاب، و نحو ذلك لأجل الصيد، فإنه كان مشغوبا به لا يكاد يسمع بسبع، إلا قصده، و معه رجال عليهم لبود، فيدخلون إلى الأسد و يتناولونه بأيديهم من غابه عنوة، و هو سليم فيضعونه فى أفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع، و هو قائم فإذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص، و فيه السبع بين يديه، و كانت حلبة السباق فى أيامهم تقوم مقام الأعياد، لكثرة الزينة و ركوب سائر الغلمان، و العساكر على كثرتهم بالسلاح التام، و العدد الكاملة، فيجلس الناس لمشاهدة ذلك، كما يجلسون فى الأعياد و تطلق الخيل من غايتها، فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق.

قال القضاعى: المنظر بناه أحمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل، و كان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التي منها هذا العرض، و رمضان بمكة، و العيد كان بطرسوس، و الجمعة ببغداد، فبقى من هذه الأربعة، شهر رمضان بمكة، و الجمعة ببغداد، و ذهبت اثنتان، قال كاتبه: و قد ذهبت الجمعة ببغداد أيضا بعد القضاعى، بقتل هولاءكو للخليفة المستعصم، و زوال شعائر الإسلام من العراق، و بقيت مكة شرفها الله تعالى، و ليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه أنه من عجائب الإسلام، و لما تكامل عز خمارويه،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٢٩

و انتهى أمره بدأ يسترجع منه الدهر ما أعطاه، فأول ما طرقة موت خطيبته بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب، و صور فيه صورتها و صورته، كما تقدم، و كان يرى أن الدنيا لا تطيب له إلا بسلامتها و بنظره إليها، و تمتعه بها فكدر موتها عيشه، و انكسر انكسارا بان عليه، ثم إنه أخذ فى تجهيز ابنته، فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة، فلم يبق خطيرة و لا طرفة من كل لون و جنس إلا حملة معها، فكان من جملته: دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة، و مائة هون من ذهب.

قال القضاعى: و عقد المعتضد النكاح على ابنته، يعنى ابنة خمارويه: قطر الندى، فحملها أبو الجيش خمارويه مع عبد الله بن الخصاص، و حمل معها ما لم ير مثله، و لا يسمع به، و لما دخل إليه ابن الخصاص يودعه، قال له خمارويه: هل بقى بينى و بينك حساب؟ فقال: لا، فقال: انظر حسابك، فقال: كسر بقى من الجهاز، فقال: أحضروه، فأخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة، فإذا هى أربعمئة ألف دينار، قال محمد بن على المدرائى، فنظرت فى الطومار، فإذا فيه و ألف تكة الثمن عنها عشرة آلاف دينار، فأطلق له الكل.

قال القضاعى: و إنما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على أشياء منها سعة نفس أبى الجيش، و منها كثرة ما كان يملكه ابن الخصاص حتى أنه قال: كسر بقى من الجهاز، و هو أربعمئة ألف دينار، لو لم يقتضه ذلك، لم يذكره، و منها ميسور ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من أثمان عشرة دنانير قدر عليها فى أيسر وقت، و بأهون سعى، و لو طلب اليوم خمسون، لم يقدر عليها، قال كاتبه: و لا يعرف اليوم فى أسواق القاهرة و مصر تكة بعشرة دنانير، إذا طلبت توجد فى الحال، و لا بعد شهر، إلا أن يتعنى بعملها، فتعمل، و لما فرغ خمارويه من جهاز ابنته أمر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر، فيما بين مصر و بغداد، و أخرج معها أخاه شيبان بن

أحمد بن طولون في جماعة مع ابن الخصاص، فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد، فإذا وافت المنزل وجدت قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج إليه، وعلقت فيه الستور، وأعدّ فيه كل ما يصلح لمثلها في حال الإقامة، فكانت في مسيرها من مصر إلى بغداد على بعد الشقة، كأنها في قصر أبيها تنتقل من مجلس إلى مجلس، حتى قدمت بغداد أول المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين، فزفت على الخليفة المعتضد.

وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق، وكانت مدة بنى طولون بمصر سبعا و ثلاثين سنة، و سنته أشهر و اثنين و عشرين يوما.

و ولي منهم خمسة أمراء أولهم: أحمد بن طولون، ولي مصر من قبل المعتز على

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٠

صلاتها، فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع و خمسين و مائتين، و خرج بغا الأصفر و هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا، فيما بين برقة و الإسكندرية في جمادى الأولى سنة خمس و خمسين، و سار إلى الصعيد، فقتل في الحرب، و حمل رأسه إلى الفسطاط لإحدى عشرة بقية من شعبان، و خرج ابن الصوفي العلوي، و هو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، و دخل إسنا في ذى القعدة، فنهب و قتل، فبعث إليه ابن طولون جيشا، فهزم الجيش في ربيع الأول سنة ست و خمسين، فبعث بجيش آخر، فواقعه ياخميم في ربيع الآخر، فانهزم ابن الصوفي إلى الواح، فأقام به، و خرج أحمد بن طولون يريد حرب عيسى بن الشيخ، ثم عاد، فابتدأ في أبناء الميدان، و قدم العباس و خمارويه ابنا أحمد بن طولون من العراق على طريق مكة سنة سبع و خمسين، و ورد كتاب ماجور بتسلم أحمد بن طولون الأعمال الخارجة عن يده من أرض مصر، فتسلم الإسكندرية، و خرج إليها لثمان خلون من شهر رمضان، و استخلف طفج صاحب الشرط، ثم قدم لأربع عشرة بقية من شوال، و سخط على أخيه موسى، و أمره بلباس البياض.

و خرج إلى الإسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة تسع و خمسين، و استخلف ابنه العباس، و قدم لثمان خلون من شوال، و أمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر سنة تسع و خمسين، و ببناء المارستان للمرضى، و ورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل الأموال، فكتب إليه لست أطيع ذلك، و الخراج بيد غيري، فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد أحمد بن طولون الخراج، و بولايته على الثغور الشامية، فأقرّ أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه، و عقد لطخشي بن بلبرد على الثغور، فخرج في جمادى الأولى سنة أربع و ستين، و تقدّم أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون، و تقليدها ماجور التركي و الى دمشق، فكتب إليه بذلك، فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون، فخرج موسى بن بغا، و نزل الرقة، فبلغ ابن طولون أنه سائر إليه فابتدأ في بناء الحصن بالجزيرة، ليكون معقلا- لماله و حرمه في سنة ثلاث و ستين، و اجتهد في عمل المراكب الحربية، و أظافها بالجزيرة، فأقام موسى بالرقة عشرة أشهر، و اضطربت أموره، و مات في صفر سنة أربع و ستين، و مات ماجور بدمشق، و استخلف ابنه علي بن ماجور، فحرّك ذلك أحمد بن طولون على المسير، و كتب إلى ابن ماجور أنه سائر إليه، و أمره بإقامة الأنزال و الميرة، فأجاب بجواب حسن، و شكّا أهل مصر إلى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده و سودانه، فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر، فابتدأ ببنائه في سنة أربع و تم في سنة ست و ستين و مائتين، و خرج في جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع و ستين، و استخلف ابنه العباس، و ضم إليه أحمد بن محمد الواسطي مدبرا و وزيرا، فبلغ الرملة، و تلقاه محمد بن رافع واليهما، و أقام له بها الدعوة، فأقرّه و مضى إلى دمشق،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣١

فتلقاه علي بن ماجور، و أقام له بها الدعوة، فأقام بها حتى استوثق له أمرها، و مضى إلى حمص فتسلمها، و بعث إلى سيما الطويل، و هو بأنطاكية يأمره بالدعاء له فأبى، فسار إليه في جيش عظيم، و حاصره، و رماه بالمجانيق، حتى دخلها في المحرم سنة خمس و ستين، فقتل سيما، و استباح أمواله و رجاله، و مضى إلى طرسوس، فدخلها في ربيع الأول، فضاقت به، و غلا السعر بها، فنانبده أهلها، فقاتلهم

و أمر أصحابه أن ينهزموا عن أهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم، فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها و شدتها، لم تقم لأهل طرسوس، فانهزموا، و خرج عنهم و استخلف عليها طخشي، فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه، فأزعجه ذلك، و سار فخاف العباس، و قيد الواسطي، و خرج بطائفته إلى الجيزة لثمان خلون من شعبان سنة خمس و ستين و مائتين، فعسكر بها، و استخلف أخاه ربيعة بن أحمد، و أظهر أنه يريد الإسكندرية، و سار إلى برقة، فقدم أحمد بن طولون من الشام لأربع خلون من رمضان، لأنفذ القاضي بكار بن قتيبة في نفر بكتابه إلى العباس، فساروا إليه ببرقة، فأبى أن يرجع، و عاد بكار في أول ذي الحجة، و مضى العباس يريد إفريقية في جمادى الأولى سنة ست و ستين، فنهب لبدء، و قتل من أهلها عدّة، و ضجت نساؤهم، فاجتمع عليه: جيش ابن الأغلب و الإباضية، فقاتلهم بنفسه، و حسن بلاؤه يومئذ و قال:

لله دري إذ أعدوا على فرسى إلى الهياج و نار الحرب تستعر  
و في يدي صارم أفرى الرءوس به في حدّه الموت لا يبقى و لا يذر  
إن كنت سائلة عنى و عن خبري فما أنا الليث و الصمصامة الذكر  
من آل طولون أصلى إن سألت فما فوقى لمفتخر بالوجود مفتخر  
لو كنت شاهدة كرى بلبدة إذ بالسيف أضرب و الهامات تبندر  
إذا لعانت منى ما تبادره عنى الأحاديث و الأنباء و الخبر

و قتل يومئذ صناديد عسكره، و وجوه أصحابه، و نهبت أمواله، و فرّ إلى برقة في ضرّ.

و عقد أحمد بن طولون على جيش، و بعث به إلى برقة في رمضان سنة سبع و ستين، ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال: إنه بلغ مائة ألف لثنتي عشر خلت من ربيع الأول سنة ثمان و ستين، فأقام بالإسكندرية، و فرّ إليه أحمد بن محمد الواسطي من عند العباس، فصغر عنده أمر العباس، فعقد على جيش سيّره إلى برقة، فواقوا أصحاب العباس و هزمهم، و قتلوا منهم كثيرا، و أدركوا العباس لأربع خلون من رجب و عاد أحمد إلى الفسطاط لثلاث عشرة خلت منه، و قدم العباس و الأسرى في شوال، ثم أخرجوا أول ذي

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٢

القعدة، و قد بنيت لهم دكة عالية، فضربوا و ألقوا من أعلاها، ثم بعث بلؤلؤ في جيش إلى الشام، فخالف على أحمد، و مال مع الموفق، و صار إليه، فخرج أحمد، و استخلف ابنه خمارويه في صفر سنة سبع و ستين، فنزل دمشق، و معه ابنه العباس مقيدا، فخالف عليه أهل طرسوس، فخرج يريد محاربتهم ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه، أنه قادم عليه ليلتجئ إليه، فخرج كالمصيد من بغداد، و توجه نحو الرقة، فبلغ أبا أحمد الموفق مسيره، و هو محارب لصاحب الزنج، فعمل عليه حتى عاد إلى سامراء، و وكل به جماعة، و عقد لإسحاق بن كنداخ الخزري على مصر، فبلغ ذلك ابن طولون، فرجع إلى دمشق، و أحضر القضاء و الفقهاء من الأعمال، و كتب إلى مصر كتابا قرئ على الناس بأن: أبا أحمد الموفق نكث ببيعة المعتمد، و أسره في دار أحمد بن الخصيب، و إن المعتمد قد صار من ذلك إلى ما لا يجوز ذكره، و إنه بكى بكاء شديدا، فلما خطب الخطيب يوم الجمعة، ذكر ما نيل من المعتمد، و قال: اللهم فاكفه من حصره و ظلمه، و خرج من مصر بكار بن قتيبة، و جماعة إلى دمشق، و قد حضر أهل الشامات و الثغور، فأمر ابن طولون بكتاب فيه: خلع الموفق من ولاية العهد، لمخالفة المعتمد، و حصره إياه، و كتب فيه: إن أبا أحمد الموفق خلع الطاعة، و برىء من الذمّة، فوجب جهاده على الأمة، و شهد على ذلك جميع من حضر إلّا بكار بن قتيبة و آخرين.

و قال بكار: لم يصح عندي ما فعله أبو أحمد، و لم أعلمه، و امتنع من الشهادة و الخلع، و كان ذلك لإحدى عشرة خلت من ذي القعدة، فبلغ ذلك الموفق، فكتب إلى عماله: بلعن أحمد بن طولون على المنابر، فلعن عليه بما صيغته: اللهم العنه لعنا فلّ حدّه، و يتعس جدّه، و اجعله مثلا للغابرين إنك لا تصلح عمل المفسدين، و مضى أحمد إلى طرسوس، فنازلها، و كان البرد شديدا، ثم رحل عنها إلى أذنة، و سار إلى المصيصة، فنزلت به على الموت، فأعدّ السير يريد مصر، حتى بلغ الفرما، فركب النيل إلى الفسطاط، فدخل

لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين، فأوقف بكار بن قتيبة، و بعث به إلى السجن، و تزايدت به العلة، حتى مات ليلة الأحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين و مائتين، فلما بلغ المعتمد موته اشتدّ وجده و جزعه عليه، و قال يرثيه:

إلى الله أشكو أسى عراني كوقع الأسل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٣ على رجل أروع يرى منه فضل الوجل

شهاب خبا وقده و عارض غيث أفل

شكت دولتي فقده و كان يزين الدول

فقام بعده ابنه: أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، و بايعه الجند يوم الأحد لعشر خلون من ذى القعدة، فأمر بقتل أخيه العباس لامتناعه من مبايعته، و عقد لأبي عبد الله أحمد الواسطي، على جيش إلى الشام لست خلون من ذى الحجة، و عقد لسعد الأعسر على جيش آخر، و بعث بمراكب في البحر لتقييم على السواحل الشامية، فنزل الواسطي فلسطين، و هو خائف من خمارويه أن يوقع به، لأنه كان أشار عليه بقتل أخيه العباس، فكتب إلى أبي أحمد الموفق: يصغر أمر خمارويه، و يحرضه على المسير إليه، فأقبل من بغداد، و انضم إليه إسحاق بن كنداح، و محمد بن أبي الساج، و نزل الرقة، فتسلم قنشرين و العواصم و سار إلى شيرز، فقاتل أصحاب خمارويه، و هزمهم و دخل دمشق، فخرج خمارويه في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة إحدى و سبعين، فالتقى مع أحمد بن الموفق بنهر أبي بطرس المعروف بالطواحين من أرض فلسطين، فاقتتلا فانهزم أصحاب خمارويه، و كان في سبعين ألفا، و ابن الموفق في نحو أربعة آلاف، و احتوى على عسكر خمارويه بما فيه، و مضى خمارويه إلى الفسطاط، و أقبل كمين له عليه: سعد الأعسر، و لم يعلم بهزيمة خمارويه، فحارب ابن الموفق، حتى أزاله عن المعسكر، و هزمه اثني عشر ميلا و مضى إلى دمشق، فلم يفتح له، و دخل خمارويه إلى الفسطاط لثلاث خلون من ربيع الأول، و سار سعد الأعسر و الواسطي، فملكا دمشق، و خرج خمارويه من مصر لسبع بقين من رمضان، فوصل إلى فلسطين، ثم عاد لاثنتي عشرة بقية من شوال، ثم خرج في ذى القعدة سنة اثنتين و سبعين، فقتل سعدا الأعسر، و دخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث و سبعين، و سار لقتال ابن كنداح، فكانت على خمارويه، فانهزم أصحابه، و ثبت هو في طائفه، فهزم ابن كنداح، و أتبعه حتى بلغ أصحابه سر من رأى، ثم اصطلحا و تظاهرا، و أقبل إلى خمارويه، فأقام في عسكره، و دعا له في أعماله التي بيده، و كاتب خمارويه أبا أحمد الموفق في الصلح، فأجابه إلى ذلك، و كتب له بذلك كتابا، فورد عليه به: فائق الخادم إلى مصر في رجب ذكر فيه: أن المعتمد و الموفق و ابنه كتبه بأيديهم، و بولاية خمارويه و ولده ثلاثين سنة على مصر و الشامات، ثم قدم خمارويه سلخ رجب،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٤

فأمر بالدعاء لأبي أحمد الموفق، و ترك الدعاء عليه، و جعل على المظالم بمصر: محمد بن عبدة بن حرب، و بلغه مسير محمد بن أبي الساج إلى أعماله، فخرج إليه في ذى القعدة، و لقيه شبيه العقاب من دمشق، فانهزم أصحاب خمارويه و ثبت هو، فحاربه حتى هزمه أقبح هزيمة، و عاد إلى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست و سبعين، ثم خرج إلى الإسكندرية لأربع خلون من شوال، و ورد الخبر أنه دعى له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع و سبعين، و خرج إلى الشام لسبع عشرة من ذى القعدة، و مات الموفق في سنة ثمان و سبعين، ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع و سبعين، و بويع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق، فبعث إليه خمارويه بالهدايا، و قدم من الشام لست خلون من ربيع الأول سنة ثمانين، فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو و ولده ثلاثين سنة، من الفرات إلى برقة، و جعل له الصلاة و الخراج و القضاء و جميع الأعمال، على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى، و ثلاثمائة ألف للمستقبل، ثم قدم رسول المعتضد بالخلع، و هي اثنتا عشرة خلعة و سيف و تاج و وشاح مع خادم في رمضان، و عقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة إحدى و ثمانين، و فيها خرج خمارويه إلى نزهته ببربوط في شعبان، و مضى إلى الصعيد فبلغ سيوط، ثم رجع من الشرق إلى الفسطاط أول ذى القعدة، و خرج إلى الشام لثمان خلون من شعبان سنة



اثنتين و ثمانين، فأقام بمنية الأصبع، و منية مطر، ثم رحل حتى أتى دمشق، فقتل بها على فراشه، ذبحه جواريه و خدمه، و حمل في صندوق إلى مصر، و كان لدخول تابوته يوم عظيم، و استقبله جواريه، و جواري غلمانه، و نساء قواده، و نساء القطائع بالصياح، و ما يصنع في المآتم، و خرج الغلمان، و قد حلوا أقيبتهم، و فيهم من سؤد ثيابه و شققها، و كانت في البلد ضجة عظيمة، و صرخة تتعج القلوب حتى دفن، و كانت مدته اثنتي عشرة سنة، و ثمانية عشر يوما.

ثم ولى أبو العساكر بن خمارويه بن أحمد بن طولون ليلية بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين و ثمانين و مائتين بدمشق، فسار إلى مصر، و اشتمل على أمور أنكرت عليه، فاستوحش من عظماء الجند و تنكر لهم، فخافوه و دأبوا في الفساد، فخرج منتزها إلى منية الأصبع، ففرّ جماعة من عظماء الدولة إلى المعتضد، و خلعه أحمد بن طغان، و كان على الثغر، و خلعه طغج بن جف بدمشق، فوثب جيش على عمه مضر بن أحمد بن طولون فقتله، فوثب عليه الجيش، و خلعه و جمعوا الفقهاء و القضاة، فتبرأ من بيعته و حللهم منها، و كان خلعه لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثمانين، فولى ستة أشهر و اثني عشر يوما، و مات في السجن بعد أيام.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٥

ثم ولى أبو موسى هارون بن خمارويه يوم خلع جيش، فقام طائفة من الجند، و كاتبوا ربيعة بن أحمد بن طولون، و كان بالإسكندرية، و دعوه، و وعدوه بالقيام معه، فجمع جمعا كثيرا من أهل البحيرة، و من البربر و غيرهم، و سار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر، فخذله القوم، و خرج إليه القواد، فقاتلوه و أسروه لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة أربع و ثمانين، و ضرب ألف سوط و مائتي سوط فمات، و مات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين، و بويع ابنه محمد المكتفى بالله، و خرج القرمطي بالشام في سنة تسعين، فخرج القواد من مصر و حاربوه، فهزمهم، و بعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب، فنزل حمص، و بعث بالمرابك من الثغر إلى سواحل مصر، و أقبل إلى فلسطين، فخرج هارون يوم التروية سنة إحدى و تسعين، و سير المرابك الحربية، فالتقوا بمرابك محمد بن سليمان في تينس، فغلبوا، و ملك أصحاب محمد بن سليمان تينس و دمياط، فسار هارون إلى العباسة، و معه أهله و أعمامه في ضيق و جهد، فتفرق عنه كثير من أصحابه و بقي في نفر يسير، و هو متشاغل باللهو، فأجمع عمّاه: شيبان و عدّي: ابنا أحمد بن طولون على قتله، فدخلوا عليه و هو ثمل، فقتلاه ليلة الأحد لإحدى عشرة بقية من صفر سنة اثنتين و تسعين، و سنة يومئذ اثنان و عشرون سنة، فكانت ولايته ثمان سنين و ثمانية أشهر و أياما.

ثم ولى شيبان بن أحمد بن طولون أبو المواقيت لعشر بقين من صفر، فرجع إلى الفسطاط، و بلغ طفح بن جف، و غيره من القواد قتل هارون، فأنكروه، و خالفوا على شيبان، و بعثوا إلى محمد بن سليمان فأمنهم، و حرّكوه على المسير إلى مصر، فسار حتى نزل العباسة، فلقية طفح في ناس من القواد كثير، فساروا به إلى الفسطاط، و أقبل إليهم عامّة أصحاب شيبان، فخاف حينئذ شيبان، و طلب الأمان فأمنه محمد بن سليمان، و خرج إليه ليلية خلت من ربيع الأول سنة اثنتين و تسعين و مائتين، و كانت ولايته اثني عشر يوما، و دخل محمد بن سليمان يوم الخميس أول ربيع الأول، فألقى النار في القطائع، و نهب أصحابه الفسطاط، و كسروا السجن، و أخرجوا من فيها، و هجموا الدور، و استباحوا الحرّيم، و هتكوا الرعية، و افتضوا الأبقار، و ساقوا النساء، و فعلوا كل قبيح من إخراج الناس من دورهم، و غير ذلك، و أخرج ولد أحمد بن طولون، و هم عشرون إنسانا، و أخرج قوادهم، فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر، و خلت منهم الديار، و عفت منهم الآثار، و تعطلت منهم المنازل، و حلّ بهم الذل بعد العز، و التطريد و التشريد بعد اجتماع الشمل، و نضرة الملك، و مساعدة الأيام، ثم سيق أصحاب شيبان إلى محمد بن سليمان، و هو راكب،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٦

فذبوا بين يديه، كما تذبح الشياه، و قتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا فقال أحمد بن محمد الحبشي:

الحمد لله إقرارا بما وهبنا قد لم بالأمن شعب الحق فانشعبا

الله أصدق هذا الفتح لا كذب فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا



فتح به فتح الدنيا محمدها و فرج الظلم و الإظلام و الكربا  
لا ريب رب هياج يقتضى دعه و فى القصاص حياة تذهب الربيا  
رمى الإمام به عذراء غادره فاقتض عذرتها بالسيف و اقتضبا  
محمد بن سليمان أعزهم نفسا و أكرمهم فى الذاهبين أبا  
سرى بأسد الشرى لو لم يروا بشراً أضحى عرينهم الخطى لا القضا  
جمّ القضاء على اليعقوم حين أتوا مثل الزبا يمتحون الزبية الذأبا  
أيها علوت على الأيام مرتبة أبا على ترى من دونها الرتبا  
لما أطال بنو طولون خطبتهم من الخطوب و عافت منهم الخطبا  
هارت بهارون من ذكراك بقعته و شيب الرعب شيبانا و قد رعبا  
و كم ترى لهم من جنه أنف و من نعيم جنى من غدرهم عطا  
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كأنها من زمان غابر ذهب  
و قال أحمد بن يعقوب:

إن كنت تسأل عن جلاله ملكهم فارتع و عج بمرايع الميدان  
و انظر إلى تلك القصور و ما حوت و اسرح بزهره ذلك البستان  
و إن اعتبرت فيه أيضا عبرة تنبيك كيف تصرف العصران  
يا قتل هارون اجتثت أصولهم و أشبت رأس أميرهم شيان  
لم يغن عنكم بأس قيس إذا غدافى جحفل لجب و لا غسان  
و عديه البطل الكمى و خزرج لم ينصرا بأخيها عدنان  
زفت إلى آل النبوة و الهدى و تمزقت عن شيعه الشيطان  
و قال إسماعيل بن أبى هاشم:

قف وقفه بقباب باب الساج و القصر ذى الشرفات و الأبراج  
و ربوع قوم أزعجوا عن دارهم بعد الإقامة أيما إزعاج  
كانوا مصايحا لدى ظلم الدجى يسرى بها السارون فى الإدلاج  
و كأن أوجههم إذا أبصرتهم من فضة بيضاء أو من عاج  
كانوا ليوثا لا يرام حماهم فى كل ملحمة و كل هياج

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٧ فانظر إلى آثارهم تلقى لهم علما بكل ثنية و فجاج  
و عليهم ما عشت لا أدع البكاعم كل ذى نظر و طرف ساجى  
و قال سعيد القاص:

تجرى دمه ما بين سحر إلى نحر و لم يجر حتى أسلمته يد الصبر  
و بات و قيذا للذى خامر الحشائث كما أن الأسير من الأسر  
و هل يستطيع الصبر من كان ذا أسى بيت على جمر و يضحى على جمر  
تتابع أحداث يضيعن صبره و غدر من الأيام و الدهر ذو غدر  
أصاب على رغم الأنوف و جدعها ذوى الدين و الدنيا بقاصمه الظهر

طوى زينه الدنيا و مصباح أهلها بفقده بنى طولون و الأنجم الزهر  
و فقد بنى طولون فى كل موطن أمر على الإسلام فقدا من القطر  
فبادوا و أضحوا بعد عز و منعة أحاديث لا تخفى على كل ذى حجر  
و كان أبو العباس أحمد ماجدا جميل المحيّا لا يبيت على وتر  
كأن ليالى الدهر كانت لحسناها إشرافها فى عصره ليلة القدر  
يدل على فضل ابن طولون هممة محلقة بين المساكين و الغفر  
فإن كنت تبغى شاهدا ذا عدالة يخبر عنه بالجلّى من الأمر  
فبالجبل الغربى خطه يشكر له مسجد يغنى عن المنطق الهذر  
يدل ذوى الألباب أن بناءه و بانيه لا بالضنين و لا الغمر  
بناه بأجر و ساج و عرعر و بالمرمر المسنون و الجص و الصخر  
بعيد مدى الأقطار سام بناؤه وثيق المباني من عقود و من جدر  
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه رقيق نسيم طيب العرف و النشر  
و تنور فرعون الذى فوق قلة على جبل عال على شاهق و عر  
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه و يهدى به فى الليل إن ضلّ من يسرى  
تخال سنا قنديه و ضياءه سهيلا إذا ما لاح فى الليل للسفر  
و عين معين الشرب عين زكيه و عين أجاج للرواه و للطهر  
كأن وفود النيل فى جنباتها روح و تغدو بين مدّ إلى جزر  
فأرك بها مستنبطا لمعينها من الأرض من بطن عميق إلى ظهر  
بناء لو أنّ الجحّ جاءت بمثله لقليل لقد جاءت بمستفزع نكر  
يمرّ على أرض المغافر كلها و شعبان و الأحمور و الحى من بشر  
قبائل لا نوء السحاب يمدّها و لا النيل يرويها و لا جدول يجرى  
و لا تنس مارستانه و اتساعه و توسعه الأرزاق للحول و الشهر  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٨ و ما فيه من قوامه و كفاتة و رفقتهم بالمعتفين ذوى الفقر  
فللميت المقبور حسن جهازه و للحى رفق فى علاج و فى جبر  
و إن جئت رأس الجسر فانظر تأملا إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر  
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه من الناس فى بدو البلاد و لا حضر  
مآثر لا تبلى و إن باد أهلها و مجد يؤدى واريه إلى الفخر  
لقد ضمن القبر المقدّر ذرعه أجلّ إذا ما قيس من قبتى حجر  
و قام أبو الجيش ابنه بعد موته كما قام ليث الغاب فى الأسل السمر  
أته المنايا و هو فى أمن داره فأصبح مسلوبا من النهى و الأمر  
كذاك الليالى من أعارته بهجة فيا لك من ناب حديد و من ظفر  
و ورث هارون ابنه تاج ملكه كذاك أبو الأشبال ذو الناب و الهصر  
و قد كان جيش قبله فى محله و لكنّ جيشا كان مستقصر العمر

فقام بأمر الملك هارون مدّة على كظظ من ضيق باع و من حصر  
و ما زال حتى زال و الدهر كاشح عقاربه من كل ناحية تسرى  
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا كما أرفض سلك من جمان و من شذر  
فمن بيك شيئا ضاع من بعد أهله لفقدهم فلييك حزنا على مصر  
لييك بنى طولون إذ بان عصرهم فبورك من دهر و بورك من عصر  
و قال أيضا:

من لم ير الهدم للميدان لم يره تبارك الله ما أعلى و أقدره  
لو أن عين الذى أنشأه تبصره و الحادثات تعاديه لأكبره  
كانت عيون الورى تعشوا لهيبته إذا أضاف إليه الملك عسكره  
أين الملوك التى كانت تحلّ به و أين من كان بالإنفاذ دبره  
و أين من كان يحميه و يحرسه من كل ليث يهاب الليث منظره  
صاح الزمان بمن فيه ففرّقه و حط ريب البلى فيه فدعته  
و أخلق الدهر منه حسن جدّته مثل الكتاب محا العصر أن أسطره  
دكت مناظره و اجتثّ جوسقه كأنما الخسف فاجأه فدّمّه  
أو هبّ إعصار نار فى جوانبه فعاد معروفه للعين منكروه  
كم كان يأوى إليه فى مقاصره أحوى أغنّ غضيض الطرف أحوره

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٣٩ كم كان فيه لهم من مشرب غدق فعب صرف الردى فيه فكدره  
أين ابن طولون بانيه و ساكنه أماته الملك الأعلى فأقبره  
ما أوضح الأمر لو صحت لنا فكرطوبى لمن خصه رشد فذكره  
و قال أحمد بن إسحاق الجفري:

و إذا ما أردت أعجوبة الدهر تراها فانظر إلى الميدان  
تنظر البين و الهموم و أنواعا توالى به من الأشجان  
يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان  
أين ما فيه من نعيم و من عيش رخيّ و نضرة و حسان  
أين ذاك المسك الذى ديف بالعنبر بحثا و علّ بالزعفران  
أين ذاك الخز المضاعف و الوشى و ما استخلصوا من الكتان  
أين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنا من الألحان  
حوّز الدهر آل طولون فى هوة نقر مسكونها غير دان  
و أعضا الميدان من بعد أهليه ذنابا تعوى بتلك المغانى

ثم أمر الحسين بن أحمد المادرائى متولى خراج مصر بهدم الديوان، فابتدىء فى هدمه فى شهر رمضان سنة ثلاث و تسعين و مائتين،  
و بيعت أنقاضه، و دثر كأنه لم يكن. فقال محمد بن طسويه:  
و كأنّ الميدان ثكلى أصيبت بحبيب قد ضاع ليلة عرس  
تتغشى الرياح منه محلا كان للصوص فى ستور الدمقس

و بفرش الأضريح و البسط الديقاج فى نعمة و فى لين لمس  
و وجوه من الوجوه حسان و حدود مثل اللاكئ ملس  
و كل نجلاء كالغزال و بخلاو رداح من بين حور و لعس  
آل طولون كنتم زينة الأرض فأضحى الجديد أهدام لبس  
و قال ابن أبى هاشم:

يا منزلا لبنى طولون قد دثراسقاك صرف الغواذى القطر و المطرا  
يا منزلا صرت أجفوه و أهجره و كان يعدل عندى السمع و البصرا  
بالله عندك علم من أحببتأأم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٠  
و قال:

ألا فاسأل الميدان ثم اسأل الجبل عن الملك الماضى ابن طولون ما فعل  
و عن ابنه العباس إن كنت سائلا و أين أبو الجيش الفصافصة البطل  
و جيش و هارون الذى قام بعده و شيان بالأمس الذى خانة الأمل  
و من قبله أردى ربيعة يومه و كان هزبرا لا يطاق إذا حمل  
و أين ذرارهم و أين جموعهم و كيف تقضى عنهم الملك فاضمحل  
و أين بناء القصر و الجوسق الذى عهدناه معمور الفناء له زجل  
لقد ملكوه برهه من زماننا بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول  
فما منهم خلق يحس و لا يرى بذكر طوال الدهر لما انقضى الأجل  
و صاروا أحاديثا لمن جاء بعدهم و كان بهم فى ملكهم يضرب المثل  
و قال:

قف وقفه و انظر إلى الميدان و القصر ذى الشرفات و الإيوان  
و الجوسق العالى المنيف بناؤه ما باله قفر من السكان  
أين الذين لهوا به و عنوا به زمنا مع القينات و النسوان  
يجبى الخراج إليهم فى دارهم لا يرهون غوائل الحدثان  
جمعوا الجموع مع الجموع فأكثرُوا و استأثروا بالروم و السودان  
فانظر إلى ما شيدوا من بعدهم هل فيه غير البوم و الغربان  
أين الأولى حفروا العيون بأرضه و تأنقوا فيه و فى البنيان  
غرسوا صنوف النخل فى ساحاته و غرائب الأعناب و الرمان  
و الزعفران مع البهاء بأرضه و الورد بين الآس و الرياحان  
كانوا ملوك الأرض فى أيامهم كبراء كل مدينة و مكان  
فتمزقوا و تفرقوا فهناك هم تحت الثرى يبلون فى الأكفان  
إلا أغيلمه أسارى بعدهم فى دار مضيعة و دار هوان  
متلذذين بأسرهم قد شردوا و نفوا عن الأهلين و الأوطان

و الله وارث كل حي بعدهم و له البقاء و كل شيء فان

و قال:

إن في قبة الهواء لدى اللب معتبرو القصور المشيدات مع الدور و الحجر  
و البساتين و المجالس و البيت و الزهرو الجوارى المغنيات ذوى الدل و الخفر  
يتبخرن فى الحرير و فى الوشى و الحبرو ملوك عبيدهم عدد الشوك و الشجر  
و جيوش مؤيدون لدى البأس بالظفر من صنوف السودان و الترك و الروم و الخزر  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤١ عمرو الأرض مدّة ثم صاروا إلى الحفرو استبدّ الزمان من عاش منهم  
فلم يذر

فهم فى الهوان و الذل أسرى على خطرو هم بعد صفو عيش من الذل فى كدر  
يا آل طولون ما لكم صرتم للورى سمريا آل طولون كنتم خبرا فانقضى الخبر  
و قال:

مررت على الميدان معتبرا به فناديته أين الجبال الشوامخ  
خمار و عباس و أحمد قبلهم و أين ترى شبانهم و المشايخ  
و أين ذرارى آل طولون بعدهم أما فيك منهم أيها الربع صارخ  
و أين ثياب الخز و الوشى و الحلوى و أربابها أم أين تلك المطابخ  
و أين فئات المسك و العنبر الذى عنيت به دهرا و تلك اللطائخ  
لقد غالك الدهر الخؤون بصرفه فأصبحت منحطا و غيرك باذخ  
و قال:

مررت على الميدان بالأمس ضاحيا فأبصرته قفر الجناب فراعنى  
فناديت فيه يا آل طولون ما لكم فهود فما حلق بحرف أجنبي  
فأذريت عينا ذات دمع غزيره و رحى كئيب القلب مما أصابنى  
و إني عليهم ما بقيت لموجع و لست أبالى من لحانى و عابنى

و حدّث محمد بن أبى يعقوب الكاتب قال: لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين و تسعين و مائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون  
فى مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح، و ملونات البنود و الأعلام، و شهرة الثياب، و كثرة الكراع و أصوات الأبواق و الطبول،  
فاعترانى لذلك فكرة، و نمت فى ليلتى، فسمعت هاتفا يقول: ذهب الملك التملكك و الزينة لما مضى بنو طولون.

و قال القاضى أبو عمرو عثمان النابلسى فى كتاب حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة: رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كراسه  
مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لأحمد بن طولون قال: فإذا كانت أسماء الشعراء فى ثنتى عشرة كراسه، كم يكون شعرهم؟ مع  
أنه لم يوجد من لك الآن ديوان واحد. و قال أبو الخطاب بن دحية فى كتاب النبراس: و خربت قطائع أحمد بن طولون، يعنى فى  
الشده العظمى زمن الخليفة المستنصر، و هلك جميع من كان بها من الساكنين، و كانت نيفا على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة  
بالجنان و البساتين، و الله يرث الأرض و من عليها، و هو خير الوارثين.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٢

**ذكر من ولى مصر من الأمراء بعد خراب القطائع إلى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر**

و كان أول من ولى مصر بعد زوال دولة بنى طولون و خراب القطائع.

محمد بن سليمان الكاتب كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة اثنتين و تسعين و مائتين، و دعا على المنبر لأمير المؤمنين المكتفى بالله وحده، و جعل أبا عليّ الحسين بن أحمد المادرائيّ على الخراج عوضاً عن أحمد بن عليّ المادرائيّ.

ثم ورد كتاب المكتفى بولاية: عيسى بن محمد النوشريّ أبى موسى، فولى على الصلاة، و دخل خليفته لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى، فتسلم الشرطتين و سائر الأعمال، ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة، و خرج محمد بن سليمان مستهلّ رجب، و كان مقامه بمصر أربعة أشهر، فأخرج كل من بقى من الطولونية، فلما بلغوا دمشق، انخس عنهم محمد بن عليّ الخليلج فى جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القوادم، فعقدوا له عليهم، و بايعوه بالإمرة فى شعبان، و رجع إلى مصر، فبعث إليه النوشريّ بجيش أول رمضان، و قد دخل أرض مصر، ثم خرج إليه النوشريّ، و عسكر بباب المدينة أول ذى القعدة، و سار إلى العباسة، ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه، و خرج إلى الجيزة من غده و أحرق الجسرين، و سار يريد الإسكندرية، ففرّ عنه طائفة إلى ابن الخليلج، فبعث إليه بجيش، فهزمه و سار إلى الصعيد.

و دخل محمد بن الخليلج الفسطاط لأربع عشرة بقيت من ذى القعدة، فوضع العطاء، و فرض الفروض، و قدم أبو الأعز من قبل المكتفى فى طلب ابن الخليلج، فخرج إليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث و تسعين و حاربه، فانهزم منه أبو الأعز، و أسر من أصحابه جمعا كثيرا، و عاد لثمان بقين منه، فقدم فاتك المعتضدى من بغداد فى البر، فعسكر و قدم دميانه فى المراكب، فنزل فاتك النورية، فخرج ابن الخليلج و عسكر بباب المدينة، و قام فى الليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيت فاتكا، فأصلوا الطريق، و أصبحوا قبل أن يبلغوا النورية، فعلم بهم فاتك، فنهض بأصحابه، و حارب ابن الخليلج، فانهزم عنه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٣

أصحابه، و ثبت فى طائفة، ثم انهزم إلى الفسطاط لثلاث خلون من رجب، فاستتر، و دخل دميانه فى مراكب الثغور، و أقبل عيسى النوشريّ، و معه الحسين المادرائيّ، و من كان معهما لخمسة خلون منه، فعاد النوشريّ إلى ما كان عليه من صلاتها، و المادرائيّ إلى ما كان عليه من الخراج، و عرف النوشريّ بمكان ابن الخليلج، فهجم عليه و قيده لست خلون من رجب، و كانت مدة ابن الخليلج بمصر سبعة أشهر و عشرين يوما، و دخل فاتك فى عسكره إلى الفسطاط لعشر خلون من رجب، فأخرج ابن الخليلج فى البحر لست خلون من شعبان، فلما قدم بغداد طيف به و بأصحابه و هم ثلاثون نفرا، فكان يوما مذكورا، و ابتدئ فى هدم ميدان بنى طولون فى شهر رمضان، و بيعت أنقاضه، و خرج فاتك إلى العراق للنصف من جمادى الأولى سنة أربع و تسعين، و أمر النوشريّ بنفى المؤنثين، و منع النوح و النداء على الجنائز، و أمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين، ثم أمر بفتحه بعد أيام، و مات المكتفى فى ذى القعدة سنة خمس و تسعين، فشغب الجند بمصر، و حاربوا النوشريّ على طلب مال البيعة، فظفر بجماعة منهم، و بويع جعفر المقتدر، فأقرّ النوشريّ على الصلاة، و قدم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية مهزوما من أبى عبد الله الشيعيّ فى رمضان سنة ست و تسعين إلى الجيزة، فمنعه النوشريّ من العبور، و كانت بين أصحابه، و بين جند مصر منافسة، ثم أذن له أن يعبر وحده، و مات النوشريّ لأربع بقين من شعبان سنة سبع و تسعين، و هو وال، فكانت ولايته خمس سنين و شهرين و نصفاً، منها مدة ابن الخليلج سبعة أشهر و عشرون يوما، و قام من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى.

ثم ولى تكين الخزريّ أبو منصور، من قبل المقتدر على الصلاة، فدعى له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوال، و قدم خليفته لسبع بقين منه، ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذى الحجة، و تقدّم إليه بالجدّ فى أمر المغرب، و الاحتراس منه، فبعث جيشا إلى برقة عليه أبو اليمن، فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهديّ عبيد الله الفاطميّ صاحب إفريقية، و استولى على برقة، و سار إلى الإسكندرية فى زيادة على مائة ألف، فدخلها فى المحرم سنة اثنتين و ثلثمائة، فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكين فى صفر، و قدم



الحسين المادرائي، و أحمد بن كيغلف في جمع من القواد، و برزت العساكر إلى الجيزة في جمادى الأولى، و خرج تكين، فكانت واقعة حباسه:

قتل فيها آلاف من الناس، و عاد حباسه إلى المغرب، و قدم مونس الحادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان، و معه جمع من الأمراء، فنزل الحمراء، و لقي الناس منهم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٤

شدائد، و خرج ابن كيغلف إلى الشام في رمضان، و صرف تكين لأربع عشرة خلت من ذى القعدة صرفه مونس، فخرج لسبع خلون من ذى الحجة، و أقام مونس يدعى و يخاطب بالأستاذ.

ثم ولي: ذكا الرومي أبو الحسن الأعور من قبل المقتدر على الصلاة، فدخل لثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث و ثلثمائة، و خرج موسى بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر، و خرج ذكا إلى الإسكندرية في المحرم سنة أربع و ثلثمائة، ثم عاد في ثامن ربيع الأول، و تتبع كل من يوماً إليه بمكاتبة المهدي صاحب إفريقيه، فسجن منهم، و قطع أيدي أناس، و أرجلهم، و جلا أهل لوبيه و مراقيه إلى الإسكندرية خوفاً من صاحب برقه، و سير العساكر إلى الإسكندرية، ثم فسد ما بينه و بين الرعية بسبب الصحابة رضى الله عنهم، و سب القرآن، و قدمت عساكر المهدي صاحب إفريقيه إلى لوبيه و مراقيه عليها أبو القاسم، فدخل الإسكندرية ثامن صفر سنة سبع و ثلثمائة، و فر الناس من مصر إلى الشام في البر و البحر، فهلك أكثرهم، و أخرج ذكا الجند المخالفون له، فعسكر بالجيزة، و قدم أبو الحسن بن المادرائي والياً على الخراج، فوضع العطاء، و جدّ ذكا في أمر الحرب، و احتفر خندقاً على عسكره بالجيزة، فمرض و مات لإحدى عشرة خلت من ربيع الأول بالجيزة، فكانت إمرته أربع سنين و شهراً.

فولى: تكين مرة ثانية من قبل المقتدر، و قدمت جيوش العراق عليها، محمود بن حمل، و إبراهيم بن كيغلف في ربيع الأول، و دخل تكين لإحدى عشرة خلت من شعبان، فنزل الجيزة، و حفر خندقاً ثانياً، و أقبلت مراكب المغرب، فظفر بها في شوال، و قدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان و ثلثمائة، فنزل الجيزة، و كان في نحو ثلاثة آلاف و سير ابن كيغلف إلى الأشمونين، فمات بالبهنساء أول ذى القعدة، و ملك أصحاب المهدي الفيوم، و جزيرة الأشمونين، فقدم جنى الخادم من بغداد في عسكر آخر ذى الحجة، فعسكر بالجيزة، فكانت حروب مع أصحاب المهدي بالفيوم و الإسكندرية، و رجع أبو القاسم بن المهدي إلى برقه، و صرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسع و ثلثمائة.

فولى مونس: أبا قابوس محمود بن حمل، فأقام ثلاثة أيام، و عزله ورد تكين لخمس بقين من ربيع الأول، ثم صرفه بعد أربعة أيام، و أخرجته إلى الشام في أربعة آلاف من أهل الديوان.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٥

ثم ولي: هلال بن بدر من قبل المقتدر على الصلاة، فدخل لست خلون من ربيع الآخر، و خرج مونس لثمان عشرة خلت منه و معه ابن حمل، فشغب الجند على هلال، و خرجوا إلى منية الأصبع، و معهم محمد بن طاهر صاحب الشرط، فكثرت النهب و القتل و الفساد بمصر، إلى أن صرف عنها في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ثلثمائة و خرج في نفر من أصحابه.

فولى: أحمد بن كيغلف من قبل المقتدر على الصلاة، و قدم ابنه أبو العباس خليفه له أول جمادى الأولى، ثم قدم و معه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرائي على الخراج في رجب، فأحضرا الجند، و وضعوا العطاء، و أسقطا كثيراً من الرجال، و كان ذلك بمنية الأصبع، فثار الرجال به، ففر إلى فاقوس، و أدخل المادرائي إلى المدينة لثمان خلون من شوال، و أقام ابن كيغلف بفاقوس إلى أن صرف بقدوم رسول تكين في ثالث ذى القعدة.

فولى: تكين المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلاة، و خلفه ابن منجور إلى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتي عشرة و ثلثمائة، فأسقط كثيراً من الرجال، و كانوا أهل الشر و النهب، و نادى ببراءة الذمة، ممن أقام منهم بالفسطاط، و صلى الجمعة في دار الإمارة بالعسكر،

و ترك حضور الجمعة في مسجد العسكر، و المسجد الجامع العتيق في سنة سبع عشرة، و لم يصل قبله أحد من الأمراء في دار الإمارة الجمعة، ثم قتل المقتدر في شوال سنة عشرين، و بويج أبو منصور القاهر بالله، فأقر تكين حتى مات في سادس عشر ربيع الأول سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة، فحمل إلى بيت المقدس، و كانت إمرته هذه تسع سنين و شهرين و خمسة أيام.

فقام ابنه محمد بن تكين موضعه، و قام أبو بكر محمد بن عليّ المدارنيّ بأمر البلد كله، و نظر في أعماله فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم، و أحرقوا دوره، و دور أهله، فخرج ابن تكين إلى منية الأصبح، فبعث إليه المدارنيّ يأمره بالخروج من أرض مصر، و عسكر بباب المدينة، و أقام هناك بعدما رحل ابن تكين إلى سلخ ربيع الأول، فلحق ابن تكين بدمشق، ثم أقبل يريد مصر، فمنعه المدارنيّ. ثم ولي: محمد بن طغج بن جف الفرغانيّ أبو بكر من قبل القاهر بالله على الصلاة، فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى و عشرين، و دعي له، و هو بدمشق

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٦

مدّة اثنتين و ثلاثين يوما إلى أن قدم رسول أحمد بن كيغغ بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال، و استخلف أبا الفتح بن عيسى النوشريّ، فشغب الجند في أرزاقهم على المدارنيّ صاحب الخراج، فاستتر منهم، فأحرقوا دوره و دور أهله، و كانت فتن قتل فيها جماعة إلى أن أتاهم محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة اثنتين و عشرين، فأنكر المدارنيّ ولايته، و تعصب له طائفة، و دعي له بالإمارة، و خرج قوم إلى الصعيد فيهم: ابن النوشريّ، فأمره عليهم و هم على الدعاء لابن كيغغ، فنزل منية الأصبح لثلاث خلون من رجب، فلحق به كثير من أصحاب تكين، ففرّ ابن تكين ليلا، و دخل ابن كيغغ المدينة لست خلون منه، و كان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم و اثني عشر يوما، و خلع القاهر، و بويج أبو العباس الراضي بالله، فعاد ابن تكين، و أظهر أن الراضي ولّاه فخرج إليه العسكر، و حاربوه فيما بين بليس و فاقوس، فانهزم و جرى به إلى المدينة، فحمل إلى الصعيد، فورد الخبر بأن محمد بن طفج سار إلى مصر بولاية الراضي له، فبعث إليه ابن كيغغ بجيش ليمنعوه من دخول الفرما، فأقبلت مراكب ابن طفج إلى تنيس، و سارت مقدّمة في البرّ، و كانت بينهما حروب في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث و عشرين كانت لأصحاب ابن طفج، و أقبلت مراكبه إلى الفسطاط سلخ شعبان، و أقبل فمسكر ابن كيغغ للنصف من رمضان، و لاقاه لسبع بقين منه، فسلم ابن كيغغ إلى محمد بن طفج من غير قتال.

و ولي: محمد بن طغج الثانية من قبل الراضي على الصلاة و الخراج، فدخل لست بقين من رمضان، و قدم أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طغج، و كانت حروب مع أصحاب ابن كيغغ انهزموا منها إلى برقة، و ساروا إلى القائم بأمر الله محمد بن المهديّ بالمغرب، فحرّضوه على أخذ مصر، فجهز جيشا إلى مصر، فبعث ابن طغج عسكره إلى الإسكندرية و الصعيد، ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيارة في اسم الأمير محمد بن طغج، فلحق بالإخشيد و دعي له بذلك على المنبر في رمضان سنة سبع و عشرين، و سار محمد بن رائق إلى الشامات، ثم سار في المحرم سنة ثمان و عشرين، و استخلف أخاه الحسن بن طغج، فنزل الفرما، و ابن رائق بالرملة، فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلويّ في الصلح، حتى تمّ، و عاد إلى الفسطاط مستهل جمادى الأولى، ثم أقبل ابن رائق من دمشق في شعبان، فسير إليه الإخشيد الجيوش، ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان، و التقيا للنصف من رمضان بالعريش، فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٧

ميسرة الإخشيد، ثم حمل بنفسه، فهزم أصحاب ابن رائق، و أسر كثيرا منهم، و أثنخهم قتلا و أسرا، و مضى ابن رائق فقتل الحسين بن طغج باللجون، و دخل الإخشيد الرملة بخمسائة أسير، فتداعى ابن طغج و ابن رائق إلى الصلح، فمضى ابن رائق إلى دمشق على صلح، و قدم الإخشيد محمد بن طغج إلى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع و عشرين، و مات الراضي بالله، و بويج المتقي لله إبراهيم في شعبان، فأقر الإخشيد، و قتل محمد بن رائق بالموصل، قتله بنو حمدان في شعبان سنة ثلاثين و ثلثمائة، فبعث الإخشيد

بجيوشه إلى الشام، ثم سار لست خلون من شوال، و استخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طغج، و دخل دمشق، ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة إحدى و ثلاثين، فنزل البستان الذي يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة، ثم دخل داره، و أخذ البيعة لابنه أبى القاسم أونوجور على جميع القواد، آخر ذى القعدة، و سار المتقى لله إلى بلاد الشام، و معه بنو حمدان، فسار الإخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين و ثلاثين، و استخلف أخاه الحسن، فلقى المتقى، ثم رجع فنزل البستان لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث و ثلاثين، و خلع المتقى، و بويع عبد الله المستكفى لسبع خلون من جمادى الآخرة، فأقر الإخشيد، و بعث الإخشيد بحانك و كافور فى الجيوش إلى الشام.

ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست و ثلاثين، و استخلف أخاه الحسن، فلقى على بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين و حاربه، و مضى فأخذ منه حلب، و خلع المستكفى، و دعى للمطيع لله الفضل بن جعفر فى شوال سنة أربع و ثلاثين، فأقر الإخشيد إلى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة.

فولى بعده ابنه (أونوجور) أبو القاسم باستخلافه إياه، و قبض على أبى بكر محمد بن على بن مقاتل فى ثالث المحرم سنة خمس و ثلاثين، و جعل مكانه على الخراج محمد بن على المادرائى، و قدم العسكر من الشام أول صفر، فلم يزل أونوجور واليا إلى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع و أربعين و ثلثمائة، و حمل إلى القدس، فدفن عند أبيه، و كان كافور متحكما فى أيامه، و يطلق له فى السنة أربع مائة ألف دينار، فلما مات، قوى كافور، و كانت ولايته أربع عشرة سنة و عشرة أشهر.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٨

فأقام كافور أخاه على بن الإخشيد أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة، فأقر المطيع لله على الحرب و الخراج بمصر و الشام و الحرمين، و صار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه، و أطلق له ما كان يطلق لأخيه فى كل سنة، و فى سنة إحدى و خمسين ترفع السعر، و اضطرت الإسكندرية و البحيرة بسبب المغاربة الواردين إليها، و تزايد الغلاء، و عز وجود القمح، و قدم القرمطى إلى الشام فى سنة ثلاث و خمسين، و قلّ ماء النيل، و نهبت ضياع مصر، و تزايد الغلاء، و سار ملك النوبة إلى أسوان، و وصل إلى إخميم، فقتل و نهب و أحرق، و اشتد اضطراب الأعمال، و فسد ما بين كافور و بين على بن الإخشيد، فمنع كافور من الاجتماع به، و اعتل على بعد ذلك عله أخيه، و مات لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس و خمسين و ثلثمائة، فحمل إلى القدس، و بقيت مصر بغير أمير أياما، و لم يدع بها إلّا للمطيع لله وحده، و كافور يدبر أمورها، و معه أبو الفضل جعفر بن الفرات.

ثم ولى كافور الخصى الأسود مولى الإخشيد من قبل المطيع على الحرب و الخراج، و جميع أمور مصر و الشام و الحرمين، فلم يغير لقبه، و إنما كان يدعى و يخاطب بالأستاذ، و أخرج كتاب المطيع بولايته لأربع بقين من المحرم سنة خمس و خمسين، فلم يزل إلى أن توفى لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع و خمسين و ثلثمائة.

فولى أحمد بن على الإخشيد أبو الفوارس و سنة إحدى عشرة سنة فى يوم وفاة كافور، و جعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه، و أبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الأمور و سمول الإخشيدى العساكر إلى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله فى سابع عشر شعبان سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، ففرّ الحسين بن عبيد الله، و تسلم جوهر البلاد، كما سيأتى إن شاء الله تعالى، فكانت مدّة الدعاء لبنى العباس بمصر، منذ ابتدئت دولتهم إلى أن قدم القائد جوهر إلى مصر: مائتى سنة، و خمسا و عشرين سنة، و مدّة الدولة الإخشيدية بها أربعاً و ثلاثين سنة و عشرة أشهر، و أربعة و عشرين يوما، و منذ افتتحت مصر إلى أن انتقل كرسى الإمارة منها إلى القاهرة ثلثمائة سنة و سبع و ثلاثون سنة و أشهر، و الله تعالى أعلم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٤٩

**ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة**

قال ابن يونس عن الليث بن سعد: أن حكيم بن أبي راشد حدّثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنه وقف على جزار، فسأله عن السعر؟ فقال: بأربعة أفلس الرطل، فقال له أبو سلمة: هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا و بدا لك؟ قال: نعم، فأخذ منه أبو سلمة، و مرّ في القصبه، حتى إذا أراد أن يوفيه، قال: بعثني بدينار، ثم قال: اصرفه فلوسا، ثم وفه.

و قال الشريف أبو عبد الله محمد بن أسعد الجوائني النسابة في كتاب النقط على الخطط: سمعت الأمير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول: في سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة، و حدّثني القاضي أبو الحسين عليّ بن الحسين الخلعّي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي قال: كان في مصر الفسطاط من المساجد، ستّه و ثلاثون ألف مسجد، و ثمانية آلاف شارع مسلوك، و ألف و مائة، و سبعون حماما، و إن حمام جنازة في القرافة ما كان يتوصل إليها إلّا بعد عناء من الزحام، و إن قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم.

و قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الخطط: إنه طلب لقطر الندي ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون ألف تكه بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكه بعشرة دنانير، فوجدت في السوق في أيسر وقت، و بأهون سعي، و ذكر عن القاضي أبي عبيد: أنه لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار، و إن فائقا مولى أحمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار، و سلم الثمن إلى البائعين، و أجلبهم شهرين، فلما انقضى الأجل سمع فائق صياحا عظيما و بكاء فسأل عن ذلك؟ فقيل: هم الذين باعوا الدار، فدعاهم و سألهم عن ذلك؟ فقالوا: إنما نبكى على جوارك، فأطرق و أمر بالكتب، فردّت عليهم، و وهب لهم الثمن، و ركب إلى أحمد بن طولون، فأخبره فاستصوب رأيه، و استحسن فعله.

و يقال: إنه كان لفاثق ثلثمائة فرشه كل فرشه لحظية مئنة، و إن دار الحرم بناها خمارويه لحرمة، و كان أبوه اشتراها له، فقام عليه الثمن و أجره الصنّاع و البناء بسبعمائة ألف دينار، و إن عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع، فلم يجد مكانا في الصفّ الأوّل، فوقف في الصف الثاني، فالتفت أبو حفص بن الجلاب، فلما رآه تأخر، و تقدّم الشريف مكانه، فكافأه على ذلك بنعمة حملها إليه، و دارا ابتاعها له، و نقل أهله إليها بعد أن كساهم و حلّاهم.

و ذكر غير القضاعي: أنه دفع إليه خمسمائة دينار قال: و يقال: إنه أهدى إلى أبي جعفر الطحاويّ كتابا قيمتها ألف دينار، و إن رشيقا الإخشيدّي استحجبه أبو بكر محمد بن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٠

عليّ المادرائي، فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار، فخاطبه في ذلك، فحلف بالإيمان الغليظة على بطلان ذلك، فأقسم أبو بكر المادرائي بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه، و لم تكسب هذه الجملة لأصحبتي، و لم يزل في صحبته إلى أن صودر أبو بكر، فأخذ منه، و من رشيق مال جزيل، و ذكر: أن الحسن بن أبي المهاجر موسى بن إسماعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان على البريد في زمن أحمد بن طولون، و قتله خمارويه، و سبب ذلك ما كان في نفس عليّ بن أحمد المادرائي منه، فأغرى خمارويه به، و قال: قد بقي لأبيك مال غير الذي ذكره في وصيته، و لم يقف عليه غير ابن مهاجر، فطالبه، فلم يزل خمارويه بابن مهاجر إلى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه، فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار، فسلمه إلى أحمد المادرائي، فحملة إلى داره، و أقبلت توقيعات خمارويه فأخرج، فكان مبلغه ألف ألف دينار، فسلمه أموال الضياع و المرافق، و حصلت له تلك الأموال، و لم يضع يده عليها إلى أن قتل، و صودر أبو بكر محمد بن عليّ في أيام الإخشيد، و قبضت ضياعه، فعاد إلى تلك الألف دينار مع ما سواها من ذخائره و أعراضه و عقده، فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار، سوى ما ذكر عن أبي بكر محمد بن عليّ المادرائي أنه قال: بعث إليّ أبو الجيش خمارويه أن أشتري له أودية و أقنعة للجواري، و عمل دعوة خلا فيها بنفسه و بهم، و غدوت متعرّفا لخبره، فقيل له: إنه طرب لما هو فيه، فنثر دنانير على الجواري و الغلمان، و تقدّم إليهم أن ما سقط من ذلك في البركة، فهو لمحمد بن عليّ كاتبه، فلما حضرت، و بلغني ذلك أمرت الغلمان، فنزلوا في البركة، فأصعدوا إليّ منها سبعين ألف دينار، فما ظنك

بمال نثر على أناس فتطير منه إلى بركة ماء هذا المبلغ.

وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حل المغرب: و في الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها في كل يوم أربعمئة راوية ماء، و حسبك من دار واحدة يحتاج أهلها في كل يوم إلى هذا القدر من الماء.

وقال ابن المتوج في كتاب إيقاظ المتغفل و اتعاض المتأمل عن ساحل مصر، و رأيت من نقل عن نقل عمّن رأى الأسطال التي كانت بالطاقات المطلّة على النيل، و كان عددها ستّة عشر ألف سطل مؤبده ببيكر، و أطناب بها ترخي و تملأ. أخبرني بذلك من أنقل بنقله، قال:

و كان بالفسطاط في جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن أحمد بن طولون. قال الراوي: دخلتها في زمن خمارويه بن أحمد بن طولون، و طلبت بها صانعا يخدمني، فلم أجد فيها صانعا متفرغا لخدمتي، و قيل لي: إن كل صانع معه اثنان يخدمهم و ثلاثة، فسألت كم فيها من صانع؟ فأخبرت: أن بها سبعين صانعا قلّ من معه دون ثلاثة، سوى من قضى حاجته، و خرج قال: فخرجت و لم أدخله لعدم من يخدمني بها، ثم طفت غيرها، فلم أقدر على من أجده فارغا إلّا بعد أربع حمامات، و كان الذي خدمني فيها نائباً، فانظر رحمك الله

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥١

ما اشتمل عليه هذا الخبر، مع ما ذكره القضاة من عدد الحمامات، و أنها ألف و مائة و سبعون حماما، تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس، هذا و السعر راخ و القمح كل خمسة أراذب بدينار، و بيعت عشرة أراذب بدينار في زمن أحمد بن طولون.

قال ابن المتوج: خطّة مسجد عبد الله أدركت بها آثار دار عظيمة، قيل: إنها كانت دار كافور الإخشيديّ، و يقال: إن هذه الخطّة تعرف بسوق العسكر، و كان به مسجد الزكاة، و قيل: إنه كان منه قصبه سوق متصله إلى جامع أحمد بن طولون، و أخبرني بعض المشايخ العدول عن والده، و كان من أكابر الصلحاء أنه قال: عدت من مسجد عبد الله إلى جامع ابن طولون ثلاثمئة و تسعين قدر حمص مصلوق بقصبه هذا السوق بالأرض، سوى المقاعد و الحوانيت التي بها الحمص، فتأمل أعزك الله ما في هذا الخبر مما يدل على عظمت مصر، فإن هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط، و موضعه اليوم الفضاء الذي بين كوم الجراح و بين جامع ابن طولون، و من المعروف أن الأسواق التي تكون بداخل المدينة أعظم من الأسواق التي هي خارجها، و مع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر، فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر أصناف المآكل، و قد كان إذ ذاك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجلّ من هذا السوق، قال: و درب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص، كان به جماعة إذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون إلى غريب، و كانوا هم و أولادهم نحو من أربعين نفسا.

وقال ابن زولاق في كتاب سيرة المادرائين: و لما قدم الأستاذ مونس الخادم من بغداد إلى مصر استدعى أبو عليّ الحسين بن أحمد المادرائيّ المعروف بأبي زبور الدقاق، و هو الذي نسميه اليوم الطحان، و قال: إن الأستاذ مؤنسا قد وافى، و لى بمشتول قدر ستين ألف أردب قمحا، فإذا وافى، فقم له بالوظيفة، فكان يقوم له بما يحتاج إليه من دقيق حواري مدّة شهر، فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق: كم لك حتى ندفعه إليك؟

فأعلمه الخبر، فقال: ما أحسب الأستاذ يرضى أن يكون في ضيافته أبي عليّ، و أعلم مؤنسا بذلك، فقال: أنا آكل خبز حسين؟! لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله، فمضى الدقاق و علم أبا زبور، فقام من فوره إلى مونس، فأكب على رجليه، فاحتشم منه، و قال: و الله لا أجيبك إلا هذا الشهر الذي مضى و لا تعاود، ثم رجع فقال الدقاق: قم له بالوظيفة في المستقبل و اعمل ما يريدك؟ قال: فجئته و قد فرغ القمح، و معى الحساب، و أربعمئة دينار قال:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٢

إيش هذا؟ فقلت: بقيه ذلك القمح، فقال: أعفني منه و تركه، فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر،



كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح، و كيف صار مما يفضل عنه، حتى يجعله ضيافةً، و كيف لم يعبأ بأربعمائة دينار، حتى وهبها لدقاق قمح، و ما ذاك إلا من كثرة المعاش، و قس عليه باقى الأحوال.

وقال عن أبى بكر محمد بن علىّ المادرائى: أنه حج اثنتين و عشرين حجة متواليه، أنفق فى كل حجة مائة ألف دينار، و خمسين ألف دينار، و أنه كان يخرج معه بتسعين ناقه لفته التى يركبها، و أربعمائة لجهازه و ميرته، و معه المحامل فيها أحواض البقل، و أحواض الرياحين، و كلاب الصيد، و ينفق على الأشراف، و أولاد الصحابة، و لهم عنده ديوان بأسمائهم، و أنه أنفق فى خمس حججات آخر ألفى ألف دينار، و مائتى ألف دينار، و كانت جاريته تواصل معه الحج، و معها لنفسها ثلاثون ناقه لفته، و مائة و خمسون عربيا لجهازها، و أحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته، و أهل الستر، و ذوى الأقدار جرايه من الدقيق الحوارى، فكان بضعا و ثمانين ألف رطل، و كان سنة القرمطى بمكة، فمن جملة ما ذهب له به مائتا قميص ديبقى ثمن كل ثوب منها خمسون ديناراً، و قال مرّة: و هو فى عطلته أخذ منى محمد بن طفج الإخشيد عينا و عرضا يبلغ نيفا و ثمانين و يبه دانير، فاستعظم من حضر ذلك، فقال ابنه الذى أخذ أكثر: و أنا أوقفه عليه، ثم قال لأبيه: يا مولاي أليس نكتب ثلاث مرّات؟ قال: قريب منها، قال: و عرض و عين؟ قال: كذلك، فأمر بعض الحساب بضبط ذلك، فجاء ما ينيف عن ثلاثين أردبا من ذهب؟! فانظر ما تضمنته أخبار المادرائى، و قس عليها بقية أحوال مصر، فما كان سوى كاتب الخراج، و هذه أمواله كما قد رأيت.

وقال الشريف الجوانى: إن أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرائى عمل فى أيامه الكعك المحشو بالسكر، و القرص الصغار المسمى افطن له، فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الأبيض الفانيد المطيب بالمسك، و عمل منه فى أول الحال أشياء عوض لبه: لب ذهب فى صحن واحد، فمضى عليه جملة، و خطف قدامه تخاطفه الحاضرون، و لم يعد لعمله بل الفستق الملبس، و كان قد سمع فى سيرة المادرائيين أنه عمل له هذا الإفطن له، و فى كل واحدة خمسة دانير، و وقف أستاذ على السماط، فقال لأحد الجلّساء: افطن له، و كان عمل على السماط عدّة صحنون من ذلك الجنس، لكن ما فيه الدنانير صحن واحد، فلما رمز الأستاذ لذلك الرجل بقوله: افطن له، و أشار إلى الصحن تناول ذلك الرجل منه، فأصاب الذهب، و اعتمد عليه، فحصل له جملة، و رآه الناس و هو إذا أكل يخرج من فمه، و يجمع بيده، و يحط فى حجره، فتنبها له، و تراحوا عليه فقيل لذلك من يومئذ: افطن له.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٣

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر: حدّثنى بعض أصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبه، فكانت حقا، كما فسرت، فسألت غلام ابن عقيل عنها؟ فقال لى: أنا أخبرك، كان أبى فى سوق الخشابين فأنفق بضاعته، ورثت حاله و ماله، فأسلمتنى أمى إلى ابن عقيل، و كان صديقا لأبى، فكنت أخدمه، و أفتح حانوته و أكنسها، ثم أفرش ما يجلس عليه، فكان يجرى علىّ رزقا أتقوت به، فأتى يوما فى الحانوت، و قد جلس أستاذى ابن عقيل، فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونه، فاشترى من ابن عقيل عود طاحونه بخمسة دانير، فسمعت قوما من أهل السوق يقولون: هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل، فجاء منهم قوم، و قصوا عليه منامات رأوها، ففسرها لهم، فذكرت رؤيا رأيتها فى ليلتى، فقلت له: إنى رأيت البارحة فى نومى كذا و كذا، فقصصت عليه الرؤيا، فقال لى: أى وقت رأيتها من الليل، فقلت: انتبهت بعد رؤياى فى وقت كذا، فقال لى: هذه رؤيا لست أفسرها إلا بدنانير كثيرة، فألححت عليه، فقال أستاذى ابن عقيل: إن قرّبت علينا وزنت أنا لك ذلك من عندى، فلم يزل به ينزله، حتى قال: و الله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دانير، فقال له ابن عقيل: إن صحت الرؤيا دفعت إليك العود بلا ثمن، فقال له: يأخذ مثل هذا اليوم ألف دينار، قال أستاذى: فإذا لم يصح هذا، فقال: يكون العود عندك إلى مثل هذا اليوم، فإن كان لم يصح أخذ ما قلت له فى ذلك اليوم، فليس لى عندك شىء، و لا أفسر رؤيا أبدا، فقال له أستاذى: قد أنصفت و مضت الجمعة، فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت أغدو إلى دكان أستاذى، ففتحتها و رششتها، و استلقيت على ظهري أفكر فيما قال لى، و من أين يمكن أن يصير إلى ألف دينار، فقلت: لعل سقف المكان ينفرج، فيسقط منه هذا المال، و جعلت أجيل



فكري، و إني كذلك إلى ضحى إذ وقف على جماعة من أعوان الخراج معهم ناس، فقالوا: هذه دكان ابن عقيل؟ ثم قالوا لى: قم، فقلت لهم:

لست ابن عقيل، أنا غلامه، فقالوا: بل أنت ابنه، و جردوني، فأخرجوني من الدكان، فقلت: إلى أين؟ فقالوا: إلى ديوان الأستاذ أبي على الحسين بن أحمد يعنون أبا زنبور، فقلت: و ما يصنع بي؟ فقالوا: إذا جئت سمعت كلامه، و ما يريده منك، و كنت بعقب عله ضعيف البدن، فقلت: ما أقدر أمشى، فقالوا: أكثر حمارا تركبه، و لم يكن معي ما أكثرى به حمارا، فنزعت تكه سراويلي من وسطى، و دفعتها على درهمين لمن أكراني الحمار، و مضيت معهم، فجاءوا بي إلى دار أبي زنبور، فلما دخلت قال لى: أنت ابن عقيل؟ فقلت: لا- يا سيدى، أنا غلام فى حانوته، قال: أفليس تبصر قيمة الخشب؟ قلت: بلى، قال: فاذهب مع هؤلاء، فقوم لنا هذا الخشب، فانظر بحيث لا يزيد و لا ينقص، فمضيت

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٤

معهم، فجاءوا بي إلى شط البحر إلى خشب كثير من أثل و سنط جاف، و غير ذلك مما يصلح لبناء المراكب، فقومته تقويم جزع، حتى بلغت قيمته ألفى دينار، فقالوا لى: انظر هذا الموضوع الآخر فيه من الخشب أيضا، فنظرت فإذا هو أكثر مما قومت بنحو مرتين فأعجلونى، و لم أضبط قيمة الخشب، فردونى إلى أبي زنبور، فقال لى: قومت الخشب كما أمرتك؟ ففزع، فقلت: نعم، فقال: هات كم قومته، فقلت: ألفا دينار، فقال: انظر لا- تغلط، فقلت: هو قيمته عندى، فقال لى: فخذة أنت بألفى دينار، فقلت: أنا فقير لا أملك دينارا واحدا، فكيف لى بقيمته، قال: أ لست تحسن تديره و تبيعه؟ فقلت: بلى، قال:

فدبره و بعه و نحن نصبر عليك بالثمن إلى أن تبيع شيئا شيئا، و تؤدى ثمنه، فقلت: أ فعل، فأمر بكتاب يكتب على فى الديوان بالمال، فكتب على، و رجعت إلى الشط أعراف عدد الخشب، و أوصى به الحرّاس، فوافيت جماعة أهل سوقنا، و شيوخهم قد أتوا إلى موضع الخشب، فقالوا لى: إيش صنعت؟ قومت الخشب؟ قلت: نعم، قالوا: بكم قومته؟ فقلت:

بألفى دينار، فقالوا لى: و أنت تحسن تقوم؟ لا- يساوى هذا هذه القيمة، فقلت لهم: قد كتب على فى الديوان، و هو عندى يساوى أضعاف هذا، فقالوا لى: اسكت لا يسمعك أحد، و كانوا قد قوموه قبلى لأبى زنبور بألف دينار، فقال بعضهم لبعض: أعطوا هذا ربحه، و تسلموه أنتم، فقال قائل: أعطوه ربحه خمسمائة دينار، فقلت: لا و الله لا آخذ، فقالوا: قد رأى رؤيا، فزيدوه، فقلت: لا و الله لا آخذ أقل من ألف دينار، قالوا: فلك ألف دينار، فحوّل اسمك من الديوان نعطك إذا بعنا ألف دينار، فقلت: لا و الله لا أفعل حتى آخذ الألف دينار فى وقتى هذا، فمضوا إلى حوانيتهم، و إلى منازلهم حتى جاءونى بألف دينار، فقلت: لا- آخذها إلا بنقد الصيرفى و ميزانه، فمضيت معهم إلى صيرفى الناحية، حتى وزنوا عنده الألف دينار، و نقدتها و أخذتها فشدتها فى طرف رداءى، فمضيت معهم إلى الديوان، و حوّلت أسماءهم مكان اسمى، و وفوا حتى الديوان من عندهم، و رجعت وقت الظهر إلى أستاذى، فقال لى: قبضت ألف دينار منهم؟ فقلت: نعم ببركتك، و تركت الدنانير بين يديه، و قلت له: يا أستاذ خذ ثمن العود الخشب، فقال: لا و الله لا آخذ منك شيئا أنت عندى مقام ابنى، و جاء فى الوقت ابن العسال، فدفع إليه أستاذى العود الخشب، فمضى، فهذا خبر رؤياى و تفسيرها، فتأمل أعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر، و سعة حال الديوان، و كيف فضل فيه خشب يساوى آلافا من الذهب، و نحن اليوم فى زمن إذا احتيج فيه إلى عمارة شىء من الأماكن السلطانية بخشب أو غيره أخذ من الناس إما بغير ثمن أو بأخس القيم، مع ما يصيب مالكة من الخوف و الخسارة للأعوان، و كيف لما قوم هذا الخشب لم يكلف المشتري دفع المال فى الحال، و فى زمننا إذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة، حتى أن فيهم من يبيعه بأقل من نصف ما اشتراها به، و يكمل الثمن إما من ماله، أو يقترضه بربح، و كيف لما علم أهل السوق أن الخشب بيع بدون القيمة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٥

لم يمضوا إلى الديوان، و يدفعون فيه زيادة إما لقله شره الناس إذ ذاك و تركهم الأخلاق الرذيلة من الحسد و نحوه أو لعلمهم بعدل

السلطان، و إنه لا ينكث ما عقده، و فى زمنا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التى كان اشتراها من الديوان قيمتها أكثر مما أخذها به لقبيل قوله، و رغم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جملة أخرى لا جرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة و ذميمة من الأخلاق، فإن الملك سوق يجبى إليه ما نفق به، و كيف لما علم ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار، لم يشره إلى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير، و ما ذاك إلا- من انتشار الخير فى الناس، و كثرة أموالهم، وسعة حال كل أحد بحسبه و طيب نفوس الكافة، و لعمري لو سمع زمنا أحد من الأمراء و الوزراء فضلا عن الباعة، أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ لقامت قيامته، و كيف اتسعت أحوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار فى ساعة، و إنه ليعسر اليوم على الخشابين أن يزنوا فى يوم مائة دينار، و هذا كله من وفور غنى الناس بمصر، و عظم أمرهم، و كثرة سعاداتهم، و كان الفسطاط نحو ثلث بغداد، و مقداره فرسخ على غاية العمارة، و الخصب و الطيبة، و اللذة، و كانت مساكن أهلها خمس طبقات و ستا و سبعا و ربما سكن فى الدار الواحدة المائتان من الناس، و كان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فى كل يوم أربعمئة راوية ماء، و كان فيها خمسة مساجد و حمامان، و عدّة أفران يخبز بها عجين أهلها، و قد قال أبو داود فى كتاب السنن: شبرت قنائة بمصر: ثلاثة عشر شبرا، و رأيت أترجه على بعير قطعتين: قطعت، و صيرت على مثل عدلين، ذكره فى باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة، قلت: و قد ذكر أن هذا كان فى جنان بنى سنان البصرى خارج مدينة الفسطاط، و كانت بحيث لم ير أبداع منها، فلما قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر: سنة سبع عشرة و مائتين، رأى جنان بنى سنان هذه؟ فأعجب بها، و سأل إبراهيم بن سنان: كم عليه من الخراج لجنانه؟ فذكر أنه يحمل إلى الديوان فى كل سنة عشرين ألف دينار، فقال المأمون: و كم ترد عليك هذه الجنان؟ قال: لا أستطيع حصره إلا أن ما زاد على مائة ألف دينار، أتصدق به و لو درهما هذا، و له ولد اسمه أحمد بن إبراهيم بن سنان يوصف بعلم و زهد، و الله تعالى أعلم.

### ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر

روى قاسم بن أصبغ عن كعب الأحبار قال: الجزيرة آمنة من الخراب، حتى تخرب أرمينية، و مصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة، و الكوفة آمنة من الخراب، حتى تكون الملحمة، و لا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية. و عن وهب بن منبه أنه قال: الجزيرة آمنة من الخراب، حتى تخرب أرمينية، و أرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر، و مصر آمنة من الخراب، حتى تخرب الكوفة، و لا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٦

تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة، فإذا كانت الملحمة الكبرى، فتحت القسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم، و خراب الأندلس من قبل الزنج، و خراب إفريقية من قبل الأندلس، و خراب مصر من انقطاع النيل، و اختلاف الجيوش فيها، و خراب العراق من قبل الجوع و السيف، و خراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يخفرهم، حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة، و خراب البصرة من قبل العراق، و خراب الأبله من قبل عدو يخفرهم مرة بزا، و مرة بحرا، و خراب الرى من قبل الديلم، و خراب خراسان من قبل التبت، و خراب التبت من قبل الصين، و خراب الصين من قبل الهند، و خراب اليمن من قبل الجراد و السلطان، و خراب مكة من قبل الحبشة، و خراب المدينة من قبل الجوع، و فى رواية: و خراب أرمينية من قبل الرجف و الصواعق، و خراب الأندلس، و خراب الجزيرة من سنايك الخيل، و اختلاف الجيوش.

و عن عبد الله بن الصامت قال: إن أسرع الأرضين خرابا البصرة و مصر، فقليل له: و ما يخربهما و فيهما عيون الرجال و الأموال؟ فقال: يخربهما القتل الأحمر و الجوع الأغر، كأنى بالبصرة: كأنها نعامه جاثمه، و أما مصر: فإن نيلها ينضب، أو قال: يببس، فيكون ذلك خرابها، و عن الأوزاعي: إذا دخل أصحاب الرايات الصفر مصر، فلتحفر أهل الشام أسرابا تحت الأرض.

و عن كعب: علامة خروج المهديّ أليوة تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كنده أعرج، فإذا ظهر أهل المغرب على مصر، فبطن الأرض يومئذ خير لأهل الشام.

و عن سفيان الثوريّ قال: يخرج عتق من البربر، فويل لأهل مصر. و قال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن مولى لشرحبيط بن حسنة أو لعمر بن العاص قال: سمعته يوما، و استقبلنا فقال: إيها لك مصر إذا رميت بالقسيّ الأربع: قوس الأندلس، و قوس الحبشة، و قوس الترك، و قوس الروم.

و عن قاسم بن أصبغ: حدّثنا أحمد بن زهير حدّثنا هارون بن معروف حدّثنا ضمرة عن الشيبانيّ قال: تهلك مصر غرقا، أو حرقا. و عن عبد الله بن مغلا- أنه قال لابنته: إذا بلغك أن الإسكندرية قد فتحت، فإن كان خمارك بالمغرب، فلا تأخذه حتى تلحقى بالمشرق.

و ذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال: أنزل الله تعالى من الجنة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٧

إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون، و هو نهر الهند، و جيحون، و هو نهر بلخ، و دجلة و الفرات، و هما نهرا العراق، و النيل و هو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل عليه السلام، و استودعها الجبال، و أجزاها في الأرض، و جعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم، و ذلك قوله عز و جل: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَشْرَكْنَا فِي الْأَرْضِ الْمَأْرُضِ [المؤمنون/ ١٨] فإذا كان عند خروج يأجوج و مأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام، فرفع من الأرض القرآن كله، و العلم كله، و الحجر من ركن البيت، و مقام إبراهيم، و تابوت موسى بما فيه، و هذه الأنهار الخمسة، فرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ [المؤمنون/ ١٨] فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقدت أهلها خير الدنيا و الدين، و قال ابن لهيعة عن عقبه بن عامر الحضرميّ عن حيان بن الأعين عن عبد الله بن عمرو قال: إن أول مصر خرابا أنطابلس، و قال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن أبي سالم عن عبد الله بن عمرو قال: إني لأعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال: فقلت له: ما يخرجنا منها يا أبا محمد، أعدو؟ قال: لا، و لكن يخرجكم منها نيلكم هذا، يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل، و تأكل سباع الأرض حيتانه.

### ذكر خراب الفسطاط

و كان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان: أحدهما: الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، و الثاني: حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعديّ.

فأما الشدة العظمى: فإن سببها أن السعر ارتفع بمصر في سنة ست و أربعين و أربعمائه، و تبع الغلاء، و باء، فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معدّ بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن عليّ إلى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال إلى مصر، فأطلق أربعمائه ألف أردب، و عزم على حملها إلى مصر، فأدركه أجله و مات قبل ذلك، فقام في الملك بعده امرأه، و كتبت إلى المستنصر تسأله أن يكون عوناً لها، و يمدّها بعساكر مصر إذا ثار عليها أحد، فأبى أن يسعفها في طلبتها، فجردت لذلك، و عاقت الغلال عن المسير إلى مصر، فخلق المستنصر، و جهز العساكر، و عليها مكين الدولة الحسن بن ملهم، و سارت إلى اللاذقية، فحاربتها بسبب نقض الهدنة و إمساك الغلال عن الوصول إلى مصر، و أمدها بالعساكر الكثيرة، و نودي في بلاد الشام بالغزو، فنزل ابن ملهم قريبا من فامية، و ضايق أهلها، و جال في أعمال أنطاكية، فسبى و نهب، فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر، فحاربها ابن ملهم عدّة مرار، و كانت عليه، و أسر هو و جماعة كثيرة في شهر ربيع

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٨

الأول منها، فبعث المستنصر في سنة سبع و أربعين: أبا عبد الله القضاة برسالته إلى القسطنطينية فوافى إليها رسول طغرل السلجوقي من العراق بكتابة يأمر مملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية، فأذن له في ذلك، فدخل إليه و صلى فيه صلاة الجمعة.

و خطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي، فبعث القاضي القضاة إلى المستنصر يخبره بذلك، فأرسل إلى كنيسة قمامة بيت المقدس، و قبض على جميع ما فيها، و كان شيئا كثيرا من أموال النصارى، ففسد من حينئذ ما بين الروم و المصريين، حتى استولوا على بلاد الساحل كلها، و حاصروا القاهرة كما يرد في موضعه إن شاء الله تعالى، و اشتد في هذه السنة الغلاء، و كثر الوباء بمصر و القاهرة، و أعمالها إلى سنة أربع و خمسين و أربعمائه، فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التي خرب بسببها إقليم مصر كله، و ذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على النجب مع النساء، و الحشم إلى أرض الجب خارج القاهرة، و جرد بعض الأتراك سيفاً، و هو سكران على أحد عبيد الشراء، فاجتمع عليه كثير من العبيد و قتلوه، فحرق لقتله الأتراك، و ساروا بجمعهم إلى المستنصر.

و قالوا: إن كان هذا عن رضاك، فالسمع و الطاعة، و إن كان من غير رضى أمير المؤمنين، فلا نرضى بذلك، فتبرأ المستنصر مما جرى و أنكره، ففتح الأتراك لمحاربة العبيد، و كانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدده من العبيد.

و انهزم من بقي منهم، فشق ذلك على أم المستنصر، فإنها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر، و ذلك أنها كانت جارية سوداء، فأحبت الاستكثار من جنسها، و اشترتهم من كل مكان، و عرفت رغبتها في هذا الجنس، فجلبت الناس إلى مصر منهم، حتى يقال: إنه صار في مصر إذ ذاك على زيادة على خمسين ألف عبد أسود، فلما كانت وقعة كوم شريك أمدت العبيد بالأموال و السلاح سراً، و كانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة، و حقدت على الأتراك، و حثت على قتلهم مولاها أبا سعد التستري، فقويت العبيد لذلك، حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار، فكرهت الأتراك ذلك، و كان ما ذكر، فظفر بعض الأتراك يوماً بشيء من المال و السلاح قد بعثت به أم المستنصر إلى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك، فاجتمعوا بأسرهم، و دخلوا على المستنصر، و أغلظوا في القول، فحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر، و صار إلى أمه، فأنكرت ما فعلت، و خرج الأتراك، فصار السيف قائماً، و وقعت الفتنة ثانياً فانتدب المستنصر: أبا الفرج ابن المغربي ليصلح بين الطائفتين، فاصطلحه على غل، و خرج العبيد إلى شبرا دمنهور، فكان هذا أول اختلال أحوال أهل مصر، و دبت عقارب العداوة بين الفئتين إلى سنة تسع و خمسين، فقويت شوكة الأتراك، و ضروا على المستنصر، و زاد طمعهم فيه، و طلبوا منه الزيادة في واجباتهم، و ضاقت أحوال

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٥٩

العبيد، و اشتدت ضرورتهم، و كثرت حاجتهم، و قل مال السلطان، و استضعف جانبه، فبعثت أم المستنصر إلى قواد العبيد تخريبهم بالأتراك، فاجتمعوا بالجيزة، و خرج إليهم الأتراك، و مقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان، فاقتلوا عدده مرار ظهر في آخرها الأتراك على العبيد، و هزمهم إلى بلاد الصعيد، فعاد ابن حمدان إلى القاهرة، و قد عظم أمره، و قوى جأشه، و كبرت نفسه، و استخف بالخليفة، فجاءه الخبر: أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر ألف فارس، فقلق و بعث بمقدمي الأتراك إلى المستنصر، فأنكر ما كان من اجتماع العبيد، و جفوا في خطابهم، و فارقه على غير رضى منهم، فبعثت أم المستنصر إلى من بحضرتها من العبيد، تأمرهم بالإيقاع على غفلة بالأتراك، فهجموا عليهم، و قتلوا منهم عدده، فبادر ابن حمدان إلى الخروج ظاهر القاهرة، و تلاحق به الأتراك، و برز إليهم العبيد المقيمون بالقاهرة و مصر، و حاربهم عدده أيام، فحلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الأمر إما له أو عليه، و جد كل من الفريقين في القتال، فظهرت الأتراك على العبيد، و أثنوا في قتلهم و أسرهم، فعادوا إلى القاهرة، و تتبع ابن حمدان من في البلد منهم، حتى أفنى معظمهم، هذا و العبيد ببلاد الصعيد على حالهم، و بالإسكندرية أيضاً منهم جمع كثير، فسار ابن حمدان إلى الإسكندرية، و حاصرهم فيها مدة حتى سألوه الأمان، فأخرجهم، و أقام فيها من يثق به، و انقضت هذه السنة كلها في قتال العبيد، و دخلت سنة ستين و أربعمائه، و قد حرق الأتراك ناموس المستنصر، و استهانوا به، و استخفوا بقدره،

و صار مقرّهم في كل شهر أربعمئة ألف دينار بعدما كان ثمانية و عشرين ألف دينار، و لم يبق في الخزان مال، فبعثوا يطالبونه بالمال، فاعتذر إليهم بعجزه عما طلبوه، فلم يعذروه، و قالوا: بع ذخائرنا، فلم يجد بداً من إجابتهم، و أخرج ما كان في القصر من الذخائر، فصاروا يقومون ما يخرج إليهم بأحسن القيم، و أقل الأثمان، و يأخذون ذلك في واجباتهم.

و تجهز ابن حمدان، و سار إلى الصعيد يريد قتال العبيد، و كانت شرورهم قد كثرت، و ضررهم و فسادهم قد تزايد، فلقبهم و واقعهم غير مرّة، و الأتراك تنكسر منهم، و تعود إلى محاربتهم إلى أن حمل العبيد عليهم حملةً انهزموا فيها إلى الجيزة، فأفحشوا عند ذلك في أمر المستنصر، و نسبوه إلى مباطنة العبيد، و تقويتهم، فأنكر ذلك، و حلف عليه، فأخذوا في إصلاح شأنهم، و لمّ شعثهم و ساروا لقتال العبيد، و ما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرةً شنيعةً، و قتل منهم خلق كثير، و فرّ من بقي، فذهبت شوكتهم، و زالت دولتهم، و رجع ابن حمدان، و قد كشف قناع الحياء، و جهر بالسوء للمستنصر، و استبدّ بسلطنته

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٠

البلاد، و دخلت سنة إحدى و ستين و ابن حمدان مستبدّ بالأمر مجاف للمستنصر، فنقل مكانه على الأتراك، و تفرّغوا من العبيد، و التفتوا إليه، و قد استبدّ بالأمور دونهم، و استأثر بالأموال عليهم، ففسد ما بينهم و بينه، و شكوا منهم إلى الوزير خنجر الملك، فأغرامهم به، و لامهم على ما كان من تقويته، و حسن لهم الثورة به، فصاروا إلى المستنصر، و وافقوه على ذلك، فبعث إلى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر، و يهدّده إن امتنع، فلم يقدر على الامتناع منه، لفساد الأتراك عليه، و ميلهم مع المستنصر، فخرج إلى الجيزة، و انتهب الناس دوره و دور حواشيه، فلما جنّ عليه الليل عاد من الجيزة سرّاً إلى دار القائد تاج الملوك شادي، و ترامى عليه، و قبل رجليه، و سأله النصر على الذكر و الوزير الخنجر، فإنهما قاما بهذه الفتنة، فأجابه إلى ذلك، و وعده بقتل المذكورين و فارقه ابن حمدان، فلما كان من الغد ركب شادي في أصحابه، و أخذ يسير بين القصرين بالقاهرة، و أقبل الوزير الخنجر، في موكبه، فبادره شادي على حين غفلة و قتله، ففرّ الذكر إلى القصر، و التجأ بالمستنصر، فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان، و قد استعدّ للحرب، فيمن معه فركب المستنصر بلأمة الحرب، و اجتمع إليه الأجناد و العامّة، و صار في عدد لا- ينحصر، و برزت الفرسان، فكانت بين الخليفة، و ابن حمدان حروب آلت إلى هزيمة ابن حمدان، و قتل كثير من أصحابه، فمضى في طائفة إلى البحيرة، و ترامى على بني سيس، و تزوّج منها، فعظم الأمر بالقاهرة و مصر من شدّة الغلاء، و قلّة الأقوات لما فسد من الأعمال بكثرة النهب، و قطع الطريق حتى أكل الناس الجيف و الميتات، و وقف أرباب الفساد في الطريق، فصاروا يقتلون من ظفروا به في أزقة مصر، فهلك من أهل مصر في هذه الحروب و الفتن ما لا يمكن حصره، و امتدّ ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث و ستين، فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة، فسارت إليه و لم يوفق في محاربتة، فكسرهما كلها، و احتوى على ما كان معها من سلاح و كراع و مال، فتقوى به، و قطع الميرة عن البلد، و نهب أكثر الوجه البحري، و قطع منه الخطبة للمستنصر، و دعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي بالإسكندرية و دمياط، و عامّة الوجه البحري، فاشتدّ الجوع، و تزايد الموتان بالقاهرة و مصر حتى أنه كان يموت الواحد من أهل البيت، فلا يمضي يوم و ليلة من موته، حتى يموت سائر من في ذلك البيت، و لا يوجد من يستولى عليه، و مدّت الأجناد أيديها إلى النهب، فخرج الأمر عن الحدّ، و نجا أهل القوّة بأنفسهم من مصر، و ساروا إلى الشام و العراق، و خرج من خزائن القصر ما يجلب و صفه، و قد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر، فاضطرّ الأجناد ما هم فيه من شدّة الجوع إلى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه، و يحمل إليه مال مقرّر، و ينوب عنه شادي بالقاهرة، فرضى بذلك، و سير الغلال إلى القاهرة و مصر، فسكن ما بالناس من شدّة الجوع قليلاً، و لم يكن ذلك إلا نحو شهر، و وقع الاختلاف عليه، فقدم من البحيرة إلى مصر، و حاصرها و انتهبها، و أحرق دوراً عديدةً بالساحل، و رجع إلى البحيرة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦١

فدخلت سنة أربع و ستين، و الحال على ذلك، و شادي قد استبدّ بأمر الدولة، و فسد ما بينه و بين ابن حمدان، و منعه من المال الذي



تقرّر له و شح به عليه، فلم يوصله إلى القليل، فجرد من ذلك ابن حمدان، و جمع العربان، و سار إلى الجيزة، و خادع شادى حتى صار إليه ليلا فى عدّة من الأكابر، فقبض عليه و عليهم، و بعث أصحابه فنهبوا مصر، و أطلقوا فيها النار، فخرج إليهم عسكر المستنصر من القاهرة، و هزمهم، فعاد إلى البحيرة، و بعث رسولا إلى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد بإقامة الخطبة له، و سأله الخلع و التشاريف فاضمحل أمر المستنصر، و تلاشى ذكره، و تفاقم الأمر فى الشدّة من الغلاء، حتى هلكوا فسار ابن حمدان إلى البلد، و ليس فى أحد قوّة يمنعها، فملك القاهرة و امتنع المستنصر بالقصر، فسير إليه رسولا يطلب منه المال، فوجده، و قد ذهب سائر ما كان يعهده من أبهة الخلافة، حتى جلس على حصير، و لم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم، فبلغه رسالة ابن حمدان، فقال المستنصر للرسول: ما يكفى ناصر الدولة أن اجلس فى مثل هذا البيت على هذا الحال؟ فبكى الرسول رقّة له، و عاد إلى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من انضاع أمر المستنصر، و سوء حاله، فكف عنه، و أطلق له فى كل شهر مائة دينار، و امتدّت يده و تحكّم و بالغ فى إهانة المستنصر مبالغة عظيمة، و قبض على أمه و عاقبها أشد العقوبة، و استصفى أموالها، فحاز منها شيئا كثيرا، فنفّز عن المستنصر جميع أقاربه، و أولاده من الجوع فمنهم من سار إلى المغرب، و منهم من سار إلى الشام و العراق.

قال الشريف محمد بن أسعد الجوائى النسابة فى كتاب النقط: حلّ بمصر غلاء شديد، فى خلافة المستنصر بالله فى سنة سبع و خمسين و أربعمائه، و أقام إلى سنة أربع و ستين و أربعمائه، و عمّ مع الغلاء و باء شديد، فأقام ذلك سبع سنين، و النيل يمدّ و ينزل، فلا يجد من يزرع، و شمل الخوف من العسكرية، و فساد العبيد، فانقطعت الطرقات بزا و بحرا إلّا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر، و نزا المارقون بعضهم على بعض، و استولى الجوع لعدم القوت، و صار الحال إلى أن يبيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق القناديل: كبيع الطرف فى النداء بأربعة عشر درهما، و يبيع أردب من القمح بثمانين دينارا، ثم عدم ذلك، و أكلت الكلاب و القطاط، ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا، و كان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات و يطوف، و قد أعدوا سلبا، و خطاطيف فإذا مرّ بهم أحد شالوه فى أقرب وقت، ثم ضربوه بالأخشاب، و شرّحو لحمه و أكلوه.

قال: و حدّثنى بعض نساينا الصالحات قالت: كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها، و فيها كالحفر، فكنا نسألها، فتقول: أنا ممن خطفنى أكلة الناس فى الشدّة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٢

فأخذنى إنسان، و كنت ذات جسم و سمن، فأدخلنى إلى بيت فيه سكاكين و آثار الدماء، و زفرة القتلى، فأضجنى على وجهى، و ربط فى يديّ و رجلتيّ سلبا إلى أوتاد حديد عريانه، ثم شرّح من أفخادى شرائح و أنا أستغيث، و لا أحد يجينى، ثم أضرم الفحم و شوى من لحمى، و أكل أكلا كثيرا، ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف أين هو، فأخذت فى الحركة إلى أن انحل أحد الأوتاط، و أعان الله على الخلاص، و تخلصت و حللت الرباط، و أخذت خرقا من داره، و لففت بها أفخادى، و زحفت إلى باب الدار، و خرجت أزحف إلى أن وقعت إلى المأمّن، و جئت إلى بيتى، و عزّفتهم بموضعه، فمضوا إلى الوالى، فكبس عليه و ضرب عنقه، و أقام الدواء فى أفخادى سنة إلى أن ختم الجرح، و بقى كذا حفرا، و بسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط، و خلا موضع العسكر و القطائع، و ظاهر مصر، مما يلى القرافة حيث الكيمان الآن إلى بركة الحبش، فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى مصر، و قام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلى القاهرة حيث كان العسكر و القطائع، و صار فضاء و كيما، فيما بين مصر و القاهرة، و فيما بين مصر و القرافة، و تراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدّة.

و أما حريق مصر: فكان سببه: أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام، و استولوا على الساحل حتى صار بأيديهم ما بين ملطية إلى بلبس إلّا مدينة دمشق فقط، و صار أمر الوزارة بديار مصر: لشاور بن مجير السعدى، و الخليفة يومئذ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف، اسم لا- معنى له، و قام فى منصب الوزارة بالقوّة فى صفر سنة ثمان و خمسين و خمسماية، و تلقب بأمر الجيوش، و أخذ



أموال بنى رزيك وزراء مصر، و ملوكها من قبله، فلما استبدت بالإمره حسده ضرغام صاحب الباب، و جمع جموعا كثيرة، و غلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها، فسار شاور إلى الشام، و استقل ضرغام بسلطنة مصر، فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم: العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك، و شاور بن مجير، و ضرغام، فأساء ضرغام السيرة في قتل أمراء الدولة، و ضعفت من أجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الأكابر، ثم إن شاور استنجد بالسلطان: نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام، فأنجده و بعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الأولى سنة تسع و خمسين، و قدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين إذا عاد شاور إلى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد إقطاعات العساكر، و أن يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر، و لا يتصرف إلا بأمر نور الدين، فخرج ضرغام بالعسكر، و حاربه في بليس فانهمز، و عاد إلى مصر، فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة، و انتشر عسكره في البلاد، و بعث

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٣

ضرغام إلى أهل البلاد، فأتوه خوفا من الترك القادمين معه، و أتته الطائفة الريحانية و الطائفة الجيوشية، فامتنعوا بالقاهرة، و تطاردوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة، فنزل شاور في المقس، و حارب أهل القاهرة فغلبوه، و حتى ارتفع إلى بركة الحبش، فنزل على الرصد و استولى على مدينه مصر، و أقام أياما فمال الناس إليه، و انحرفوا عن ضرغام لأمر، فنزل شاور باللوق، و كانت بينه و بين ضرغام حروب آلت إلى إحراق الدور من باب سعادة إلى باب القنطرة خارج القاهرة، و قتل كثير من الفريقين، و اختل أمر ضرغام، و انهزم، فملك شاور القاهرة، و قتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع و خمسين، فأخلف شيركوه ما وعد به السلطان نور الدين، و أمره بالخروج عن مصر، فأبى عليه و اقتتلا.

و كان شيركوه قد بعث بابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بليس، ليجمع له الغلال و غيرها من الأموال، فحشد شاور، و قاتل الشاميين، فجرت وقائع، و احترق وجه الخليج خارج القاهرة بأسره، و قطعه من حارة زويلة، فبعث شاور إلى الفرنج و استنجد بهم فطمعوا في البلاد، و خرج ملكهم مري من عسقلان بجموعه، فبلغ ذلك شيركوه، فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها، و نزل بليس فاجتمع على قتاله بها شاور و ملك الفرنج، و حصروه بها، و كانت إذا ذاك حصينه ذات أسوار، فأقام محصورا مدة ثلاثة أشهر، و بلغ ذلك نور الدين، فأغار على ما قرب منه من بلاد الفرنج، و أخذها من أيديهم، فخافوه، و وقع الصلح مع شيركوه على عودته إلى الشام، فخرج في ذى الحجة، و لحق بنور الدين، فأقام و في نفسه من مصر أمر عظيم إلى أن دخلت سنة اثنتين و ستين، فجهزه نور الدين إلى مصر في جيش قوى في ربيع الأول، و سيره فبلغ ذلك شاور، فبعث إلى مري ملك الفرنج مستنجدا به، فسار بجموع الفرنج، حتى نزل بليس، فوافاه شاور و أقام حتى قدم شيركوه إلى أطراف مصر، فلم يطق لقاء القوم، فسار حتى خرج من إطفيح إلى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم، فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد، فسقط في يده، و نهض للفور من بليس و معه الفرنج، فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالأشمونين، و سار منها بعد الهزيمة إلى الإسكندرية فملكها، و أقر بها ابن أخيه صلاح الدين، و خرج إلى الصعيد، فخرج شاور بالفرنج و حصر الإسكندرية أشد حصارا، فسار شيركوه من قوص و نزل على القاهرة، و حاصرها، فرحل إليه شاور، و كانت أمور آلت إلى الصلح و سار شيركوه بمن معه إلى الشام في سؤال، فطمع مري في البلاد، و جعل له شحنة بالقاهرة، و صارت أسوارها بيد فرسان الفرنج، و تقرّر لهم في كل سنة مائة ألف دينار، ثم رحل إلى بلاده، و ترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج، و سار شيركوه إلى الشام، فتحكم الفرنج في القاهرة حكما جائرا، و ركبوا المسلمين بالأذى العظيم، و تيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم، و انكشفت لهم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٤

عورات الناس إلى أن دخلت سنة أربع و ستين، فجمع مري جمعا عظيما من أجناس الفرنج، و أقطعهم بلاد مصر، و سار يريد أخذ مصر، فبعث إليه شاور يسأله عن سبب مسيره، فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر، و أنه يريد ألفي ألف دينار يرضيهم بها، و

سار فنزل على بلييس، و حاصرها حتى أخذها عنوة في صفر، فسبى أهلها، و قصد القاهرة، فسير العاضد كتبه إلى نور الدين، و فيها شعور نسائه و بناته يسأله إنقاذ المسلمين من الفرنج، و سار مرى من بلييس، فنزل على بركة الحبش، و قد انضم الناس من الأعمال إلى القاهرة، فنادى شاور بمصر أن لا يقيم بها أحد، و أزعج الناس في النقلة منها، فتركوا أموالهم و أنقالهم و نجوا بأنفسهم، و أولادهم و قد ماج الناس و اضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم إلى المحشر لا يعبأ والد بولده، و لا يلتفت أخ إلى أخيه، و بلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر ديناراً، و كراء الحمل إلى ثلاثين ديناراً، و نزلوا بالقاهرة في المساجد، و الحمامات و الأزقة و على الطرقات، فصاروا مطروحين بعيالهم و أولادهم، و قد سلبوا سائر أموالهم، و ينتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف، كما فعل بمدينة بلييس، و بعث شاور إلى مصر بعشرين ألف قارورة نפט، و عشرة آلاف مشعل نار، فزق ذلك فيها، فارتفع لهب النار و دخان الحريق إلى السماء، فصار منظراً مهولاً، فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع و العشرين من صفر لتمام أربعة و خمسين يوماً، و التهباء من العبيد، و رجال الأسطول و غيرهم بهذه المنازل في طلب الخبايا، فلما وقع الحريق بمصر، رحل مرى من بركة الحبش، و نزل بظاهر القاهرة، مما يلي باب البرقية، و قاتل أهلها قتلاً كثيراً، حتى زلزلوا زلزلاً شديداً، و ضعفت نفوسهم، و كادوا يؤخذون عنوة، فعاد شاور إلى مقاتلة الفرنج، و جرت أمور آلت إلى الصلح على مال، فبينا هم في جبايته إذ بلغ الفرنج مجيء أسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود، فرحلوا في سابع ربيع الآخر إلى بلييس، و ساروا منها إلى فاقوس، فصاروا إلى بلادهم بالساحل، و نزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة، و كان من قتل شاور، و استيلاء شيركوه على مصر ما كان، فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن: كيما مصر، و تلاشى أمرها، و افتقر أهلها، و ذهب أموالهم، و زالت نعمهم، فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد، أمر بإحضار أعيان أهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة، و صاروا بالقاهرة، و تغمم لمصائبهم و سفه رأى شاور في إحراق المدينة، و أمرهم بالعود إليها، فشكوا إليه ما بهم من الفقر و الفاقة و خراب المنازل، و قالوا: إلى أي مكان نرجع؟ و في أي مكان ننزل و نأوى؟

و قد صارت كما ترى، و بكوا و أبكوا، فوعدهم جميلاً، و ترفق بهم و أمر، فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر، فترجع إليها الناس قليلاً و عمرو ما حول الجامع إلى أن كانت المحنة من الغلاء و الوباء العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لستى خمس و خمسمائة فخرت من مصر جانب كبير، ثم تحايا الناس بها، و أكثروا من العمارة بجانب المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٥

مصر الغربى على شاطيء النيل، لما عمّر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، و صار بمصر عدّة آدار جليله، و أسواق ضخمة، فلما كان غلاء مصر و الوباء الكائن في سلطنة الملك العادل: كتبغا سنة ست و تسعين و ستمائة خرب كثير من مساكن مصر، و تراجع الناس بعد ذلك في العمارة إلى سنة تسع و أربعين و سبعمائة، فحدث الفناء الكبير الذى أفقر منه معظم دور مصر، و خربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء، و صار ما يحيط بالجامع العتيق، و ما على شط النيل عامراً إلى سنة ست و سبعين و سبعمائة، فشرقت بلاد مصر، و حدث الوباء بعد الغلاء، فخرت كثير من عامر مصر، و لم يزل يخرب شيئاً بعد شيء إلى سنة تسعين و سبعمائة، فعظم الخراب في خط زقاق القناديل، و خط النحاسين، و شرع الناس في هدم دور مصر، و بيع أنقاضها، حتى صارت على ما هي عليه الآن، و تلك القرى أهلكتهم لما ظلموا و جعلنا لمهلكهم موعداً.

### ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر

قال ابن رضوان: و المدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء: الفسطاط، و القاهرة، و الجزيرة، و الجزيرة، و بعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة، و الجبل المقطم في شريقها، و بينها و بين مقابر المدينة. و قد قالت الأطباء: إن أردأ المواضع ما كان الجبل في شريقه يعوق ريح الصبا عنه، و أعظم أجزائها: هو الفسطاط، و يلي الفسطاط من

الغرب: النيل، و على شط النيل الغربى أشجار طوال و قصار، و أعظم أجزاء الفسطاط: موضع فى غور، فإنه يعلوه من المشرق المقطم، و من الجنوب الشرف، و من الشمال الموضع العالى من عمل فوق، أعنى الموقف و العسكر و جامع ابن طولون، و متى نظرت إلى الفسطاط من الشرق أو من مكان آخر عال:

رأيت وضعها فى غور. و قد بين أبقراط أن المواضع المتسفلة: أسخن من المواضع المرتفعة، و أردأ هواء لاحتقان البخار فيها، و لأن ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها، و أزقة الفسطاط و شوارعها ضيقة، و أبنيتها عالية، و قد قال روفس: إذا دخلت مدينة، فرأيتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء، فاهرب منها لأنها و بيئها أراد أن البخار لا ينحل منها كما ينبغى لضيق الأزقة و ارتفاع البناء. و من شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت فى دورهم من السنانير و الكلاب، و نحوها من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم و أزقتهم فتعفن، و تخالط عفونتها الهواء، و من شأنهم أيضا: أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم و جيفها، و خزّارا كنفهم تصب فيه، و ربما انقطع جرى الماء، فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء، و فى خلال الفسطاط مستودعات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط، و هى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها، حتى أنك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس، و يتسخ الثوب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٦

النظيف فى اليوم الواحد، و إذا مرّ الإنسان فى حاجة لم يرجع إلّا و قد اجتمع فى وجهه و لحيته غبار كثير، و يعلوها فى العشيات خاصة فى أيام الصيف بخار كدر أسود و أغبر، سيمّا إذا كان الهواء سليما من الرياح، و إذا كانت هذه الأشياء كما وصفنا، فمن البين أنه يصير الروح الحيوانى الذى فيها حالة كهذه الحال، فيتولد إذا فى البدن من هذه الأعراض فضول كثيرة، و استعدادات نحو العفن إلّا أن ألف أهل الفسطاط لهذه الحال، و أنسهم بها يعوق عنهم أكثر شرّها، و إن كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعا فى الأمراض، و ما يلى النيل من الفسطاط، يجب أن يكون أرطب مما يلى الصحراء، و أهل الشرق أصلح حالا لتخزق الرياح لدورهم، و كذلك عمل فوق و الحمراء، إلّا أن أهل الشرف الذى يشربونه أجود لأنه يستقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط، فأما القرافة فأجود هذه المواضع، لأن المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها، و إذا هبت ريح الشمال مرّت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط، و القاهرة على الشرف، فغيرت حاله، و ظاهر أن المواضع المكشوفة فى هذه المدينة هى أصح هواء، و كذلك حال المواضع المرتفعة، و أردأ موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق إلى ما يلى النيل و السواحل، و إذا كان فى الشتاء و أوّل الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير، فيصل إلى هذه المدينة، و قد عفن، و صارت له رائحة منكّرة جدّا، فساغ فى القاهرة، و يأكله أهلها و أهل الفسطاط، فيجتمع فى أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة، فلو لا الاعتدال أمزجتهم و صحّة أبدانهم فى هذا الزمان لكان ذلك يولد فى أبدانهم أمراضا كثيرة، قاتلة، إلّا أن قوّة الاستمرار تعوق عن ذلك، و ربما انقطع النيل فى آخر الربيع، و أوّل الصيف من جهة الفسطاط، فيعفن بكثرة ما يلقى فيه إلى أن يبلغ عفنه إلى أن تصير له رائحة منكّرة محسوسة، و ظاهر أن هذا الماء إذا صار على هذه الحال، غير مزاج الناس تغيرا محسوسا. قال: فمن البين أن أهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الأمراض من جميع أهل هذه الأرض ما خلا أهل الفيوم، فإنها أيضا قريبة، و أردأ ما فى المدينة: الموضع الغائر من الفسطاط، و لذلك غلب على أهلها الحين، و قلة الكرم، و أنه ليس أحد منهم يغيث، و لا يضيف الغريب إلا فى النادر، و صاروا من السعاية و الاغتيال على أمر عظيم، و لقد بلغ بهم الجبن إلى أن خمسة أعوان تسوق منهم مائة رجل و أكثر، و يسوق الأعوان المذكورين: رجل واحد من أهل البلدان الأخر، و ممن قد تدرّب فى الحرب، فقد استبان إذا العلة و السبب فى أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الأمراض من جميع أهل هذه الأرض، و أضعف أنفسا، و لعل لهذا السبب اختار القدماء: اتخاذ المدينة فى غير هذا الموضع، فمنهم من جعلها بمنف، و هى: مصر القديمة، و منهم من جعلها بالإسكندرية، و منهم من جعلها بغير هذه المواضع، و يدل على ذلك آثارهم.

و قال ابن سعيد عن كتاب الكمائم: و أما فسطاط مصر فإنّ مبانيها كانت فى القديم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٧

متصلة بمباني مدينة عين شمس، و جاء الإسلام، و بها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن، و عليه نزل عمرو بن العاص، و ضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه، ثم لما فتحها: قسم المنازل على القبائل، و نسبت المدينة إليه، فقيل: فسطاط عمرو، و تداولت عليها بعد ذلك ولاء مصر، فاتخذوها سريرا للسلطنة و تضاعفت عمارتها، فأقبل الناس من كل جانب إليها، و قصروا أمانهم عليها إلى أن رسخت بها دولة بني طولون، فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع، و بها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن إلى جانب القاهرة، و هي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها، و يحط في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل، و جنوبه بأنواع الفوائد، و لها منتزهات، و هي في الإقليم الثالث، و لا ينزل فيها مطر إلّا في النار، و ترابها تثيره الأرجل، و هو قبيح اللون تتكدر منه أرجاؤها و يسوء بسببه هواؤها، و لها أسواق ضخمة إلّا أنّها ضيقة و مبانيها بالقصب، و الطوب طبقة على طبقة، و مذ بنيت القاهرة، ضعفت مدينة الفسطاط، و فرط في الاغتباط بها بعد الإفراط، و بينهما نحو ميلين، و أنشد فيها الشريف العقيلي:

أحنّ إلى الفسطاط شوقا و إنني لأدعو لها أن لا يحلّ بها القطر  
و هل في الحيا من حاجة لجنابها و في كل قطر من جوانبها نهر  
تبدّت عروسا و المقطم تاجها و من نيلها عقد كما انتظم الدر

و قال عن كتاب آخر: فالفسطاط هي قصبه مصر، و الجبل المقطم شرقها، و هو متصل بجبل الزمرد.

و قال عن كتاب ابن حوقل: و الفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها، و هي كبيرة نحو ثلث بغداد، و مقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة و الطيبة و اللذة، ذات رحاب في محالها، و أسواق عظام فيها ضيق، و متاجر فخام، و لها ظاهر أنيق و بساتين نضرة، و منتزهات على ممر الأيام خضرة، و في الفسطاط قبائل، و خطط للعرب تنسب إليها كالبصرة و الكوفة إلّا- أنّها أقل من ذلك، و هي سبخة الأرض غير نقيّة التربة، و تكون بها الدار سبع طبقات و ستا و خمسا، و ربما يسكن في الدار المائتان من الناس، و معظم بنيانهم بالطوب، و أسفل دورهم غير مسكون، و بها مسجدان للجمعة: بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط، و الآخر على الموقف بناه أحمد بن طولون، و كان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع، كما بنى بنو الأغلب خارج القيروان و قادة، و قد خربت في وقتنا هذا، و أخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة.

قال ابن سعيد: و لما استقررت بالقاهرة تشوّقت إلى معاينة الفسطاط، فسار معي أحد أصحاب العزّة، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدّة لركوب من يسير إلى الفسطاط

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٨

جملة عظيمة لا- عهد لي بمثلها في بلد، فركب منها حمارا، و أشار إليّ أن اركب حمارا آخر، فأنتفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب، فأعلمني أنه غير معيب على أعيان مصر، و عاينت الفقهاء و أصحاب البزة و السادة الظاهرة يركبونها فركبت، و عندما استويت راكبا أشار المكارى على الحمار، فطار بي، و أثار من الغبار الأسود، ما أعمى عيني، و دنس ثيابي، و عاينت ما كرهته، و لقلّة معرفتي بركوب الحمار، و شدّة عدوه على قانون لم أعهدده، و قلّة رفق المكارى، و قفت في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت:

لقيت بمصر أشدّ البوارركوب الحمار و كحل الغبار

و خلفي مكار يفوق الرياح لا يعرف الرفق بهمي استطار

أناديه مهلا فلا يرعوى إلى أن سجدت سجود العثار

و قد مدّ فوقى رواق الثرى و ألحد فيه ضياء النهار

فدفعت إلى المكارى أجرته، و قلت له: إحسانك إليّ أن تتركني أمشي على رجليّ، و مشيت إلى أن بلغتها، و قدّرت الطريق بين

القاهرة و الفسطاط، و حققت بعد ذلك نحو الميلىن، و لما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة، و تأملت أسوار مثلثة سوداء، و آفاقا مغبرة، و دخلت من بابها، و هو دون غلق مفض إلى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأذكن و القصب، و النخيل طبقة فوق طبقة، و حول أبوابها من التراب الأسود، و الأزبال ما يقبض نفس النظيف، و يغض طرف الطريف، فسرت و أنا معاين لاستصحاب تلك الحال إلى أن سرت فى أسواقها الضيقة، فقايسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق و الروايا التى على الجمال ما لا- يفى به إلّا مشاهدته و مقاساته إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع، فعاينت من ضيق الأسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع إشبيلية، و جامع مراكش، ثم دخلت إليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف، و لا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه، و تبسط فيه، و أبصرت العائمة رجالا و نساء قد جعلوه معبرا بأوطئه أقدامهم يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق، و البياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات و الكعك، و ما جرى مجرى ذلك، و الناس يأكلون منه فى أمكنة عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك، و عدّه صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا، و فضلات مآكلهم مطروحة فى صحن الجامع، و فى زواياه و العنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف و الأركان و الحيطان، و الصبيان يلعبون فى صحنه، و حيطانه مكتوبة بالفحم، و الحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة إلّا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الروتق، و حسن القبول، و انبساط النفس، ما لا تجده فى جامع إشبيلية مع زخرفته، و البستان الذى فى صحنه، و قد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح و الأنس دون منظر يوجب ذلك، فعلمت أنه سرّ مودع من

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٦٩

وقوف الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه، و استحسنت ما أبصرته فيه من حلق المصدرين لإقراء القرآن و الفقه و النحو فى عدّه أماكن، و سألت عن موارد أرزاقهم، فأخبرت أنها من فروض الزكاة، و ما أشبه ذلك. ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب إلا بالجاه و التعب، ثم انفصلنا من هنالك إلى ساحل النيل، فرأيت ساحلا- كدر التربة غير نظيف، و لا- متسع الساحة، و لا- مستقيم الاستطالة، و لا عليه سور أبيض، إلّا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب، و أصناف الأرزاق التى تصل من جميع أقطار الأرض و النيل، و لئن قلت إنى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل، فإنى أقول حقا و النيل هنا لك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعتة قد توسطت الماء و مالت إلى جهة الفسطاط، و بحسن سورها المبيض الشامخ: حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل، و قد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط إلى الجزيرة، و هو غير طويل، و من الجانب الآخر إلى البر الغربى المعروف ببرّ الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه، و أكثر جواز الناس بأنفسهم و دوابهم فى المراكب لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان، و لا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة و الفسطاط راكبا احتراماً لموضع السلطان، و يتنافى ليله ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت:

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد

و قد جمعت فيه المراكب سحرة كسرب قطا أضحى يزف على ورد

و أصبح يطغى الموج فيه و يرتمى و يطغو حنانا و هو يلعب بالنرد

غدا ماؤه كالريق ممن أحبه فمدت عليه حليه من حلى الخدّ

و قد كان مثل الزهر من قبل مدّة فأصبح لما زاده المدّ كالورد

قلت: هذا لأنى لم أذق فى المياه أحلى من مائه، و أنه يكون قبل المدّ الذى يزى به، و يفيض على أقطاره أبيض، فإذا كان عباب النيل صار أحمر. و أنشدنى علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط و أهلها:

حبذا الفسطاط من والده جنبت أولادها درّ الجفا

يرد النيل إليها كدرا فإذا مازج أهلها صفا



لطفوا فالمزن لا يألّفهم خجلا لما رأهم أطفّا

و لم أرفى أهل البلاد أطف من أهل الفسطاط، حتى أنهم أطف من أهل القاهرة، و بينهما نحو ميلين، و جملة الحال أن أهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة و اللين فى الكلام،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٠

و تحت ذلك من الملق، و قلة المبالاة برعاية قدم الصلبة، و كثرة الممازجة و الألفه ما يطول ذكره، و أما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندرانيّ، و البحر الحجازي، فإنه فوق ما يوصف، و بها مجمع ذلك لا بالقاهرة، و منها تجهز إلى القاهرة، و سائر البلاد، و بالفسطاط مطابخ السكر و الصابون، و معظم ما يجرى هذا المجرى، لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند، كما أن جميع زىّ الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط و كذلك ما ينسج، و يصاغ و سائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية، و الخراب فى الفسطاط كثير، و القاهرة أجدد و أعمر، و أكثر زحمة بسبب انتقال السلطان إليها، و سكنى الأجناد فيها، و قد نفخ روح الاعتناء و النموّ فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحيّة، و كثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة، و بنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر، يعنى ابن سعيد: ما بنى على شقة مصر من جهة النيل.

### ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفتها

قد تقدّم من الأخبار جملة تدل على عظم ما كان بمدينة فسطاط مصر من المباني و كثرتها، ثم الأسباب التى أوجبت خرابها، و آخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب إيقاظ المتغفل، و اتعاظ المتأمل تأليف: القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوّج الزبيرى رحمه الله، و قطع على سنة خمس و عشرين و سبعمائة، فذكر من الأخطاط المشهورة بذاتها لعهد اثنين و خمسين خطأ، و من الحارات ثنتى عشرة حارة، و من الأزقة المشهورة: ستة و ثمانين زقاقا، و من الدروب المشهورة: ثلاثة و خمسين دربا، و من الخوخ المشهورة: خمسا و عشرين خوخة، و من الأسواق المشهورة: تسعة عشر سوقا، و من الخطط المشهورة بالدور: ثلاثة عشر خطأ، و من الرحاب المشهورة: خمس عشرة رحبة، و من العقبات المشهورة: إحدى عشرة عقبه، و من الكيمان المسماة: ستة كيمان، و من الأقباء: عشرة أقباء، و من البرك: خمس برك، و من السقائف: خمسا و ستين سقيفة، و من القياسر: سبع قياسر، و من مطابخ السكر العامرة: ستة و ستين مطبخا، و من الشوارع: ستة شوارع، و من المحارس: عشرين محرسا، و من الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر، و ظاهرها من الجزيرة، و القرافة: أربعة عشر جامعا، و من المساجد: أربعمائة و ثمانين مسجدا، و من المدارس: سبع عشرة مدرسة، و من الزوايا: ثمانى زوايا، و من الربط التى بمصر و القرافة: بضعا و أربعين رباطا، و من الأحباس و الأوقاف كثيرا، و من الحمامات:

بضعا و سبعين حماما، و من الكنائس و ديارات النصارى: ثلاثين ما بين دير و كنيسة، و قد باد أكثر ما ذكره و دثر، و سيرد ما قاله من ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فأقول: إن مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة: فحدّها الشرقى اليوم: من قلعة الجبل، و أنت آخذ إلى باب القرافة، فتمرّ من داخل السور الفاصل بين القرافة، و مصر إلى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧١

كوم الجارح، و تمرّ من كوم الجارح، و تجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى إلى الرصد حيث أولّ بركة الحبش، فهذا طول مصر من جهة المشرق، و كان يقال لهذه الجهة عمل فوق.

و حدّها الغربى: من قناطر السباع خارج القاهرة إلى موردة الحلفاء، و تأخذ على شاطئ النيل إلى دير الطين، فهذا أيضا طولها من جهة المغرب. و حدّها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحدّ الغربى إلى بركة الحبش تحت الرصد، حيث انتهى الحدّ



الشرقيّ، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسميها أهل مصر الجهة القبليّة.

و حدّها البحرّي: من قناطر السباع حيث ابتداء الحدّ الغربيّ إلى قلعة الجبل، حيث ابتداء الحدّ الشرقيّ، فهذا عرض مصر من جهة الشمال التي تعرف بمصر بالجهة البحرية، و ما بين هذه الجهات الأربع فإنه يطلق عليه الآن مصر، فيكون أولّ عرض مصر في الغرب بحر النيل، و آخر عرضها في الشرق أولّ القرافة، و أولّ طولها من قناطر السباع، و آخره بركة الحبش، فإذا عرفت ذلك ففي الجهة الغربية خط السبع سقايات، و يجاوره الخليج، و عليه من شرقيه حكر أقبغا، و من غربيه المريس، و منشأ المهرانيّ، و يحاذي المنشأة من شرقيّ الخليج خط قنطرة السدّ، و خط بين الزقّاقين، و خط موردة الحلفاء، و خط الجامع الجديد، و من شرقيّ خط الجامع الجديد خط المراغة، و يتصل به خط الكبارة، و خط المعاريج، و يجاوز خط الجامع الجديد من بحريه الدور التي تطلّ على النيل، و هي متصلة إلى جسر الأفرم المتصل بدير الطين و ما جاوره إلى بركة الحبش، و هذه الجهة هي أعمر ما في مصر الآن، و أما الجهة الشرقية، فليس فيها شيء عامر إلّا قلعة الجبل، و خط المراغة المجاور لباب القرافة إلى مشهد السيدة نفيسة، و يجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبله الفضاء الذي كان موضع الموقف، و العسكر إلى كوم الجارج، ثم خط كوم الجارج، و ما بين كوم الجارج إلى آخر حدّ طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد، فإنه كيما، و هي الخطط التي ذكرها القضاة، و خربت في الشدة العظمى زمن المستنصر، و عند حريق شاور لمصر كما تقدّم، و أما عرض مصر الذي من قناطر السباع إلى القلعة، فإنه عامر و يشتمل على بركة الفيل الصغرى، بجوار خط السبع سقايات، و يجاور الدور التي على هذه البركة من شرقيها خط الكبش، ثم خط جامع أحمد بن طولون، ثم خط القبيبات، و ينتهي إلى الفضاء الذي يتصل بقلعة الجبل، و أما عرض مصر الذي من شاطئ النيل بخط دير الطين إلى تحت الرصد حيث بركة الحبش، فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين، و ما عدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط، و كان فيه خط بني وائل، و خط راشدة، فأما خط السبع سقايات: فإنه من جملة الحمراء الدنيا، و سيرد عند ذكر الأخطاط إن شاء الله تعالى، و ما عدا ذلك فإنه يتبين من ذكر ساحل مصر.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٢

### ذكر ساحل النيل بمدينة مصر

قد تقدّم أنّ مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص، و قصر الشمع، و أنّ بحر النيل كان ينتهي إلى باب قصر الشمع الغربيّ المعروف بالباب الجديد، و لم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو و بين النيل حائل، ثم انحسر ماء النيل عن أرض تجاه الجامع، و قصر الشمع، فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان، و حاز منه بشر بن مروان لما قدم على أخيه عبد العزيز، ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافته، و بنى فيه، فلما زالت دولة بني أمية قبض ذلك في الصوافي، ثم أقطعه الرشيد السريّ بن الحكم، فصار في يد ورثته من بعده يكترونه، و يأخذون حكره، و ذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيئاً بعد شيء و صار شاطئ النيل بعد انحساره ماء النيل عن الأرض المذكورة حيث الموضع الذي يعرف اليوم بسوق المعاريج.

قال القضاة: كان ساحل أسفل الأرض بإزاء المعاريج القديم، و كانت آثار المعاريج قائمة سبع درج حول ساحل البيما إلى ساحل البوريّ اليوم، فعرف ساحل البوريّ بالمعاريج الجديد، يعنى بالمعاريج الجديد: موضع سوق المعاريج اليوم، و كان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر: الحمراوات الثلاث، فالحمراء الأولى من جملتها سوق وردان، و كان يشرف بغريه على النيل، و يجاوره: الحمراء الوسطى، و من بعضها الموضع الذي يعرف اليوم بالكبارة، و كانت على النيل أيضاً، و بجانب الكبارة: الحمراء القصوى، و هي من بحرّي الحمراء الوسطى إلى الموضع الذي هو اليوم: خط قناطر السباع، و من جملة الحمراء القصوى: خط خليج مصر من حدّ قناطر السباع إلى تجارة قنطرة السدّ من شرقيها، و بآخر الحمراء القصوى: الكبش و جبل يشكر، و كان الكبش يشرف على النيل من غريه، و كان الساحل القديم، فيما بين سوق المعاريج اليوم إلى دار التفاح بمصر، و أنت ماّر إلى باب مصر بجوار الكبارة، و موضع الكوم

المجاور لباب مصر من شرقيه، فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجير إياها صار هذا الكوم من حينئذ، و عرف بكوم المشانيق، فإنه كان يشنق بأعلاه أرباب الجرائم، ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف إلى يومنا هذا بكوم الكبارة، و كان يقال لما بين سوق المعاريج، و هذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص .

قال القضاعي: رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص: بألف، و الذى يكتب فى هذا الزمان القلوص بحذف الألف، فأما القلوص: بحذف الألف، فهى من الإبل و النعام الشابة، و جمعها قلص، و قلاص و قلائص، و القلوص من الحبارى الأنثى الصغيرة، فلعل هذا المكان سمي بالقلوص لأنه فى مقابلة الجمل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٣

عجائب مصر، و أما القالوص بالألف: فهى كلمة رومية و معناها بالعربية: مرحبا بك، و لعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل، و يقولون هذه الكلمة على عاداتهم. و قال ابن المتوج: و الساحل القديم أوله من باب مصر المذكور يعنى المجاور للكبارة، و إلى المعاريج جميعه كان بحرا يجرى فيه ماء النيل، و قيل: إن سوق المعاريج كان موردة سوق السمك يعنى ما ذكره القضاعي من أنه كان يعرف بساحل البورى، ثم عرف بالمعاريج الجديد.

قال ابن المتوج: و نقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة، و أدركت أنا فيه بابها، و رأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غريبه تتصل إلى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن.

قال مؤلفه رحمه الله: بستان الجرف يعرف بذلك إلى اليوم، و هو على يمنة من سلكك إلى مصر من طريق المراغة، و هو جار فى وقف الخانقاه التى تعرف بالواصله بين الزقاقين، و حوض ابن كيسان يعرف اليوم: بحوض الطواشى، تجاه غيط الجرف المذكور، يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة، و قد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء، و يعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا، و بين بستان الجرف، و بستان الطواشى هذا مراغة مصر المسلوكة منها إلى الكبارة، و باب مصر.

قال ابن المتوج: و رأيت من نقل عن نقل عمى رأى هذا القلوص يتصل إلى آدر الساحل القديم، و أنه شاهد ما عليه من العمائر المطله على بحر النيل من الرباع و الدور المطله، و عدّ الأسطال التى كانت بالطاقات المطله على بحر النيل، فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبده بيكر مؤبده فيها أطناب ترخى بها و تملأ- أخبرنى بذلك من أثق بنقله، و قال: إنه أخبره به من يتق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به، قال: و باب مصر الآن بين البستان الذى قبلى الجامع الجديد يعنى بستان العالمه، و بين كوم المشانيق يعنى كوم الكبارة، و رأيت السور يتصل به إلى دار النحاس، و جميع ما بظاهرة شون، و لم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلى بستان العالمه موجودا أراه و أعرفه إلى أن اشترى أرضه من باب مصر إلى موقف المكارية بالخشابين القديمه الأمير حسام الدين طرنطاي المنصورى، فأجر مكانه للعامة، و صار كل من استأجر قطعته هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن، و قلع الأساس الحجر، و بنى به، فزال السور المذكور، ثم حدث الساحل الجديد.

قال مؤلفه رحمه الله: و هذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له: باب الساحل، و أول حفر ساحل مصر فى سنة ست و ثلاثين و ثلثمائة، و ذلك أنه جف النيل عن بر مصر

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٤

حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجزيرة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالروضة، و بين الجزيرة، و صار الناس يمشون هم و الدواب إلى الجزيرة، فحضر الأستاذ كافور الإخشيدى، و هو يومئذ مقدم أمراء الدولة لأونوجور بن الإخشيد خليجا حتى اتصل بخليج بنى وائل، و دخل الماء إلى ساحل مصر، ثم إنه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمه، و صار فى زمن الاحتراق يقل حتى تصير الطريق إلى المقاييس يبسا، فلما كان فى سنة ثمان و عشرين و ستمائة خاف السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر، فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر إلى صناعة التمر

الفاضلية، وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل في ذلك الجَمِّ الغفير، واستوى في المساعدة السوقة، والأمير، وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس، فاستمرَّ العمل فيه من مستهلَّ شعبان إلى سلخ شَوال مدَّة ثلاثة أشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس، وجزيرة الروضة دائما بعد ما كان عند الزيادة يصير جدولا رقيقا في ذيل الروضة، فإذا اتصل ببحر بولاق في شهر أبيب كان ذلك من الأيام المشهودة بمصر، فلما كانت أيام الملك الصالح، وعمر قلعة الروضة، أراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة، فأخذ في الاهتمام بذلك، وغرَّق عدَّة مراكب مملوءة بالحجارة في بَرِّ الجزيرة تجاه باب القنطرة خارج مدينه مصر، ومن قبلي جزيرة الروضة، فانعكس الماء، وجعل البحر حينئذ يمرَّ قليلا- قليلا و تكاثر أولًا فأولًا في بَرِّ مصر من دار الملك إلى قريب المقس، وقطع المنشأة الفاضلية.

قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد: و كان في الدولة الصالحية، يعنى الملك الصالح نجم الدين أيوب: رملت تمرغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل، وجفاف البحر الذى هو أمامها، فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة، و صار فى كل سنة يحفر هذا البحر بجنده و نفسه، و يطرح بعض رمله فى هذه البقعة، شرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر، فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية، و ذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالمه المطل عليه الجامع الجديد و غيره، ثم قال: و إنما عرف بالعالمه لأنه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالمه، فعمرت بجانبه منظره لها، و كان الماء يدخل من النيل لباب المنظره المذكوره، فلما توفيت بقى البستان مدَّة فى يد ورثتها، ثم أخذ منهم، و ذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شونا للأتبان السلطانية، و كذلك ما يجاورها، فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد كثرت العمائر من حدِّ مورده الحلفاء على شاطئ النيل، حتى اتصلت بدير الطين، و عمر أيضا ما وراء الجامع من حدِّ باب مصر الذى كان بحرا كما تقدّم إلى حدِّ قنطرة السدِّ، و أدركنا ذلك كله على غاية العمارة، و قد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست و ثمانمائه، فخرّب خط بين الزقاقين المطل من غريبه على الخليج،

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٥

و من شرقيه على بستان الجرف، و لم يبق به إلا القليل من الدور، و موضعه كما تقدّم كان فى قديم الزمان غامرا بماء النيل، ثم ربي جرفا، و هو بين الزقاقين المذكور، فعمر عمارة كبيرة، ثم خرب الآن و خرب أيضا خط مورده الحلفاء، و كان فى القديم غامرا بالماء، فلما ربي النيل الجرف المذكور، و تربت الجزيرة قدام الساحل القديم الذى هو الآن البكارة إلى المعاريج، و أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد عمرت مورده الحلفاء هذه، و اتصلت من بحريها بمنشأة المهرانتى، و من قبليها بالأملاك التى تمتد من تجاه الجامع الجديد إلى دير الطين، و صارت مورده الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغالل و غيرها، و يملأ منها الناس الروايا، و كان البحر لا- يبرح طول السنة هناك، ثم صار ينشّف فى فصل الربيع و الصيف، و استمرَّ على ذلك إلى يومنا هذا، و خراب ما خلف الجامع الجديد أيضا من الأماكن التى كانت بحرا تجاه الساحل القديم، ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب، فعرفت اليوم بالمراغة و هى من آخر خط قنطرة السدِّ إلى قريب من الكبارة، و يحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره، و عدَّة دور كانت بستانا و شونا إلى باب مصر، و من شرقيها بستان ابن كيسان الذى صار صناعة، و عرف الآن بستان الطواشى، و لم يبق الآن بخط المراغة إلا مساكن يسيرة حقيرة.

### ذكر المنشأة

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل، فيمرّ بطريق الحمراء القصى، و كان فى الجانب الغربى من هذا الخليج عدَّة بساتين من جملتها بستان، عرف ببستان الخشاب، ثم خرب هذا البستان، و موضعه الآن يعرف: بالمريس، فلما كان بعد الخمسمائة من سنى الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الآتى ذكره فى الأحكار ظاهر القاهرة إن شاء الله تعالى، و بين بستان الخشاب

المذكورة، فعرفت هذه الأرض بمنشأة الفاضل، لأنّ القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علىّ اليبسانى أنشأ بها بستانا عظيما كان يدير أهل القاهرة من ثماره و أعنابه، و عمر بجانبه جامعا، و بنى حوله فليل لتلك الخطة منشأة الفاضل، و كثرت بها العمارة، و أنشأ بها موفق الدين محمد بن أبى بكر المهديوى العثمانى الديباجى بستانا دفع له فيه ألف دينار فى أيام الظاهر بيبرس، و كان الصرّف قد بلغ كل دينار ثمانية و عشرين درهما و نصفًا، فاستولى البحر على بستان الفاضل و جامع، و على سائر ما كان بمنشأة الفاضل من البساتين و الدور، و قطع ذلك حتى لم يبق لشيء منه أثر، و ما برح باعة العنب بالقاهرة و مصر تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدّة سنين: رحم الله الفاضل يا عنب، إشارة لكثرة أعناب بستان الفاضل و حسنهما، و كان أكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين و ستمائة، و كان موفق الديباجى المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذى كان بالمنشأة، فلم تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل: الصاحب بهاء الدين بن حنا، و ألحّ عليه و كان من أزمته، حتى قام فى عمارة الجامع بمنشأة المهرانى، و منشأة المهرانى هذه المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٦

موضعها فيما بين النيل و الخليج، و فيها من الحمراء القصى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما و عرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل أنه كان يعمل فيها أقمنه الطوب، فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس فى عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذى كان بمنشأة الفاضل أجابه إلى ذلك، و أنشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع، فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهرانى دارا و سكنها، و بنى مسجدا، فعرفت هذه الخطة به، و قيل لها: منشأة المهرانى، فإنّ المهرانى المذكور أول من ابنتى فيها بعد بناء الجامع، و تتابع الناس فى البناء بمنشأة المهرانى و أكثروا من العمائر حتى يقال: إنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء، و أمائل الكتاب، و أعيان القضاة، و وجوه الناس، و لم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخرت، و بها الآن بقية يسيرة من الدور، و يتصل بخط الجامع الجديد خط دار النحاس، و هو مطلّ على النيل، و دار النحاس هذه من الدور القديمة، و قد دثرت، و صار الخط: يعرف بها. قال القضاة:

دار النحاس اختطها: وردان مولى عمرو بن العاص، فكتب مسلمة بن مخلد، و هو أمير مصر إلى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا، فكتب معاوية إلى وردان يسأله فيها، و عوّضه فيها دار وردان التى بسوقه الآن، و قال ربيعة: كانت هذه الدار من خطّة الحجر من الأزدي، فاشترها عمر بن مروان، و بناها، فكانت فى يد ولده، و قبضت عنهم و بيعت فى الصوافى سنة ثمان و ثلثمائة، ثم صارت إلى شمول الإخشيدى، فبناها قيسارية و حماما، فصارت دار النحاس قيسارية شمول.

و قال ابن المتوّج: دار النحاس خط نسب لدار النحاس، و هو الآن فندق الأشراف ذو البابين أحدهما من رحبة أمامه، و الثانى شارع بالساحل القديم، و بآخر هذه الشقة التى تطل على النيل (جسر الأفرم)، و هو فى طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية، و بين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما، و الآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل، و عرف بالأمر عز الدين أيدمر الأفرم الصالحى النجمى أمير جندار، و ذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبة، كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدّانين من غريبها أذن للناس فى تحكيرها، فحكرت و بنى عليها عدّة دور بلغت الغاية فى إتقان العمارة، و تنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاوون من الوزراء، و أعيان الكتاب فى المساكن بهذا الجسر، و بنوا و تأنقوا، و تفننوا فى بدع الزخرفة، و بالغوا فى تحسين الرخام، و خرجوا عن الحدّ فى كثرة إنفاق الأموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من إقليم مصر، و سكانه أرق الناس عيشا، و أترف المتنعمين حياة، و أوفرهم نعمة، ثم خرب هذا الجسر بأسره، و ذهبت دوره.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٧

و أما الجهة الشرقية من مصر: ففيها قلعة الجبل، و قد أفردنا لها خبرا مستقلا يحتوى على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره، و يتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة، و هو من أطراف القطائع و العسكر، و يلي خط باب القرافة الفضاء الذى كان يعرف

بالعسكر، و قد تقدّم ذكره، و كان بأطراف العسكر مما يلي كوم الجارح.

الموقف قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد: و هو فرعون نبيّ الله يوسف صلوات الله عليه، و دخل إلى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه إخوته و باعوه، و كانت قوافل الشام تعرّس بناحية الموقف اليوم، فأوقف الغلام، و نودي عليه، و هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم، فاشتراه أطفين العزيز، و يقال: إنّ الذي أخرج يوسف من الجب: مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

و قال القضاة: كان الموقف فضاء لأم عبد الله بن مسلمة بن مخلد، فتصدّقت به على المسلمين، فكان موقفاً تباع فيه الدواب، ثم ملك بعد و قد ذكرته في الظاهر يعني في خطط أهل الظاهر، فإنّ الموقف من جملة خطط أهل الظاهر.

و قال ابن المتوجّج: بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه، و لم يبق له أثر، و هو قبليّ الفسطاط أوّله بجوار المصنع، و خط الطحانين أدركته، كان صفيين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء إلى كوم الجارح، و أدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول، و كان المار بين هذين الصفيين لا يسمع حديث رفيقه إذا حدّثه لقوّة دوران الطواحين، و كان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار، دثر جميع ذلك، و لم يبق له أثر.

قال: و

بقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر، و قيل: إنه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام، و كان بابا بمصرعين يعلوهما عقد كبير، و هو بعتبة كبيرة سفلى من صوّان، و كان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن، و كان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق، هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلا، و الى مصر في دولة الظاهر بيبرس، و هذا الدرب يسلك منه إلى درب الصفاء، و الطحانين.

قال مؤلفه رحمه الله: كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر، و بابها الآخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة، و أنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور و المصنع الخراب، و كان يصب فيه الماء للسيل، و هو قريب من كوم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٨

الجارح، و سيأتي ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و أما الذي يلي كوم الجارح إلى آخر حدّ طول مصر عند بركة الحبش، فإنها الخطط القديمة، و أدركتها عامرة لا سيما خط النخالين، و خط زقاق القناديل، و خط المصاصة، و قد خرب جميع ذلك، و بيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين و سبعمائة.

و أما

الجهة القبليّة من مصر: فإنّ خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة لما أنشأ صاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين عليّ بن حنا الجامع هناك، و عمّر الناس في جسر الأفرم، و كان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية، و أما موضع الجسر فإنه كان بركة ماء، تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة، و من قبليّ هذه البركة البستان الذي كان يعرف ببستان الأمير تميم بن المعز، و يعرف اليوم: بالمعشوق، و هو على رباط الآثار، و يجاور المعشوق بركة الحبش، و ما بين خط دير الطين، و آخر عرض مصر من الجهة القبليّة طرف خط راشدة.

و أما

الجهة البحريّة من مصر: فإنه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلّة على البركة التي يقال لها بركة قارون، و هي التي تجاور الآن حدرة ابن قميحة، و هي من جملة الحمراء القصوى، و قبليّ البركة المذكورة الكوم المعروف بالأسرى، و هو من جملة العسكر، و سيرد إن شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان، و يجاور البركة المذكورة خط الكبش، و قد ذكر في الجبال، و يأتي إن شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الأخطاط، و يلي خط الكبش خط الجامع الطولوني، و يلي خط الجامع القبيبات، و خط المشهد النفيسي، و



جميع ذلك إلى قلعة الجبل من جملة القطائع.

### ذكر أبواب مدينة مصر

و كان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت، و تجدد لها بعد ذلك أبواب آخر.  
باب الصفاء: هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر، و هي في كمالها، و منه تخرج العساكر، و تعبر القوافل، و موضعه الآن بالقرب من كوم الجراح، و هدم في أيام الملك الظاهر بيبرس.

باب الساحل: كان يفضى بسالكة إلى ساحل النيل القديم، و موضعه قريب من الكبارة.

باب مصر: هذا الباب هو الذي بناه قراقوش، و منه يسلك الآن من دخل إلى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراغة، و هو مجاور للكوم الذي يقال له: كوم المشانيق، و يعرف اليوم بالكبارة، و كان موضع هذا الباب غامرا بماء النيل، فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراغة، و الموضع المعروف بغيط الجرف، إلى موردة المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت ج ٢؛ ص ١٧٩

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٧٩

الحلفاء فضاء لا يصل إليه ماء النيل البتة، فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يدير سورا يجمع فيه القاهرة و مصر و قلعة الجبل، فزاد في سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة إلى باب الشعريه، و إلى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر إلى الكوم الأحمر الذي هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل أيضا من الكوم الأحمر إلى باب مصر هذا، فلم يتهيا له هذا، و انقطع السور من عند جامع المقس، و زاد في سور القاهرة أيضا من باب النصر إلى قلعة الجبل، فلم يكمل له و مد السور من قلعة الجبل إلى باب القنطرة خارج مصر، فصار هذا الباب غير متصل بالسور.

باب القنطرة: هذا الباب في قبلي مدينة مصر عرف بقنطرة بنى وائل التي كانت هناك، و هو أيضا من بناء قراقوش.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٠

### ذكر القاهرة المعز لدين الله

#### إشارة

اعلم: أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سرير السلطنة إليه من أرض مصر في الدولة الإسلامية، و ذلك أن الإمارة كانت بمدينة الفسطاط، ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط، فلما عمرت القطائع صارت دار الإمارة إلى أن خربت، فسكن الأمراء بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاة الإمام المعز لدين الله معد، فبنى القاهرة حصنا، و معقلا بين يدى المدينة، و صارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه، و خواصه إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية.

فسكنها من بعدهم: السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، و ابنه الملك العزيز عثمان، و ابنه الملك المنصور محمد، ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب، و ابنه الملك الكامل محمد، و انتقل من القاهرة إلى قلعة الجبل، فسكنها بحرمه و خواصه، و سكنها الملوك من بعده إلى يومنا هذا، فصارت القاهرة مدينة سكنى بعد ما كانت حصنا يعتقل به، و دار خلافة يلتجأ إليها، فهانت بعد العز، و ابتذلت بعد الاحترام، و هذا شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم، و يميئون ذكر أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن و الحصون، و كذلك كانوا أيام العجم، و فى جاهلية العرب، و هم على ذلك فى أيام الإسلام، فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان، و هدم الآطام التي كانت بالمدينة، و قد هدم زياد كل قصر، و مصنع كان لابن عامر، و قد هدم بنو العباس مدن الشام لبنى



مروان:

و إذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال و تسعد و سيأتي من أخبار القاهرة، و الكلام على خطتها و آثارها ما تنتهى إليه قدرتي، و يصل إلى معرفته علمي و فوق كل ذي علم عليم.

### ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناءً القاهرة

#### إشارة

اعلم: أن القوم كانوا ينسبون إلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهما، و الناس فريقان في أمرهم: فريق يثبت صحه ذلك، و فريق يمنعه، و ينفيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يزعم أنهم أديعاء من ولد ديصان البونى الذى ينسب إليه النبوة، و إنّ ديصان كان له ابن اسمه: ميمون القدّاح كان له مذهب فى الغلو، فولد ميمون: عبد الله،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨١

و كان عبد الله عالما بجميع الشرائع، و السنن و المذاهب.

و أنه رتب سبع دعوات يندرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها، و يصير معطلا إباحيا لا يرجو ثوابا، و لا يخاف عقابا، و يرى أنه، و أهل نحلته على هدى، و جميع من خالفهم أهل ضلالة، و إنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا، و كان يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، و أنه كان من الأهواز، و اشتهر بالعلم و التشيع، و صار له دعاة، و قصد بالمكروه، ففرّ إلى البصرة، فاشتهر أمره، و سار منها إلى سلمية من أرض الشام، فولد له ابن بها اسمه: أحمد، و مات فقما من بعده أحمد، و بعث بالحسين الأهوازى داعية إلى العراق، فلقى أحمد بن الأشعث المعروف: بقرمط فى سواد الكوفة، و دعاه إلى مذهبه، فأجابه، و قام هناك بالأمر، و إلى قرمط هذا تنسب القرامطة، و ولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح: الحسين، و محمد المعروف بأبى الشعلى، فلما مات أحمد خلفه ابنه الحسين فى الدعوة حتى مات، فقما من بعده أخوه: أبو الشعلى، و كان لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد، فصار تحت حجر عمه، و بعث أبو الشعلى بداعيين إلى المغرب و هما: أبو عبد الله و أخوه أبو العباس، فنزلا فى البربر، و دعواها، و اشتهر سعيد بسلمية بعد موت عمه، و كثر ماله فطلبه السلطان ففر من سلمية إلى مصر يريد المغرب، و كان على مصر عيسى النوشرى، فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه، ففاته، و صار بسلمية فى زىّ التجار، فبعث المعتضد من بغداد فى طلبه، فأخذ و حبس حتى أخرج أبو عبد الله الشيعى من محبسه، فتسمى حينئذ بعبيد الله، و تكنى بأبى محمد، و تلقب بالمهدى، و صار إماما علويا من ولد محمد بن جعفر الصادق، و إنما هو: سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح بن ديصان البونى الأهوازى، و أصله من المجوس، فهذا قول من ينكر نسبهم.

و بعض منكرى نسبهم فى العلوية يقول: إنّ عبيد الله من اليهود، و إنّ الحسين بن أحمد المذكور تزوّج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودى حدّاد، مات و تركه لها، فرباه الحسين، و أدبه و علمه، ثم مات عن غير ولد فعهد إلى ابن امرأته هذا، فكان هو:

عبيد الله المهدى، و هذه أقوال إن أنصفت تبين لك أنها موضوعه، فإن بنى عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد و جلاله القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعةهم على الإعراض عنهم، و الدعاء لابن مجوسى، أو لابن يهودى، فهذا مما لا يفعل أحد، و لو بلغ الغاية فى الجهل و السخف، و إنما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٢

بنى العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين، فإنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحو من مائتين و سبعين سنة، و ملكوا من بنى العباس: بلاد

المغرب و مصر و الشام و ديار بكر و الحرمين و اليمن، و خطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة، و عجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم، فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم، و بث ذلك عنهم خلفاؤهم، و أعجب به أولياؤهم، و أمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن أنفسهم و سلطانهم معزة العجز عن مقاومتهم و دفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر و الشام و الحرمين، حتى اشتهر ذلك ببغداد، و أسجل القضاء بنفيهم من نسب العلويين.

و شهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريهان: الرضى و المرتضى، و أبو حامد الإسفراينى و القدورى فى عدّة وافرّة عندما جمعوا لذلك فى سنة اثنتين و أربعمائه أيام القادر، و كانت شهادة القوم فى ذلك على السماع لما اشتهر و عرف بين الناس ببغداد، و أهلها، إنما هم شيعه بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب، و المتطيرون من بنى على بن أبى طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة، فنقل الإخباريون و أهل التاريخ ذلك كما سمعوه، و روه حسب ما تلقوه من غير تدبر، و الحق من وراء هذا، و كفاك بكتاب المعتضد من خلافت بنى العباس حجة، فإنه كتب فى شأن عبيد الله إلى ابن الأغلّب بالقيروان، و ابن مدرار بسلمجماسه بالقبض على عبيد الله، فتفظن أعزك الله لصحة هذا الشاهد، فإنّ المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه إذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة، و لا يدعون له بوجه، و إنما يتقادون لمن كان علويا، فخاف مما وقع، و لو كان عنده من الأدياء لما مرّ له بفكر، و لا خافه على ضيعه من ضياع الأرض، و إنما كان القوم أعنى بنى على بن أبى طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس، لتطلبهم لهم فى كل وقت، و قصدهم إياهم دائما بأنواع من العقاب، فصاروا ما بين طريد شريد، و بين خائف يترقب، و مع ذلك فإن لشيعتهم الكثيره المنتشرة فى أقطارهم من المحبه لهم، و الإقبال عليهم، ما لا مزيد عليه، و تكرر قيام الرجال منهم مرّة بعد مرّة، و الطلب عليهم من ورائهم، فلاذوا بالاختفاء، و لم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن إسماعيل الإمام جدّ عبيد الله المهديّ بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاهم على إخفائه حذرا من المتغلبين عليهم.

و كانت الشيعة فرقا فمنهم: من كان يذهب إلى أنّ الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه، و هؤلاء يعرفون ممن بين فرق الشيعة: بالإسماعيلية من أجل أنهم يرون أنّ الإمام من بعد جعفر ابنه إسماعيل، و أنّ الإمام بعد إسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم، و بعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق، و من بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب، و كانوا أهل غلّو فى دعاويهم فى هؤلاء الأئمة، و كان محمد بن جعفر هذا يؤمّل ظهوره، و أنه يصير له دولة، و كان باليمن من أهل هذا المذهب كثير يعدن بإفريقية، و فى

المواظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٣

كتامة، و نقره، تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق، فقدم على محمد بن جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن، فبعث معه الحسن بن حوشب فى سنة ثمان و ستين و مائتين، فأظها أمرهما باليمن، و أشهر الدعوة فى سنة سبعين، و صار لابن حوشب دولة بصنعاء، و بث الدعاء بأقطار الأرض، و كان من جملة دعائه أبو عبد الله الشيعي، فسيره إلى المغرب، فلقى كتامة و دعاهم، فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد الله، فطلبه المكتفى العباسي، و كان يسكن عسكر مكّرم، فسار إلى الشام، ثم سار إلى المغرب، فكان من أمره ما كان، و كانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب، و ديار مصر عشر رجلا هذه خلاصة أخبارهم فى أنسابهم، فتفظن و لا تغترّ بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم، و الله يهدى من يشاء.

### ذكر الخلفاء الفاطميين

و كان ابتداء الدولة الفاطمية أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي سار إلى أبى القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن، و صار من كبار أصحابه و له علم، و عنده دهاء و مكر، فورد على ابن حوشب من المغرب، خبر موت الحلواني داعية فى المغرب و رفيقه، فقال لأبى عبد الله الشيعي: قد خرّب الحواني، و أبو يوسف بلاد المغرب، و قد ماتا، و ليس

للبلاد إلّا أنت فإنها موطأ مهده، فخرج أبو عبد الله إلى مكة، وقصد حجاج كتامة، فجلس قريبا منهم، وسمعهم يتحدثون بفضائل البيت، فحدّثهم في معناه، فمالوا إليه، وسألوه أن يأذن لهم في زيارته، فلما زاروه سألوه عن مقصده، فلم يخبرهم، وأوهمهم أنه يريد مصر، فسروا بصحبته، ورحلوا، وهو رفيقهم فشاهدوا من عبادته، وزهده ما زادهم رغبة فيه، هذا وهو يسألهم عن أحوالهم وقبائلهم، حتى صار يعرف جميع أمورهم، فلما وصلوا مصر هم بمفارقتهم، فقالوا: أى شيء تطلب من مصر؟ فقال: أطلب التعليم بها، فقالوا: إذا كان قصدك هذا، فبلادنا أنفع لك، وما زالوا به حتى سار معهم، فلما وصلوا بلادهم اقترحوا فيمن يضيفه منهم، ومن بقیة أصحابهم، ووصلوا به أرض كتامة للنصف من ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين ومائتين، وكادوا يحترقون عليه أيّهم ينزل عنده، فأبى أن ينزل عندهم، وقال: أين يكون فج الأخيار؟ فعجبوا لذلك! إذ لم يكونوا ذكروه له قط، فدلوه عليه، فسار إليه، وقال: هذا فج الأخيار، وما سمى إلا- بكم، ولقد جاء في الآثار للمهدى هجرة عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان، وخرجكم في هذا الفج سمى فج الأخيار،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٤

فتسامعت به القبائل، وأتوه فعظم أمره وهو لا يذكر اسم المهدى البتة، فبلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقية، فبعث يسأل عن خبره، وكانت له معه قصص آلت إلى قيام أبي عبد الله ومحاربه لمن خالفه، فظفر بهم، وصارت إليه أموالهم، وغلّب على مدائن، وهزم جيوش ابن الأغلب، وقتل كثيرا من أصحابه، فمات إبراهيم بن الأغلب، وولى زيادة الله بن الأغلب، وكان كثير اللهو، فقوى أمر أبي عبد الله، وانتشرت جنوده في البلاد، وصار يقول: المهدى يخرج في هذه الأيام، ويملك الأرض فيا طوبى لمن هاجر إلى، وأطاعني ويغري الناس بزيادة الله بن الأغلب ويعيه، وكان أكثر خواص زيادة الله شيعة، فلم يكن يسوءهم ظفر أبي عبد الله، وأكثر من ذكر كرامات المهدى، والإرسال إلى أصحاب زيادة الله إلى أن تمكن، فبعث برجال من كتامة إلى سلمية من أرض الشام، فقدموا على عبيد الله، وأخبروه بما فتح الله عليه، وكان قد اشتهر هناك، وطلبه الخليفة المكتفى، فخرج من سلمية فارا، ومعه ابنه أبو القاسم نزار، ومعهما أهلها ومواليهما، فأقاما بمصر مستترين، فوردت على عيسى النوشري أمير مصر الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحثيته، وإنه يأخذ عليه الطريق ويقبضه، فبلغ ذلك عبيد الله، فخرج والأعوان في طلبه، ويقال: إن النوشري ظفر به، فناشده الله في أمره، فخلى عنه ووصله، فسار إلى طرابلس، وقد سبق خبره إلى زيادة الله، فسار إلى قسطلية، فقدم كتاب زيادة الله بن الأغلب إلى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم، فلم يدركوه، فرحل إلى سلجماسه، وأقام بها، وقد أقيمت له المراصد بالطرقات، فتلطف باليسع بن مدرار صاحب سلجماسه، وأهدى إليه فكف عنه، ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله، فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه، واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة أبي عبد الله وتجهيزهم إليه فغلبهم أبو عبد الله، وغنم سائر ما معهم، وقتل أكثرهم، وبلغه ما كان من سجن عبيد الله، فكتب إليه يبشره، فوصل إليه الكتاب، وهو بالسجن مع قصاب دخل به إليه، وهو يبيع اللحم، وما زال أبو عبد الله يضايق زيادة الله إلى أن فرّ إلى مصر، وقام من بعده إبراهيم بن الأغلب، فلم يتم له أمر، وملك أبو عبد الله القيروان، ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين، فأمر ونهى، وبث العمال في الأعمال، وقتل من يخاف شرّه، وأمر فنقش على السكة في أحد الوجهين: بلغت حجة الله، وفي الآخر: تفرّق أعداء الله ونقش على السلاح عدّه في سبيل الله، ووسم الخيل على أفضاها: الملك لله، وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الدون، وتناول القليل الغليظ من الطعام، فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة في جيوش عظيمة اهتز لها المغرب بأسره يريد سلجماسه، فحاربه اليسع يوما كاملا إلى الليل، ثم فرّ في خاصته، فدخل أبو عبد الله من الغد إلى البلد، وأخرج عبيد الله وابنه، ومشى في

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٥

ركابهما بجميع رؤساء القبائل، وهو يقول للناس: هذا مولاكم، وهو يبكي من شدّة الفرح حتى وصل بهما إلى فسطاط ضربه في العسكر، فأنزلهما فيه، وبعث الخيل في طلب اليسع، فأدركته وجاءت به فقتله، وأقام عبيد الله بسلجماسه أربعين يوما، ثم سار إلى

إفريقية في ربيع الآخر سنة سبع و تسعين، و نزل بقراده، و أمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة و تلقب بالمهديّ أمير المؤمنين، فدعى له في جميع البلاد بذلك، و جلس بعد الصلاة الدعاء و دعوا الناس كافة إلى مذهبهم، فمن أجاب قبل منه، و من أبى قتل، و عرض جوارى زيادة الله، و اختار منهّن لنفسه و لولده، و فرق ما بقى على وجوه كتامه، و قسم عليهم أعمال إفريقية، و دون الدواوين، و جبي الأموال و دانت له البلاد، فشق ذلك على أبي عبد الله، و نافس المهديّ، و حسده من أجل أنه كف يده، و يده، و يد أخيه أبي العباس، فعظم عليه الفطام عن الأمر و النهي و الأخذ و العطاء، و أقبل أبو العباس يريزى على المهديّ في مجلس أخيه، و يؤنب أخاه على ما فعل حتى أثر في نفسه، فسأل المهديّ: أن يفوض إليه الأمور و يجلس في القصر، و كان قد بلغ المهديّ ما يجهر به أبو العباس من السوء في حقه، فردّ أبا عبد الله ردّا لطيفا، و أسرها في نفسه، و أكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدمين بالمهديّ، و قال: ما هذا بالذي كنا نعتقد طاعته، و ندعو إليه لأنّ المهديّ يأتي بالآيات الباهرة، فمال إليه جماعة، و واجه بعضهم المهديّ بذلك، و قال له: إن كنت المهديّ، فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك، فبعد ما بين المهديّ، و بين أبي عبد الله، و أوجس كلّ منهما في نفسه خيفة من الآخر، و أخذ أبو العباس يدبر في قتل المهديّ، و المهديّ يحلّ ما كان يبرمه، و ثم رتب رجالا، فلما ركب أبو عبد الله، و أخوه إلى قصر المهديّ ثار بهما الرجال، فقال أبو عبد الله:

لا- تفعلوا، فقالوا له: إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك، فقتل هو و أخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان و تسعين و مائتين بمدينة رقاد، فثارت فتنة بسبب قتلها، فركب المهديّ حتى سكنت و تتبع جماعة منهم، فقتلهم فلما استقام له الأمر عهد إلى ابنه أبي القاسم، و تتبع بنى الأغلّب، فقتل منهم جماعة، و جهز في سنة إحدى و ثلثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر، فأخذ برقة و الإسكندرية و الفيوم، و كانت له مع عساكر مصر، و عساكر العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم عدّة حروب، و عاد إلى الغرب، فجهز المهديّ في سنة اثنتين و ثلثمائة: حباسه بجيوش إلى مصر، فغلب على الإسكندرية، و كان من أمره ما تقدّم ذكره.

و كان للمهديّ ببلاد المغرب عدّة حروب، و كان يوجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاريّ على دولته، فبنى المهديّ، و أدار عليها سورا جعل فيه أبوابا زنة كل مصراع منها، مائة قنطار من حديد، و كان ابتداء بنائها في ذي القعدة سنة ثلاث و ثلثمائة، و بنى المصلى بظاهرها، و قال: إلى هنا يصل صاحب الحمار، يعني أبا يزيد، فكان كذلك، و أنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة، و قال: إنما بنيت هذه لتعصم الفواطم بها ساعة من نهار، فكان كذلك،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٦

ثم إنه جهز ابنه أبا القاسم في سنة ست و ثلثمائة على جيش إلى مصر، فأخذ الإسكندرية، و ملك جزيرة الأشمونين، و كثيرا من صعيد مصر، و كانت هناك حروب مع عساكر مصر و العراق، ثم عاد إلى المغرب، و خرج أبو القاسم في سنة خمس عشرة بالجيوش إلى المغرب، فحارب قوما و عاد، فمات عبيد الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و عشرين و ثلثمائة بالمهدية من القيروان عن ثلاث و ستين سنة، و كانت خلافته أربعاً و عشرين سنة و شهرا و عشرين يوما، و لما مات: أخفى ابنه موته.

و قام من بعد عبيد الله المهديّ وليّ عهده: القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، و يقال:

كان اسمه بالمشرق: عبد الرحمن، فسمى في بلاد المغرب: بمحمد، و ذلك بسلمية في المحرم سنة ثمانين و مائتين، فلما فرغ من جميع ما يريده، و تمكن أظهر موت أبيه، و استقل بالأمر، و له سبع و أربعون سنة، و تبع سيرة أبيه و ثار عليه جماعة، فظفر بهم و بث جيوشه في البرّ و البحر، فسبوا و غنموا من بلد جنوة، و بعث جيشا إلى مصر، فملكوا الإسكندرية و الإخشيد يومئذ أمير مصر، فلما كان في سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة، خرج عليه أبو يزيد مخلص بن كندار النكاريّ الخارجيّ بإفريقية، و اشتدّت شوكته، و كثرت أتباعه، و هزم جيوش القائم غير مرّة، و كان مذهبه تكفير أهل الملة، و إراقه دمائهم ديانة، فملك باجة، و حرّقها، و قتل الأطفال، و سبى النسوان، ثم ملك القيروان، فاضطرب القائم، و خاف الناس و هموا بالنقلة من زويلة، و قوى أمر أبي يزيد، و نازل المهديّ، و حصر القائم بها، و كاد أن يغلب عليها، فلما بلغ المصلى حيث أشار المهديّ أنه يصل هزمه أصحاب القائم، و قتلوا كثيرا من أصحابه، و

كانت له قصص، و أنباء إلى أن مات القائم ثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة عن أربع و خمسين سنة و تسعة أشهر، و لم يرق منبرا، و لا ركب دابة لصيد مدّة خلافته، حتى مات و صلى مرّة على جنازة، و صلى بالناس العيد مرّة واحدة، و كانت مدّة خلافته اثنتي عشرة سنة و ستة أشهر و أياما، و ترك أبا الظاهر إسماعيل، و أبا عبد الله جعفرا، و حمزة و عدنان، و عدّة آخر.

و قام من بعده ابنه: المنصور بنصر الله أبو الظاهر إسماعيل، و كتم موت أبيه خوفا أن يعلم أبو يزيد فإنه كان قريبا منه، و أبقى الأمور على حالها، و لم يتسم بالخليفة، و لا غير السكّة، و لا الخطبة و لا البنود، و جدّ في حرب أبي يزيد حتى ظفر به و حمل إليه، فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة ست و ثلاثين و ثلثمائة، و لم يزل المنصور إلى أن مات سلخ شوال سنة إحدى و أربعين و ثلثمائة عن إحدى و أربعين سنة و خمسة أشهر، و كانت

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٧

مدّة خلافته ثمان سنين، و قيل: سبع سنين و عشرة أيام، و قد اختلف في تاريخ ولادته، فقيل: ولد أوّل ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثلثمائة بالمهدية، و قيل: بل ولد في سنة اثنتين، و قيل: سنة إحدى و ثلثمائة، و كان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقته شجاعا عاقلا.

و قام من بعده ابنه: المعز لدين الله أبو تميم معدّ، و عمره نحو أربع و عشرين سنة، فإنه ولد للنصف من رمضان سنة سبع عشرة و ثلثمائة، فانقاد إليه البربر، و أحسن إليهم فعظم أمره، و اختص من مواليه: بجوهر، و كناه بأبي الحسين و أعلى قدره، و صيره في رتبة الوزارة، و عقد له على جيش كثيف فيهم: الأمير زيري بن مناد الصنهاجيّ، فدوّخ المغرب و افتتح مدنا، و قهر عدّة أكابر و أسرهم حتى أتى البحر المحيط، فأمر باصطياد سمكة منه، و سيرها في قلة من ماء إلى المعز إشارة إلى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذي لا- عمارة بعده، ثم قدم غانما مظفرا، فعظم قدره عند المعز، و لما كان في بعض الأيام استدعى المعز في يوم شات عدّة من شيوخ كتامة، فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود، و حوله كساء، و عليه جبة، و حوله أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب، و بين يديه دواة و كتب.

فقال: يا إخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء و البرد، فقلت لأّم الأمراء، و إنها الآن بحيث تسمع كلامي: أ ترى إخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم نأكل و نشرب، و نتقلب في المثقل و الديداج و الحرير، و الفنك و السمور و المسك و الخمر، و القباء كما يفعل أرباب الدنيا، ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضرتكم لتشهدوا حالي إذا خلوت دونكم، و احتجبت عنكم، و إنى لا- أفضلكم في أحوالكم إلّا بما لا بدّ لي منه من دنياكم، و بما خصني الله به من إمامتكم، و إنى مشغول بكتب ترد عليّ من المشرق و المغرب أجيب عنها بخطي، و إنى لا- أشغل بشيء من ملاذ الدنيا إلّا بما يصون أرواحكم، و يعمر بلادكم، و يذل أعداءكم، و يجمع أصدادكم، فافعلوا يا شيوخ في خواتكم مثل ما أفعله، و لا تظهروا التكبر و التجبر، فيزع الله النعمة عنكم، و ينقلها إلى غيركم، و تحنوا عليّ من وراءكم ممن لا يصل إليّ، كتحنني عليكم ليتصل في الناس الجميل، و يكثر الخير، و ينتشر العدل، و أقبلوا بعدها على نسائككم و الزموا الواحدة التي تكون لكم، و لا تشرّوها إلى التكثر منهنّ و الرغبة فيهنّ، فيتغنص عشيقكم، و تعود المضرة عليكم، و تنهكوا أبدانكم و عقولكم، و اعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله و نصركم، فخرجوا عنه، و استدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال، و هو في وسط القصر قد جلس على صندوق، و بين يديه ألوف صناديق مبدّدة، فقال له: هذه صناديق مال، و قد شدّ عنى ترتيبها فانظرها و رتبها قال: فأخذت أجمعها إلى أن صارت مرتبة، و بين يديه جماعة من خدام بيت المال، و الفرّاشين، فأنفذت إليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها، و أن يغلق عليها، و تختم بخاتمه، و قال: قد خرجت عن خاتمتنا و صارت إليك، فكانت جملةا أربعة و عشرين ألف دينار، و ذلك في سنة سبع و خمسين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٨



و ثلثمائة، فأنفقها أجمع على العساكر التي سيرها إلى مصر من سنة ثمان و خمسين إلى سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة. و لما أخذ في تجهيز جوهر بالعساكر إلى أخذ ديار مصر، حتى تهيأ أمره، و برز للمسير، بعث المعز خفيفا الصقلبي إلى شيوخ كتامة يقول: يا إخواننا قد رأينا أن ننفذ رجالا- إلى بلدان كتامة يقيمون بينهم، و يأخذون صدقاتهم، و مراعيهم و يحفظونها عليهم في بلادهم، فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها، فاستعنا بها على ما نحن بسبيله، فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك، قل لمولانا و الله لا فعلنا هذا أبدا، كيف تؤدى كتامة الجزية، و يصير عليها في الديوان ضريبة، و قد أعزها الله قديما بالإسلام، و حديثا معكم بالإيمان و سيوفنا بطاعتكم في المشرق و المغرب، فعاد خفيف إلى المعز بذلك، فأمر بإحضار جماعة كتامة، فدخلوا عليه، و هو راكب فرسه، فقال: ما هذا الجواب الذي صدر عنكم؟ فقالوا: هذا جواب جماعتنا ما كنا يا مولانا بالذي يؤدى جزية تبقى علينا، فقام المعز في ركابه، و قال: بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا، و إنما أردت أن أختبركم، فانظر كيف أنتم بعدى، فسار جوهر، و أخذ مصر، كما قد ذكر في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب.

فلما ثبت قدم جوهر بمصر كتب إليه المعز جوابا عن كتابه، و أما ما ذكرت يا جوهر، من أن جماعة بنى حمدان وصلت إليك كتبهم يبذلون الطاعة، و يعدون بالمسارعة في المسير إليك، فاسمع لما أذكره لك، احذر أن تبتدىء أحدا من آل حمدان بمكاتبة ترهيبا له، و لا ترغيبا، و من كتب إليك كتابا منهم، فأجبه بالحسن الجميل، و لا تستدعه إليك، و من ورد إليك منهم، فأحسن إليه، و لا تمكن أحدا منهم من قيادة جيش، و لا ملك طرف، فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم، و ليس لهم فيها نصيب، يتظاهرون بالدين، و ليس لهم فيه نصيب، و يتظاهرون بالكرم، و ليس لواحد منهم كرم في الله، و يتظاهرون بالشجاعة، و شجاعتهم للدنيا لا للآخرة، فاحذر كل الحذر من الاستناد إلى أحد منهم.

و لما عزم المعز على المسير إلى مصر أجال فكره، فيمن يخلفه في بلاد المغرب، فوقع اختياره على جعفر بن علي الأمير، فاستدعاه، و أسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب، فقال: تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر، و أنا أدبر، و لا تسألني عن شيء من الأموال، لأن ما أجيبه يكون يازاء ما أنفقه من الأموال، و إذا أردت أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر و المغرب، و يكون تقليد القضاء و الخراج و غيره إليّ، فغضب المعز، و قال: يا جعفر عزلتني عن ملكي؟ و أردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري؟ و استبددت بالأعمال و الأموال دوني؟ قم فقد أخطأت حظك، و ما أصبت رشدك، فخرج عنه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٨٩

ثم إنه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي، و قال له: تأهب لخلافه المغرب، فأكبر ذلك، و قال: يا مولانا، أنت و آباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي، و أنا صنهاجي بربري؟ قتلتنى يا مولانا بغير سيف و لا رمح، فما زال به المعز حتى أجاب بشرية أن المعز يولى القضاء و الخراج لمن يراه و يختاره، و يجعل الحيز لمن يثق به، و يجعله قائما بين أيدي هؤلاء، فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب، و يكون الأمر لهم و يصير كالخادم بين أولئك، فأحب المعز ما قال و شكره، فلما انصرف قال أبو طالب بن القائم بأمر الله للمعز: يا مولانا، و تثق بهذا القول من يوسف، و إنه يقوم بوفاء ما ذكر، فقال المعز: يا عمنا كم بين قول يوسف، و قول جعفر، فاعلم يا عم أن الأمر الذي طلبه جعفر ابتداء، هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف، و إذا تناولت المدّة سينفرد بالأمر، و لكن هذا أولا أحسن، و أجود عند ذوى العقل، و هو نهاية ما يفعله، و كانت أم الأمراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر، فعرضها و كيلها في مصر للبيع، و طلب فيها ألف دينار، فحضر إليه في بعض الأيام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية، فساومته ففيها، و ابتاعها منه بستمائه دينار، فإذا هي ابنة الإخشيد محمد بن طفح، و قد بلغها خبر هذه الصبية.

فلما رأتها شغفتها حبا، فاشترتها لتستمتع بها، فعاد الوكيل إلى المغرب، و حدّث المعز بذلك، فأحضر الشيوخ، و أمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الإخشيد مع الصبية إلى آخره، فقال المعز: يا إخواننا انهضوا إلى مصر، فلن يحول بينكم و بينها شيء، فإنّ القوم قد بلغ



بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها، و تشتري جارية لتمتع بها، و ما هذا إلّا من ضعف نفوس رجالهم، و ذهاب غيرتهم، فانهضوا لمسيرنا إليهم، فقالوا: السمع و الطاعة، فقال: خذوا في حوائجكم، فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا إن شاء الله تعالى. و كان قيصر، و مظفر الصقليان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز، و كان المظفر يدل على المعز من أجل أنه علمه الخط في صغره، فحرد عليه مرة، و ولي فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها، و لقتها منه، و أنفت نفسه من السؤال عن معناها، فأخذ يحفظ اللغات، فابتدأ بتعلم اللغة البربرية، حتى أحكمها، ثم تعلم الرومية و السودانية حتى أتقنها، ثم أخذ يتعلم الصقلبية، فمرت به تلك الكلمة، فإذا هي سب قبيح، فأمر بمظفر، فقتل من أجل تلك الكلمة، و بلغه أمر الحرب التي كانت بين بني حسن، و بني جعفر بالحجاز، حتى قتل من بني حسن أكثر ممن قتل من بني جعفر، فأنفذ مالا و رجالا في السرّ ما زالوا بالطائفتين حتى اصطلحتا، و تحمل الرجال عن كل منهما

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٠

الحمالات، فجاء الفاضل في القتلى لبني حسن عند بني جعفر نحو سبعين قتيلًا، فأدوا عنهم و عقدوا بينهم الصلح في الحرم تجاه الكعبة، و تحملوا عنهم الديات من مال المعز، و كان ذلك في سنة ثمان و أربعين و ثلثمائة، فصارت هذه الفعلة يدا عند بني حسن للمعز، فلما ملك جوهر مصر: بادر حسن بن جعفر الحسنّي بالدعاء للمعز في مكّة، و بعث إلى جوهر بالخبر، فسير إلى المعز يعزّفه بإقامة الدعوة له بمكّة، فأنفذ إليه بتقليده الحرم و أعماله.

و سار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجزيرة، فسار عليه، و قد زينت له مدينة الفسطاط، فلم يشقها و دخل إلى القاهرة بجميع أولاده و إخوته و سائر أولاد عبيد الله المهديّ، و بتوايت آبائه، و ذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة، فعندما دخل القصر صلى ركعتين، فاقتدى به من حضر، و بات به ثم أصبح فجلس للهنا، و أمر فكتب في سائر مدينة مصر: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، و أثبت اسم المعز لدين الله، و اسم أبيه عبد الله الأمير، و جلس في القصر على السرير الذهب، و صلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلى، فسيح في كل ركعة، و في كل سجدة ثلاثين تسيحة، ثم خطب بعد الصلاة، و ركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء، و عمل عيد غدير خم، و مات بعض بني عمه، فصلى عليه، و كبر سبعا، و كبر على ميت آخر خمسا، و قدمت القرامطة إلى مصر، فسير إليهم الجلوس و هزمهم، و ما زال إلى أن توفي من علّة اعتلها بعد دخوله إلى القاهرة بستين و سبعة أشهر و عشرة أيام، و عمره خمس و أربعون سنة و ستة أشهر تقريبا، فإنّ مولده بالمهديّة في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة و ثلثمائة، و وفاته بالقاهرة لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة خمس و ستين و ثلثمائة، و كانت مدّة خلافته بالمغرب، و ديار مصر، ثلاثا و عشرون سنة و عشرة أيام، و هو أوّل الخلفاء الفاطميين بمصر، و إليه تنسب القاهرة المعزية لأنّ عبده جوهر القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها.

و كان المعز عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصفًا للرعية مغرما بالنجوم أقيمت له الدعوة بالمغرب كله و ديار مصر و الشام، و الحرمين، و بعض أعمال العراق.

و قام من بعده ابنه: العزيز بالله أبو منصور نزار، فأقام في الخلافة إحدى و عشرين سنة و خمسة أشهر و نصفًا، و مات و عمره اثنتان و أربعون سنة و ثمانية أشهر و أربعة عشر يوما في الثامن و العشرين من رجب سنة ست و ثمانين و ثلثمائة بمدينة بلبس، و حمل إلى القاهرة.

و قام من بعده ابنه: الحاكم بأمر الله أبو عليّ منصور، و كانت مدّة خلافته إلى أن فقد خمسا و عشرين سنة و شهرا، و فقد و عمره ست و ثلاثون سنة و سبعة أشهر في ليلة السابع و العشرين من شوال سنة إحدى عشرة و أربعمائة، و قد بسطت خبر العزيز و الحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩١

وقام من بعده ابنه: الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسين علي بن الحاكم، بأمر الله، ولد بالقاهرة يوم الأربعاء، لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة، وبيع له بالخلافة يوم عيد النحر، سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وعمره ست عشرة سنة، فخرج إلى صلاة العيد، وعلى رأسه المظلة، وحوله العساكر، وصلى بالناس في المصلى، وعاد فكتب بخلافته إلى الأعمال، وشرب الخمر و رخص فيه للناس، وفي سماع الغناء، وشرب الفقاع، وأكل الملوخيا وجميع الأسماك، فأقبل الناس على اللهو، ووزر له الخضير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد، وكان يلي ديوان الإنشاء وغيره، واستوزره بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين، وكان يتولى الشرطة، ثم ولي ديوان الإنشاء بعد ابن حيران، وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة، وقبض عليه في شوال، وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار، وولى بعده الأزاره الأمير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر.

وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدرزي متولى قيساورية ولاية فلسطين، فكانت له مع حسان بن مفرح بن جراح الطائى حروب، وفيها نزع السعر بمصر، وتعذر وجود الخبز، وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الأسود معضاد، بالقائد عز الدولة و سنائها أبا الفوارس معضاد الظاهر، وخلع عليه، وثار رجل من بنى الحسين ببلاد الصعيد، فقبض عليه، وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله، ووجد معه قطعة من جلد رأسه، وقطعة من الفوطه التي كانت عليه، فسئل عن سبب قتله إياه؟ فقال: غرت لله وللإسلام، ثم قتل نفسه بسكين كانت معه، فقطعت رأسه، وسيرت إلى القاهرة، وفيها اشتد الغلاء بمصر، وكثر نقص النيل.

وفيها قرّر الشريف الكبير العجمي، والشيخ نجيب الدولة الجرجري، والشيخ العميد محسن بن بدوس، مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم، وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون، فيتصرفون في سائر أمور الدولة، والظاهر مشغول ببلداته، وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلمة، وابن حيران صاحب الإنشاء، وداعى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٢

العداء، ونقيب نقباء الطالبين، وقاضى القضاء، ربما دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرة، ومن عداهم لا يصل إلى الظاهر البتة، والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال، ويمضون الأمور بعد الاجتماع عند القائد معضاد، ومنع الناس من ذبح الأبقار لقتلتها، وعزت الأقوات بمصر، وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا، وكثر الخوف في ظواهر البلد، وكثر اضطراب الناس، وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار، فاختلف بعضهم على بعض، وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة، فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة، فقبض على العميد محسن، وضرب عنقه واشتد الغلاء، وفشت الأمراض، وكثر الموت في الناس، وفقد الحيوان، فلم يقدر على دجاجه، ولا فروج وعز الماء لقله الظهر، فعمّ البلاء من كل جهة، وعرض الناس أمتعتهم للبيع، فلم يوجد من يشتريها، وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب، وأخذت أموالهم، وقتل منهم كثير وعاد من بقى، فلم يحج أحد من أهل مصر، وتفاقم الأمر في شدة الغلاء، فصاح الناس بالظاهر: الجوع الجوع يا أمير المؤمنين؟ لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك، فالله الله في أمرنا، وطرقت عساكر ابن جراح الفرما، ففرّ أهلها إلى القاهرة، وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الأمراض والموتان، وشدة الغلاء، وعدم الأقوات، وكثر الخوف من الدعار التي تكبس حتى أنه لما عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط، وهم يصيحون: الجوع، ونهبوا سائر ما كان عليه، ونهبت الأرياف وكثر طمع العبيد ونهبهم، و جرت أمور من العامة قبيحة، واحتاج الظاهر إلى القرض، فحمل بعض أهل الدولة إليه مالا، وامتنع آخرون، واجتمع نحو الألف عبد لتنهب البلد من الجوع، فنودي بأن من تعرّض له أحد من العبيد، فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد، واستعدّ الناس، فكانت نهبات بالساحل، ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها إلى أن خندقوا عليهم خنادق، وعملوا الدروب على الأزقة والشوارع، وخرج معضاد في عسكر، فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم، وأخذ العبيد في طلب الحرراي وغيره من وجوه الدولة، فحرسوا أنفسهم، و امتنعوا في دورهم وانقضت السنة، والناس في أنواع من البلاء.

وفي سنة ست عشرة أمر الظاهر، فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم، وأمر الدعاء أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام،

و مختصر الوزير، و جعل لمن حفظ ذلك مالا.

و فى سنة سبع عشرة ثار بمصر رعا ف عظيم بالناس، و كثرت زيادة النيل عن العادة، و تصدق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه و سلم.

و فى سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم، و خطب للظاهر فى بلاده، و أعاد الجامع بقسطنطينية، و عمل فيه مؤذنا، فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس، و أذن لمن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٣

أظهر الإسلام فى أيام الحاكم أن يعود إلى النصرانية، فرجع إليها كثير منهم، و صرف الظاهر وزيره عميد الدولة، و ناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروزبادى، و أقام بدله أبا القاسم على بن أحمد الحرراى.

و فى سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة و الأتراك قتل فيها كثير.

و فى سنة إحدى و عشرين بوبع لابن الظاهر بولاية العهد، و عمره ثمانية أشهر، و أنفق على ذلك فى خلع لأهل الدولة، و طعام و نثار للعامة ما يجعل وصفه.

و فى سنة اثنتين و عشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل، ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر.

و فى سنة ثلاث و عشرين قتل الظاهر أحد الدعاء، فاضطربت الرعية و الجند، و تحدث الناس بخلعه، ثم سكنت الفتنة بعد إنفاق مال جزيل.

و فى سنة أربع و عشرين ركب ولّى العهد من القاهرة إلى مصر، و قد زينت الطرقات، فكان إذا مرّ بقوم قبلوا له الأرض، و نثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار، فكان يوما عظيما.

و فى سنة خمس و عشرين بث الظاهر دعائه ببغداد عند اختلاف الأتراك بها، فكثرت دعائه هناك، و استجاب لهم خلق كثير، فلما كان فى سنة ست و عشرين كثر الوباء بمصر، و مات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع و عشرين و أربعمئة عن اثنتين و ثلاثين سنة إلاً أياما، فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة و ثمانية أشهر و أياما، و كان مشغوبا باللهو محبا للغناء، فتأفق الناس فى أيامه بمصر، و اتخذوا المغنيات و الرقاصات، و بلغوا من ذلك مبلغا عظيما، و اتخذ حجرا للمماليك و علمهم أنواع العلوم، و سائر فنون الحرب، و اتخذ خزائن البنود، و أقام فيها ثلاثة آلاف صانع، و راسل الملوك و استكثر من شراء الجواهر، و كانت مملكته بإفريقية و مصر و الشام و الحجاز، و غلب صالح بن مرداس على حلب فى أيامه، و استولى على ما يليها، و تغلب حسان بن جراح على أكثر بلاد الشام، فتضعفت الدولة.

و قام من بعده ابنه و لى العهد، و بوبع له و هو: المستنصر بالله أبو تميم معد، و مولده فى السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين و أربعمئة، و بوبع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع و عشرين، و عمره يومئذ سبع سنين، فأقام ستين سنة و أشهر فى الخلافة كانت فيها أنباء، و قصص شنيعة بديار مصر منها: أن أمه كانت أمه سوداء لتاجر يهودى يقال له:

أبو سعد سهل بن هارون التسترى، فابتاعها منه الظاهر، و استولدها المستنصر، فلما أفضت الخلافة إليه استندت أمه أبا سعد، و رفته درجة عليه، و كان الوزير يومئذ أبا القاسم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٤

الحرراى، فلم يتمكن أبو سعد من إظهار ما فى نفسه حتى مات الحرراى، و تولى أبو منصور صدقه بن يوسف العلاجى الوزارة، فانبسط يد أبى سعد، و صار العلاجى يأتمر بأمر، فعمل عليه و قتله كما ذكر فى خبر خزائن البنود، فحققت أم المستنصر على العلاجى، و صرفته عن الوزارة و استقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن أحمد الحرراى فى الوزارة.

و فى سنة أربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر إلى حلب، و حارب متوليها: ثمال بن صالح بن مرداس،

ثم رجع بغير طائل، فقلد مظفر الصقلبيّ دمشق، و قبض على ابن حمدان، و صادره و اعتقله بصور، ثم بالرملة، و خرج أمير الأمراء: رفق الخادم على عسكر تبلغ عدّته نحو الثلاثين ألفا بلغت النفقة عليه أربعمائة ألف دينار يريد الشام، و محاربة بنى مرداس.

و في المحرم سنة إحدى و أربعين صرف القاضي القضاء قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعدما باشره ثلاث عشرة سنة و شهر أو أربعة أيام، و تقلد وظيفة القضاء بعده القاضي الأجل خضير الملك أبو محمد البازوريّ.

و فيها حارب رفق بنى مرداس، فظفروا به و أسروه، فمات بقلعة حلب، فأفرج عن ابن حمدان، و بقي بالحضرة، و قبض على الوزير أبي البركات الحرراي، و نفى إلى الشام، و عمل أبو المفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيراً، ثم قلد القضاء أبو محمد البازوريّ الوزارة مع وظيفة القضاء، و لقب بسيد الوزراء.

و في سنة اثنتين و أربعين كانت حروب البحيرة، و إخراج بنى قرّة منها، و إنزال بنى سنييس بعدهم بها، و فيها دعا عليّ بن محمد الصليحيّ باليمن للمستنصر، و بعث إليه بمال النجوة و الهدن.

و في سنة أربع و أربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء المصريين، و نفهم من الانتساب إلى عليّ بن أبي طالب، و سيرت إلى الآفاق و قصر مدّ النيل، فتحرّك السعر بمصر، ثم قصر أيضاً مدّ النيل في سنة ست و أربعين، فقوى الغلاء، و كثر الموت في الناس.

و في سنة ثمان و أربعين خرج أبو الحارث البساسيري من بغداد منتمياً للمستنصر،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٥

فسيرت إليه الأموال و الخلع.

و في سنة ثمان و أربعين عادت حلب إلى مملكة المستنصر.

و في سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين أبي محمد البازوريّ، و تقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي بن عبد الله بن محمد، و ولي القضاء بعد البازوريّ أبو عليّ أحمد بن عبد الحكم، ثم صرف بعبد الحاكم المليحيّ، و فيها أخذ البساسيري بغداد، و أقام فيها الخطبة للمستنصر، و فرّ الخليفة القائم بأمر الله العباسيّ إلى قريش بن بدران، فبعث به إلى غانة، و سيرت ثياب القائم، و عمامته و غير ذلك من الأموال إلى مصر، و فيها سار ناصر الدولة إلى دمشق أميراً عليها.

و في سنة إحدى و خمسين أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة و واسط و جميع تلك الأعمال، فقدم طغريل إلى بغداد، و أعاد الخليفة القائم بعد ما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة، و قتل البساسيريّ، و فيها قطعت خطبة المستنصر أيضاً من حلب، فسار إليها ابن حمدان، و حارب أهلها، فانكسر كسرة شديدة شنيعة، و عاد إلى دمشق، و فيها صرف أبو الفرج بن المغربيّ عن الوزارة، و عبد الحاكم عن القضاء، و أعيد إلى الوزارة أبو الفرج البابليّ، و استقرّ في وظيفة القضاء أحمد بن أبي زكري.

و في سنة ثلاث و خمسين كثر صرف الوزراء و القضاة، و ولايتهم لكثرة مخالطة الرعايا للخليفة، و تقدّم الأراذل بحيث كان يصل إليه في كل يوم ثمانمائة رقة فيها المرافعات و السعيات، فاشتبهت عليه الأمور، و تناقضت الأحوال، و وقع الاختلاف بين عبيد الدولة، و ضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدّة كل منهم، و خربت الأعمال، و قلّ ارتفاعها، و تغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات و الاستخفاف بالأموال، و طغيان الأكابر إلى أن آل الأمر إلى حدوث الشدة العظمى، كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب، و كان من قدوم أمير الجيوش بدر الجماليّ في سنة ست و ستين و أربعمائة، و قيامه بسلطنة مصر ما ذكر في ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة، فلم يزل المستنصر مدّة أمير الجيوش ملجماً عن التصرف إلى أن مات في سنة سبع و ثمانين، فأقام العسكر من بعده في الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه، فباشر الأمور يسيراً، و مات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة سبع و ثمانين عن سبع، و ستين سنة و خمسة أشهر منها في الخلافة ستون سنة، و أربعة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٦

أشهر و ثلاثة أيام مرّت فيها أهوال عظيمة، و شدائد آلت به إلى أن جلس على نخ، و فقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الأشراف تتصدّق عليه في كل يوم بقعب فيه فتيت، فلا يأكل سواه مرّة في كل يوم، و قد مرّ في غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره، فلما مات المستنصر أقام الأفضل بن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه:

المستعلي بالله أبا القاسم أحمد، و كان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع و ستين و أربعمائه، فحالف عليه أخوه نزار، و فرّ إلى الإسكندرية و كان القائم بالأمر كلها الأفضل، فحاربه حتى ظفر به، و قتله كما تقدّم في خبر أفتكين عند خزائن القصر. و في سنة تسعين وقع بمصر غلاء و وباء و قطعت الخطبة من دمشق للمستعلي، و خطب بها للعباسي، و خرج الفرنج من قسطنطينية لأخذ سواحل الشام، و غيرها من أيدي المسلمين فملكوا أنطاكية.

و في سنة إحدى و تسعين خرج الأفضل بعسكر عظيم من القاهرة، فأخذ بيت المقدس من الأرمن، و عاد إلى القاهرة. و في سنة اثنتين و تسعين ملك الفرنج الرملة و بيت المقدس، فخرج الأفضل بالعساكر، و سار إلى عسقلان، فسار إليه الفرنج و قاتلوه، و قتلوا كثيرا من أصحابه، و غنموا منه شيئا كثيرا و حصروه، فنجأ بنفسه في البحر، و صار إلى القاهرة.

و في سنة ثلاث و تسعين عمّ الوباء أكثر البلاد، فهلك بمصر عالم عظيم.

و في سنة أربع و تسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج، و كانت بينهما حروب كثيرة.

و في سنة خمس و تسعين و أربعمائه مات المستعلي بالله لثلاث عشرة بقية من صفر، و عمره سبع و عشرون سنة و سبعة و عشرون يوما، و مدّة خلافته سبع سنين و شهران، و في أيامه اختلت الدولة، و انقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام، فإنها صارت بين الأتراك و الفرنج، و صارت الإسماعيلية فرقتين: فرقة نزارية تطعن في إمامة المستعلي، و فرقة ترى صحّة خلافته، و لم يكن للمستعلي مع الأفضل أمر و لانهي، و لا نفوذ كلمة، و قيل: إنه سمّ، و قيل: بل قتل سراً.

فلما مات أقام الأفضل من بعده في الخلافة ابنه: الأمر بأحكام الله أبا علي منصور، و عمره خمس سنين و شهر و أيام، فقتل الأفضل في أيامه، و أقام في الخلافة تسعا و عشرين سنة و ثمانية أشهر و نصفاً، و قد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الأقمري في ذكر الجوامع من هذا الكتاب، و لما قتل الأمر بأحكام الله.

أقيم من بعده: الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله، و كان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع، و قيل: في سنة ثمان

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٧

و تسعين و أربعمائه لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة، فلذلك كان يقال له في أيام الأمر بأحكام الله الأمير عبد المجيد العسقلاني ابن عمّ مولانا.

و لما قتل النزارية: الخليفة الأمر أقام برغش و هزار الملوك الأمير عبد المجيد في دست الخلافة، و لقباه بالحافظ لدين الله، و أنه يكون كفيلاً لمنظر في بطن أمّه من أولاد الأمر، و استقرّ هزار الملوك و زيرا، فثار العسكر، و أقاموا أبا علي بن الأفضل و زيرا، و قتل هزار الملوك، و نهب شارع القاهرة، و ذلك كله في يوم واحد، فاستبدّ أبو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع و عشرين و خمسمائه، و قبض على الحافظ، و سجنه مقيدا، فاستمرّ إلى أن قتل أبو علي في سادس عشر المحرم سنة ست و عشرين، فأخرج من معتقله، و أخذ له العهد على أنه وليّ عهد كفيلاً لمن يذكر اسمه، فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيداً سماه عيد النصر، و صار يعمل كل سنة، و نهب القاهرة يومئذ و قام يانس صاحب الباب بالوزارة إلى أن هلك في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر، فلم يستوزر الحافظ بعده أحداً، و تولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمان و عشرين، فأقام ابنه سليمان وليّ عهده مقام وزير، فلم تطل أيامه سوى شهرين و مات، فجعل مكانه ابن حيدر، فحقت ابنه حسن، و ثار بالفتنة، و كان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب، فلما قتل حسن قام بهرام الأرميني، و أخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع و عشرين، و كان نصرانياً، فاشتدّ ضرر المسلمين



من النصارى، و كثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخشى، و هو يومئذ متولى الغربية، و جمع الناس لحرب بهرام، و سار إلى القاهرة، فانهزم بهرام، و دخل رضوان القاهرة، و استولى على الوزارة فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثلاثين، فأوقع بالنصارى و أذلهم، فشكره الناس إلا أنه كان خفيفا عجولا، فأخذ فى إهانة حواشى الخليفة، و همّ بخلع، و قال: ما هو بإمام، و إنما هو كفيل لغيره، و ذلك الغير لم يصح، فتوحش الحافظ منه، و ما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان، و خرج إلى الشام، فجمع و عاد فى سنة أربع و ثلاثين، فجهز له الحافظ العساكر لمحاربتة، فقاتلهم و انهزم منهم إلى الصعيد فقبض عليه، و اعتقل، فلم يستوزر الحافظ أحدا بعده إلى أن كانت سنة ست و ثلاثين، فغلت الأسعار بمصر و كثر الوباء، و امتد إلى سنة سبع و ثلاثين، فعظم الوباء.

و فى سنة اثنتين و أربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر، و خرج من نقب، و ثار بجماعة، و كانت فتنة آلت إلى قتله. و فى سنة أربع و أربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر، فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع و سبعين سنة منها مدة خلافته ثمان عشرة سنة و أربعة أشهر و تسعة يوما، أصابته فيها شدائد كثيرة، و كان حازما سيوسا كثير المداراة عارفا جماعا للمال مغرى بعلم النجوم يغلب عليه الحلم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٨

فلما مات و الفتنة قائمة أقيم ابنه: الظاهر بأمر الله أبو منصور إسماعيل، و مولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع و عشرين و خمسمائة، فأقام فى الخلافة أربع سنين و ثمانية أشهر إلا خمسة أيام، و كان محكوما عليه من الوزارة، و فى أيامه أخذت عسقلان، فظهر الخلل فى الدولة، و قد ذكرت أخباره فى خط الخشبية عند ذكر الخطط من هذا الكتاب.

فلما قتل أقيم من بعده ابنه: الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى، أقامه فى الخلافة بعد مقتل أبيه الوزير عباس، و عمره خمس سنين، فقدم طلائع بن رزيك والى الأشمونين بجموعه إلى القاهرة، ففرّ عباس، و استولى طلائع على الوزارة، و تلقب بالصالح، و قام بأمر الدولة إلى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقية من رجب سنة خمس و خمسين عن إحدى عشرة سنة، و ستة أشهر و يومين منها فى الخلافة ست و ستين و خمسة أشهر و أيام، لم ير فيها خيرا فإنه لما أخرج ليقام خليفه رأى أعمامه قتلى، و سمع الصراخ، فاختلف عقله، و صار يصرخ حتى مات.

فأقام الصالح بن رزيك فى الخلافة بعده: العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله، و مولده لعشر بقين من المحرم سنة ست و أربعين و خمسمائة، و كان عمره يوم بويج نحو إحدى عشرة سنة، و قام الصالح بتدبير الأمور إلى أن قتل فى رمضان سنة ست و خمسين كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع، فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع، و حسنت سيرته، فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص، فلم يقبل العزل، و حشد و سار على طريق الواحات فى البرية إلى تروجه، فجمع الناس، و سار إلى القاهرة، فلم يثبت رزيك، و فرّ فقبض عليه بإطفيح، و استقرّ شاور فى الوزارة لأيام خلت من صفر سنة ثمان و خمسين، فأقام إلى أن ثار ضرغام صاحب الباب، ففرّ منه إلى الشام، و استبدّ ضرغام بالوزارة، فقتل أمراء الدولة، و أضعفها بسبب ذهاب أكابرها، فقدم الفرنج، و نزلوا مدينة بلبس مدة، و دافعهم المسلمون عدة مرار، حتى عادوا إلى بلادهم بالساحل، و رجع العسكر إلى القاهرة، و قد قتل منهم كثير، فوصل شاور بعساكر الشام فى جمادى الآخرة سنة تسع و خمسين، فحاربه ضرغام على بلبس بعساكر مصر، و كانت لهم منه معارك انهزموا فى آخرها، و غنم شاور و من معه سائر ما خرجوا به، و كان شيئا جليلا، فسروا بذلك، و ساروا إلى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت إلى هزيمة ضرغام، و قتله فى شهر رمضان منها.

فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية، و اختلف مع الغزاة القادمين معه من الشام، و كانت له معهم حروب آلت إلى أن شاور كتب إلى مرى ملك الفرنج يستدعيه إلى القاهرة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ١٩٩

ليعيه على محاربة شيركوه، و من معه من الغز، فحضر، و قد صار شيركوه فى مدينة بلبس، فخرج شاور من القاهرة، و نزل هو و مرى



على بليس، و حصرا شيركوه ثلاثة أشهر، ثم وقع الصلح، فسار شيركوه بالغز إلى الشام، و رحل الفرنج، و عاد شاور إلى القاهرة في سنة ستين و خمسمائة، فلم يزل إلى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية في ربيع الآخر، فخرج شاور من القاهرة إلى لقائه، و استدعى مري ملك الفرنج، فسار شيركوه على الشرق، و خرج من إطفيح، فسار إليه شاور بالفرنج، و كانت له معه الوقعة المشهورة، فسار شيركوه بعد الوقعة من الأشمونين، و أخذ الإسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، و لم يزل يسير من الإسكندرية إلى قوص، و هو يجبي البلاد، فخرج شاور من القاهرة بالفرنج، و نازل الإسكندرية، فبلغ شيركوه ذلك، فعاد من قوص إلى القاهرة، و حصرها.

ثم كانت أمور آخرها مسير شيركوه و أصحابه من أرض مصر إلى الشام في شوال، و قد طمع الفرنج في البلاد و تسلموا أسوار القاهرة، و أقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد، و فحش أمر شاور، و ساءت سيرته، و كثر تجزيه على الدماء، و إتلافه للأموال، فلما كان في سنة أربع و ستين قوى تمكن الفرنج في القاهرة، و جاروا في حكمهم بها، و ركبوا المسلمين بأنواع الإهانة.

فسار مري يريد أخذ القاهرة، و نزل على مدينة بليس، و أخذها عنوة، فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه، و يحثه على نجدة الإسلام، و إنقاذ المسلمين من الفرنج، فجهز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير، و جهزهم و سيرهم إلى مصر، و قد أحرق شاور مدينة مصر، كما تقدم و نزل مري ملك الفرنج على القاهرة، و ألح في قتال أهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة، فسير إليها شاور و خادعه حتى رضى بمال يجمعه له، فشرع في جبايته، و إذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه، فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر، و نز شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة، فخلع عليه العاضد، و أكرمه، فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته، فكان من قتله ما ذكر في موضعه، و ذلك في سابع عشر ربيع الآخر المذكور، و تقلد شيركوه وزارة العاضد، و قام بالدولة شهرين و خمسة أيام، و مات في الثاني و العشرين من جمادى الآخرة، فقوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب، فساس الأمور، و دبر لنفسه، فبذل الأموال، و أضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال، فلم يزل أمره في ازدياد.

و أمر العاضد في نقصان، و صار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين، و أقطع أصحابه البلاد، و أبعد أهل مصر، و أضعفهم، و استبد بالأمور، و منع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريد من إزالة الدولة إلى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٠

فأبادهم و أفناهم، و من حينئذ تلاشى العاضد، و انحل أمره، و لم يبق له سوى إقامة ذكره في الخطبة فقط، هذا و صلاح الدين يوالى الطلب منه في كل يوم ليضعفه، فأتى على المال و الخيل و الرقيق و غير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد، فطلب منه، و ألجأه إلى إرساله، و أبطل ركوبه من ذلك الوقت.

و صار لا يخرج من القصر البتة، و تتبع صلاح الدين جند العاضد، و أخذ دور الأمراء و إقطاعاتهم، فوهبها لأصحابه، و بعث إلى أبيه و إخوته و أهله، فقدموا من الشام عليه، فلما كان في سنة ست و ستين أبطل المكوس من ديار مصر، و هدم دار المعونة بمصر، و عمرها مدرسة للشافعية، و أنشأ مدرسة أخرى للمالكية، و عزل قضاء مصر الشيعية، و قلد القضاء صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعي، و جعل إليه الحكم في إقليم مصر كله، فعزل سائر القضاء، و استتاب قضاء شافعية، فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك و الشافعي رضى الله عنهما، و اختفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر، و أخذ في غزو الفرنج، فخرج إلى الرملة، و عاد في ربيع الأول، ثم سار إلى أيلة، و نازل قلعتها، حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر، ثم سار إلى الإسكندرية، و لم شعث سورها، و عاد و سير توران شاه، فأوقع بأهل الصعيد، و أخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة، و عاد فكثرت القول من صلاح الدين، و أصحابه في ذم العاضد، و تحدّثوا بخلعه، و إقامة الدعوة العباسية بالقاهرة و مصر، ثم قبض على سائر من بقى من أمراء الدولة، و أنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة، فأصبح في البلد من العويل و البكاء، ما يذهل، و تحكّم أصحابه في البلد بأيديهم، و أخرج إقطاعات سائر

المصريين لأصحابه، و قبض على بلاد العاضد، و منع عنه سائر مواده، و قبض على القصور، و سلمها إلى الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي، و جعله زمامها، فضيق على أهل القصر، و صار العاضد معتقلا تحت يده، و أبطل من الأذان: حتى على خير العمل، و أزال شعار الدولة، و خرج بالعزم على قطع خطبة العاضد، فمرض و مات، و عمره إحدى و عشرون سنة إلاً عشرة أيام منها في الخلافة إحدى عشرة سنة و ستة أشهر و سبعة أيام، و ذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع و ستين و خمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة، و الدعاء للمستجد العباسي بثلاثة أيام، و كان كريما لين الجانب مرّت به مخاوف و شدائد، و هو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، و كانت مدّتهم بالمغرب و مصر منذ قام عبيد الله المهديّ إلى أن مات العاضد مائتي سنة و اثنتين و سبعين سنة و أياما بالقاهرة، منها مائتان و ثمانين سنة، فسبحان الباقي.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠١

### ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها

إعلم أن

مدينة الإقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة: مصر قبلي القاهرة، و بها كان محل الأمراء، و منزل ملكهم، و عاليها تجبي ثمرات الأقاليم، و تأوى الكافة، و كانت قد بلغت من وفور العمارة، و كثرة الناس و سعة الأرزاق و التفنن في أنواع الحضارة، و التأثق في النعيم ما أربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بغداد، فإنها كانت سوق العالم، و قد زاحمتها مصر، و كادت أن تسامها إلاً قليلا، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية من مصر، و اختل حال الإقليم بتوالي الغلوات، و تواتر الأوباء، و الفنون حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله أبي تميم معدّ أمير المؤمنين على يد عبده، و كاتبه القائد جوهر، فنزل حيث القاهرة الآن، و أناخ هناك، و كانت حينئذ رملة، فيما بين مصر و عين شمس يمرّ بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس، و كانت فيما بين الخليج المعروف في أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين، ثم قيل له خليج القاهرة، ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير، و بالخليج الحاكمي، و بين الخليج المعروف باليحميم، و هو الجبل الأحمر، و كان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة، و بين القرية التي يقال لها: أم دنين، ثم عرفت الآن بالمقس، و كان من يسافر من الفسطاط إلى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذي كان يعرف بمنية الأصبغ، ثم عرف إلى يومنا بالخذق، و تمرّ العساكر و التجار، و غيرهم من منية الأصبغ إلى بني جعفر على غيفة و سلمنت إلى بليس، و بينها و بين مدينة الفسطاط أربعة و عشرون ميلا، و من بليس إلى العلاقمة إلى الفرما، و لم يكن الدرب الذي يسلك في وقتنا من القاهرة إلى العريش في الرمل يعرف في القديم، و إنما عرف بعد خراب تيس و الفرما، و إزاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدّة من السنين، و كان من يسافر في البرّ من الفسطاط إلى الحجاز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الجب، و ببركة الحاج، و لم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هي بستان الإخشيد محمد بن ظفج المعروف اليوم بالكافوريّ من القاهرة، و دير للنصارى يعرف بدير:

العظام، تزعم النصارى أنّ فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام، و بقي الآن بئر هذا الدير، و تعرف ببئر العظام و العامة تقول بئر العظمة، و هي بجوار الجامع الأحمر من القاهرة، و منها ينقل الماء إليه، و كان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصير الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة في الجاهلية، و صار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة، هذا الذي اطلعت عليه أنه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص و التفتيش، و كان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمرّ من موضع الساحل القديم بمصر الذي هو الآن سوق المعاريح، و حمام طن و المراغة، و بستان الجرف، و موردة الحلفاء، و منشأة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٢

المهرانيّ على ساحل الحمراء، و هي موضع قناطر السباع، فيمرّ النيل بساحل الحمراء إلى المقس موضع جامع المقس الآن، و فيما بين

الخليج، و بين ساحل النيل بساتين الفسطاط، فإذا صار النيل إلى المقس حيث الجامع الآن مرّ من هناك على طرف الأرض التي تعرف اليوم بأرض الطباله من الموضع المعروف اليوم بالجرف، و صار إلى البعل، و مرّ على طرف منية الأصبغ من غربى الخليج إلى المنية، و كان فيما بين الخليج و الجبل مما يلي بحرى موضع القاهره مسجد بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، ثم مسجد تبر الإخشيدى، فعرف بمسجد تبر، و العامه تقول: مسجد التبن، و لم يكن الممرّ من الفسطاط إلى عين شمس، و إلى الحوف الشرقى، و إلى البلاد الشاميه إلّا بحافه الخليج، و لا يكاد يمرّ بالرملة التي فى موضعها الآن مدينة القاهره كثير جدا، و لذلك كان بها دير للنصارى إلّا أنه لما عمر الإخشيد البستان المعروف: بالكافورى، أنشأ بجانبه ميدانا، و كان كثيرا ما يقيم به، و كان كافور أيضا يقيم به، و كان فيما بين موضع القاهره، و مدينة الفسطاط مما يلي الخليج المذكور: أرض تعرف فى القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصى، و هى موضع قناطر السباع، و جبل يشكر حيث الجامع الطولونى، و ما دار به، و فى هذه الحمراء عدّه كنائس، و ديارات للنصارى خربت شيئا بعد شىء إلى أن خرب آخرها فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، و جمع ما بين القاهره و مصر مما هو موجود الآن من العمائر، فإنه حدث بعد بناء القاهره، و لم يكن هناك قبل بنائها شىء البتّه، سوى كنائس الحمراء، و سيأتى بيان ذلك مفصلا فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

### ذكر حدّ القاهره

قال ابن عبد الظاهر فى كتاب الروضه البهيئه الزاهره فى خطط المعزيه القاهره الذى استقرّ عليه الحال أن حدّ القاهره من مصر من السبع سقايات، و كان قبل ذلك من المجنونه إلى مشهد السيدة رقيه عرضا، ا.ه. و الآن تطلق القاهره على ما حازه السور الحجر الذى طوله من باب زويلة الكبير إلى باب الفتوح و باب النصر، و عرضه من باب سعادة، و باب الخوخه إلى باب البرقيه و الباب المحروق، ثم لما توسع الناس فى العمارة بظاهر القاهره، و بنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر، و بنوا خارج باب الفتوح، و باب النصر إلى أن انتهت العمائر إلى الريدانيه، و بنوا خارج باب القنطرة إلى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطىء النيل، و امتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطىء إلى أن اتصلت بمنشأة المهرانى، و بنوا خارج باب البرقيه، و الباب المحروق إلى سفح الجبل بطول السور، فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين: أحدهما يقال له: القاهره، و الآخر يقال له: مصر. فأما مصر: فإنّ حدّها على ما وقع عليه الاصطلاح فى زمننا هذا الذى نحن فيه من حدّ أول قناطر السباع إلى طرف بركة الحبش القبلى، مما يلي بساتين الوزير، و هذا هو

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٣

طول حدّ مصر، و حدّها فى العرض من شاطىء النيل الذى يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير، و قنطرة السدّ إلى أول القرافه الكبرى.

و أما حدّ القاهره، فإنّ طولها من قناطر السباع إلى الريدانيه، و عرضه من شاطىء النيل ببولاق إلى الجبل الأحمر، و يطلق على ذلك كله مصر و القاهره، و فى الحقيقه قاهره المعز التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضره مولاه المعز لدين الله أبى تميم معدّ إلى مصر فى شعبان سنه ثمان و خمسين و ثلثمائة إنما هى ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذى أداره القائد جوهر تغير، و عمل منذ بنيت إلى زمننا هذا ثلاث مرّات، ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهره، فصار يقال لداخل السور: القاهره، و لما خرج عن السور ظاهر القاهره، و ظاهر القاهره أربع جهات: الجهه القبليه، و فيها الآن معظم العمارة، و حدّ هذه الجهه طولاً من عتبه باب زويلة إلى الجامع الطولونى، و ما بعد الجامع الطولونى، فإنه من حدّ مصر، و حدّها عرضاً من الجامع الطيرسى بشاطىء النيل غربى المريس إلى قلعه الجبل، و فى الاصطلاح الآن أن القلعه من حكم مصر، و الجهه البحريه، و كانت قبل السبعمائه من سنى الهجرة، و بعدها إلى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر و المساكن، ثم تلاشت من بعد ذلك، و طول هذه الجهه من باب الفتوح، و باب النصر

إلى الريدانية، و عرضها من منية الأمراء المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمنية الشيرج إلى الجبل الأحمر، و يدخل في هذا الحدّ مسجد تبر و الريدانية، و الجهة الشرقية فإنها حيث ترب أهل القاهرة، و لم تحدث بها العمر من التربة إلا بعد سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، و حدّ هذه الجهة طولاً من باب القلعة المعروف بباب السلسلة إلى ما يحاذى مسجد تبر في سفح الجبل، و حدّها عرضاً فيما بين سور القاهرة، و الجبل و الجهة الغربية، فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضاً إلا بعد سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، و إنما كانت بساتين و بحراً، و حدّ هذه الجهة طولاً من منية الشيرج إلى منشأة المهراني بحافة بحر النيل، و حدّها عرضاً من باب القنطرة، و باب الخوخة و باب سعادة إلى ساحل النيل، و هذه الأربع جهات من خارج السور يطلق عليها: ظاهر القاهرة.

و تحوى مصر و القاهرة من الجوامع، و المساجد، و الربط و المدارس، و الزوايا، و الدور العظيمة، و المساكن الجليّة، و المناظر البهجة، و القصور الشامخة، و البساتين النضرة، و الحمامات الفاخرة، و القياسر المعمورة بأصناف الأنواع، و الأسواق المملوءة مما تشتهى الأنفس، و الخانات المشحونة بالواردين، و الفنادق الكاظئة بالسكان و التراب التي تحكى القصور ما لا يمكن حصره، و لا يعرف ما هو قدره إلا أن قدر ذلك بالتقريب الذي

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٤

يصدّقه الاختبار طولاً بريداً، و ما يزيد عليه، و هو من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش، و عرضاً يكون نصف بريد فما فوقه، و هو من ساحل النيل إلى الجبل، و يدخل في هذا الطول و العرض بركة الحبش، و ما داربها و سطح الجرف المسمى: بالرصد، و مدينة الفسطاط التي يقال لها: مدينة مصر، و القرافة الكبرى و الصغرى، و جزيرة الحصن المعروف اليوم: بالروضة، و منشأة المهراني، و قطائع ابن طولون التي تعرف الآن بحدره ابن قميحة، و خط جامع ابن طولون و الرملة تحت القلعة، و القبيبات و قلعة الجبل و الميدان الأسود الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية إلى قبة النصر، و القاهرة المعزية، و هو ما دار عليه السور الحجر، و الحسينية و الريدانية، و الخندق و كوم الريش، و جزيرة الفيل، و بولاق، و الجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة أروى، و زريبة قوصون، و حكر ابن الأثير، و منشأة الكاتب، و الأحكار التي فيما بين القاهرة، و ساحل النيل، و أراضي اللوق، و الخليج الكبير الذي تسميه العامة بالخليج الحاكمي، و الحبانية و الصليبية و التبانة، و مشهد السيدة نفيسة، و باب القرافة، و أرض الطباله، و الخليج الناصري، و المقس و الدكة، و غير ذلك مما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، و قد أدركنا هذه المواضع، و هي عامرة، و المشيخة تقول: هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع و أربعين و سبعمائة الذي يسميه أهل مصر: الفناء الكبير، و قد تلاشت هذه الأماكن، و عمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست و ثمانمائة، و لله عاقبة الأمور.

### ذكر بناء القاهرة و ما كانت عليه في الدولة الفاطمية

و ذلك أن القائد جوهر الكاتب: لما قدم الجيزة بعساكر مولاه الإمام المعز لدين الله أبي تميم معدّ أقبل في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و سارت عساكره بعد زوال الشمس، و عبرت الجسر أفواجا، و جوهر في فرسانه إلى المناخ الذي رسم له المعز موضع القاهرة الآن، فاستقرّ هناك، و اختط القصر، و بات المصريون، فلما أصبحوا حضروا للهناء، فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل، و كانت فيه ازورارات غير معتدلة، فلما شاهدها جوهر لم يعجبه، ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة، و ساعة سعيدة، فتركه على حاله، و أدخل فيه دير العظام، و يقال: إن القاهرة اختطها جوهر في يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة، سنة تسع و خمسين، و اختطت كل قبيلة خطه عرفت بها: فزويلة بنت الحارة المعروفة بها، و اختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية، و اختطت الروم حارتين: حارة الروم الآن، و حارة الروم الجوانية بقرب باب النصر، و قصد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٥

جوهر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حصناً فيما بين القرامطة، و بين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها، فأدار السور اللبن على

مناخه الذي نزل فيه بعساكره، و أنشأ من داخل السور جامعاً، و قصرًا، و أعدّها معقلاً يتحصن به، و تنزله عساكره، و احتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة، و ما وراءها من المدينة، و كان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم، فإن أبوابها كانت من الجهات الأربعة، ففي الجهة القبليّة التي تفضى بالسالك منها إلى مدينة مصر: بابان متجاوران يقال لهما: بابا زويلة، و موضعهما الآن بحذاء المسجد الذي تسميه العامّة: بسام بن نوح، و لم يبق إلى هذا العهد سوى عقده، و يعرف باب القوس، و ما بين باب القوس هذا، و باب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التي أسسها القائد جوهر، و إنما هي زيادة حدثت بعد ذلك، و كان في جهة القاهرة البحريّة، و هي التي يسلك منها إلى عين شمس بابان أحدهما، باب النصر، و موضعه بأول الرحبة التي قدام الجامع الحاكمي الآن، و أدركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربي من المدرسة القاصديّة، و ما بين هذا المكان، و باب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهر، و الباب الآخر من الجهة البحريّة: باب الفتوح، و عقده باق إلى يومنا هذا، مع عضادته اليسرى، و عليه أسطر مكتوبة بالقلم الكوفي، و موضع هذا الباب الآن بآخر سوق المرحلين، و أول رأس حارة بهاء الدين مما يلي باب الجامع الحاكمي، و فيما بين هذا العقد، و باب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهر، و كان في الجهة الشرقيّة من القاهرة، و هي الجهة التي يسلك منها إلى الجبل بابان: أحدهما يعرف الآن:

بالباب المحروق، و الآخر يقال له: باب البرقيّة، و موضعهما دون مكانهما إلى الآن و يقال لهذه الزيادة من هذه الجهة: بين السورين، و أحد البابين القديمين موجود إلى الآن اسكفته، و كان في الجهة الغربيّة من القاهرة، و هي المطلّة على الخليج الكبير بابان أحدهما: باب سعادة، و الآخر باب الفرج، و باب ثالث يعرف: بباب الخوخة، أظنه حدث بعد جوهر، و كان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين، و جامع يقال لأحد القصرين: القصر الكبير الشرقي، و هو منزل سكنى الخليفة، و محل حرمة، و موضع جلوسه لدخول العساكر، و أهل الدولة، و فيه الدواوين و بيت المال، و خزائن السلاح، و غير ذلك، و هو الذي أسسه القائد جوهر، و زاد فيه المعز، و من بعده من الخلفاء، و الآخر تجاه هذا القصر، و يعرف: بالقصر الغربي، و كان يشرف على البستان الكافوري، و يتحوّل إليه الخليفة في أيام النيل للنزهة على الخليج، و على ما كان إذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي يقال لها بطن البقرة، و من البستان المعروف بالبغدادية، و غيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق، و جنان الزهرّي، و كان يقال لمجموع القصرين: القصور الزاهرة، و يقال للجامع:

جامع القاهرة، و الجامع الأزهر.

فأما

القصر الكبير الشرقي: فإنه كان من باب الذهب الذي موضعه الآن محراب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٦

المدرسة الظاهريّة التي أنشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، و كان يعلو عقد باب الذهب منظره يشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معروفة، و كان باب الذهب هذا هو أعظم أبواب القصر، و يسلك من باب الذهب المذكور إلى باب البحر، و هو الباب الذي يعرف اليوم: بباب قصر بشتاك، مقابل المدرسة الكاملة، و هو من باب البحر إلى الركن المخلوق، و منه إلى باب الريح، و قد أدركنا منه عضادتيه، و اسكفته، و عليها أسطر بالقلم الكوفي، و جميع ذلك مبني بالحجر إلى أن هدمه الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الإستادار، و في موضعه الآن قيساريّة أنشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد، و يسلك من باب الريح المذكور إلى باب الزمرد، و هو موضع المدرسة الحجازية الآن، و من باب الزمرد إلى باب العيد، و عقده باق، و فوقه قبة إلى الآن في درب السلامي بخط رحبة باب العيد، و كان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس و الراجل في يومى العيدين تعرف: برحبة العيد، و هي من باب الريح إلى خزانة البنود، و كان يلي باب العيد السفينة، و بجوار السفينة خزانة البنود، و يسلك من خزانة البنود إلى باب قصر الشوك، و أدركت منه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمام التي عرفت



بحمام الأيدمرى، ثم قيل لها في زمننا: حمام يونس بجوار المكان المعروف: بخزانة البنود، وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه إلى المارستان العتيق، وقصر الشوك، و درب السلامى وغيره، و يسلك من باب قصر الشوك إلى باب الديلم، و موضعه الآن المشهد الحسينى، و كان فيما قصر الشوك، و باب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك، أولها من رحبة خزانة البنود، و آخرها حيث المشهد الحسينى الآن، و كان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة، و يسلك من باب الديلم إلى باب تربة الزعفران، و هى مقبرة أهل القصر من الخلفاء، و أولادهم و نسائهم، و موضع باب تربة الزعفران فندق الخليلي في هذا الوقت، و يعرف بخط الزراكشة العتيق، و كان فيما بين باب الديلم، و باب تربة الزعفران الخوخ السبع التى يتوصل منها الخليفة إلى الجامع الأزهر فى ليالى الوقدات، فيجلس بمنظره الجامع الأزهر، و معه حرمة لمشاهدة الوعيد و الجمع، و بجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة، و هو برسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة، و كان مقابل باب الديلم، و من وراء اصطبل الطارمة الجامع المعدة لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع، و هو الذى يعرف فى وقتنا هذا بالجامع الأزهر، و يسمى فى كتب التاريخ: بجامع القاهرة، و قدّام هذا الجامع رحبة متسعة من حدّ اصطبل الطارمة إلى الموضع الذى يعرف اليوم:

بالأكفانيين، و يسلك من باب تربة الزعفران إلى باب الزهومة، و موضعه الآن باب سرّ قاعة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٧

مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحة، و فيما بين تربة الزعفران، و باب الزهومة دراس العلم، و خزانة الدرق، و يسلك من من باب الزهومة إلى باب الذهب المذكور أولاً، و هذا هو دور القصر الشرقى الكبير، و كان بحذاء رحبة باب العيد: دار الضيافة، و هى الدار المعروفة: بدار سعيد السعداء التى هى اليوم: خانقاه للصوفية، و يقابلها: دار الوزارة، و هى حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء، و المدرسة القراسنقرية، و خانقاه بيبرس، و ما يجاورها إلى باب الجوانية، و ما وراء هذه الأماكن، و بجوار دار الوزارة الحجر، و هى من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية إلى باب النصر القديم، و من وراء دار الوزارة:

المناخ السعيد، و يجاوره حارة العطفية، و حارة الروم الجوانية، و كان جامع الخطبة الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجاً عن القاهرة، و فى غريبه الزيادة التى هى باقية إلى اليوم، و كانت أهراء لخزن الغلال التى تدّخر بالقاهرة، كما هى عادة الحصون، و كان فى غربى الجامع الأزهر: حارة الديلم، و حارة الروم البرانية، و حارة الأتراك، و هى تعرف اليوم: بدرب الأتراك، و حارة الباطلية، و فيما بين باب الزهومة، و الجامع الأزهر، و هذه الحارات خزائن القصر، و هى خزانة الكتب، و خزانة الأشربة، و خزانة السروج، و خزانة الخيم، و خزائن الفرش، و خزائن الكسوات، و خزائن دار أفتكين، و دار الفطرة، و دار التعبية، و غير ذلك من الخزائن هذا ما كان فى الجهة الشرقية من القاهرة.

و أما

القصر الصغير الغربى: فإنه موضع المارستان الكبير المنصوري إلى جوار حارة برجوان، و بين هذا القصر، و بين القصر الكبير الشرقى فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس و راجل يقال له: بين القصرين، و بجوار القصر الغربى الميدان، و هو الموضع الذى يعرف بالخرنشف، و اصطبل الطارمة، و بحذاء الميدان البستان الكافورى المطل من غريبه على الخليج الكبير، و يجاور الميدان، دار برجوان العزيزى، و بحذائها رحبة الأفيال، و دار الضيافة القديمة، و يقال لهذه المواضع الثلاثة: حارة برجوان، و يقال دار برجوان المنحر، و موضعه الآن يعرف: بالدرب الأصفر، و يدخل إليه من قبالة خانقاه بيبرس، و فيما بين ظهر المنحر، و باب حارة برجوان سوق أمير الجيوش، و هو من باب حارة برجوان الآن إلى باب الجامع الحاكمى، و يجاور حارة برجوان من بحريها اصطبل الحجرية، و هو متصل بباب الفتوح الأول، و موضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم:

بخان الوراق، و القيسارية تجاه الجمولون الصغير، و سوق المرحلين، و تجاه اصطبل الحجرية الزيادة، و فيما بين الزيادة و المنحر درب الفرنجية.



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٨

و بجوار البستان الكافورى حارة زويلة، و هى متصل بالخليج الكبير من غربها، و تجاه حارة زويلة اصطلب الجميزة، و فيه خيول الخليفة أيضا، و فى هذا الاصطلب بئر زويلة، و موضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربع يعرف: بقيسارية يونس من خط البندقانيين، فكان اصطلب الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربى من بحريه، و بين حارة زويلة، و موضعه الآن قبالة باب سرّ المارستان المنصورى إلى البندقانيين، و بحذاء القصر الغربى من قبيلة مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور، و المطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحيه، و بجوار المطبخ الحارة العدويه، و هى من الموضع الذى يعرف بحمام خشبية إلى حيث الفندق الذى يقال له فندق الزمام، و بجوار العدويه، حارة الأمراء، و يقال لها اليوم: سوق الزجاجين، و سوق الحريريين الشراريين.

و يجاور الصاغة القديمة: حبس المعونة، و هو موضع قيسارية العنبر، و تجاه حبس المعونة، عقبة الصباغين، و سوق القشاشين، و هو يعرف اليوم: بالخراطين، و يجاور حبس المعونة دكة الحسبة، و دار العيار، و يعرف موضع دكة الحسبة الآن، بالإبزازيين، و فيما بين دكة الحسبة و حارتى الروم و الديلم: سوق السراجين، و يقال له الآن: الشوايين، و بطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذى تسميه العامة: سام بن نوح، و يجاور هذا المسجد:

باب زويلة، و كان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة: دار الوزير يعقوب بن كلس، و صارت بعده: دار الدياتج، و دار الاستعمال و موضعها الآن المدرسة الصالحيه، و ما وراءها و يتصل دار الدياتج بالحارة الوزيرية، و إلى جانب الوزيرية: الميدان الآخر إلى باب سعادة، و فيما بين باب سعادة و باب زويلة أهراء أيضا و سطات. هذا ما كانت عليه صفة القاهرة فى الدولة الفاطمية، و حدثت هذه الأماكن شيئا بعد شىء، و لم تزل القاهرة دار خلافة، و منزل ملكك، و معقل قتال لا ينزلها إلا الخليفة و عساكره، و خواصه الذين يشرفهم بقربه فقط.

و أما ظاهر القاهرة من جهاتها الأربع: فإنه كان فى الدولة الفاطمية على ما أذكر.

أما الجهة القبليّة: و هى التى فيما بين باب زويلة و مصر طولا، و فيما بين الخليج الكبير و الجبل عرضا، فإنها كانت قسمين: ما حاذى يمينك إذا خرجت من باب زويلة تريد مصر، و ما حاذى شمالك إذا خرجت منه نحو الجبل، فأما: ما حاذى يمينك، و هى المواضع التى تعرف اليوم بدار التفاح، و تحت الربع و القشاشين، و قطرة باب الخرق، و ما على حافتى الخليج من جانبه طولا إلى الحمراء التى يقال لها اليوم: خط قناطر السباع، و يدخل فى ذلك سويقة عصفور، و حارة الحمزين، و حارة بنى سوس إلى الشارع، و بركة الفيل، و الهلالية و المحمودية إلى الصليبية، و مشهد السيدة نفيسة، فإنّ هذه الأماكن كلها كانت بساتين تعرف بجانان الزهرى، و بستان سيف الإسلام، و غير ذلك، ثم حدث فى الدولة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٠٩

هناك حارات للسودان، و عمر الباب الجديد، و هو الذى يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور فى الشارع عند رأس، و حدثت الحارة الهلالية، و الحارة المحمودية، و أما: ما حاذى شمالك حيث الجامع المعروف: بجامع الصالح، و الدرب الأحمر إلى قطائع ابن طولون التى هى الآن الرميّة، و الميدان تحت القلعة فإن ذلك كان مقابر أهل القاهرة.

و أما جهة القاهرة الغربية: و هى التى فيها الخليج الكبير، و هى من باب القنطرة إلى المقس، و ما جاور ذلك، فإنها كانت بساتين من غربها النيل، و كان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن، فيمرّ من المقس إلى المكان الذى يقال له الجرف، و يمضى على شمالى أرض الطباله إلى البعل، و موضع كوم الريش إلى المنية، و مواضع هذه البساتين اليوم أراضى اللوق و الزهرى، و غيرها من الحكورة التى فى بئر الخليج الغربى إلى بركة قرموط، و الخور، و بولاق، و كان فيما بين باب سعادة، و باب الخوخة، و باب الفرج، و بين الخليج فضاء لا بنيان فيه، و المناظر تشرف على ما فى غربى الخليج من البساتين التى وراءها بحر النيل، و يخرج الناس فيما بين المناظر و الخليج للترهه، فيجتمع هناك من أرباب البطالة، و اللهو ما لا يحصى عددهم، و يمرّ لهم هنالك من اللذات و المسرات ما لا تسع

الأوراق حكايته خصوصا في أيام النيل عند ما يتحوّل الخليفة إلى اللؤلؤة، و يتحوّل خاصته إلى دار الذهب، و ما جاورها، فإنه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الأرزاق، و إدرار النعم في تلك المدّة، كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

و أما جهة القاهرة البحرية، فإنها كانت قسمين: خارج باب الفتوح، و خارج باب النصر، أما خارج باب الفتوح: فإنه كان هناك منظره من مناظر الخلفاء، و قدّامها البستانان الكبيران، و أولهما من زقاق الكحل، و آخرهما منية مطر التي تعرف اليوم: بالمطرية، و من غربى هذه المنظره في جانب الخليج الغربي منظره البعل فيما بين أرض الطباله، و الخندق، و بالقرب منها مناظر الخمس وجوه، و التاج ذات البساتين الأنيقة المنصوبة لتتزه الخليفة، و أما خارج باب النصر: فكان به مصلى العيد التي عمل من بعضها مصلى الأموات لا غير، و الفضاء من المصلى إلى الريدانية، و كان بستانا عظيما، ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالي، و عمر الناس التراب بالقرب منها، و حدث فيما خرج عن باب الفتوح عمائر منها: الحسينية، و غيرها.

و أما جهة القاهرة الشرقية، و هي ما بين السور و الجبل، فإنه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تلقى أتربة القاهرة من وراء السور، لتمنع السيول أن تدخل إلى القاهرة، فصار منها الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية، و لم تزل هذه الجهة خالية من العمارة إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية، فسبحان الباقي بعد فناء خلقه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٠

### ذكر ما صارت إليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الأيوبية عليها

قد تقدّم أن القاهرة إنما وضعت منزل سكنى للخليفة، و حرمة، و جنده، و خواصه، و معقل قتال يتحصن بها، و يلتجأ إليها، و إنها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر، ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالي، و سكن القاهرة، و هي يباب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة، فأباح للناس من العسكرية، و الملحية، و الأرمن، و كل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا- من فسطاط مصر، و مات أهله، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور، و غيرها، و عمروا به المنازل في القاهرة، و سكنوها فمن حينئذ سكنها أصحاب السلطان إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى في سنة سبع و ستين و خمسمائة.

فنقلها عما كانت عليه من الصيانة، و جعلها مبتدلة لسكن العامة و الجمهور، و حط من مقدار قصور الخلافة، و أسكن في بعضها، و تهدّم البعض، و أزيلت معالمه، و تغيرت معاهده، فصارت خططا و حارات، و شوارع و مسالك، و أزقة، و نزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل، فكان السلطان صلاح الدين يتردد إليها، و يقيم بها، و كذلك ابنه الملك العزيز عثمان، و أخوه الملك العادل، أبو بكر، فلما كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب تحوّل من دار الوزارة إلى القلعة، و سكنها و نقل سوق الخيل و الجمال و الحمير إلى الرملة تحت القلعة، فلما خرب المشرق و العراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكيزخان في أعوام بضع عشرة و ستمائة إلى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد في صفر سنة ست و خمسين و ستمائة، كثر قدوم المشاركة إلى مصر، و عمرت حافتي الخليج الكبير، و ما دار على بركة الفيل، و عظمت عمارة الحسينية، فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة إحدى عشرة و سبعمائة، و استجدّ بقلعة الجبل المباني الكثيرة من القصور و غيرها، حدثت فيما بين القلعة و قبة النصر عدّة ترب بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف: بالميدان الأسود و ميدان القبق، و تزايدت العمائر بالحسينية، حتى صارت من الريدانية إلى باب الفتوح، و عمر جميع ما حول بركة الفيل، و الصليبية إلى جامع ابن طولون، و ما جاوره إلى المشهد النفيسى، و حكر الناس أرض الزهرى، و ما قرب منها، و هو من قناطر السباع إلى منشأة المهراي، و من قناطر السباع إلى البركة الناصرية إلى اللوق إلى المقس، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري اتسعت الخطّة فيما بين المقس، و الدكة إلى ساحل النيل، و أنشأ الناس فيها البساتين العظيمة، و المساكن الكثيرة، و الأسواق و الجوامع و المساجد، و الحمامات و الشون، و

هي من المواضع التي من باب البحر خارج المقس إلى ساحل النيل المسمى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١١

ببولاق، و من بولاق إلى منية الشيرج، و منه في القبلة إلى منشأة المهراي، و عمر ما خرج عن باب زويلة يمنة و يسرة من قنطرة الخرق إلى الخليج، و من باب زويلة إلى المشهد النفيسي، و عمرت القرافة من باب القرافة إلى بركة الحبش طولاً، و من القرافة الكبرى إلى الجبل عرضاً، حتى أنه استجد في أيام الناصر بن قلاوون بضع و ستون حكراً، و لم يبق مكان يحكر، و اتصلت عمائر مصر و القاهرة، فصارا بلداً واحداً يشتمل على البساتين و المناظر و القصور، و الدور و الرباع، و القياسر، و الأسواق، و الفنادق، و الخانات، و الحمامات، و الشوارع، و الأزقة، و الدروب، و الخطط و الحارات، و الأحكار و المساجد، و الجوامع، و الزوايا و الربط، و المشاهد و المدارس، و الترب و الحوانيت، و المطابخ و الشون، و البرك و الخلجان و الجزائر و الرياض، و المنتزهات متصلاً جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش، و من شاطئ النيل بالجيزة إلى الجبل المقطم، و ما زالت هذه الأماكن في كثرة العمارة، و زيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتها، و تختال عجايبهم لما بالغوا في تحسينها، و تأنقوا في جودتها، و تنميقها إلى أن حدث الفناء الكبير في سنة تسع و أربعين و سبعمائة، فخلا كثير من هذه المواضع، و بقي كثير أدركناه، فلما كانت الحوادث من سنة ست و ثمانمائة، و قصر جرى النيل في مدّة، و خربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لنك، و تحريقها، و قتل أهلها و ارتفاع أسعار الديار المصرية، و كثرة الغلاء فيها، و طول مدّته، و تلاف النقود المتعامل بها، و فسادها، و كثرة الحروب و الفتن بين أهل الدولة، و خراب الصعيد، و جلاء أهله عنه، و تداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية و الغربية إلى الخراب، و اتضاع أمور ملوك مصر، و سوء حال الرعية، و استيلاء الفقر و الحاجة و المسكنة على الناس، و كثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور، و تتبع أرباب الأموال، و احتجاب ما بأيديهم من المال بالقوّة و القهر و الغلبة، و طرح البضائع مما يتجر فيه السلطان، و أصحابه على التجار و الباعة بأغلى الأثمان إلى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه، و لا تسع الأوراق حكايته، كثر الخراب بالأماكن التي تقدّم ذكرها، و عمّ سائرهما، و صارت كيமானاً، و خرائب موحشة مقلّرة بأويها البوم و الرخم أو مستهدمة واقعة، أو آتلة إلى السقوط و الدثور، سنة الله التي قد خلت في عبادته، و لن تجد لسنة الله تبديلاً.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٢

### ذكر طرف مما قيل في القاهرة و منتزهاتها

قال أبو الحسن عليّ بن رضوان الطيب: ويلي الفسطاط في العظم، و كثرة الناس القاهرة، و هي في شمال الفسطاط، و في شرقيها أيضاً الجبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا، و النيل منها أبعد قليلاً و جميعها مكشوف للهواء، و إن كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك، و ليس ارتفاع الأبنية بها كارتفاع الفسطاط، لكن دونها كثيراً، و أزقتها و شوارعها بالقياس إلى أزقة الفسطاط، و شوارعها أنظف، و أقلّ و سخا، و أبعد عن العفن، و أكثر شرب أهلها من مياه الآبار، و إذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيئاً كثيراً، و قرب مياه آبار القاهرة من وجه الأرض مع سخافتها موجب ضرورة أن تكون يصل إليها بالرشح من عفونة الكتف شيء ما، و بين القاهرة و الفسطاط بطائح تمتلىء من رشح الأرض في أيام فيض النيل، و يصب فيها بعض خرّارات القاهرة، و مياه البطائح هذه رديئة و سخة أرضها، و ما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة، و الفسطاط زائداً في رداءة الهواء بهما، و يطرح في جنوب القاهرة قدر كثير نحو حارة الباطلية، و كذلك يطرح في وسط حارة العبيد إلّا أنه إذا تأملنا حال القاهرة، كانت بالإضافة إلى الفسطاط أعدل و أجود هواء، و أصلح حالاً، لأنّ أكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة و البخار ينحل منها أكثر، و كثير أيضاً من أهل القاهرة يشرب من ماء النيل، و خاصة في أيام دخوله الخليج، و هذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط، و اختلاطه بعفوناتها.

قال: و قد اقتصر أمر الفسطاط و الجزيرة و الجزيرة، فظاهر أن أصح أجزاء المدينة الكبرى: القرافة، ثم القاهرة، و الشرف، و عمل فوق مع الحمراء و الجزيرة، و شمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط، و قربه من الشمال، و أرقى موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق إلى ما يلي النيل، و السواحل، و إلى جانب القاهرة من الشمال الخندق، و هو في غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب، فأما المقس فمجاورته للنيل تجعله أرطب. و قال ابن سعيد في كتاب المغرب في حلى المغرب عن البيهقي: و أما مدينة القاهرة، فهي الحالية الباهرة التي تفنن فيها الفاطميون، و أبدعوا في بنائها، و اتخذوها وطنا لخلافتهم، و مركزا لأرجائها، فنسى الفسطاط، و زهد فيه بعد الاغتباط.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٣

قال: و سميت القاهرة، لأنها تقهر من شدتها، و رام مخالفة أميرها، و قدروا أن منها يملكون الأرض، و يستولون على قهر الأمم، و كانوا يظهرن ذلك، و يتحدثون به.

قال ابن سعيد: هذه المدينة اسمها أعظم منها، و كان ينبغي أن تكون في ترتيبها و مبانيها على خلاف ما عاينته، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيدين، و كان سلطانه، قد عمّ جميع طول المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط، و خطب له في البحرين من جزيرة عند القرامطة، و في مكة و المدينة، و بلاد اليمن، و ما جاورها، و قد علت كلمته، و سارت مسير الشمس في كل بلدة، و هبت الريح في البر و البحر، لا سيما، و قد عاين مبانى أبيه المنصور في مدينة المنصورية التي إلى جانب القيروان، و عاين المهديّة مدينة جدّه عبيد الله المهديّ لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة، و هي ناطقة إلى الآن بألسن الآثار و لله درّ القائل:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فألسن البنيان

إن البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

و اهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة في تلك القصور، و قد عاينت فيها إيوانا يقولون: إنه بنى على قدر إيوان كسرى الذى بالمداين، و كان يجلس فيه خلفاؤهم، و لهم على الخليج الذى بين الفسطاط و القاهرة مبان عظيمة جليّة الآثار، و أبصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات عديد من الكلس و الجبس، ذكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها في كل سنة، و المكان المعروف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطانيّ، لأنّ هناك ساحة متسعة للعسكر، و المتفرّجين ما بين القصرين، و لو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية، و لكن ذلك أمد قليل، ثم تسير منه إلى أمد ضيق، و تمرّ في ممرّ كدر حرج بين الدكاكين إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجال كان ذلك ما تضيق منه الصدور، و تسخن منه العيون، و لقد عاينت يوما وزير الدولة، و بين يديه أمراء الدولة، و هو في موكب جليل، و لقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل حجارة، و قد سدّت جميع الطرق بين يدي الدكاكين، و وقف الوزير و عظم الازدحام، و كان في موضع طباخين و الدخان في وجه الوزير، و على ثيابه، و قد كاد يهلك المشاة، و كدت أهلك في جملتهم.

و أكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب، و الأربال، و المباني عليها من قصب و طين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء و الضوء بينهما، و لم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٤

حالا منها في ذلك، و لقد كنت إذا مشيت فيها بضيق صدرى، و يدركنى وحش عظيم حتى أخرج إلى بين القصرين. و من عيوب القاهرة: أنها في أرض النيل الأعظم، و يموت الإنسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لثلا يصادرها، و يأكل ديارها، و إذا احتاج الإنسان إلى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهاها بين المباني التي خارج السور إلى موضع يعرف: بالمقس، و جوّها لا يبرح كدرا، بما تثيره الأرجل من التراب الأسود، و قد قلت فيها حين أكثر على رفاقي من الحض على العود فيها:

يقولون سافر إلى القاهرة و ما لى بها راحة ظاهره  
 زحام و ضيق و كرب و ماتثير بها أرجل السائره  
 و عند ما يقبل المسافر عليها، يرى سورا أسود كدرا، و جوا مغبرا، فتنقبض نفسه، و يفر أنسه، و أحسن موضع فى ظواهرها للفرجة  
 أرض الطباله، لا سيما أرض القرط و الكتان فقلت:  
 سقى الله أرضا كلما زرت أرضها كساها و حلأها بزيتته القرط  
 تجلت عروسا و المياه عقودها و فى كل قطر من جوانبها قرط  
 و فيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى:  
 ما زالت الأنحال تأخذه حتى غدا كذؤابه النجم  
 و قلت فى نوار الكتان على جانبى هذا الخليج:  
 انظر إلى النهر و الكتان يرمقه من جانبه بأجفان لها حدق  
 رأته سيفا عليه للصبأ شطب فقابلته بأحداق بها أرق  
 و أصبحت فى يد الأرواح تنسجها حتى غدت حلقا من فوقها حلق  
 فقم وزرها و وجه الأفق متضح أو عند صفرته إن كنت تغتبق  
 و أعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لأنها دائرة كالبدر، و المناظره فوقها كالنجوم، و عادة السلطان أن يركب فيها بالليل، و تسرح  
 أصحاب المناظر على قدر همتهم، و قدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب و فيها أقول:  
 انظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت بها المناظر كالأهداب للبصر  
 كأنما هى و الأبصار ترمقها كواكب قد أداروها على القمر  
 و نظرت إليها و قد قابلتها الشمس بالغدو فقلت:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٥ انظر إلى بركة الفيل التى نحرث لها الغزاة نحرا من مطالعها  
 و خل طرفك مجنونا ببهجتها تهيم و جدا و حبا فى بدائعها

و الفسطاط أكثر أرزاقا، و أرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط، فالمرابك التى تصل بالخيرات تحط هناك، و يباع ما  
 يصل فيها بالقرب منها، و ليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة، لأنه بعيد عن المدينة، و القاهرة هى أكثر عمارة، و احتراماً و حشمة من  
 الفسطاط، لأنها أجل مدارس، و أضخم خانات، و أعظم دثارا لسكنى الأمراء فيها لأنها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها،  
 فأمور السلطنة كلها فيها أيسر، و أكثر، و بها الطراز و سائر الأشياء التى تترين بها الرجال و النساء، إلا أن فى هذا الوقت لما اعتنى  
 السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط، و صيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط، و انتقل إليها كثير من الأمراء، و  
 ضخمت أسواقها و بنى فيها للسلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل إليها من القاهرة سوق الأجناد التى يباع فيها الفراء  
 و الجوخ، و ما أشبه ذلك.

و معاملة القاهرة و الفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء، كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصرى، و فى المعاملة بها شدة و خسارة  
 فى البيع و الشراء، و مخاصمه مع الفريقين، و كان بها فى القديم الفلوس، فقطعها الملك الكامل فبقيت إلى الآن مقطوعة منها، و هى  
 فى الإقليم الثالث، و هواءها ردى لا سيما إذا هبّ الميرسى من جهة القبلة، و أيضا رمد العين فيها كثير، و المعاش فيها متعذرة نزره،  
 لا-سيما أصناف الفضلاء و جوامك المدارس قليلة كدره، و أكثر ما يتعيش بها اليهود و النصارى فى كتابة الخراج و الطب، و  
 النصارى بها يمتازون بالزنان فى أوساطهم، و اليهود بعلامه صفراء فى عمائمهم، و يركبون البغال، و يلبسون الملابس الجلييلة، و مآكل  
 أهل القاهرة الدميمس، و الصير، و الصحناء، و البطارخ، و لا تصنع النيدة، و هى حلاوة القمح إلا بها و غيرها من الديار المصرية، و فيها

جوار طبابخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهنّ في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة، و مطابخ السكر، و المطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة، و يصنع فيها من الأنواع المستحسنه، ما يسفر إلى الشام و غيرها، و لها من الشروب الدمياطية و أنواعها، ما اختصت به، و فيها صناعات للقسى كثيرون متقدمون، و لكن قسى دمشق بها يضرب المثل و إليها النهاية، و يسفر من القاهرة إلى الشام ما يكون من أنواع الكمرانات، و خرائط الجلد، و السيور، و ما أشبه ذلك و هي الآن عظيمة أهله يجبى إليها من الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال، و لا ترسيما و عذابا، و لا يطلب برفيق له إذا مات فيقال له: ترك عندك مالا، فربما سجن في شأنه أو ضرب و عصر، و الفقير

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٦

المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز و كثرته، و وجود السماعات، و الفرج في ظواهرها و دواخلها، و قلة الاعتراض عليه، فيما تذهب إليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص في السوق أو تجريد، أو سكر من حشيشة أو غيرها أو صحبة المردان، و ما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب، و سائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للأسطول إلا المغاربة، فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر، فقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم، و من لا يعرف، و هم في القدوم عليها بين حالين إن كان المغربى غنيا طولب بالزكاة، و ضيقت عليه أنفاسه حتى يفرّ منها، و إن كان مجردا فقيرا حمل إلى السجن حتى يجيء وقت الأسطول، و في القاهرة أزاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال، و هذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد، و في اجتماع النرجس و الورد فيها أقول:

من فضل النرجس و هو الذى يرضى بحكم الورد إذ يراس

أما ترى الورد غدا قاعدا و قام فى خدمته النرجس

و أكثر ما فيها من الثمرات و الفواكه: الرمان و الموز و التفاح، و أما الإجاص فقليل غال، و كذلك الخوخ، و فيها الورد و النرجس و النسرين و اللينوفر و البنفسج و الياسمين و الليمون الأخضر و الأصفر، و أما العنب و التين فقليل غال و لكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل، و مع هذا فشرأوه عندهم فى نهاية الغلاء، و عامتها يشربون المزر الأبيض المتخذ من القمح، حتى أن القمح يطلع عندهم سعره بسببه، فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه، و كسر أوانيه، و لا ينكر فيها إظهار أوانى الخمر، و لا آلات الطرب ذوات الأوتار، و لا تبرج النساء العواهر، و لا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب، و قد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة و مصر، و معظم عمارته فيما يلى القاهرة، فرأيت فيه من ذلك العجائب، و ربما وقع فيه قتل بسبب السكر، فيمنع فيه الشرب، و ذلك فى بعض الأحيان، و هو ضيق عليه فى الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب و التهكم، و المخالفة حتى إن المحتشمين و الرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب، و للسرح فى جانبه الليل منظر فتان، و كثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر بالليل، و فى ذلك أقول:

لا تركبن فى خليج مصر إلا إذا أسدل الظلام

فقد علمت الذى عليه من عالم كلهم طعام

صفان للحرب قد أظلاسلاح ما بينهم كلام

يا سيدى لا تسر إليه إلا إذا هوم النيام

و الليل ستر على التصابى عليه من فضله لثام

و السرح قد بددت عليه منها دنانير لا ترام

و هو قد امتدّ و المبانى عليه فى خدمه قيام

لله كم دوحه جنيناهاك أثمارها الآثام

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٧

انتهى. و فيه تحامل كثير. و قال زكى الدين الحسين من رساله كتبها من مصر فى شهر رجب سنه اثنتين و ستين و سبعمائة إلى أخيه، و



هو بدمشق يتشوق إليها، و يذكر ما فيها من المواضع، و المنتزهات، و يذم من مصر بقوله: فكيف يبقى لمن حل في جنه النعيم و رياضها، و يرتع في ميادين المسرات، و غياضها تلفت إلى من سلمته يد الأقدار إلى أرض ليست بذات قرار، و بدلوا بجننتهم ذات البان المتفواح، و الورق المتصادح، و النشر المتقادح، و الماء المطلق المسلسل، و النسيم الصحيح العليل جنتين ذواتي أكل خمط، و أثل و شيء من سدر قليل، و تقصدتهم يد القضاء، فأخذتهم بالبأساء و الضراء، و أوقعتهم بمصر و شمسها، و حميمها و غومها، و حزونها، و وعورها، و حرورها، و زفيرها، و سعيرها، و كيماها، و نيرانها، و سودانها، و فلاحها، و ملاحها، و مشاربها، و مساربها، و مسالكها، و مهالكها، و صحناتها، و عصفورها، و بوربورها، و صقورها، و مخاوف نوروها، و حرارة تموزها، و دارس طولوها، و رائس أسطولها، و تعكر مائها، و تكدر هوائها، فلو تراهم في أرجائها القسوى كالأباعر الهمل، و هم يصطخرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل.

فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق، كأنها تخاطبه: و يا أيها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة، و مروءتك الكريمة، و سيرتك المستقيمة، و صبرك المحافظ، و دينك المراقب الملاحظ بدم من جنيت نعمها، و سكنت حرمها، و قلت مصر و شمسها، و سقت عليها القول من كل جانب، و استعرت لها التكدير حتى في المشارب و المسارب، و هلا ذكرتها، و قد باكرها نيل نيل النعيم، بمغيثه ليل النسيم بكأس من تسنيمه، و طما البحر عليها زاخرا، فأغناها عن بكاء السحاب و تجهيمه، و عم معظم أرضها، و عب عباها في طولها و عرضها، حتى كاد يعلو رفيع قصورها، و يتسور بسورته شامخ سورها، و مع ذا لا- تراه جسورا على ضعف جسورها، و قد طبق التهائم و الأنجاد، و غرق الآكام و الوهاد، و علا أعلى الصعيد و الصعاد، و أعاد البر سلطانة بحرا بالازدياد، فإذا ارتوى أوام أكباد البلاد، و روى السهل و الوعر و الهضاب و الوهاد، و ذهب إملاق الأرض بكل ملقة و خليج، و انجاب عنها فاهتزت و ربت و أنبتت من كلزوج بهيج، بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة، كزمرذة أخضر بلال مرصعة، فكم من غدير مستدير كيدر منير، و دقيق مستطيل كسيف صقيل، و كم من قلب قلاب بماء كجلاب، و كم من عظيم بركة حركها النسيم بلطفه، و طيبها عبير عنبرها، فضمخها بكفه، و زهت بزهو نيلوفرها، فعرفها بعرفه، و كم ترى من ملقة لبقه، عليها عيون النرجس محدقة، كصحن حد عروس منمقة، و النوار

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٨

قد دارت بمدام الندى كؤوسه، و جالت في مراح الأفراح نفوسه، و نجم نجمه و ابتسم عروسه، و سامره الرذاذ المنهل، و باكره الطل، فكلله بلؤلؤه و قلده، و زاره النسيم المعتل فأقامه و أقعده، و نمق أرضه و روضه، فذهبه و فضضه، قد تاهت برياضها الغناء، و زهت بزخرفها و زينتها الحسناء، و امتد بساطها الزمردى، و انبسط مدادها الزبرجدي، فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر، و لا يحيط بمنتهاه خيال و لا خاطر، فله درها من روضة مرن، و كعبه حسن، و مقطعات بماء غير آسن، و حرم بحر لحجاج طيره آمن، آتاها حجيج الطير من كل فج عميق، ملييا داعي حسننها من كل مكان سحيق، قد امتطى ركبها متون الرياح، و علا جثمانها عالم الأرواح، و وصلن الإدلاج بالصباح، و قطعن أجناح الليل بخفاق الجناح، كأنهن الدراري السواري، أو المنشآت الجواري، أو المطايا المهارى:

تواصل من جو حوائض نيله صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء، و تحالفن على النعماء و البلاء، خرجن مهاجرات من الأوطان ألوفا، و قدمن صافات كالمصلين صفوفا، يقدمهن دليل كأنه إمام، قد قتل طرق الآفاق خبرا و استوى لديه الإضواء و الإظلام، أبصر من زرقاء اليمامة، و أظير من الورقاء و الهامة، و أهدى من النجم، و أشد من السهم، يتناجين بلغات أعجميات، سبحات بألحان مطربات، فظفن في حرمها الآمن، و اعتمرن بتلك المحاسن، فتراها عند إقبال نوها، و حومها في جوها، ما تستقيم خطا مستقيما، و إن كانت تصطف صفا عظيما، فمنها ما يستهل هلالا، و منها ما يحكى بنات نعس حالا، و منها ما ينثنى بإدلاله دالا، و منها ما يخط نونا نونا، فيحكى حاجبا مقرونا، و منها ما يكتب زينا، فيعيدها عينا، و منها ما يصور ميم الهجاء، فيشاهد مبسم السماء، و منها ما يأتي زرافات و وحدانا، فيبدع في إعجابه حسنا و

إحسانا، فكم من جبل أوز معلق بالسماء، يخلق إلى ذلك الماء، و أوانس عريسات، أنيسات كيسات و صور صور، كأمثال حور، و طير لغلغ، مكتس بديباج مصبغ، و جليل حبرج، كعلج متوج، و كركي عريض طويل، كبعير كبير جميل، و غرير غرّ، مغرّز متغير، و سبيطر شديد شويطر، و كم ضخّم الدسيعة جوال، ككوهي بالقوة المنيعه صوال، و رخام مرزم كذى إمرة محتشم، و جلاله نسر في الشائع الذائع، و الحاضر الواقع، أبهى من النسر الطائر و الواقع، و عظم عقاب تمّ الحسن بحسنه، و كل الصيد في ضمنه، و كم من خضاري و حرمان، و بلشون و شهرمان، صنون و غير صنون، و كم من بط على شط و خلط، و قطقط منقط، و غرّ و غرنوق، و كرسوغ ممشوق، و نورس مستأنس، و قد امتلأت بهنّ

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢١٩

الآفاق و تكللت بنجومهنّ الأملاق، و شربن من جريالها، فأسكرهنّ الاصطباح و الاغتباق، فكم من مسودّ كخال بخدّ، و أزرق كلا زورد، و أشقر كزهر ورد، أحمر ناصع، و أصفر فاقع، و أبيض ذى خضاب عندي، بلطيف منقار بقمي، و مبرقش و مبقع، و معمم و مقنتع، و أشقر منقش، و أرقش مرشش، و عودي، و هندي، و صيني مسني، و عيين كياقوتتين، قد رصعتا في لجين، و كم من طائر أبهى من قمر سائر بفرق مثل صبح سافر، فتراهنّ في الماء صموتا و قوفا، صفوفا عكوفاً، كصور أصنام، أو حجارة مبدّة في آكام، و كم من أطيّار ظراف، ملاح لطاف، ذوات ألحان، و نضرة و ألوان، و خلق و أخلاق، و نطق و أطواق، و إيناس مع شماس، قد ازدانت الأرض بأصواتها، و اختلاف لغاتها و عجائب صفاتها، فبرزت بأنواع الأعاجيب، و تجلت بأجمل الجلايب، و أبدعت في صور الإحسان، و تصوّرت في بدائع الألوان، فإذا بدت زرقاء في زهر كتانها، مذهبة بأزهار لبسانها، مفضضة بنجوم أقحوانها، خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها، و إذا فاح نشر نوار قرطها، شممت المسك الذكيّ من مرطها، و رأيت لآليء سمطها، مبسوطة على خضر بسطها، و مغالاتها بغالية نور فولها، و هزاتها إذا رفل النسيم في ذيولها، قد رصعت أغصانه بفصوص لجينها، و نقطته من حسنها بسواد عينها، فعينه كعيون غزلانها في فتكها، و أحداقه كأحداق ولدانها من تركها، و كم لها من طرّة معتبرة، و جبهة منورة، و وجنه مزعفرة، و ملاء منشورة معصفرة، و خدّ مورّد، و طرف مهند، و لماها صيغ من عقيق الشقيق، و سكرها من ذلك الريق على التحقيق، و أين بزوغ بشنينها، و امتداد يقطينها، و أين حلاوة عرائس نخلاتها، و طلاوة أوانس قاماتها، بمشابهتها في صفاتها، و غرائس فسيلاتها، و أين نضيد طلعتها، و حميد فرعها، و مديد جذعها، و فرّ جمارها، عن غرّة جمارها، و اخضرار أكمامها، و احمرار لثامها، و بنان بسرها المطرف، و بنان نشرها المشرف، و انتظام سرورها، بابتسام منورها، و ورد واديتها و منحناها، و ندى ندها و تمرحناها، و آسى آسها، و طيب طيب أنفاسها، و تبرّجها بأترجها، و تبهرجها بنارنجها، و تختمها بمختمها، و تبسمها عن بلسمها، و تشقق أبرادها، عن نهود كبادها، و تضاعف أرجها، بمضعف بنفسجها، و جلاله مقدارها، إذا فتحت أزرارها عن جل نارها، و طيب شميمها من أشموها، و نسيمها و وسيمها بأوسيمها، و جان قلوبها، و حرمان قلوبها، و أحواضها، بيهنيها و رياضها، و طربتها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٠

بمطريتها، و نفيس أنسها بمقسها، و غريب غرسها ببلقسها، و عظيم آسها بمحلق مقياسها، و كريم تحيتها من قبل اليمن هبوب أنفاسها، و اجتماع أسعدها، و ارتفاع رصدها، و سواقيها الحنانه في سجعها، الهتانه بسكبها من دمعها، و جنه لوقها، و لجه بولاقتها، و بركه فيلها، من بركه نيلها، و جزيرة ذهبها، و قلعه الجزيرة بذهبها، من عجبها حك فلكها في بحرها، و أحكمت مملكته في برّها، و عظم جلالها بقلعه جبلها، و اتلاء أعلامها، ببناء أهرامها، و إذا نظرت إلى سعود صعودها، إلى سعيد صعيدها، و اغتباطها بانحطاطها، إلى صوب سكندريتها و دمياطها، ألتهك عن حسن الثريا و مناطها، و لا تنس الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام، التي تسبق عند طياب الرياح مفوّقات السهام، و إعجابها بغربانها البحرية، و حراقاتها الحريية، و شوانيتها و حول مبانيها، و جلال شكلها و جمال معانيها، تبدو موشاة بالنضار الأحمر، منقشه باللون الأفخر، فهي كالأرقم المنمر، أو كمتلون الثمر، أو الطاوس الذكر أو النّاس لبنى الأصفر، معمره بيأس الحديد و الأحجار، محموله على سيح الماء التيار، مشحونه بالرجال، منصوره عند القتال، مصونه بالمجنّ و النبال تبرز مذكرة

بالآية النوحية، و تضمن إحرار الهمة العلية الفتحية، حصون أمتع من أعز قلاع، تطير إذا فتح لها جناح القلاع، فتسبق وفد الريح عند الإسراع، و تفوق سرعة السحاب عند الاتساع، فهن مع العقبان فى النيق حوم، و هن مع البنيان فى البحر عوم، لو أقسم من رآها، و لو قال مشاهد معناها، إن الله نفخ فيها الروح فأحياها، لبر فى يمينه التى أقسم و تلاها، و كم من مركب لحسنه معجب، و كم من سفين قوى أمين، و خضارى جليل، و عشارى طويل، و مسمارى طويل جميل و فستراوى، عكاوى، و لكه و درمونه، و معدية مكينه، و سلور دقيق، و شختور رشيق، و قرقور رقيق، و زورق ذى زواريق، و طريده بخيل الطراد معمورة، دهماه بحمل الجياد و الأجناد مشهورة، و مخلوف فى الآفاق بالمعروف معروف، و ما أحلى بنان رطبها المخضب، و رشيق قامه قصبها المقصب، و بهجة فوز ما بطلح موزها، و خضر أعلام أوراقها، و صفر كرام إعلاقها، فلا البلاغة تبلغ من إحصاء فضلها مراما، و لا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيها كلاما، فنسأل الله تعالى أن يكتفها بركنه الذى لا يرام، و يحرسها بعينه التى لا تنام بمنه و كرمه.

و قال الرئيس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى كاتب السر:

لمصر فضل باهر بعيشها الرغد النضر

فى كل سفح يلتقى ماء الحياة و الخضر

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢١

و قال إبراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوق إلى مصر، و قد خرج عنها فى سنة ست و ثمانين و ثلاثمائة من قصيدة:

هل الريح إن سارت مشرقة تسرى تؤدى تحياتى إلى ساكنى مصر

فما خطرت إلّا بكيت صبابه و حملتها ما ضاق عن حملة صدرى

لأنى إذا هبت قبولا بنشرهم شممت نسيم المسك من ذلك النشر

فكم لى بالأهرام أو دير نهية مصايد غزلان المطايد و القفر

إلى جيزة الدنيا و ما قد تضمنت جزيرتها ذات المواخر و الجسر

و بالمقس و البستان للعين منظر أتيق إلى شاطيء الخليج إلى القصر

و فى بئر دوس مستراد و ملعب إلى دير محنا إلى ساحل البحر

فكم بين بستان الأمير و قصره إلى البركة النضراء من زهر نضر

تراها كمرآة بدت فى رفارف من السندس الموشى تنشر للتجر

و كم ليله بالقرافة خلتها لما نلت من لذاتها ليله القدر

و قال أحمد بن رستم بن إسفهلار الديلمى: يخاطب الوزير نجم الدين أبا يوسف بن الحسين المجاور، و توفى فى رابع عشر ذى

الحجة سنة إحدى و عشرين و ستمائة:

حى الديار بشاطئى مقياسها فالمقسم الفياح بين دهاسها

فالروضتين و قد تصوع عرفها أرج البنفسج فى غصارة أسها

فمنازل العين المنيفة أصبحت يغنى سناها عن سنا نبراسها

فخليجها لذاته مطلوبة تسمو محاسنه علا بأناسها

حافاته محفوفة بمنازل نزلت بها الآرام دون كناسها

و قال العلامة جلال الدين محمد الشيرازى المعروف بإمام منكلى بغا:

حيا الحيا مصرا و سكانها و باكر الوسمى كتبناها

و جاد صوب المزن من أرضها معاهد الأنس و أوطانها

معاهد بالأنس معمورة لم أنس مهما عشت إحسانها  
 كم أيقظتني في ذرا دوحها عجماء لا تفقه ألحانها  
 و كم نعيم قد تخيلته فيها و كم غازلت غزلانها  
 و عاينت عيني بها أعيداً منعس المقله و سنانها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٢ تسحر بالتفتير ألحظه كأن من بابل شيطانها  
 و كم شجت قلبي بها غادة قد كحلت بالغنج أجفانها  
 إذا دعت صبا إلى حبهالا يستطيع الصب عصيانها  
 و كم ليال لي بها قد مضت تسحب بالإعجاب أردانها  
 و ألهم نفسي كيف شطت بها حوادث قوُضن بنيانها  
 فارتقتها لا عن قلى صدني عنها فراق الروح جسمانها  
 و اعتضت عن غزلانها و المهانعاج جيرون و ثيرانها  
 يا سائل عن حالتى بعدها أنا ذا أذكر عنوانها  
 ما حال من فارق أصحابه و فارق الدنيا و جيرانها  
 تقلب فوق الجمر أحشاؤه تؤجج الأشواق نيرانها  
 و العين لا تنفك من عبرة ترسل فوق الخد طوفانها  
 يا سائق النوق يبت الثرى كمثل بث السحب تهتانها  
 حى ربا مصر و جناتها و حورها العين و ولدانها  
 و دورها الزهر و ساحاتها و بين قصرها و ميدانها  
 و أرضها المخصب أرجاؤها و نيلها الزاهى و خلجانها  
 و الروضة الفيحاء تلك التي تجلو عن الأنفس أحزانها  
 و منية الشيرج لا تنسها و قرطها الأحرى و كتانها  
 و التاج الخمس وجوه التي أضحت من الأعين إنسانها  
 و حى يا برق وجد بالحياجزيرة الفيل و غيطانها  
 و بانها الغض و نسرورها و ردها البكر و ريحانها  
 و ظلها الضافى و أزهارها و ماءها الصافى و غدرانها  
 و المعهد المأنوس من ربعها و حى أهلها و سكانها  
 لم أنس لا أنسى اصطباحى بها و لا اغتباقتى و إبانها  
 و لا أويقات التصابى و لا تلك الخلاعات و أزمانها  
 أيام لا انفك من صبوة أهوى اللذا ذات و إعلانها  
 أخطر تيتها فى رياض الصبامرئح الأعطاف كسلانها  
 و خيل لهوى فى ميادينها تجرجر الصبوة أرسالها  
 و دوحى ناضرة غضة تعطف ربح اللهو أغصانها  
 حاشاى أن أنقض عهدا لها حاشاى أن أصبح خوآنها

حاشاي أن أهجرها قاليحاشاي أن أحدث سلوانها  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٣ حاشاي أن أرضى بديلا بهاروايبي الشام و قيعانها  
و ماءها الثلج و حصباءها و صخرها الصلد و صوانها  
قد تافت النفس إلى الفهاو حثت الأشواق أظعانها  
و اذكرت في البعد أحبابها فتهيج التبريح أشجانها  
و ما لها غيرك من ملتجيا أوحد الدنيا و إنسانها  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٤

### ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة و وقت خرابها

قال المعارف محيي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحمة المنسوبة إليه قاهرة تعمر في سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و  
تخرب سنة ثمانين و سبعين، و وقفت لها على شرح لم أعرف تصنيف من هو، فإنه لم يسم في النسخة التي وقفت عليها، و هو شرح  
لطيف قليل الفائدة، فإنه ترك كلام المصنف فيما مضى على ما هو معروف في كتب التاريخ، و لم يبين مراده، فيما يستقبل، و كانت  
الحاجة ماسة إلى معرفة ما يستقبل أكثر من المعرفة بحال ما مضى، لكن أخبرني غير واحد من الثقات، أنه وقف لهذه الملحمة على  
شرح كبير في مجلدين، قال هذا الشارح: كانت بداية عمارة القاهرة و النيران في شرفهما: الشمس في برج الحمل، و القمر في برج  
الثور، و هو برج ثابت. قال: فعمر القاهرة، و مدتها أربعمائة، و إحدى و ستون سنة، قال في الأصل: و إذا نزل زحل برج الجوزاء عزت  
الأقوات بمصر، و قل أغنياؤهم، و كثر فقراءهم و يكون الموت فيهم و يخرج أهل برقة عن أوطانهم، لا سيما إذا قارن زحل الجوزهر،  
فإن الحال يكون أشد و أقوى.

قال الشارح: كان ذلك في سنة أربع و ستين و ستمائة في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، فإنه نزل زحل برج الجوزاء، فوقع  
الغلاء، و في آخر سنة أربع، و أول سنة خمس و تسعين و ستمائة، في أيام الملك العادل: كتبغا حل زحل في برج الجوزاء، و كان  
معه الجوزهر، فكانت أشد و أقوى و كثر الغلاء و الوباء.

قال: سئل المعز عن الترك ما هم؟ فقال: قوم مسلمون يأمرن بالمعروف، و ينهون عن المنكر، و يقيمون الحدود و الواجبات، و  
يقاتلون في سبيل الله أعداء الله، فقيل له:

أ تطول مدتهم؟ قال: لا- تطول مدتهم، قيل: فكيف يكون زوالهم؟ قال: يكون هكذا، و كان إلى جانبه طبق كيزان، فحرّكه حركة  
شديدة، فتكسرت الكيزان، فقال: هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا، قال:

احذر بنّي من القران العاشرو ارحل بأهلك قبل نقر الناقر

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٥

قال الشارح: أول القران العاشر في سنة خمس و ثمانين و سبعمائة، و فيه تكون حالات رديئة بأرض مصر، و هذا يوافق ما في القول  
عن القاهرة، و تخرب في سنة خمس و ثمانين و سبعمائة، يعني بداية انحطاطها من سنة خمس و ثمانين و سبعمائة التي فيها القران  
العاشر، و ثبت في عشرين سنة التي هي أيام القران، و قد ذكر في الربع الآخر أربعمائة، و إحدى و ستين سنة، و قد تخيلت أنها مدة  
عمر القاهرة، فإذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة و تسع عشرة سنة، و في ذلك الوقت يكون زوالها، و هو ما بين سنة  
ثمانين، و سبعمائة إلى سنة تسع عشرة و ثمانمائة، و يكون ذلك سببه قحط عظيم، و قلّه خير، و كثرة شرّ حتى تتخرب و يضعف أهلها.  
قال: قران زحل و المريخ في برج الجدى يكون في سنة سبعين و سبعمائة، فتعد لكل مائة سنة من سني الهجرة ثلاث سنين، فيكون  
ثلاثا و عشرين سنة تزيدها على سبعمائة و سبعين سنة تبلغ سبعمائة، و ثلاثا و تسعين سنة، ففي مثلها من سني الهجرة يكون أول أوقات

خراب القاهرة، انتهى.

و تهذيب هذا القول: أن زحل كلما حلّ برج الجوزاء، اتضعت أحوال مصر، و قلت أموالهم، و كثر الغلاء و الفناء عندهم، بحسب الأوضاع الفلكية، و زحل يحلّ في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية، فيقيم فيه نحواً من ثلاثين شهراً، و أنت إذا اعتبرت أمور العالم وجدت الحال كما ذكرنا، فإنه كلما حلّ زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر، و ذكر أن القرن العاشر تنضع فيه أحوال القاهرة، و رأينا الأمر كما ذكرنا، فإن القرن العاشر كان في سنة ست و ثمانين و سبعمائة، و مدّة سنيته عشرون سنة شمسية، آخرها سابع عشر رجب سنة سبع و ثمانمائة، و في هذه المدّة اتضع حال القاهرة و أهلها، اتضاعا قبيحا، و من الأوقات المحذورة لها أيضا اقتران زحل و المريخ في برج السرطان، و يكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية، و يقترنان في سنة ثمان عشرة و ثمانمائة، و في مدّته تنقضي الأربعمائة و الإحدى و الستون سنة التي ذكر أنها عمر القاهرة في سنة تسع عشرة و ثمانمائة، و شواهد الحال اليوم تصدّق ذلك لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر و الفاقة، و قلّة المال و خراب الضياع و القرى، و تداعى الدور للسقوط، و شمول الخراب أكثر معمور القاهرة، و اختلاف أهل الدولة، و قرب انقضاء مدّتهم و غلاء سائر الأسعار.

و لقد سمعت عن يرجع إليه في مثل ذلك: أن العمارة تنتقل من القاهرة إلى بركة الحبش، فيصير هناك مدينه، و الله تعالى أعلم.  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٦

### ذكر مسالك القاهرة و شوارعها على ما هي عليه الآن

و قبل أن نذكر خطط القاهرة، فلنبتدىء بذكر شوارعها، و مسالكها: المسلوكة منها إلى الأزقة، و الحارات لتعرف بها الحارات و الخطط و الأزقة و الدروب، و غير ذلك مما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

فالشارع الأعظم: قصبة القاهرة من باب زويلة إلى بين القصرين، عليه باب الخرنفش أو الخرنشف، و من باب الخرنفش ينفرد من هنالك طريقان ذات اليمين، و يسلك منها إلى الركن المخلوق، و رجة باب العيد إلى باب النصر، و ذات اليسار، و يسلك منها إلى الجامع الأحمر، و إلى حارة برجوان إلى باب الفتوح، فإذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة، فإنه يجد يمنة الزقاق الضيق الذي يعرف اليوم: بسوق الخلعين، و كان قديما يعرف:

بالخشابين، و يسلك من هذا الزقاق إلى حارة الباطلية، و خوخة حارة الروم البرانية، ثم يسلك الداخل أمامه، فيجد على يسرته سجن متولى القاهرة المعروف: بخزانة شمائل، و قيسارية سنقر الأشقر، و درب الصفيرة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينته: حمام الفاضل المعدّة لدخول الرجال، و على يسرته تجاه هذه الحمام: قيسارية الأمير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصري إلى أن ينتهي بين الحوانيت، و الرباع فوقها إلى بابي زويلة الأول، و لم يبق منهما سوى عقد أحدهما، و يعرف الآن: بباب القوس، ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوكة فيه إلى سوق الحدادين، و الحجارين المعروف اليوم بسوق الأنماطين، و سكن الملاهي، و إلى المحمودية، و إلى سوق الأخفافين، و حارة الجودرية و الصوّافين، و القصارين و الفحامين و غير ذلك، و يجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما، ببن البناء و تسميه العامّة الآن: بسام بن نوح، و هو في وسط سوق الغرابيين و المناخليين، و من معهم من الضبيبين، ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجين، و يعرف اليوم: بالشوّابين، و في هذا السوق على يمينه: الجامع الظافري المعروف بجامع الفكاهين، و بجانبه الزقاق المسلوكة منه إلى حارة الديلم، و سوق القفاصين، و سوق الطيورين، و الأكفانيين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاقي الثياب، و يجد على يسرته الزقاق المسلوكة منه إلى حارة الجودرية، و درب كركامة، و دكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين و سوق الورّاقين القديمة، و إلى سوق الفامين المعروف اليوم: بالأبازرة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٧

و إلى غير ذلك، ثم يسلك أمامه إلى سوق الحلاويين الآن، فيجد عن يمينه الزقاق المسلوكة فيه إلى سوق الكعكيين المعروف قديما



بالقطنيين، و سكنى الأساكفة، و إلى بابى قيسارية جهاركس، و عن يسرته: قيسارية الشرب، ثم يسلك أمامه إلى سوق الشرايشيين المعروف قديما يسكن الحالقين، و عن يمينته درب قيطون، ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق الشرايشيين، فيجد عن يمينته قيسارية أمير على، و يجد عن يسرته سوق الجملون الكبير المسلوك فيه إلى قيسارية ابن قريش، و إلى سوق العطارين و الوراقين، و إلى سوق الكفتيين، و الصيارف، و الأخفافين، و إلى بئر زويلة و البندقانيين، و إلى غير ذلك، ثم يسلك أمامه، فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الفزّيين الآن، و كان يعرف أوّلا بدرب البيضاء، و إلى درب الأسوانى، و إلى الجامع الأزهر، و غير ذلك، و يجد عن يسرته قيسارية بنى أسامة، ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق الجوخيين و اللجميين، فيجد عن يمينه قيسارية السروج، و عن يسرته قيسارية ثم يسلك أمامه إلى سوق السقطيين و المهامزين، فيجد عن يمينه درب الشمسى، و يقابله باب قيسارية الأمير علم الدين الخياط، و تعرف اليوم: بيسارية العصفري، ثم يسلك أمامه شاقا فى السوق المذكور، فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق القشاشيين، و عقبه الصباغين المعروف اليوم بالخراطين، و إلى سوق الخيمين، و إلى الجامع الأزهر، و غير ذلك و يجد قبالة هذا الزقاق عن يسرته قيسارية العنبر المعروفة قديما بحبس المعونة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الوراقين، و سوق الحريريين الشراريين المعروف قديما بسوق الصاغة القديمة، و إلى درب شمس الدولة، و إلى سوق الحريريين، و إلى بئر زويلة و البندقانيين، و إلى سويقة الصاحب، و الحارة الوزيرية، و إلى باب سعادة و غير ذلك، ثم يسلك أمامه شاقا فى بعض سوق الحريريين، و سوق المتعشين، و كان قديما سكنى الدجاجين و الكعكيين، و قبل ذلك أوّلا سكنى السيوفيين، فيجد عن يمينه قيسارية الصناديقين، و كانت قديما تعرف بفندق الدبابليين، و يجد عن يسرته مقابله، دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفيه، ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية، لأنها كانت فى سوق السيوفيين، ثم يسلك أمامه فى سوق السيوفيين الذى هو الآن سوق المتعشين، فيجد عن يمينه خان مسرور، و حجرتى الرقيق، و كدة المماليك بينهما، و لم تزل موضعا لجلوس من يعرض من المماليك الترك و الروم، و نحوهم للبيع إلى أوائل أيام الملك الظاهر برقوق، ثم بطل ذلك، و يجد عن يسرته قيسارية الرماحين، و خان الحجر، و يعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة، ثم يسلك أمامه، فيجد عن يسرته الزقاق و الساباط المسلوك فيه إلى حمام خشبية، و درب شمس الدولة، و إلى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام، و إلى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٨

حارة زويلة و غير ذلك، و يجد بعد هذا الزقاق قريبا منه فى صفة درب السلسلة، و من هنا ابتداء خط بين القصرين، و كان قديما فى أيام الدولة الفاطمية مراحا واسعا ليس فيه عمارة البتة، يقف فيه عشرة آلاف فارس، و القصران هما موضع سكنى الخليفة أحدهما شرقى، و هو القصر الكبير، و كان على يمينه السالك من موضع خان مسرور طالبا باب النصر و باب الفتوح، و موضعه الآن المدارس الصالحيّة النجمية، و المدرسة الصاهرية الركنية، و ما فى صفها من الحوانيت، و الرباع إلى رحبة العيد، و ما وراء ذلك إلى البرقية، و يقابل هذا القصر الشرقى القصر الغربى، و هو القصر الصغير، و مكانه الآن المارستان المنصورى، و ما فى صفه من المدارس الحوانيت، إلى تجاه باب الجامع الأقمر، فإذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور، فإنه يجد على يسرته درب السلسلة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الأمشاطيين المقابل لمدرسة الصالحيّة التى للحنفية و الحنابلة، و إلى الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلوك فيه إلى خط الزراكشة العتيق حيث خان الخليلي، و خان منج، و إلى الخوخ السبع حيث الآن سوق الأبارين، و إلى الجامع الأزهر، و إلى المشهد الحسينى و غير ذلك، ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق السيوفيين الآن، فيجد على يساره دكاكين السيوفيين، و على يمينه دكاكين النقليين ظاهر سوق الكتبيين الآن، و على يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة، و كان قديما مطبخ القصر قبالة باب الزهومة، ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحيّة تجاه باب الصاغة، ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة الصالحيّة، و بجوارها المدرسة الطاهرية الركنية، و يجد على يساره باب المارستان المنصورى، و فى داخله القبة المنصورية التى فيها قبور الملوك، و تحت شبابيكها دكك الففصيات التى فيها الخواتيم و

نحوها، فيما بين القبة المذكورة، و المدرسة الظاهرية المذكورة، و في داخله أيضا المدرسة المنصورية، و تحت شبابيكها أيضا، دكك القفصيات فيما بين شبابيكها، و شبابيك المدرسة الصالحية التي للشافعية و المالكية، و تحتها خيمة الغلمان بجوار قبة الصالح، و في داخله أيضا المارستان الكبير المنصوري المتوصل من باب سزه إلى حارة زويلة، و إلى الخرنشف، و إلى الكافوري و إلى البندقانيين، و غير ذلك، ثم يسلك باب المارستان، فيجد على يمينه سوق السلاح و النشابين الآن تحت الربع المعروف: بوقف أمير سعيد، و يجد على يسره المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه: خان بشتاك، و فوقه الربع و عرف الآن هذا الخان: بالمستخرج، و يجد على يسره: المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية، و كانت قبل إنشائها مدرسة فندقا يعرف: بخان الزكاة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه، باب قصر بشتاك، و يجد على يسره المدرسة الكاملة المعروفة:

بدار الحديث، و هي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه الزقاق المسلوک في بيت أمير سلاح المعروف بقصر أمير سلاح، و هو الأمير فخر الدين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٩

بكتاش الفخرى الصالحى النجمى، و إلى دار الأمير سلالر نائب السلطنة، و إلى دار الطواشى سابق الدين، و مدرسته التي يقال لها المدرسة السابقة، و كان في داخل هذا الزقاق مكان يتوصل إليه من تحت قبو المدرسة السابقة يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها اليوم دارا واحدة إنشاء الأمير جمال الدين الإستاذار، و كان تجاه باب المدرسة السابقة ربع تحته فرن، و من ورائه عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة، فهدم الأمير جمال الدين المذكور الربع، و ما وراءه، و حفر فيه صهريجاً و أنشأ به عدة آدر هي الآن جارية في أوقافه.

و كان يسلك من باب السابقة على باب الربع، و الفرن المذكورين إلى دهليز طويل مظلم ينتهى إلى باب القصر، تجاه سور سعيد السعداء، و منه يخرج السالك إلى رحبة باب العيد، و إلى الركن المخلق، فهدمه الأمير جمال الدين، و جعل مكانه قيسارية، و ركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام البيسرى، دربا في داخله دروب ليصون أمواله، و انقطع التطرق من هذا الزقاق، و صار دربا غير نافذ، و يجد السالك عن يسره قبالة هذا الزقاق، و صار دربا مدربا باب قصر البيسرية، و قد بنى في وجهه حوائت بجانبها حمام البيسرى، و من هنا ينقسم شارع القاهرة المذكورة إلى طريقتين: إحداهما ذات اليمين، و الأخرى ذات اليسار، فأما ذات اليسار، فإنها تتمم القصبه المذكورة، فإذا مر السالك من باب حمام الأمير بيسرى، فإنه يجد على يسره باب الخرنشف المسلوک في باب سر البيسرية، و إلى باب حارة برجوان، الذى يقال له: أبو تراب، و إلى الخرنشف، و اصطلب القطيئة، و إلى الكافوري، و إلى حارة زويلة، و إلى البندقانيين، و غير ذلك، ثم يسلك أمامه فيجد سوقا يعرف أخيرا بالوزارزين و الدجاجين يباع فيه الأوز، و الدجاج و العصافير، و غير ذلك من الطيور، و أدركناه عامرا سوقا كبيرا من جملته دكان لا يباع فيها غير العصافير، فيشتريها الصغار للعب بها.

و في هذا السوق على يمينه السالك: قيسارية يعلوها ربع كانت مدّة سوقا يباع فيه الكتب، ثم صارت لعمل الجلود، و كانت من جملة أوقاف المارستان المنصوري، فهدمها بعض من كان يتحدّث في نظره عن الأمير أيتمش في سنة إحدى و ثمانمائة، و عمرها على ما هي عليه الآن، و على يسرة السالك في هذا السوق ربع يجرى في وقف المدرسة الكاملة، و كان هذا السوق يعرف قديما بالتبانين و القماحين، ثم يمر سالكا أمامه، فيجد سوق الشماعين متصلا بسوق الدجاجين، و كان سوقا كبيرا فيه صنفان عن اليمين و الشمال من حوائت باعة الشمع أدركته عامرا، و قد بقى منه الآن يسير، و فى آخر هذا السوق على يمينه السالك: الجامع الأقمر، و كان موضعه قديما سوق القماحين، و قبالة درب الخضرى،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٠

و بجانب الجامع الأقمر من شرقيه الزقاق الذى يعرف بالمحاييرين و يسلك فيه إلى الركن المخلق و غيره، و قبالة هذا الزقاق بئر

الدلاء، ثم يسلك المارّ أمامه، فيجد على يمينه زقاقا ضيقا، ينتهي إلى دور و مدرسة تعرف بالشرابشية، يتوصل من باب سرّها إلى الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، ثم يسلك أمامه في سوق المتعيشين، فيجد على يسرته باب حارة برجوان، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين، و قد أدركته سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شيء مما يحتاج إليه من المأكولات، و غيرها بحيث إذا طلب منه شيء من ذلك في ليل أو نهار وجد.

و قد خرب الآن، و لم يبق منه إلا اليسير، و كان هذا السوق قديما يعرف بسوق أمير الجيوش، و بآخره خان الرواسين، و هو زقاق على يمينه السالك غير نافذ، و يقابل هذا الزقاق على يسرة السالك إلى باب الفتوح شارع يسلك فيه إلى سوق يعرف اليوم بسوقه أمير الجيوش، و كان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين، و يسلك من هذا السوق إلى باب القنطرة في شارع معمور بالحوانيت من جانبه، و يعلوها الرباع، و فيما بين الحوانيت دروب ذات مساكن كثيرة، ثم يسلك أمامه من رأس سوقه أمير الجيوش، فيجد على يمينه الجمولون الصغير المعروف بجمولون ابن صيرم، و كان مسكنا للبزازين فيه عدّة حوانيت عامرة بأصناف الثياب أدركتها عامرة، و فيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية، و في آخره باب زيادة الجامع الحاكمي، و كان على بابها عدّة حوانيت تعمل فيها الضرب التي برسم الأبواب، و يخرج من هذا الجمولون إلى طريقين: إحداهما يسلك فيها إلى درب الفرنجية، و إلى دار الوكالة و شارع باب النصر، و الأخرى إلى درب الرشيدى النافذ إلى درب الجوانية، ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه شباك المدرسة الصيرمية، و يقابله باب قيسارية خوانداردكين الأشرفية، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المرحلين، و كان صفيين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج إليه في ترحيل الجمال، و قد خرب و بقي منه قليل، و في هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الوراقه، و فيه أحد أبواب قيسارية خوند المذكورة، و عدّة مساكن و كان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية، ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه أحد أبواب الجامع الحاكمي و ميضأته، و يجد باب الفتوح القديم، و لم يبق منه سوى عقدته، و شيء من عضادته، و بجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه إلى حارة بهاء الدين، و باب القنطرة، ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين، فيجد على يمينه بابا آخر من أبواب الجامع الحاكمي، ثم يسلك أمامه، فيجد عن يسرته زقاقا بسايطا ينفذ إلى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن، ثم يسلك أمامه، فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير، و يجد عن يساره فندق العادل، و يشق في سوق عظيم إلى باب الفتوح، و هو آخر قصبه القاهرة، و أما ذات اليمين من شارع بين القصرين، فإن المارّ إذا سلك من الدرب الذي يقابل حمام اليبسرى طالبا الركن المخلق، فإنه يشق في سوق القصاصين، و سوق الحصريين إلى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣١

الركن المخلق، و يباع فيه الآن النعال، و به حوض في ظهر الجامع الأقرم لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي، و يقابله مسجد يعرف بمراكم موسى، و ينتهي هذا السوق إلى طريقين: إحداهما إلى بئر العظام التي تسميها العامة: بئر العظمة، و منها ينقل الماء إلى الجامع الأقرم و الحوض المذكور بالركن المخلق، و يسلك منه إلى المحايريين و الطريق الأخرى تنتهي إلى الدنق المعروف بقيسارية الجلود، و يعلوها ربع أنشأت ذلك خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان بن حسين، و بجوار هذه القيسارية بؤابة عظيمة، قد سترت بحوانيت يتوصل منها إلى ساحة عظيمة هي من حقوق المنحر كانت خوند المذكورة، قد شرعت في عمارتها قصرا لها، فماتت دون إكمالها، ثم يسلك أمامه فيجد الرباع التي تعلق الحوانيت، و القيسارية المستجدة في مكان باب القصر الذي كان ينتهي إلى مدرسة سابق الدين، و بين القصرين، و كان أحد أبواب القصر، و يعرف بباب الريح، و هذه الرباع و القيسارية من جملة إنشاء الأمير جمال الدين الإستادار، و كانت قبله حوانيت و رباعا، فهدمها و أنشأها على ما هي عليه اليوم، ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه مدرسة الأمير جمال الدين المذكور، و كان موضعها خاننا، و ظاهره حوانيت، فبنى مكانها مدرسة و حوضا للسيل، و غير ذلك، و يقال لهذه الأماكن رحبة باب العيد، و يسلك منها إلى طريقين:

إحداهما ذات اليمين، و الأخرى ذات اليسار، فأما ذات اليمين فإنها تنتهي إلى المدرسة الحجازية، و إلى درب قراصيا، و إلى حبس

الرحبة، و إلى درب السلامي المسلوک منه إلى باب العيد الذي تسميه العامة بالقاهرة، و إلى المارستان العتيق، و إلى قصر الشوك، و دار الضرب، و إلى باب سرّ المدارس الصالحية، و إلى خزائن البنود، و يسلك من رأس درب السلامي هذا في رحبة باب العيد إلى السفينة، و خط خزائن البنود، و رحبة الأيد مرّي، و المشهد الحسيني، و درب الملوخيا، و الجامع الأزهر، و الحارة الصالحية، و الحارة البرقية إلى باب البرقية، و الباب المحروق، و الباب الجديد. و أما ذات اليسار من رحبة باب العيد، فإنّ المارّ يسلك من باب مدرسة الأمير جمال الدين إلى باب زاوية الخدام إلى باب الخانقاه المعروفة بدار سعيد السعداء، فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه إلى خرائب تتر، و إلى خط الفهادين، و إلى درب ملوخيا، و غير ذلك. ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية، و خانقاه ركن الدين بيبرس، و هما من جملة دار الوزارة، و ما جاور الخانقاه إلى باب الجوانية، و تجاه خانقاه بيبرس الدرب الأصفر، و هو المنحر الذي كانت الخلفاء تنحر فيه الأضحى، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه دار الأمير قزمان بجوار خانقاه بيبرس، و بجوارهما دار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزير، و قد عرفت الآن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٢

بدار خوند طولوباي زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، و بجوارها حمام الأعسر المذكور، و جميع هذا من دار الوزارة، و يجد على يسرته: درب الرشيدى تجاه حمام الأعسر المسلوک فيه إلى درب الفرنجية و جملون بن صيرم، ثم يسلك أمامه، فيجد على يمينه الشارع المسلوک فيه إلى الجوانية، و إلى خط الفهادين، و إلى درب ملوخيا، و إلى العطوفية، و قد خربت هذه الأماكن و يجد على يسرته الوكالة المستجدة من إنشاء الملك الظاهر برقوق، ثم يسلك أمامه، فيجد على يسرته زقاقا يسلك فيه إلى جملون ابن صيرم، و إلى درب الفرنجية، ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه: دار الأمير شهاب الدين أحمد، ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون، و دار الأمير علم الدين سنجر الجاولي، و هما من حقوق الحجرات كانت بها مماليك الخلفاء، و أجنادهم، و يجد على يسرته: وكالة الأمير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة، فيجد مقابل باب قاعة الجاولي: خان الجاولي، و بعدها باب النصر القديم، و أدركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة الفاصدية الغربي، و قد زال و يسلك منه إلى رحبة الجامع الحاكمي، فيجد على يمينه المدرسة القاصدية، و على يسرته بابي الجامع الحاكمي، و تجاه أحدهما الشارع المسلوک فيه إلى حارة العبدانية، و حارة العطوفية، و غير ذلك، و من باب الجامع الحاكمي ينتهي إلى باب النصر، فيما بين حوانيت و رباع و دور، فهذه صفة القاهرة الآن، و ستقف إن شاء الله تعالى على كيفية ابتداء موضع هذه الأماكن، و ما صارت إليه، و ذكر التعريف بمن نسبت إليه أو عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ، و مجامع الفضلاء، و وقفت عليه بخطوط الثقات، و أخبرني بذلك من أدركته من المشيخة، و ما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط في القول بين الإكتثار و الاختصار، و الله الموفق بمنه و كرمه لا إله غيره.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٣

## ذكر سور القاهرة

اعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرّات: الأولى: وضعه القائد جوهر، و المرّة الثانية: وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر، و المرّة الثالثة:

بناه الأمير الخصي بهاء الدين قراقوش الأسدي في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة.

السور الأول: كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو و عساكره حيث القاهرة الآن، فأداره على القصر و الجامع، و ذلك أنه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس، من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة بعساكره، و قصد إلى مناخه الذي رسمه له مولاة الإمام المعز لدين الله أبو تميم معدّ، و استقرّت به الدار اختط القصر، و أصبح المصريون يهنونه، فوجدوه قد حفر الأساس في الليل، فأدار السور اللبن، و سماها المنصورية إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر، و

نزل بها فسموها: القاهرة.

و يقال في سبب تسميتها: إن القائد جوهرًا لما أراد بناءها أحضر المنجمين، و عرّفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقوم بها الجند، و أمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبداً، فاختاروا طالعا لوضع الأساس، و طالعا لحفر السور، و جعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، و قالوا للعمال: إذا تحركت الأجراس، فارموا ما بأيديكم من الطين و الحجارة، فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال التي فيها الأجراس، فتحركت كلها، فظن العمال أن المنجمين قد حرّكوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين و الحجارة، و بنوا فصاح المنجمون: القاهرة في الطالع فمضى ذلك، و فاتهم ما قصدوه.

و يقال: إن المرّيب كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس، و هو قاهر الفلك، فسموها: القاهرة، و اقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر، و أدخل في دائر هذه السور بثر العظام، و جعل القاهرة حارات للواصلين صحبتها، و صحبة مولاه المعز، و عمّر القصر بترتيب ألقاه إليه المعز.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٤

و يقال: إن المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها، و قال الجوهر: لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل، كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة، و رتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم الأعين في النقلة من مكان إلى مكان، و جعل في ساحاته البحرة و الميدان، و البستان و تقدّم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة، و قد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً، و آخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية، و درب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث و ثمانمائة، فشهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا، حتى أن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع، و عرض جدار السور: عدّة أذرع يسع أن يمر به فارسان، و كان بعيداً عن السور الحجر الموجود الآن، و بينهما نحو الخمسين ذراعاً، و ما أحسب أنه بقي الآن من هذا السور اللبن شيء.

و جوهر هذا: مملوك روميّ رباه المعز لدين الله أبو تميم معدّ، و كناه بأبي الحسن، و عظم محله عنده في سنة سبع و أربعين و ثلثمائة، و صار في رتبة الوزارة، فصيره قائد جيوشه و بعثه في صفر منها، و معه عساكر كثيرة فيهم الأمير: زيري بن مناد الصنهاجي و غيره من الأكابر، فسار إلى تاهرت و أوقع بعدّة أقوام، و افتتح مدنا و سار إلى فاس، فنازلها مدّة، و لم ينل منها شيئاً، فرحل عنها إلى سجلماسة، و حارب ثائراً، فأسره بها، و انتهى في مسيره إلى البحر المحيط، و اصطاد منه سمكاً، و بعثه في قله ماء إلى مولاه المعز، و أعلمه أنه قد استولى على ما مرّ به من المدائن و الأمم، حتى انتهى إلى البحر المحيط، ثم عاد إلى فاس، فألح عليه بالقتال إلى أن أخذها عنوة، و أسر صاحبها، و حمله هو و الثائر بسجلماسة في قفصين، مع هدية إلى المعز، و عاد في أخريات السنة، و قد عظم شأنه و بعد صيته، ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لأخذ مصر، و تهيأ أمرها، فقدّم عليها القائد جوهرًا، و برز إلى رمادة، و معه ما ينيف على مائة ألف فارس، و بين يديه أكثر من ألف صندوق من المال، و كان المعز يخرج إليه في كل يوم و يخلو به، و أطلق يده في بيوت أمواله، فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه، و خرج إليه يوماً، فقام جوهر بين يديه، و قد اجتمع الجيش، فالتفت المعز إلى المشايخ الذين وجههم مع جوهر، و قال: و الله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، و لتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، و لتزلن في خرابات ابن طولون، و تبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا، و أمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الأرحية، و حملها مع جوهر على الجمال ظاهرة، و أمر أولاده و إخوانه الأمراء، و وليّ العهد، و سائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته، و هو راكب و كتب إلى سائر عماله يأمرهم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٥

إذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته، فلما قدم بركة افتدى صاحبها من ترجمه و مشيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهباً،



فأبى جوهر إلّا أن يمشى فى ركابه، و ردّ المال فمشى، و لما رحل من القيروان إلى مصر فى يوم السبت رابع عشر ربيع الأوّل سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة أنشد محمد بن هانىء، فى ذلك:

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع و قد راغنى يوم من الحشر أروع  
غداة كأن الأفق سدّ بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع  
فلم أدر إذ و دعت كيف أودع و لم أدر إذا شئت كيف أشيع  
إلا أن هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن و لا بات يهجع  
إذا حلّ فى أرض بناها مدائناو إن سار عن أرض غدت و هى بلقع  
تحلّ بيوت المال حيث محله و جمّ العطايا و الرواق المرفع  
و كبرت الفرسان لله إذ بداو ظل السلاح المنتضى يتقعقع  
و عب عباب الموكب الفخم حوله ورق كما رق الصباح الملمع  
رحلت إلى الفسطاط أوّل رحلة بأيمن فأل بالذى أنت تجمع  
فإن يك فى مصر ظماء لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع  
و يممهم من لا يغار بنعمة فيسلبهم لكن يزيد فيوسع  
و لما دخل إلى مصر و اختط القاهرة، و كتب بالبشارة إلى المعز قال ابن هانىء:

تقول بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الأمر  
و قد جاوز الإسكندرية جوهر تصاحبه البشرى و يقدمه النصر

و لم يزل معظما مطاوعا، و له حكم ما فتح من بلاد الشام، حتى ورد المعز من المغرب إلى القاهرة، و كان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجّل من جوهر، فلما قدم معه إلى مصر سيره جوهر إلى بلاد الشام فى العساكر، فأخذ الرملة، و غلب الحسن بن عبد الله بن طفيح، و سار فملك طبرية و دمشق.

فلما صارت الشام له شمخت نفسه عن مكاتبه جوهر، فأنفذ كتبه من دمشق إلى المعز، و هو بالمغرب سرّا من جوهر يذكر فيها طاعته، و يقع فى جوهر، و يصف ما فتح الله للمعز على يده، فغضب المعز لذلك، و ردّ كتبه كما هى مختومة، و كتب إليه: قد أخطأت المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٦

الرأى لنفسك، نحن قد أنفذناك مع قائدنا جوهر، فاكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه، و لا تتجاوز به بعد، فلنا نفع لك ذلك على الوجه الذى أردته، و إن كنت أهله عندنا، و لكننا لا نستفسد جوهرنا مع طاعته لنا، فزاد غضب جعفر بن فلاح، و انكشف ذلك لجوهر، فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفا أن لا ينجده بعسكر، و أقام مكانه لا يكاتب جوهر بشىء من أمره إلى أن قدم عليه الحسن بن أحمد القرمطى، و كان من أمره ما قد ذكر فى موضعه.

و لما مات المعز و استخلف من بعده ابنه العزيز، و ورد إلى دمشق: هفتكين الشرابى من بغداد، ندب العزيز بالله جوهر القائد إلى الشام، فخرج إليها بخزائن السلاح، و الأموال و العساكر العظيمة، فنزل على دمشق لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمس و ستين و ثلثمائة، فأقام عليها، و هو يحارب أهلها إلى أن قدم الحسن بن أحمد القرمطى من الإحساء إلى الشام، فرحل جوهر فى ثالث جمادى الأولى سنة ست و ستين، فنزل على الرملة و القرمطى فى إثره فهلك، و قام من بعده جعفر القرمطى، فحارب جوهر، و اشتد الأمر على جوهر، و سار إلى عسقلان، و حصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما، فصالح هفتكين، و خرج من عسقلان إلى مصر بعد أن أقام بها، و بظاهر الرملة نحو من سبعة عشر شهرا، فقدم على العزيز، و هو يريد الخروج إلى الشام.

فلما ظفر العزيز بهفتكين، و اصطنعه فى سنة ثمانين و ثلثمائة، و اصطنع منجوتكين التركى أيضا، أخرجه رابعا من القصر وحده فى



سنة إحدى وثمانين، و القائد جوهر و ابن عمار، و من دونهما من أهل الدولة مشاة في ركابه، و كانت يد جوهر في يد ابن عمار، فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها، و قال: لا حول و لا قو إلا بالله، فنزع جوهر يده منه، و قال: قد كنت عندى يا أبا محمد أثبت من هذا، فظهر منك إنكار في هذا المقام، لأحدثتك حديثا عسى يسليك عما أنت فيه، و الله ما وقف على هذا الحديث أحد غيرى.

لما خرجت إلى مصر و أنفذت إلى مولانا المعز من أسرته، ثم حصل في يدي آخرون اعتقلتهم، و هم نيف على ثلاثمائة أسير من مذكورهم و المعروفين فيهم، فلما ورد مولانا المعز إلى مصر أعلمته بهم، فقال: أعرضهم على، و اذكر في كل واحد حاله، ففعلت، و كان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه، فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة، و أقدمه إليه، و أقول: هذا فلان، و من حاله و حاله، فيرفع رأسه، و ينظر إليه، و يقول: يجوز و يعود إلى قراءة ما في الكتاب حتى أحضرت له الجماعة، و كان آخرهم غلاما تركيا، فنظر إليه و تأمله، و لما ولى أتبعه بصره، فلما لم يبق أحد قبلت الأرض، و قلت: يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركى ما لم تفعله مع من تقدمه، فقال: يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى أنه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تنفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة، و يرزقه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٧

الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره، و أنا أظن أنه ذاك الذى قال لى مولانا المعز، و لا علينا إذا فتح الله لموالينا على أيدينا أو على يد من كان، يا أبا محمد، لكل زمان دولة و رجال، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا و دوله غيرنا، لقد أرجل لى مولانا المعز لما سرت إلى مصر أولاده و إخوته، و ولى عهده، و سائر أهل دولته، فتعجب الناس من ذلك، و ها أنا اليوم أمشى راجلا بين يدي منجوتكين، أعزونا و أعزوا بنا غيرنا، و بعد هذا، فأقول: اللهم قرب أجلى و مدتى فقد أنفت على الثمانين، أو أنا فيها، فمات فى تلك السنة، و ذلك أنه اعتل، فركب إليه العزيز بالله عائدا أو حمل إليه قبل ركوبه خمسة آلاف دينار و مرتبة مثقل، و بعث إليه الأمير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار، توفى يوم الاثنين لسبع بقين من ذى القعدة سنة إحدى و ثمانين و ثلاثمائة، فبعث إليه العزيز بالحنوط و الكفن، و أرسل إليه الأمير منصور بن العزيز أيضا الكفن، و أرسلت إليه السيدة العزيزية الكفن، فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل و وشى مذهب، و صلى عليه العزيز بالله، و خلع على ابنه الحسين، و حملة و جعله فى مرتبة أبيه، و لقبه بالقائد ابن القائد، و مكته من جميع ما خلفه أبوه، و كان جوهر عاقلا محسنا إلى الناس كاتباً بليغا، فمن مستحسن توقعاته على قصة رفعت إليه بمصر:

سوء الاجترام، أوقع بكم حلول الانتقام، و كفر الإنعام أخرجكم من حفظ الدمام، فالواجب فيكم ترك الإيجاب، و اللازم لكم ملازمة الاحتساب، لأنكم بدأتم فأسأتم، وعدتم فتعدتكم، فابتدأؤكم ملوم، و عودكم مذموم، و ليس بينهما فرجة إلا تقتضى الذم لكم و الإعراض عنكم ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم، و لما مات رثاه كثير من الشعراء.

السور الثانى: بناه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ثمانين و أربعمائه، و زاد فيه الزيادات التى فيما بين بابى زويلة، و باب زويلة الكبير، و فيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين، و باب الفتوح الآن، و زاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التى تجاه جامع الحاكم الآن إلى باب النصر، و جعل السور من لبن، و أقام الأبواب من حجارة، و فى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة و ثمانمائه ابتدئ بهدم السور الحجر، فيما بين باب زويلة الكبير، و باب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور لبنى جامع، فوجد عرض السور فى الأماكن نحو العشرة أذرع.

السور الثالث: ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ست و ستين و خمسمائة، و هو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله، فلما كانت سنة تسع و ستين، و قد استولى على المملكة، انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى، فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن، و قصد أن يجعل على القاهرة و مصر و القلعة سورا واحدا، فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة إلى باب الشعرية، و من باب الشعرية إلى باب البحر، و بنى قلعة المقس، و هى برج كبير، و جعله على النيل بجانب جامع المقس، و انقطع السور من هناك، و كان فى أمله مد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر، و زاد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٨

في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر ممتدة إلى باب البرقية، و إلى درب بطوط، و إلى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل، فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته، و إلى الآن آثار الجند و ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور إلى جهة القلعة، و كذلك لم يتهيا له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر، و جاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة و عشرين ألف ذراع و ثلاثمائة ذراع و ذراعين بذراع العمل، و هو الذراع الهاشمي، من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل، و البرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع و خمسمائة ذراع، و من قلعة المقس إلى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف و ثلاثمائة و اثنان و تسعون ذراعا، و من جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف، و مائتا ذراع، و من وراء القلعة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف، و مائتان و عشرة أذرع، و ذلك طول قوسه في أبراجه من النيل إلى النيل، و قلعة المقس المذكور كانت برجا مطلا على النيل في شرقي جامع المقس، و لم تزل إلى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسي، عندما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين و سبعمائة، و جعل في مكان البرج المذكور جنينته، و ذكر أنه وجد في البرج مالا، و أنه إنما جدد الجامع منه، و العامة تقول اليوم جام المقسي بالإضافة و كان يحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح إلى المقس في المحرم سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة، و كان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر إلى باب البرقية، و ما بعده، و شاهدت آثار الخندق باقية، و من ورائه سور بأبراج له عرض كبير مبنى بالحجارة، إلا أن الخندق انطم، و تهدمت الأسوار التي كانت من ورائه، و هذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فقال: و الله يحيى المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه، و يمتد عليهما رواقه، فما عقيلة ما كان معصمها ليرك بغير سوار، و لا خصرها ليتحلى بغير منطقة تضار، و الآن قد استقرت خواطر الناس، و أمنوا به من يد تتخطف، و من يد مجرم يقدم، و لا يتوقف.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٣٩

## ذكر أبواب القاهرة

### إشارة

و كان للقاهرة من جهتها القبليّة: بابان متلاصقان يقال لهما: باب زويلة، و من جهتها البحريّة: بابان متباعدان، أحدهما: باب الفتوح، و الآخر: باب النصر، و من جهتها الشرقية: ثلاثة أبواب متفرقة: أحدها: يعرف الآن بباب البرقية، و الآخر: بالباب الجديد، و الآخر: بالباب المحروق، و من جهتها الغربية ثلاثة أبواب: باب القنطرة، و باب الفرّج، و باب سعادة، و باب آخر يعرف: باب الخوخة، و لم تكن هذه الأبواب على ما هي عليه الآن، و لا في مكانها عندما وضعها جوهر.

### باب زويلة

كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بايين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم: بسام ابن نوح، فلما قدم المعز إلى القاهرة دخل من أحدهما، و هو الملاصق للمسجد الذي بقي منه إلى اليوم عقد، و يعرف بباب القوس، فتيا من الناس به، و صاروا يكثر الدخول و الخروج منه، و هجروا الباب المجاور له، حتى جرى على الألسنة أن من مرّ به لا تقضى له حاجة، و قد زال هذا الباب، و لم يبق له أثر اليوم إلا أنه يفضى إلى الموضع الذي يعرف اليوم: بالحجارين، حيث تباع آلات الطرب من الطنابير، و العيوان و نحوهما، و إلى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك لا تقضى له حاجة، و يقول بعضهم: من أجل أن هناك آلات المنكر، و أهل البطالة من المغنين و المغنيات، و ليس الأمر كما زعم، فإنّ هذا القول جار على ألسنة أهل القاهرة من حين دخل المعز إليها

قبل أن يكون هذا الموضوع سوقا للمعازف، و موضعا لجلوس أهل المعاصي.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٠

فلما كان في سنة خمس و ثمانين و أربعمائه، بنى أمير الجيوش بدر الجماليّ: وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذي هو باق إلى الآن، و على أبراجه، و لم يعمل له باشورة، كما هي عادة أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف، حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار، و يتعذر سوق الخيل، و دخولها جملة لكنه عمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوّان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوّان، فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فاتفق مروره من هنا لك، فاختلّ فرسه، و زلق به، و أحسبه سقط عنه، فأمر بنقضها، فنقضت، و بقي منها شيء يسير ظاهر، فلما ابنتي الأمير جمال الدين يوسف الإستادار المسجد المقابل لباب زويلة، و جعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق، ظهر عند حفرة الصهريج الذي به بعض هذه الزلاقة، و أخرج منها حجارة من صوّان لا تعمل فيها العدة الماضية، و أشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جرّها إلّا أربعة رؤس بقر، فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئا، و إلى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة.

و يذكر أن ثلاثة إخوة قدموا من الرها بنائين بنوا: باب زويلة، و باب النصر، و باب الفتوح، و كل واحد بنى بابا، و أن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، و أن باب الفتوح بنى في سنة ثمانين و أربعمائه.

و قد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة: أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز، و تممه أمير الجيوش، و أنشد لعليّ بن محمد النيلي:

يا صاح لو أبصرت باب زويلة لعلمت قدر محله بنيانا

باب تآزر بالمجرّة و ارتدى الشعرى ولاث برأسه كيوانا

لو أن فرعوننا بناه لم يردصرحا و لا أوصى به هامانا

ه. و سمعت غير واحد يذكر أن فردتيه يدوران في سكرجتين من زجاج.

و ذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون: أن في سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة رتب أيديكين والى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون على باب زويلة خليلية تضرب كل ليلة بعد العصر.

و قد أخبرني من طاف البلاد، و رأى مدن الشرق، أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة، و لا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه، و من تأمل الأسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه، فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش، و الخليفة المستنصر، و تاريخ بنائه، و قد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير، هدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة، و عمر على البدنتين منارتين، و لذلك خبر تجده

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤١

في ذكر الجوامع، عند ذكر الجامع المؤيدي.

## باب النصر

كان باب النصر أولا دون موضعه اليوم، و أدركت قطعة من أحد جانبيه، كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى، بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية، و بين بابي جامع الحاكم القليلين خارج القاهرة، و لذلك تجد في أخبار الجامع الحاكمي أنه وضع خارج القاهرة، فلما كان في أيام المستنصر، و قدم عليه أمير الجيوش بدر الجماليّ من عكا، و تقلد وزارته، و عمر سور القاهرة، نقل باب النصر، من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن، فصار قريبا من مصلى العيد، و جعل له باشورة أدركت بعضها إلى

أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهرج السبيل تجاه باب النصر، فهدمته، وأقامت السبيل مكانه، و على باب النصر مكتوب بالكوفي في أعلاه: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله صلوات الله عليهما.

### باب الفتوح

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن، و بقي منه إلى يومنا هذا عقده، و عضادته اليسرى، و عليه أسطر من الكتابة بالكوفي، و هو برأس حارة بهاء الدين من قبلها دون جدار الجامع الحاكمي، و أما الباب المعروف اليوم: بباب الفتوح، فإنه من وضع أمير الجيوش، و بين يديه باشورة، قد ركبها الآن الناس بالبنيان، لما عمر ما خرج عن باب الفتوح.

أمير الجيوش: أبو النجم بدر الجمالي كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار، فلذلك عرف: بالجمالي، و ما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره، و يوطن نفسه على قوة العزم، و يتنقل في الخدم، حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة خمس و ستين و أربعمئة، ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلت من رجب سنة ست و خمسين، ثم وليها ثانيا يوم الأحد سادس شعبان سنة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٢

ثمان و خمسين، فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان، فخرج في شهر رمضان سنة ستين و أربعمئة، فثار العسكر، و أخربوا قصره، و تقلد نيابة عكا، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء، و كثرة الفتن، و الأحوال بالحضرة قد فسدت، و الأمور قد تغيرت، و طوائف العسكر قد شغبت، و الوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر و النهي، و الرخاء قد أيس منه، و الصلاح لا مطمع فيه، و لواته قد ملكت الريف، و الصعيد بأيدي العبيد، و الطرقات قد انقطعت برًا و بحرا إلا بالخفارة الثقيلة، فلما قتل بلدكوش: ناصر الدولة حسين بن حمدان، كتب المستنصر إليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته، فاشترط أن يحضر معه من يختاره من العساكر، و لا يبقى أحدا من عسكر مصر، فأجابه المستنصر إلى ذلك، فاستخدم معه عسكرا، و ركب البحر من عكا في أول كانون، و سار بمائة مركب بعد أن قيل له: إن العادة لم تجر بر كوب البحر في الشتاء لهيجانه، و خوف التلف، فأبى عليهم، و أفلح فتمادى الصحو، و السكون مع الريح الطيبة مدة أربعين يوما، حتى كثر التعجب من ذلك، و عد من سعادته، فوصل إلى تينس و دمياط، و اقترض المال من تجارها و مياسيرها، و قام بأمر ضيافته، و ما يحتاج إليه من الغلال: سليمان اللواتي كبير أهل البحيرة، و سار إلى قلوب، فنزل بها و أرسل إلى المستنصر يقول: لا أدخل إلى مصر حتى تقبض على بلدكوش، و كان أحد الأمراء، و قد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان، فبادر المستنصر، و قبض عليه، و اعتقله بخزانة البنود، فقدم بدر عشية الأربعاء لليتين بقيتا من جمادى الأولى سنة خمس و ستين و أربعمئة، فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة، و ذلك أنه لما قدم لم يكن عند الأمراء علم من استدعائه، فما منهم إلا من أضافه، و قدم إليه، فلما انقضت نوبهم في ضيافته استدعاهم إلى منزله في دعوة صنعها لهم، و بيت مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل، فإنهم لا بد يحتاجون إلى الخلاء، فمن قام منهم إلى الخلاء يقتل هناك، و وكل بكل واحد واحدا من أصحابه، و أنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار و مال، و إقطاع و غيره، فصار الأمراء إليه و ظلوا نهارهم عنده، و باتوا مطمئنين، فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء، و صارت رؤوسهم بين يديه، فقويت شوكته، و عظم أمره، و خلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور، و قلده وزارة السيف و القلم، فصارت القضاة و الدعاة، و سائر المستخدمين من تحت يده، و زيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين، و هادى دعاة المؤمنين، و تتبع المفسدين، فلم يبق منهم أحدا حتى قتله، و قتل من أمثال المصريين، و قضاتهم و وزراءهم جماعة، ثم خرج إلى الوجه البحري، فأسرف في قتل من هنا لك من لواته، و استصفى أموالهم، و أزاح المفسدين و أفناهم بأنواع القتل، و صار

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٣

إلى البرّ الشرقيّ، فقتل منه كثيرا من المفسدين، و نزل إلى الإسكندرية، و قد ثار بها جماعة مع ابنه الأوحّد، فحاصرها أياما من المحرّم سنة سبع و سبعين و أربعمئة، إلى أن أخذها عنوة، و قتل جماعة ممن كان بها، و عمر جامع العطارين من مال المصادرات، و فرغ من بنائه في ربيع الأول سنة تسع و سبعين و أربعمئة، ثم سار إلى الصعيد، فحارب جهينته و الثعالبة، و أفتى أكثرهم بالقتل، و غنم من الأموال، ما لا يعرف قدره كثرة، فصلح به حال الإقليم بعد فساد، ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية، فصارت إليها غير مرّة، و حاربت أهلها، و لم يظفر منها بطائل، و استتاب ولده شاهنشاه، و جعله وليّ عهده.

فلما كان في سنة سبع و ثمانين و أربعمئة مات في ربيع الآخر، و قيل: في جمادى الأولى منها، و قد تحكّم في مصر تحكّم الملوك، و لم يبق للمستنصر معه أمر، و استبدّ بالأمر، فضبطها أحسن ضبط، و كان شديد الهيبة، وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها إلا خالقها، منها أنه قتل من أهل البحيرة نحو العشرين ألف إنسان إلى غير ذلك من أهل دمياط و الإسكندرية، و الغربية و الشرقية، و بلاد الصعيد و أسوان، و أهل القاهرة و مصر، إلّا أنه عمر البلاد، و أصلحها بعد فسادها و خرابها، بإتلاف المفسدين من أهلها، و كان له يوم مات نحو الثمانين سنة، و كانت له محاسن منها: أنه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين، حتى ترفهت أحوال الفلاحين، و استغنوا في أيامه، و منها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في أيام الشدة، و منها كثرة كرمه، و كانت مدة أيامه بمصر إحدى و عشرين سنة، و هو أوّل وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر.

و من آثاره الباقية بالقاهرة: باب زويلة، و باب الفتوح، و باب النصر، و قام من بعده بالأمر ابنه شاهنشاه الملقب بالأفضل بن أمير الجيوش، و به و بابنه الأفضل أبه الخلفاء الفاطمية بعد تلاشي أمرها، و عمرت الديار المصرية بعد خرابها، و اضمحلّ أحوال أهلها، و أظنه هو الذي أخبر عنه المعز فيما تقدّم من حكاية جوهر عنه، فإنه لم يتفق ذلك لأحد من رجال دولتهم غيره، و الله يعلم و أنتم لا تعلمون.

### باب القنطرة

عرف بذلك لأنّ جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ليمشى عليها إلى المقس عند مسير القرامطة إلى مصر في شوال سنة ستين و ثلثمائة.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٤

### باب الشعرية

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم: بنو الشعرية، هم و مزانه و زيارة و هواره من أحلاف لواته الذين نزلوا بالمنوفية.

### باب سعادة

عرف بسعادة بن حيان، غلام المعز لدين الله، لأنه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة، و خرج جوهر إلى لقائه، فلما عاين سعادة جوهرًا ترجل و سار إلى القاهرة في رجب سنة ستين و ثلثمائة، فدخل إليها من هذا الباب، فعرف به، و قيل له: باب سعادة، و وافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه، فلما كان في شوال سيره جوهر في عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجىء الحسين بن أحمد القرمطيّ المعروف:

بالأعصم، إلى الشام، و قتل جعفر بن فلاح، فسار سعادة يريد الرملة، فوجد القرمطيّ قد قصدها، فانحاز بمن معه إلى يافا، و رجع إلى مصر، ثم خرج إلى الرملة، فملكها في سنة إحدى و ستين، فأقبل إليه القرمطيّ، ففرّ منه إلى القاهرة، و بها مات لخمس بقين من

المحرّم سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة، و حضر جوهر جنازته، و صلى عليه الشريف أبو جعفر مسلم، و كان فيه برّ و إحسان.

## الباب المحروق

كان يعرف قديماً بباب القراطين، فلما زالت دولة بني أيوب، و استقل بالملك: الملك المعز عز الدين أيك التركمانى، أوّل من ملك من المماليك بمملكة مصر فى سنة خمسین و ستمائة، كان حينئذ أكبر الأمراء البحرية مماليك، الملك الصالح نجم الدين أيوب، الفارس أقطای الجمدار، و قد استفحل أمره، و كثرت أتباعه، و نafs المعز أيك، و تزوّج بابنة الملك المظفر صاحب حماه، و بعث إلى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل، و يخليها له، حتى يسكنها بامرأته المذكورة، ففلق المعز منه، و أهّمه شأنه، و أخذ يدبر عليه، فقرر مع عدّة من مماليكه أن يقفوا بموضع من القلعة عينه لهم، و إذا جاء الفارس أقطای فتكوا به، و أرسل إليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره فى أمر مهمّ، فركب فى قائلة يوم الاثنين حادى عشرى شعبان سنة اثنتين و خمسين و ستمائة فى نفر من مماليكه، و هو آمن مطمئن بما

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٥

صار له فى الأنفس من الحرمة و المهابة، و بما يثق به من شجاعته، فلما صار بقلعة الجبل، و انتهى إلى قاعة العواميد عوّق من معه من المماليك عن الدخول معه، و وثب به المماليك الذين أعدّهم المعزّ، و تناولوه بالسيوف، فهلك لوقته، و غلقت أبواب القلعة، و انتشر الصوت بقتله فى البلد، فركب أصحابه و خشداشيته، و هم نحو السبعمائه فارس إلى تحت القلعة، و فى ظنهم أنّ الفارس أقطای لم يقتل، و إنما قبض عليه السلطان، و إنهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم، فلم يشعروا إلّا برأس الفارس أقطای، و قد ألقيت عليهم من القلعة، فانفضوا لوقتهم، و تواعدوا على الخروج من مصر إلى الشام، و أكابرههم يومئذ بيبرس البندقدارى، و قلاون الإلفى، و سنقر الأشقر، و بيسرى، و سكرز، و برامق، فخرجوا فى الليل من بيوتهم بالقاهرة إلى جهة باب القراطين، و من العادة أن تغلق أبواب القاهرة بالليل، فألقوا النار فى الباب حتى سقط من الحريق، و خرجوا منه، فقبل له من ذلك الوقت: الباب المحروق و عرف به، و أما القوم فإنهم ساروا إلى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام، فقبلهم و أنعم عليهم، و أقطعهم إقطاعات، و استكثر بهم، و أصبح المعز، و قد علم بخروجهم إلى الشام، فأوقع الحوطة على جميع أموالهم و نسائهم و أولادهم و عامّة تعلقاتهم، و سائر أسبابهم، و تتبعهم و نادى عليهم فى الأسواق بطلب البحرية، و تحذير العامّة من إخفائهم، فصار إليه من أموالهم ما ملأ عينه، و استمرت البحرية فى الشام إلى أن قتل المعز أيك، و خلع ابنه المنصور، و تسلطن الأمير قطز، فتراجعوا فى أيامه إلى مصر، و آلت أحوالهم إلى أن تسلطن منهم: بيبرس و قلاون، و لله عاقبة الأمور.

## باب البرقية

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٦

**ذكر قصور الخلفاء و مناظرهم و الإلماع بطرف من مآثرهم و ما صارت إليه أحوالها من بعدهم**

## إشارة

إعلم أنه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة، و ظواهرها: قصور و مناظر، منها: القصر الكبير الشرقى الذى وضعه القائد جوهر عندما أناخ فى موضع القاهرة، و منها: القصر الصغير الغربى، و القصر اليافعى، و قصر الذهب، و قصر الأقبال، و قصر الظفر، و قصر الشجرة، و قصر الشوك، و قصر الزمرد، و قصر النسيم، و قصر الحریم، و قصر البحر، و هذه كلها قاعات، و مناظر من داخل سور القصر الكبير، و يقال



لها: القصور الزاهرة، و يسمى مجموعها: القصر، و كان بجوار القصر الغربي: الميدان و البستان الكافوري، و كان لهم عدّة مناظر و آدر سلطانية غير هذه القصور، منها: دار الضيافة، و دار الوزارة، و دار الوزارة القديمة، و دار الضرب، و المنظره بالجامع الأزهر، و المنظره بجوار الجامع الأحمر، و منظره اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة، و منظره الغزالي، و دار الذهب، و منظره المقس، و منظره الدكة و البعل، و الخمس و جوه، و التاج و قبة الهواء، و البساتين الجيوشية، و البستان الكبير، و منظره السكره، و المنظره ظاهر باب الفتوح، و دار الملك بمدينة مصر، و منازل العز بها، و منظره الصناعة بالساحل، و منظره بجوار جامع القرافة الكبرى المعروف اليوم: بجامع الأولياء و الأندلس بالقرافة، و المنظره بركة الحبش، و سأذكر من أخبار هذه الأماكن في مدّة الدولة الفاطمية، و ما آل إليه حالها بحسب ما انتهى إلى علمه إن شاء الله تعالى.

## القصر الكبير

### إشارة

هذا القصر كان في الجهة الشرقية من القاهرة، فلذلك يقال له: القصر الكبير الشرقي، و يسمى: القصر المعزى لأنّ المعز لدين الله أبا تميم معدّا هو الذي أمر عبده، و كاتبه جوهرًا ببنائه، حين سيره من رمادة أحد بلاد إفريقية بالعساكر إلى مصر، و ألقى إليه ترتيبه، فوضعه على الترتيب الذي رسمه له، و يقال: إن جوهرًا لما أسسه في الليلة التي أناخ قبلها في موضعه، و أصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه، فقبل له في تغييرها، فقال: قد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٧

حفر في ليلة مباركة، و ساعة سعيدة، فتركه على حاله.

و كان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و ركب عليه بابان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة تسع و خمسين، ثم إنه أدار عليه سورًا محيطًا به في سنة ستين و ثلثمائة، و هذا القصر كان دار الخلافة، و به سكن الخلفاء إلى آخر أيامهم، فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، أخرج أهل القصر منه و أسكن فيه الأمراء، ثم خرب أولًا فأولًا.

و ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة عن مرهف بواب باب الزهومة أنه قال: أعلم هذا الباب المدّة الطويلة، و ما رأيت دخل إليه حطب، و لا رمى منه تراب قال:

و هذا أحد أسباب خرابه، لو قود أخشابه، و تكوين ترابه، قال: و لما أخذه صلاح الدين، و أخرج من كان به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة، ليس فيهم فحل إلا الخليفة، و أهله و أولاده، فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان، و كانت تعرف: بدار الضيافة، قال: و وجد إلى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم، كان الخلفاء يرمون فيها القتلى، فقبل: إن فيها مطلبًا، و قصد تغويرها، فقبل: إنها معمورة بالجان، و قتل عمارها جماعة من أشياعه، فردمت و تركت، انتهى.

و كان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لأمراء دولته، و أنزلهم فيه، فسكنوه و أعطى القصر الصغير الغربي لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، فسكنه فيه و ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد، و كان قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شادي في منظره اللؤلؤة، و لما قبض على الأمير داود ابن الخليفة العاضد، و كان وليّ عهد أبيه، و ينعت بالحامد لله اعتقله و جميع إخوته، و هم: أبو الأمانة جبريل، و أبو الفتوح، و ابنه أبو القاسم، و سليمان بن داود بن العاضد، و عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد، و إسماعيل بن العاضد، و جعفر بن أبي الطاهر بن جبريل، و عبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ و جماعة، فلم يزلوا في الاعتقال بدار المظفر و غيرها إلى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل، فنقل معه ولد

العاضد و إخوته

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٨

و أولاد عمه، و اعتقلهم بها، و فيها مات داود بن العاضد، و لم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة، إلى أن استبدَّ السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، فأمر في سنة ستين بالإشهاد على كمال الدين إسماعيل بن العاضد، و عماد الدين أبي القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد، و بدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلت المدارس الصالحية من القصر الكبير، و الموضع المعروف بالتربة باطنا و ظاهرا بخط الخوخ السبع، و جميع الموضع المعروف بالقصر الياغى بالخط المذكور، و جميع الموضع المعروف بالجاسة بالخط المذكور، و جميع الموضع المعروف بالجاسة بالخط المذكور، و جميع الموضع المعروف بالخط المذكور، و بخزائن السلاح السلطانية، و ما هو بخطه، و جميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ و غيرهم من القصر الشارع بابيه قبالة دار الحديث النبوي الكاملة، و جميع الموضع المعروف بالقصر الغربي، و جميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسيني، و جميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان، و جميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة، و جميع الموضع المعروف باللؤلؤة، و جميع قصر الزمرد، و جميع البستان الكافوري، ملك لبيت المال بالنظر المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي، لا رجعة لهم فيه، و لا لواحد منهم في ذلك، و لا في شيء منه ولاء، و لا شبهة بسبب يد و لا ملك، و لا وجه من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تعالى أو مدفن لأبائهم، فأشهدوا عليهم بذلك، و ورخوا الإشهاد بالثالث عشر من جمادى الأولى سنة ستين و ستمائة، و أثبت على يد قاضي القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز الشافعي، و تقرّر مع المذكورين أنه مهما كان قبضوه من أثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها و كلاؤهم، و اتصلوا إليه يحاسبوا به من جملة ما تحرّر ثمنه عند وكيل بيت المال، و قبضت أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة، و غيرها مما هو منسوب إلى آبائهم، و رسم ببيع ذلك، فباعه و كيل بيت المال كمال الدين ظافر شيئا بعد شيء، و نقضت تلك المباني، و ابنتي في مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن و غيرها كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، و كان هذا القصر يشتمل على مواضع منها:

قاعة الذهب: و كان يقال لقاعة الذهب: قصر الذهب، و هو أحد قاعات القصر الذي

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٤٩

هو قصر المعز لدين الله معدّ، و بنى قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز، و كان يدخل إليه من باب الذهب الذي كان مقابلا للدار القطبية التي هي اليوم المارستان المنصوري، و يدخل إليه أيضا من باب البحر الذي هو الآن تجاه المدرسة الكاملة، و جدّد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر في سنة ثمان و عشرين و أربعمائة، و بهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الاثنين، و يوم الخميس، و بها كان يعمل سماط شهر رمضان للأمرء، و سماط العيدين، و بها كل سرير الملك.

هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك: قال الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز: و كان وصول المعز لدين الله إلى قصره بمصر في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة، و لما وصل إلى قصره خرّ ساجدا، ثم صلى ركعتين و صلى بصلاته كل من دخل معه، و استقرّ في قصره بأولاده و حشمه، و خواص عبيده، و القصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين، و ورق، و جوهر، و حلي، و فرش، و أوان، و ثياب و سلاح، و أسفاط و أعدال، و سروج و لجم، و بيت المال بحاله بما فيه، و فيه جميع ما يكون للملوك، و للنصف من رمضان جلس المعجز في قصره على السرير الذهب الذي عمله عبده القائد جوهر في الإيوان الجديد، و أذن بدخول الأشراف أولا، ثم أذن بعدهم للأولياء، و لسائر وجوه الناس، و كان القائد جوهر قائما بين يديه يقدّم الناس قوما بعد قوم، ثم مضى القائد جوهر، و أقبل بهديته التي عباها ظاهرة يراها الناس، و هي:

من الخيل مائة و خمسون فرسا مسرجة ملجمة منها مذهب، و منها مرصع، و منها معبر، و إحدى و ثلاثون قبة على نوق بخاتي بالديباج، و المناطق و الفرش منها تسعة بديباج مثل، و تسع نوق مجنوبة مزينة بمتقل، و ثلاثة و ثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة

ملجمه، و مائه و ثلاثون بغلا للنقل، و تسعون نجيبا، و أربعة صناديق مشبكه، يرى ما فيها، و فيها أواني الذهب و الفضة، و مائه سيف محلى بالذهب و الفضة، و درجان من فضة مخرقة فيها جوهر، و شاشية مرصعة فى غلاف و تسعمائة ما بين سفت و تخت فيها سائر ما أعد له من ذخائر مصر.

و فى يوم عرفه نصب المعز الشمسية التى عملها للكعبة على إيوان قصره، وسعتها:

اثنا عشر شبرا فى اثنى عشر شبرا، و أرضها ديباج أحمر، و دورها اثنا عشر هلال ذهب، فى كل هلال أترجه ذهب مسبك، جوف كل أترجه خمسون درة كبار كبيض الحمام، و فيها الياقوت الأحمر، و الأصفر، و الأزرق، و فى دورها كتابة آيات الحج بزمرذ أخضر قد فسر، و حشو الكتابة در كبير لم ير مثله، و حشو الشمسية: المسك المسحوق يراها الناس فى القصر، و من خارج القصر لعلو موضعها، و إنما نصبها عدّة فرائسين، و جزوها لثقل وزنها.

و قال فى كتاب الذخائر و التحف: و ما كان بالقصر من ذلك إن وزن ما استعمل من الذهب الإبريز الخالص فى سرير الملك الكبير، مائه ألف مثقال و عشرة آلاف مثقال و وزن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٠

ما حلى به الستر الذى أنشأه سيد الوزراء أبو محمد البازورى من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال، و إنه رصع بألف و خمسمائة و ستين قطعة جوهر من سائر ألوانه، و ذكر أن فى الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا، و عشرين ألف درهم مخرقة، و ثلاثة آلاف و ستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه و أنواعه، و أن فى الشمسية التى لم تتم من الذهب سبعة عشر ألف مثقال.

و قال المرتضى أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهرى القيسرانى: الكاتب المصرى فى كتاب نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين الفاطمية و الصلاحية، الفصل العاشر فى ذكر هيئتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك، و لا يتعدى ذلك يومى الاثنين و الخميس، و من كان أقرب الناس إليهم، و لهم خدم لا- تخرج عنهم، و ينتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين، و ليس على التوالى بل على التفريق، فإذا تهيأ ذلك فى يوم من هذه الأيام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى سرعة الحركة، فيركب فى أبهته، و جماعته على الترتيب المقدم ذكره يعنى فى ذكر الركوب أول العام، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب، فيسير من مكان ترجله عن دابته بدهلز العمود إلى مقطع الوزارة، و بين يديه أجلاء أهل الإمارة، كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر، و كان الجلوس قبل ذلك بالإيوان الكبير الذى هو خزائن السلاح فى صدره على سير الملك، و هو باق فى مكانه إلى الآن من هذا المكان إلى آخر أيام المستعلى، ثم إن الأمر نقل الجلوس فى هذا المكان، و اسمه مكتوب بأعلى باذهنجه إلى اليوم، و يكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء، و الديبقي صيفا، و فرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن الصوف مطابقا لستور الديباج، و فرش الصيف مطابقا لستور الديبقي، ما بين طبرى و طبرستانى مذهب معدوم المثل، و فى صدره:

المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليئة على سرير الملك المغشى بالقرقوبى، فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه، فإذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع إلى باب المجلس المذكور، و هو مغلق و عليه ستر، فيقف بحدائه، و عن يمينه زمام القصر، و عن يساره زمام بيت المال، فإذا انتصب الخليفة على المرتبة وضع أمين الملك مفلح أحد الأستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة، و خرج من المقطع الذى يقال له فردا لكم، فإذا الوزير واقف أمام باب المجلس، و حواله الأمراء المطوقون أرباب الخدم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥١

الجليئة، و غيرهم، و فى خلالهم قراء الحضرة، فيشير صاحب المجلس إلى الأستاذين، فيرفع كل منهم جانب الستر، فيظهر الخليفة جالسا بمنصبه المذكور، فتستفتح القراء بقراءة القرآن الكريم، و يسلم الوزير بعد دخوله إليه، فيقبل يديه و رجله، و يتأخر مقدار ثلاثة

أذرع، و هو قائم قدر ساعة زمانية، ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الأيمن، و تطرح له مخدّة تشريفًا، و يقف الأمراء في أماكنهم المقرّرة، فصاحب الباب، و أسفهلار العساكر من جانبي الباب يمينا و يسارا، و يليهم من خارجه لاصقا بعتبه زمام الأمر و الحافظية كذلك، ثم يرتبهم على مقاديرهم، فكل واحد لا يتعدى مكانه هكذا إلى آخر الرواق، و هو الإفريز العالى عن أرض القاعة، و يعلوه السباط على عقود القناطر التي على العهد هناك، ثم أرباب القصب و العماريات يمنة و يسرة كذلك، ثم الأمثال، و الأعيان من الأجناد المترشحين للتقدم، و يقف مستندا للصدر الذي يقابل باب المجلس: بواب الباب، و الحجاب، و لصاحب الباب في ذلك المحل الدخول و الخروج، و هو الموصل عن كل قائل ما يقول، فإذا انتظم ذلك النظام، و استقرّ بهم المقام، فأول ماثل للخدمة بالسلام: قاضى القضاة، و الشهود المعروفون بالاستخدام، فيجيز صاحب الباب القاضى دون من معه، فيسلم متأدبا، و يقف قريبا، و معنى الأدب في السلام، أنه يرفع يده اليمنى، و يشير بالمسبحة، و يقول بصوت مسموع: السلام على أمير المؤمنين، و رحمة الله و بركاته، فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زمامهم، و هو من الأستاذين المحنكين، و بالأشراف الطالبين نقيهم، و هو من الشهود المعدلين، و تارة يكون من الأشراف المميزين، فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاث، و يخص بالسلام في ذلك الوقت خلع عليه: لقوص، أو الشرقية أو الغربية أو الإسكندرية، فيشرفون بتقبيل القبة، فإن دعت حاجة الوزير إلى مخاطبة الخليفة في أمر قام من مكانه، و قرب منه منحيا على سيفه، فيخاطبه مرّة أو مرّتين، ثم يؤمر الحاضرون، فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة و رجله، و يخرج فيركب على عادته إلى داره، و هو مخدوم بأولئك، ثم يرخى الستر، و يغلق باب المجلس إلى يوم مثله، فيكون الحال كما ذكر، و يدخل الخليفة إلى مكانه المستقرّ فيه، و معه خواص أستاذيه، و كان أقرب الناس إلى الخلفاء: الأستاذون المحنكون، و هم أصحاب الأنس لهم، و لهم من الخدم ما لا يتطرق إليه سواهم، و منهم زمام القصر، و شاد التاج الشريف، و صاحب بيت المال، و صاحب الدفتر، و صاحب الرسالة، و زمام الأشراف الأقارب، و صاحب المجلس، و هم المطلعون على أسرار الخليفة، و كانت لهم طريقة محمودة في بعضهم بعضا، منها: أنه متى ترشح أستاذ للتحنيك، و حنك: حمل إليه كل واحد من المحنكين بدلة من ثياب، و منديلا و فرشًا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٢

و سيفًا، فيصبح لاحقا بهم، و فى يديه مثل ما فى أيديهم، و كان لا يركب أحد فى القصر إلا الخليفة، و لا ينصرف ليلا و نهارا إلا كذلك، و له فى الليل شدّادات من النساء يخدمن البغلات و الحمير الإناث للجواز فى السرايب القصيرة الأقباء، و الطلوع على الزلاقات إلى أعالي المناظر و الأماكن، و فى كل محله من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق فى الليل.

### كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة

#### إشارة

قال ابن الطوير: فإذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان، رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر إلى السادس و العشرين منه، و يستدعى له: قاضى القضاة ليالى الجمع توقيرا له، فأما الأمراء، ففى كل ليلة منهم قوم بالنوبة، و لا يحرمونهم الإفطار مع أولادهم، و أهاليهم، و يكون حضورهم بمسطور يخرج إلى صاحب الباب، و أسفهلاره، فيعرف صاحب كل نوبة ليلته، فلا يتأخر و يحضر الوزير، فيجلس صدره، فإن تأخر كان ولده أو أخوه، و إن لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب، و يهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شىء من أصناف المأكولات الفائقة، و الأغذية الرائقة، و هو مبسوط فى طول القاعة، ماد من الرواق إلى ثلثي القاعة المذكورة، و الفزاشون قيام لخدمة الحاضرين، و حواشى الأستاذين يحضرون الماء المبخر فى كيزان الخزف برسم الحاضرين، و

يكون انفصالهم العشاء الآخرة، فيعمهم ذلك، و يصل منه شيء إلى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض، و يأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة، فإذا حضر الوزير أخرج إليه مما هو بحضرة الخليفة، و كانت يده فيه تشريفًا له، و تطيبًا لنفسه، و ربما حمل لسحوره من خاص ما يعين لسحور الخليفة نصيب وافر، ثم يتفرق الناس إلى أماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، قال: و مبلغًا ينفق في شهر رمضان لسماطه مدّة سبعة و عشرين يوما ثلاثة آلاف دينار.

### عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة

قال الأمير المختار عز الملك بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المسبحي في تاريخه الكبير: و في آخر يوم منه يعنى شهر رمضان سنة ثمانين و ثلثمائة، حمل يانس الصقلبي صاحب الشرطة السفلى السماط، و قصور السكر و التماثيل، و أطباقا فيها تماثيل حلوى، و حمل أيضا عليّ بن سعد المحتسب القصور و تماثيل السكر.

و قال ابن الطوير: فأما الأسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه، ففي يوم عيد الفطر: اثنان، و يوم عيد النحر: واحد، فأما الأوّل من عبيد الفطر، فإنه يعين في الليل بالإيوان قدام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة، فيمدّ ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة المواظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٣

أذرع من الخشكان، و الفانيذ، و البسندود المقدم ذكر عمله بدار الفطرة، فإذا صلى الفجر في أوّل الوقت حضر إليه الوزير، و هو جالس في الشباك، و مكن الناس من ذلك الممدود، فأخذ و حمل و نهب، فيأخذه من يأكله في يومه، و من يدّخره لغده، و من لا حاجة له به، فيبيعه و يتسلط عليه أيضا حواشي القصر المقيمون هناك، فإذا فرغ من ذلك، و قد بزغت الشمس ركب من باب الملك بالإيوان، و خرج من باب العيد إلى المصلى، و الوزير معه كما وصفنا في هيئته ركوب هذا العيد في فصله مخليا لقاعة الذهب لسماط الطعام، فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في الرواق، و ينصب فيه مائدة من فضة، و يقال لها:

المدوّرة، و عليها أواني الفضيّات و الذهبيات، و الصيني الحاوية للأطعمة الخاص الفائحة الطيب الشهيّة من غير خضراوات، سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالأمزجة الطيبة النافعة، ثم ينصب السماط أمام السرير إلى باب المجلس قبالته، و يعرف بالمحول طول القاعة، و هو اليوم الباب الذي يدخل منه إليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم، و السماط خشب مدهون شبه الدكك اللاطية، فيصير من جمعه للأواني سماطا عاليا في ذلك الطول، و بعرض عشرة أذرع، فيفرش فوق ذلك الأزهار، و يرص الخبز على حافتيه سواميد كل واحد ثلاثة أرتال من نقى الدقيق، و يدهن و جهها عند خبزها بالماء، فيحصل لها بريق، و يحسن منظرها، و يعمر داخل ذلك السماط على طوله بأحد و عشرين طبقا في كل طبق أحد و عشرون ثنيا سميّنا مشويا، و في كل من الدجاج و الفراريج و فراخ الحمام ثلثمائة و خمسون طائرا، فيبقى طائلا- مستطيلا، فيكون كقامة الرجل الطويل، و يسور بشرائح الحلواء اليابسة، و يزين بألوانها المصبغة، ثم يسدّ خلل تلك الأطباق بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات، و هي مترعة بالألوان الفائقة من الحلواء المائعة و الطباهجة المشققة، و الطيب غالب على ذلك كله، فلا يبعد أن تناهز عدّة الصحون المذكورة خمسمائة صحن، و يرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة إلى حين عود الخليفة من المصلى، و الوزير معه، فإذا دخل القاعة، وقف الوزير على باب دخول الخليفة، لينزع عنه الثياب العيدية التي في عمامتها السمة، و يلبس سواها من خزائن الكسوات الخاصة التي قدّمتنا ذكرها، و قد عمل بدار الفطرة، قصران من حلى في كل واحد سبعة عشر قنطارا، و حملا، فمنهما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك إلى باب الذهب، و الآخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون، فينصبان أوّل السماط و آخره، و هما شكل مليح مدهونان بأوراق الذهب، و فيهما شخوص ناتئة كأنها مسبوكة في قوالب لوحا لوحا، فإذا عبر الخليفة راكبا، و نزل على السرير الذي عليه المدوّرة الفضّة، و جلس قام على رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين، و أربعة من خواص الفرّاشين، ثم يستدعى الوزير، فيطلع إليه و



يجلس عن يمينه، و يستدعى الأمراء المطوقين، و من يليهم من الأمراء دونهم،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٤

فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه، فيأكل من أراد من غير إلزام، فإن في الحاضرين من لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم، فيستولى على ذلك المعمول الآكلون، و ينقل إلى دار أرباب الرسوم، و يباح فلا يبقى منه إلا السماط فقط، فيعم أهل القاهرة و مصر من ذلك نصيب وافر، فإذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر، انفض الناس، و خرج الوزير إلى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين، و قد عمل سماطا لأهله و حواشيه، و من يعز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة، و على هذا العمل يكون سماط عيد النحر أول يوم منه، و ركوبه إلى المصلى، كما ذكرنا، و لا يخرج عن هذا المنوال و لا ينقص عن هذا المثال، و يكون الناس كلهم مفطرين، و لا يفوت أحدا منهم شيء، كما ذكرنا في عيد الفطر.

قال: و مبلغ ما ينفق في سماطى الفطر، و الأضحى أربعة آلاف دينار، و كان يجلس على أسمطة الأعياد في كل سنة رجلان من الأجناد يقال لأحدهما: ابن فائر، و الآخر الدليمي يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا، و عشر دجاجات محلاة، و جام حلوى عشرة أرتال، و لهما رسوم تحمل إليهما بعد ذلك من الأسمطة لبيوتهما و دنائير وافر على حكم الهبة، و كان أحدهما أسر بعسقلان في تجريده جرد إليها، و أقام مدة في الأسر فاتفق أنه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم، فقال له الذى أسره و هو يداعبه: إن أكلت هذا العجل أعتقتك، ثم ذبحه، و سوى لحمه، و أطعمه حتى أتى على جميعه، فوفى له و أعتقه، فقدم على أهله بالقاهرة، و رأيت يته يأكل على السماط.

### الإيوان الكبير

قال القاضى الرئيس محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحى الكاتب فى كتاب الروضة البهية الزهراء فى خطط المعزية القاهرة، الإيوان الكبير بناه العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد فى سنة تسع و ستين و ثلثمائة، انتهى. و كان الخلفاء أولا يجلسون به فى يومى الاثنين و الخميس إلى أن نقل الخليفة الأمر بأحكام الله الجلوس منه فى اليومين المذكورين إلى قاعة الذهب كما تقدم، و بصدر هذا الإيوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة، و كان يعلو هذا الشباك قبة، و فى هذا الإيوان، كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم به، و به أيضا كان يعمل الاجتماع، و الخطبة فى يوم عيد الغدير، و كان بجانب هذا الإيوان الدواوين، و كان بهذا الإيوان ضلعا سمكة إذا أقيما وارىا الفارس بفرسه، و لم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف إلى بغداد فى هدية.

عيد الغدير : إعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا، و لا عمله أحد من سالف

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٥

الأمية المقتدى بهم، و أول ما عرف فى الإسلام بالعراق أيام معز الدولة على بن بويه، فإنه أحدثه فى سنة اثنتين و خمسين و ثلثمائة، فاتخذة الشيعة من حينئذ عيدا، و أصلهم فيه، ما خرجه الإمام أحمد فى مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سفر لنا، فنزلنا بغدير خم، و نودى الصلاة جامعة و كسح لرسول الله صلى الله عليه و سلم تحت شجرتين، فصلى الظهر، و أخذ بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: «أ لستم أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أ لستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.» قال: فلقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: هنيئا لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولى كل مؤمن و مؤمنة.

و

غدِير خم: على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة الطريق، و تصب فيه عين، و حوله شجر كثير، و من سنتهم فى هذا العيد، هو أبدا يوم



الثامن عشر من ذى الحجة أن يحيوا ليلته بالصلاة، و يصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال، و يلبسوا فيه الجديد، و يعتقوا الرقاب، و يكثر من عمل البرّ، و من الذبائح، و لما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق أرادت عوامّ السنية مضاهاة فعلهم، و نكأيتهم، فاتخذوا في سنة تسع و ثمانين و ثلاثمائة بعد عيد الغدير بثمانية أيام عيداً، أكثروا فيه من السرور و اللهو، و قالوا: هذا يوم دخول رسول الله صلّى الله عليه و سلّم الغار هو و أبو بكر الصديق رضى الله عنه، و بالغوا في هذا اليوم في إظهار الزينة، و نصب القباب، و إيقاد النيران، و لهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد ... و قال ابن زولاق: و في يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة، و هو يوم الغدير: تجمع خلق من أهل مصر و المغاربة، و من تبعهم للدعاء لأنه يوم عيد، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم عهد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فيه، و استخلفه، فأعجب المعز ذلك من فعلهم، و كان هذا أول ما عمل بمصر.

قال المسبحيّ، و في يوم الغدير، و هو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة و القراء و الفقهاء، و المنشدون، فكان جمعا عظيما أقاموا إلى الظهر، ثم خرجوا إلى القصر، فخرجت إليهم الجائزة، و ذكر أن الحاكم بأمر الله، كان قد منع من عمل عيد الغدير، قال ابن الطوير: إذا كان العشر الأوسط من ذى الحجة اهتّم الأمراء، و الأجناد بركوب عيد الغدير، و هو في الثامن عشر منه، و فيه خطبة و ركوب الخليفة بغير مظلمة، و لا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٦

سمة، و لا خروج عن القاهرة، و لا يخرج لأحد شيء، فإذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارى به العادة، فيدخل القصر، و في دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته، فيخدم و يخرج و يركب من مكانه من الدهليز، و يخرج فيقف قبالة باب القصر، و يكون ظهره إلى دار فخر الدين جهار كس اليوم، ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا، فيقف في الباب، و يقال له: القوس، و حوالبه الأستاذون المحنكون رجاله، و من الأمراء المطوّقين من يأمره الوزير بإشارة خدمة الخليفة على خدمته، ثم يجوز زى كل من له زى على مقدار همته، فأول ما يجوز زى الخليفة، و هو الظاهر في ركوبه، فتجد الجنائب الخاص التي قدّمنا ذكرها أولا، ثم زى الأمراء المطوّقين لأنهم غلمانهم واحدا فواحدا بعددهم، و أسلحتهم، و جنائبهم إلى آخر أبواب القصب و العماريات، ثم طوائف العسكر أزمتها أمامها، و أولادهم مكانهم لأنهم في خدمة الخليفة و قوف بالباب طائفة طائفة، فيكونون أكثر عددا من خمسة آلاف فارس، ثم المترجلة الرماة بالقسي بالأيدى و الأرجل، و تكون عدّتهم قريبا من ألف، ثم الراجل من الطوائف الذين قدّمنا ذكرهم في الركوب، فتكون عدّتهم قريبا من سبعة آلاف كل منهم بزمام و بنود و رايات و غيرها، بترتيب مليح مستحسن، ثم يأتي زى الوزير مع ولده، أو أحد أقاربه، و فيه جماعته و حاشيته في جمع عظيم، و هيئة هائلة، ثم زى صاحب الباب، و هم أصحابه و أجناده، و نواب الباب، و سائر الحجاب، ثم يأتي زى أسفهل العساكر بأصحابه، و أجناده في عدّة وافرة، ثم يأتي زى والى القاهرة، و زى والى مصر، فإذا فرغا خرج الخليفة من الباب و الوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص، فإذا وصل إلى باب الزهومة بالقصر، انعطف على يساره داخلا من الدرب هناك جائزا على الخوخ، فإذا وصل إلى باب الديلم الذى داخله المشهد الحسينيّ، فيجد في دهليز ذلك الباب: قاضى القضاة و الشهود، فإذا وازاهم خرجوا للخدمة و السلام عليه، فيسلم القاضى كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التى تليه، و الشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبه، ثم يعودون و يدخلون من ذلك الدهليز إلى الإيوان الكبير، و قد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته، و غير القرقوبية سترافسترا، ثم يعلق بدائرة على سعته ثلاث صفوف: الأوسط طوارق فارسيات مدهونة، و الأعلى و الأسفل درق، و قد نصب فيه كرسيّ الدعوة، و فيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد، فيجلس القاضى و الشهود تحته، و العالم من الأمراء، و الأجناد، و المتشيعين، و من يرى هذا الرأى من الأكابر و الأصاغر، فيدخل الخليفة من باب العيد إلى الإيوان إلى باب الملك، فيجلس بالشباك، و هو ينظر القوم، و يخدمه الوزير عندما ينزل، و يأتي هو و من معه، فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب، و يكون قد سير لخطيبه بدلة حرير يخطب فيها، و ثلاثون دينارا، و يدفع له كراس

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٧

محزّر من ديوان الإنشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه و رضى عنه بزعمهم، فإذا فرغ و نزل صلى قاضى القضاء بالناس ركعتين، فإذا قضيت الصلاة، قام الوزير إلى الشباك، فيخدم الخليفة، و ينفض الناس بعد التهاني من الإسماعيلية بعضهم بعضا، و هو عندهم أعظم من عيد النحر، و ينحر فيه أكثرهم.

قال: و كان الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد: لما سلم من يد أبي عليّ بن الأفضل الملقب كتيقات، لما وزر له، و خرج عليه عمل عيدا فى ذلك اليوم، و هو السادس عشر من المحرم من غير ركوب، و لا حركة بل إن الإيوان باق على فرشه، و تعليقه من يوم الغدير، فيفرش المجلس المحوّل اليوم فى الإيوان الذى باه خورتق.

و كان يقابل الإيوان الكبير الذى هو اليوم: خزائن السلاح، بأحسن فرش، و ينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه، فيجتمع أرباب الدولة سيفا و قلما، و يحضرون إلى الإيوان إلى باب الملك المجاور للشباك، فيخرج الخليفة راكبا إلى المجلس، فيترجل على باه، و بين يديه الخواص، فيجلس على المرتبة، و يقفون بين يديه صفين إلى باب المجلس، ثم يجعل قدّامه كرسيّ الدعوة، و عليه غشاء قرقوبى، و حوالية الأمراء الأعيان، و أرباب الرتب، فيصعد قاضى القضاء، و يخرج من كمة كراسه مسطحة تتضمن فصولا، كالفرج بعد الشدة بنظم مليح، يذكر فيه كل من أصابه من الأنبياء و الصالحين و الملوك شدة، و فرج الله عنه واحدا فواحدا، حتى يصل إلى الحافظ، و تكون هذه الكراسه محمولة من ديوان الإنشاء، فإذا تكاملت قراءتها، نزل عن المنبر، و دخل إلى الخليفة، و لا يكون عنده من الثياب أجلّ مما لبسه، و يكون قد حمل إلى القاضى قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة، و يوصل إليه بعد الخطابة خمسون دينارا.

و قال الأمير جمال الدين أبو عليّ موسى بن المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك بن مختار الطائحيّ فى تاريخه، و استهل عيد الغدير يعنى من سنة ست عشرة و خمسمائة، و هاجر إلى باب الأجل يعنى الوزير المأمون البطائحي الضعفاء و المساكين من البلاد، و من انضمّ إليهم من العوالى، و الأدوان على عادتهم فى طلب الحلال، و تزويج الأيامى، و صار موسما يرصده كل أحد، و يرتقبه كل غنى و فقير، فجرى فى معروفة على رسمه، و بالغ الشعراء فى مدحه بذلك، و وصلت كسوة العيد المذكور، فحمل ما يختص بالخليفة و الوزير، و أمر بتفرقة ما يختص بأزمية العساكر فارسها و راجلها من عين و كسوة، و مبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة و تسعون دينارا، و من الكسوات مائة و أربع و أربعون قطعة، و الهيئة المختصة بهذا العيد، برسم كبراء الدولة، و شيوخها و أمرائها و ضيوفها، و الأستاذين المحنكين و المميزين منهم خارجا عن أولاد الوزير و إخوته، و يفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان و خمسمائة دينار و ثمانون دينارا، و أمر بتعليق جميع أبواب القصور،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٨

و تفرقة المؤذنين بالجوامع و المساجد عليها، و تقدّم بأن تكون الأسطة بقاعة الذهب على حكم سماط أول يوم من عيد النحر، و فى باكر هذا اليوم توجه الخليفة إلى الميدان، و ذبح ما جرت به العادة، و ذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة فى عيد النحر، و أمر بتفرقة ذلك للخصوص دون العموم، و جلس الخليفة فى المنطرة و خدمت الرهجية .

و تقدّم الوزير و الأمراء، و سلموا، فلما حان وقت الصلاة و المؤذنون على أبواب القصر يكبرون تكبير العيد إلى أن دخل الوزير، فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ، فتقدّم القاضى أبو الحجاج يوسف بن أيوب فصلى به و بالجماعة صلاة العيد، و طلع الشريف بن أنس الدولة، و خطب خطبة العيد، ثم توجه الوزير إلى باب الملك، فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقائه، قد ضربت المقدمه، فأمره بالمضى إليها، و خلع عليه خلعة مكمله من بدلات النحر و ثوبها أحمر بالشدة الدائمة، و قلده سيفا مرصعا بالياقوت و الجواهر، و عندما نهض ليقبل الأرض وجده قد أعدّ له العقد الجوهر، و ربطه فى عنقه بيده، و بالغ فى إكرامه، و خرج من باب الملك فتلقاه المقرّبون، و سارع الناس إلى خدمته، و خرج من باب العيد و أولاده و إخوته و الأمراء المميزون بحجبه، و خدمت الرهجية، و ضربت العربية و الموكب جميعه بزيه، و قد اصطفت العساكر، و تقدّم إلى ولده بالجلوس على أسمطه و تفرقتها برسومها، و توجه إلى القصر،

و استفتح المقرئون، فسلم الحاضرون، و جرى الرسم فى السماط الأول و الثانى، و تفرقة الرسوم و الموائد على حكم أول يوم من عيد النحر، و توجه الخليفة بعد ذلك إلى السماط الثالث الخاص بالدار الجليلة لأقاربه و جلسائه.

و لما انقضى حكم التعييد جلس الوزير فى مجلسه، و استفتح المقرئون، و حضر الكبراء و بياض البلدين لتهنىء بالعيد و الخلع، و خرج الرسم، و تقدّم الشعراء، فأنشدوا و شرحوا الحال، و حضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التى كانت على المأمون قبل الخلع، و قبضوا الرسم الجارى به العادة، و هو مائة دينار، و حضر متولى بيت المال، و صحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكاك العقد الجوهري و السيف المرصع، فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة: كاتب الدست الشريف بكتب مطالعة إلى الخليفة بما حمل إليه من المال برسم مندبل الكم، و هو ألف دينار، و رسم الأخوة و الأقارب ألف دينار، و تسلم متولى الدولة بقية المال ليفرق على الأمراء المطوقين و المميزين و الضيوف و المستخدمين.

المحول: قال ابن عبد الظاهر: المحول هو مجلس الداعى، و يدخل إليه من باب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٥٩

الريح، و بابه من باب البحر، و يعرف بقصر البحر، و كان فى أوقات الاجتماع يصلى الداعى بالناس فى رواقه.

و قال المسبحى: و فى ربيع الأول يعنى من سنة خمس و ثمانين و ثلثمائة، جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له و لأخيه بمصر، و لأبيه بالمغرب، فمات فى الزحمة أحد عشر رجلا، فكفنههم العزيز بالله، و قال ابن الطوير: و أما داعى الدعاة فإنه يلى قاضى القضاة فى الرتبة، و يتزيا بزيه فى اللباس و غيره، و وصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه، و يأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم، و بين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيباً، و له نواب كنواب الحكم فى سائر البلاد، و يحضر إليه فقهاء الدولة، و لهم مكان يقال له:

دار العلم، و لجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة، و كان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له: مجلس الحكمة فى كل يوم اثنين و خميس، و يحضر مبيضا إلى داعى الدعاة فينفذه إليهم، و يأخذ منهم، و يدخل به إلى الخليفة فى هذين اليومين المذكورين، فيتلوه عليه إن أمكن، و يأخذ علامته بظاهرة، و يجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين فى مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالإيوان الكبير، و للنساء بمجلس الداعى، و كان من أعظم المباني و أوسعها.

فإذا فرغ من تلاوته على المؤمنين و المؤمنات حضروا إليه، لتقبيل يديه، فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة، أعنى خط الخليفة، و له أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة و مصر و أعمالهما، لا سيما الصعيد، و مبلغها ثلاثة دراهم و ثلث، فيجتمع من ذلك شىء كثير يحمله إلى الخليفة بيده بينه، و بينه، و أمانته فى ذلك مع الله تعالى، فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه و للنقباء، و فى الإسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة و ثلاثين دينارا و ثلثى دينار على حكم النجوى، و صحبة ذلك رقعته مكتوبة باسمه، فيتميز فى المحول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك، و فى مالك و ولدك و دينك، فيدخر ذلك، و يتفاخر به، و كانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم: بنو عبد القويّ أباً عن جدّ آخرهم الجليس، و كان الأفضل بن أمير الجيوش نفاهم إلى المغرب، فولد الجليس بالمغرب، و ربي به، و كان يميل إلى مذهب أهل السنة، و ولى القضاء مع الدعوة، و أدركه أسد الدين شيركوه، و أكرمه و جعله واسطة عند الخليفة العاضد، و كان قد حجر على العاضد و لولاه لم يبق فى الخزائن شىء لكرمه، و كأنه علم أنه آخر الخلفاء.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٠

قال المسبحى: و كان الداعى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء، و الدعاوى المتصلة، فكان يفرّد للأولياء مجلساً، و للخاصة و شيوخ الدولة، و من يختص بالقصور من الخدم و غيرهم مجلساً، و لعوام الناس، و للطائرتين على البلد مجلساً، و للنساء فى جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلساً، و للحرم و خواص نساء القصر مجلساً، و كان يعمل المجالس فى داره، ثم ينفذها إلى من يختص بخدمة الدولة، و يتخذ لهذه المجالس كتباً يبيضونها بعد عرضها على الخليفة، و كان يقبض فى كل مجلس من هذه

المجالس ما يتحصل من النجوى من كل من يدفع شيئاً من ذلك عينا و ورقا من الرجال و النساء، و يكتب أسماء من يدفع شيئاً على ما يدفعه، و كذلك فى عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة، و يحصل من ذلك مال جليل، يدفع إلى بيت المال شيئاً بعد شىء، و كانت تسمى مجالس الدعوة: مجالس الحكمة، و فى سنة أربعمئة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس و الزكاة و الفطرة و النجوى التى كانت تحمل، و يتقرب بها، و تجرى على أيدي القضاة، و كتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التى تقرأ على الأولياء يوم الخميس و الجمعة، انتهى. و وظيفه داعى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية، و قد لخصت من أمر الدعوة طرفاً أحببت إيراده هنا.

وصف الدعوة و ترتيبها: و كانت الدعوة مرتبة على منازل: دعوة بعد دعوة.

الدعوة الأولى: سؤال الداعى لمن يدعو إلى مذهبه عن المشكلات، و تأويل الآيات، و معانى الأمور الشرعية، و شىء من الطبيعات، و من الأمور الغامضة، فإن كان المدعو عارفاً سلم له الداعى و إلا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة، و قال له: يا هذا، إن الدين لمكتوم، و إن الأ-كثر له منكرون، و به جاهلون، و لو علمت هذه الأئمة ما خص الله به الأئمة من العلم، لم تختلف؟ فيتشوق حينئذ المدعو إلى معرفة ما عند الداعى من العلم فإذا علم منه الإقبال أخذ فى ذكر معانى القراءات و شرائع الدين، و تقرير أن الآفة التى نزلت بالأئمة، و شئت الكلمة، و أورثت الأهواء المضلة، ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم، و أقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها، و يحفظون معانيها، و يعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة، و نظروا فى الأمور بعقولهم، و اتبعوا ما حسن فى رأيهم، و قلدوا أسفلتهم، و أطاعوا ساداتهم و كبارهم اتباعاً للملوك، و طلبوا للدنيا التى هى أيدى متبعي لإثم و أجناد الظلمة، و أعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة، و يجتهدون فى طلب الرئاسة على الضعفاء و مكايده رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أمته و تغيير كتاب الله عزّ و جلّ، و تبديل سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و مخالفة دعوته، و إفساد شريعته، و سلوك غير طريقته، و معاندة الخلفاء الأئمة من بعده بختر من قبل ذلك، و صار الناس إلى أنواع الضلالات، فإن دين محمد صلى الله عليه و سلم ما جاء بالتحلى، و لا بأمانى الرجال، و لا شهوات الناس، و لا بما خف على الألسنة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦١

و عرفته دهماء العامة، و لكنه صعب مستصعب، و أمر مستقبل، و علم خفى غامض ستره الله فى حجبه، و عظم شأنه عن ابتدال أسرارته، فهو سرّ الله المكتوم، و أمره المستور الذى لا يطيق حمله، و لا ينهض بأعبائه، و ثقله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى، فإذا ارتبط المدعو على الداعى، و أنس له، نقله إلى غير ذلك.

فمن مسائلهم ما معنى: رمى الجمار؟ و العدو بين الصفا و المروة؟ و لم كانت الحائض تقضى الصوم، و لا تقضى الصلاة؟ و ما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير؟ و لا يغتسل من البول النجس الكثير القذر؟ و ما بال الله خلق الدنيا فى ستة أيام؟ أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة؟ و ما معنى الصراط المضروب فى القرآن مثلاً؟ و الكاتيبين الحافظين و ما لنا لا نراهما؟

أخاف أن نكابره، و نجاحده حتى أدلى العيون، و أقام علينا الشهود، و قيد ذلك فى القرطاس بالكتابة، و ما بتبديل الأرض غير الأرض؟ و ما عذاب جهنم؟ و كيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب؟ و ما معنى: و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية؟ و ما إبليس؟

و ما الشياطين؟ و ما وصفوا به و أين مستقرهم؟ و ما مقدار قدرهم؟ و ما يأجوج و مأجوج و هاروت و ماروت و أين مستقرهم؟ و ما سبعة أبواب النار؟ و ما ثمانية أبواب الجنة؟ و ما شجرة الزقوم النابتة فى الجحيم؟ و ما دابة الأرض و رؤس الشياطين؟ و الشجرة الملعونة فى القرآن؟ و التين و الزيتون؟ و ما الخنس الكنس؟ و ما معنى ألم و المص؟ و ما معنى كهيعص و حمعسق، و لم جعلت السماوات سبعة و الأرضون سبعة، و المثانى من القرآن سبع آيات، و لم فجرت العيون اثنتى عشرة عينا، و لم جعلت الشهور اثنتى عشر شهراً، و ما يعمل معكم عمل الكتاب و السنة، و معانى الفرائض اللازمة؟ فكروا أولاً فى أنفسكم أين أرواحكم؟

و كيف صورها؟ و أن مستقرها؟ و ما أول أمرها و الإنسان ما هو؟ و ما حقيقته؟ و ما الفرق بين حياته و حياة البهائم؟ و فضل ما بين حياة البهائم و حياة الحشرات؟ و ما الذي بان به حياة الحشرات من حياة النبات؟ و ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: «خلقت حواء من ضلع آدم»؟ و ما معنى قول الفلاسفة: الإنسان عالم صغير و العالم إنسان كبير؟ و لم كانت قامه الإنسان منتصبه دون غيره من الحيوانات؟ و لم كان في يديه من الأصابع عشر، و في رجله عشر أصابع؟ و في كل أصبع من أصابع يديه ثلاثة شقوق إلا الإبهام، فإن فيه شقين فقط؟ و لم كان في وجهه سبع ثقب؟ و في سائر بدنه ثقبان؟ و لم كان في ظهره اثنتا عشرة عقده و في عنقه سبع عقد؟

و لم جعل عنقه صورة ميم، و يدها: حاء، و بطنه: ميم، و رجلاه: دالا حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد، و لم جعلت قامته إذا انتصب صورة ألف، و إذا ركع صارت صورة: لام، و إذا سجد صارت صورة هاء، فكان كتابا يدل على الله، و لم جعلت أعداد عظام الإنسان كذا؟ و أعداد أسنانه كذا؟ و الأعضاء الرئيسة كذا إلى غير ذلك من التشريح، و القول في العروق و الأعضاء، و جوه منافع الحيوان، ثم يقول الداعي: ألا تتفكرون في حالكم، و تعتبرون و تعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير مجازف، و أنه فعل جميع ذلك

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٢

لحكمة، و له فيها أسرار خفية، حتى جمع ما جمع، و فرق ما فرق، فكيف يسعلكم الإعراض عن هذه الأمور، و أنتم تسمعون قول الله عز و جل: وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [الذاريات / ٢٠، ٢١]، وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [إبراهيم / ٢٥]، سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت / ٥٣]. فأى شيء رآه الكفار في أنفسهم و في الآفاق، حتى عرفوا أنه الحق، و أى حق عرفه من جحد الديانة، ألا يدللكم هذا على أن الله جل اسمه أراد أن يرشدكم إلى بواطن الأمور الخفية، و أسرار فيها مكتومة لو نبهتم لها، و عرفتموها لزال عنكم كل حيرة، و دحضت كل شبهة، و ظهرت لكم المعارف السنية، ألا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من جهلها، كان حريا أن لا يعلم غيرها، أليس الله تعالى يقول: وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلًا [الإسراء / ٧٢] و نحو ذلك من تأويل القرآن، و تفسير السنن و الأحكام، و إيراد أبواب من التجويز و التعليل، فإذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلق بما سأله عنه، و طلب منه الجواب عنها قال له: حينئذ لا تعجل فإن دين الله أعلى و أجل من أن يبذل لغير أهله، و يجعل غرضا للعب و جرت عادة الله، و سنته في عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده، و لذلك قال: وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا [الأحزاب / ٧]، و قال عز و جل: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب / ٢٣]، و قال جل جلاله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة / ١]، و قال: وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضُوا عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا [النحل / ٩١]، و قال: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [المائدة / ٧٠]. و من أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه إلا لمن أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك، و عاهدنا بالموكد من أيمانك و عقودك، أن لا تفسى لنا سراً، و لا تظاهر علينا أحدا، و لا تطلب لنا غيلة، و لا تكتننا نصحا، و لا توالى لنا عدوا، فإذا أعطى العهد قال له الداعي: أعطنا جعلنا من مالك نجعله مقدمه أمام كشفنا لك الأمور، و تعريفك إياها، و الرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي، فإن امتنع المدعو أمسك عنه الداعي، و إن أجاب و أعطى نقله إلى الدعوة الثانية، و إنما سميت الإسماعيلية بالباطنية لأنهم يقولون: لكل ظاهر من الأحكام الشرعية باطن، و لكل تنزيل تأويل.

الدعوة الثانية: لا تكون إلا بعد تقدم الدعوى الأولى، فإذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم، و أعطى الجعل، قال له الداعي: إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه، و ما شرعه لعباده إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس، و أقامهم لحفظ شريعته على ما أراه الله تعالى، و يسلك في تقرير هذا، و يستدل عليه بأمو مقرر في كتبهم، حتى يعلم أن



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٣

اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو، فإذا اعتقد ذلك، نقله إلى الدعوة الثالثة.

الدعوة الثالثة: مرتبة على الثانية، و ذلك أنه إذا علم الداعي ممن دعاه، أن ارتباطه على دين الله لا يعلم إلا من قبل الأئمة، قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة، قد رتبهم الباري تعالى كما رتب الأمور الجليله، فإنه جعل الكواكب السيارة سبعة، و جعل السماوات سبعة، و جعل الأرضين سبعة، و نحو ذلك مما هو سبع من الموجودات.

و هؤلاء الأئمة السبعة هم: عليّ بن أبي طالب، و الحسن بن عليّ، و الحسين بن عليّ، و عليّ بن الحسين الملقب زين العابدين، و محمد بن عليّ، و جعفر بن محمد الصادق، و السابع هو: القائم صاحب الزمان.

و هم أعني الشيعة مختلفون في هذا القائم، فمنهم من يجعله: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، و يسقط إسماعيل بن جعفر، و منهم من يعدّ إسماعيل بن جعفر إماما، ثم يعدّ ابنه محمد بن إسماعيل، فإذا تقرّر عند المدعو أن الأئمة سبعة انحل عن معتقد الإمامية من الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر إماما، و صار إلى معتقد الإسماعيلية، بأن الإمامة انتقلت إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، فإذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو، شرع في ثلث بقيه الأئمة الذين قد اعتقد الإمامية فيهم الإمامة، و قرّر عند المدعو أن محمد بن إسماعيل عنده علم المستورات، و بواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره، و أن عنده أيضا علم التأويل، و معرفة تفسير ظاهر الأمور، و عنده سرّ الله تعالى في وجه تديره المكتوم، و إتقان دلالاته في كل أمر يسأل عنه في جميع المعدومات، و تفسير المشكلات، و بواطن الظاهر كله و التأويلات، و تأويل التأويلات، و أن دعواته هم: الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لأنهم أخذوا عنه، و من جهته رءوا، و إن أحدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم، و لا يقدر على التحقق بما عندهم إلا منهم، و يحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله، فإذا انقاد المدعو، و أذعن لما تقرّر، نقله إلى الدعوة الرابعة.

الدعوة الرابعة: لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدّم، فإذا تيقن منه صحة الانقياد، قرر عنده أن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لأحكامها، أصحاب الأدوار، و تقلب الأحوال، الناطقين بالأمور، سبعة فقط، كعدد الأئمة سواء، و كل واحد من هؤلاء الأنبياء لا بدّ له من صاحب يأخذ عنه دعوته، و يحفظها على أمته، و يكون معه ظهيرا له في حياته، و خليفه له من بعد وفاته، إلى أن يبلغ شريعته إلى أحد يكون سبيله معه، كسبيله هو مع نبيه الذي اتبعه، ثم كذلك كل مستخلف خليفه إلى أن يأتي منهم على تلك الشريعة، سبعة أشخاص.

و يقال لهؤلاء السبعة: الصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٤

و يسمى الأول من هؤلاء السبعة: السوس، و أنه لا بدّ عند انقضاء هؤلاء السبعة، و نفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبيّ ينسخ شرع من مضى من قبله، و تكون الخلفاء من بعده أمورهم تجري كأمر من كان قبلهم، ثم يكون من بعدهم نبيّ ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت أبدا، و هكذا حتى يقوم النبيّ السابع من النطقاء، فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله، و يكون صاحب الزمان الأخير. فكان أول هؤلاء الأنبياء النطقاء: آدم عليه السلام، و كان صاحبه و سوسه ابنه شيث، و عدوّ إتمام السبعة الصامتين على شريعة آدم. و كان الثاني من الأنبياء النطقاء نوح عليه السلام فإن نطق بشريعته، نسخ بها شريعة آدم، و كان صاحبه و سوسه ابنه سام، و تلاه بقيه السبعة الصامتين على شريعة نوح.

ثم كان الثالث من الأنبياء النطقاء إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه، فإنه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح و آدم عليهما السلام، و كان صاحبه و سوسه في حياته، و الخليفه القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه إسماعيل عليه السلام، و لم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة إبراهيم، حتى تمّ دور السبعة الصمت.



و كان الرابع من الأنبياء النطقاء: موسى بن عمران عليه السلام، فإنه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم و نوح و إبراهيم، و كان صاحبه و سوسه أخوه هارون، و لما مات هارون في حياة موسى، قام من بعد موسى، يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته، و بلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد إلى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى، يحيى بن زكرياء و هو آخر الصمت.

ثم كان الخامس من الأنبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، فإنه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله، و كان صاحبه و سوسه: شمعون الصفا، و من بعده تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح.

إلى أن كان السادس من الأنبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، فإنه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء من قبله، و كان صاحبه و سوسه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم من بعد علي سته صمتوا على الشريعة المحمدية، و قاموا بميراث أسرارها، و هم: ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم إسماعيل بن جعفر الصادق، و هو آخر الصمت من الأئمة المستورين و السابع من النطقاء هو صاحب الزمان.

و عند هؤلاء الإسماعيلية أنه: محمد بن إسماعيل بن جعفر و أنه الذي انتهى إليه علم الأولين، و قام بعلم بواطن الأمور و كشفها، و إليه المرجع في تفسيرها دون غيره، و على

المواعظ و الإعتبار بذکر الخطط و الآثار، بيروت، ج ۲، ص: ۲۶۵

جميع الكافة أتباعه و الخضوع له، و الانقياد إليه، و التسليم له، لأن الهداية في موافقته و أتباعه، و الضلال و الحيرة إلى في العدول عنه، فإذا تقرّر ذلك عند المدعو انتقل الداعي إلى الدعوة الخامسة.

الدعوة الخامسة: مترتبة على ما قبلها، و ذلك أنه إذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعي يقرّر أنه لا بدّ مع كل إمام قائم في كل عصر حجج متفرّقون في جميع الأرض عليهم تقوم، و عدّة هؤلاء الحجج أبدا اثنا عشر رجلا في كل زمان كما أنّ عدد الأئمة سبعة، و يستدل لذلك بأمر منها: أنّ الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا، و لا بدّ في خلق كل شيء من حكمه، و إلّا فلم خلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة، و جعل أيضا السماوات سبعا، و الأرضين سبعا، و البروج اثني عشر، و الشهور اثني عشر شهرا، و نقباء بني إسرائيل اثني عشر نقيبا، و نقباء رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأنصار اثني عشر نقيبا، و خلق تعالى في كف كل إنسان أربع أصابع، و في كل أصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثني عشر شقا، على أنه في يد كل إبهام شقان، دلالة على أنّ الإنسان بدنه كالأرض، و أصابعه كالجزائر الأربع و الشقوق التي في الأصابع كالحجج، و الإبهام الذي به قوام جميع الكف، و سداد الأصابع، كالذي يقوّم الأرض بقدر ما فيها، و الشقان اللذان في الإبهام إشارة إلى أنّ الإمام و سوسه لا يفترقان، و لذلك صار في ظهر الإنسان: اثنا عشرة خزيمة، إشارة إلى الحجج الاثني عشر، و صار في عنقه: سبع، فكان العنق عاليا في خزمات الظهر، و ذلك إشارة إلى الأنبياء النطقاء، و الأئمة السبعة، و كذلك الأنتاب السبعة التي في وجه الإنسان العالي على بدنه، و أشياء من هذا النوع كثيرة، فإذا تمهد عند المدعو ما دعاه إليه الداعي، و تقرّر نقله حينئذ إلى الدعوة السادسة.

الدعوة السادسة: لا تكون إلا بعد ثبوت جميع ما تقدّم في نفس المدعو، و ذلك أنه إذا صار إلى الرتبة الخامسة، أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الإسلام من الصلاة و الزكاة و الحج و الطهارة، و غير ذلك من الفرائض بأمر مخالفة للظاهر، بعد تمهيد قواعد تبين في أزمنة من غير عجلة تؤدي إلى أنّ هذه الأشياء، وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة، و سياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض، و تصدّهم عن الفساد في الأرض، حكمه من الناصبين للشرائع، و قوّة في حسن سياستهم لأتباعهم، و إتقاننا منهم لما رتبوه من النواميس و نحو ذلك، حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو، فإذا طال الزمان، و صار المدعو يعتقد أنّ أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامّة، و أنّ لها معاني آخر غير ما يدل عليه الظاهر، و نقله الداعي إلى الكلام في الفلسفة، و حضه على النظر في كلام أفلاطون، و أرسطو، و فيثاغورس، و من في معناهم، و نهاه عن قبول الأخبار، و الاحتجاج بالسمعيات، و زين له الاقتداء بالأدلة العقلية، و التعويل عليها، فإذا استقرّ ذلك عنده و اعتقده، نقله بعد ذلك إلى الدعوة السابعة، و

يحتاج ذلك إلى زمان طويل.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٦

الدعوة السابعة: لا يفصح بها الداعي ما لم يكثر أنسه بمن دعاه، و يتيقن أنه قد تأهل إلى الانتقال إلى رتبة أعلى مما هو فيه، فإذا علم ذلك منه قال: إن صاحب الدلالة، و الناصب للشريعة، لا يستغنى بنفسه، و لا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الأصل و الآخر عنه كان و صدر، و هذا إنما هو إشارة العام السفلي، لما يحويه العالم العلوي، فإن مدبر العالم في أصل الترتيب، و قوام النظام صدر عنه أول موجود بغير واسطة، و لا سبب نشأ عنه، و إليه الإشارة بقوله تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [يس/ ٨٢] إشارة إلى الأول في الرتبة، و الآخر هو القدر الذي قال فيه: **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** [القمر/ ٤٩] و هذا معنى ما نسمعه من أن الله: أول ما خلق القلم، فقال للقلم: اكتب، فكتب في اللوح ما هو كائن، و أشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم، و أصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، و قد أخذ هذا المعنى المتصوِّفة، و بسطوه بعبارات أخر في كتبهم، فإن كنت ممن ارتاض و عرف مقالات الناس تبين ذلك ما ذكرت، و لا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى، و إذا تقرّر ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو، نقله الداعي إلى الدعوة الثامنة.

الدعوة الثامنة: متوقفه على اعتقاد سائر ما تقدّم، فإذا استقرّ ذلك عند المدعو، دينا له، قال له الداعي: اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود و الصادر عنه، إنما تقدّم السابق على اللاحق، تقدّم العلة على المعلول، فكانت الأعيان كلها ناشئة، و كائنه عن الصادر الثاني، بترتيب معروف في بعضهم، و مع ذلك فالسابق عندهم: لا اسم له، و لا صفة، و لا يعبر عنه، و لا يقيد فلا يقال هو موجود، و لا معدوم، و لا عالم، و لا جاهل، و لا قادر، و لا عاجز، و كذلك سائر الصفات، فإنّ الإثبات عندهم يقتضى شركة بينه و بين المحدثات، و التقى يقتضى التعطيل، و قالوا: ليس بقديم، و لا محدث، بل القديم أمره و كلمته و المحدث خلقه و فطرته، كما هو مبسوط في كتبهم، فإذا استقرّ ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي، أن التالي يدب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق، و أنّ الصامت في الأرض يدب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء، و أنّ الداعي يدب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس، و حالة سواء. و هكذا تجرى أمور العالم في أكواره و أدواره، و لهذا القول بسط كثير، فإذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أنّ معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور، و تشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معانى فلسفية تنبئ عن حقيقة أنية السماء و الأرض، و ما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر و الأعراض، فتارة برموز يعقلها العالمون، و تارة بإفصاح يعرفه كل أحد، فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس، و يقرّر عنده أيضا أنّ القيامة، و القرآن، و الثواب، و العقاب، معناها: سوى ما يفهمه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٧

العامة، و غير ما يتبادر الذهن إليه، و ليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب، و عوالم اجتماعاتها من كون، و فساد جاء على ترتيب الطباع، كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم، فإذا استقرّ هذا العقد عند المدعو، نقله الداعي إلى الدعوة التاسعة. الدعوة التاسعة: هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدّم رسوخها في نفس من يدعوه، فإذا تيقن أنّ المدعو تأهل لكشف السرّ، و الإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرّر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات، و ما بعد الطبيعة و العلم الإلهي، و غير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك، كشف الداعي قناعه و قال اذكر من الحدوث، و الأصول رموز إلى معانى المبادئ، و تقلب الجواهر، و أنّ الوحي إنما هو صفاء النفس، فيجد النبي في فهمه ما يلقي إليه، و ينتزل عليه، فيبرزه إلى الناس، و يعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة، و لا يجب حينئذ العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء، بخلاف العارف، فإنه لا يلزمه العمل بها، و يكفيه معرفته، فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه و ما عدا المعرفة من سائر المشروعات، فإنما هي أثقال و آصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأعراض و الأسباب. و من جملة المعرفة عندهم: أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع، إنّما هم لسياسة العامة، و إنّ الفلاسفة أنبياء حكماء الخاصة، و إنّ الإمام إنما

وجوده في العالم الروحاني، إذا صرنا بالرياضة في المعارف إليه، و ظهوره الآن إنما هو ظهور أمره و نهييه على لسان أوليائه، و نحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم، و هذا حاصل علم الداعي، و لهم في ذلك مصنفات كثيرة، منها اختصرت ما تقدم ذكره.

ابتداء هذه الدعوة: أعلم أن هذه الدعوة منسوبة إلى شخص كان بالعراق يعرف:

بميمون القدّاح، و كان من غلاة الشيعة، فولد ابنا عرف: بعبد الله بن ميمون، اتسع علمه و كثرت معارفه، و كاد أن يطلع على جميع مقالات الخليفة، فرتب له مذهبا، و جعله في تسع دعوات، و دعا الناس إلى مذهبه، فاستجاب له خلق، و كان يدعو إلى الإمام محمد بن إسماعيل، و ظهر من الأهواز، و نزل بعسكر مكرم، فصار له مال، و اشتهرت دعائه، فأنكر الناس عليه، و هموا به ففرّ إلى البصرة، و معه من أصحابه الحسين الأهوازي، فلما انتشر ذكره بها طلب، فصار إلى بلاد الشام، و أقام بسلمية، و بها ولد له ابنه أحمد، فقام من بعد أبيه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الأهوازي داعية له إلى العراق، فلقى حمدان بن الأشعث المعروف: بقرمط بسواد الكوفة، فدعاه و استجاب له، و أنزله عنده، و كان من أمره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كتابنا هذا، عند ذكر المعز لدين الله معدي، ثم إنه ولد لأحمد بن عبد الله: ابنه الحسين و محمد المعروف: بأبي الشلعلع، فلما هلك أحمد خلفه ابنه الحسين، ثم قام من بعده أخوه أبو الشلعلع، و كان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه، فانتشرت الدعاء في أقطار الأرض، و تفقهوا في الدعوة، حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٨

و صارت علما من العلوم المدونة، ثم اضمحلت الآن، و ذهب بذهاب أهلها، و لهذا يقال:

إن أصل دعوة الإسماعيلية مأخوذ من القرامطة، و نسبوا من أجلها إلى الإلحاد.

صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو: و هو إن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد و يحلفه: جعلت على نفسك عهد الله و ميثاقه، و ذمّة رسوله، و أنبيائه، و ملائكته، و كتبه، و رسله، و ما أخذه على النبيين من عقد، و عهد، و ميثاق إنك تستر جميع ما تسمعه، و سمعته، و علمته، و عرفته، و نعرفه من أمرى، و أمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الإمام الذي عزفت إقرارى له، و نصحي لمن عقد ذمته، و أمور إخوانه و أصحابه و ولده، و أهل بيته المطيعين له على هذا الدين، و مخالصته له من الذكور و الإناث، و الصغار و الكبار، فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا، و لا كثيرا، و لا شيئا يدل عليه إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به، أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد، فتعمل في ذلك بأمرنا و لا تتعداه، و لا تزيد عليه، و ليكن ما تعمل عليه قبل العهد، و بعده بقولك، و فعلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و تشهد أن محمدا عبده و رسوله، و تشهد أن الجنة حق، و أن النار حق، و أن الموت حق، و أن البعث حق، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من في القبور، و تقيم الصلاة لوقتها، و تؤتي الزكاة لحقها، و تصوم رمضان، و تحج البيت الحرام، و تجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به و رسوله، و توالي أولياء الله، و تعادى أعداء الله، و تقوم بفرائض الله و سننه، و سنن رسول الله صلى الله عليه و سلم و على آله الطاهرين ظاهرا و باطنا، و علانية سرا و جهرا فإن ذلك يؤكّد هذا العهد، و لا يهدمه، و يثبته، و لا يزيله، و يقرب به، و لا يباعده، و يشده، و لا يضعفه، و يوجب ذلك، و لا يبطله و يوضحه، و لا يعميه، كذلك هو الظاهر و الباطن، و سائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين على الشرائط المبينة في هذا العهد، جعلت على نفسك الوفاء بذلك، قل: نعم، فيقول المدعو: نعم.

ثم يقول الداعي له: و الصيانة له بذلك، و أداء الأمانة على أن لا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا، و لا بعد وفاتنا لا في غضب، و لا على حال رضى، و لا على رغبة، و لا في حال رهبة، و لا عند شدة، و لا في حال رخاء، و لا على طمع، و لا على حرمان، تلقى الله على الستر لذلك، و الصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد، و جعلت على نفسك عهد الله و ميثاقه، و ذمته و ذمّة رسوله صلى الله عليه و سلم، أن تمنعني و جميع من أسمىه لك، و أثبته عندك مما تمنع منه نفسك، و تصح لنا و لوليكم ولّى الله نصحا ظاهرا و باطنا، فلا تخن الله و وليه، و لا أحدا من إخواننا و أوليائنا، و من تعلم أنه منا بسبب في أهل و لا مال، و لا رأى، و لا

عهد، و لا عقد تتأول عليه بما يبطله، فإن فعلت شيئاً من ذلك، و أنت تعلم أنك قد خالفته، و أنت على ذكر منه فأنت برىء من الله خالق السماوات و الأرض الذى سوى خلقك، و ألف تركيبك، و أحسن إليك فى دينك و دنياك، و آخرتك، و تبرأ من رسله الأولين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٦٩

و الآخرين، و ملائكته المقرّبين الكروبيين، و الروحانيين و الكلمات التامات، و السبع المثاني، و القرآن العظيم، و تبرأ من التوراة، و الإنجيل، و الزبور، و الذكر الحكيم، و من كل دين ارتضاه الله فى مقدّم الدار الآخرة، و من كل عبد رضى الله عنه، و أنت خارج من حزب الله، و حزب أوليائه و خذلك الله خذلانا بينا، يعجل لك بذلك النعمة و العقوبة، و المصير إلى نار جهنم التى ليس لله فيها رحمة، و أنت برىء من حول الله و قوته، و ملجأ إلى حول نفسك، و قوتك، و عليك لعنة الله التى لعن الله بها إبليس، و حرّم عليه بها الجنة و خلدته فى النار، إن خالقت شيئاً من ذلك، و لقيت الله يوم تلقاه، و هو عليك غضبان، و لله عليك أن تحجج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا، لا يقبل الله منك إلّا الوفاء بذلك، و كل ما تملك فى الوقت الذى تخالفه فيه، فهو صدقة على الفقراء و المساكين الذين لا رحم بينك، و بينهم لا يأجرك الله عليه، و لا يدخل عليك بذلك منفعة و كل مملوك لك من ذكر و أنثى فى ملكك، أو تستفيده إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك، فهم أحرار لوجه الله عز و جل، و كل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك، فهن طوالق ثلاثا بتة، طلاق الحرج لا مثوبة لك، و لا خيار، و لا رجعة، و لا مشيئة، و كل ما كان لك من أهل و مال و غيرهما، فهو عليك حرام، و كل ظهار فهو لازم لك، و أنا المستحلف لك لإمامك، و حجتك، و أنت الحالف لهما، و إن نوت أو عقدت أو أضمرت، خلاف ما أحملك عليه، و أحلفك به، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجددة عليك لازمة لك، لا يقبل الله منك، إلّا الوفاء بها و القيام بما عاهدت بينى و بينك. قل: نعم، فيقول: نعم، و لهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خشية الإطالة و فيما ذكرناه كفاية لمن عقل.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٠

## الدواوين

### إشارة

و كانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله إلى مصر، و نزل بقصره فى القاهرة، محلها بدار الإمارة من جوار الجامع الطولونى.

فلما مات المعز، و قلد العزيز بالله الوزارة، ليعقوب بن كلس نقل الدواوين إلى داره، فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته إلى القصر، فلم تزل به إلى أن استبد الأفضل بن أمير الجيوش، و عمر دار الملك بمصر فنقل إليها الدواوين، فلما قتل عادت من بعده إلى القصر، و ما زالت هناك حتى زالت الدولة.

قال فى كتاب الذخائر و التحف: و حدّثنى من أثق به، قال: كنت بالقاهرة يوماً من شهور سنة تسع و خمسين و أربعمائه، و قد استفحل أمر المارقين، و قويت شوكتهم، و امتدّت أيديهم إلى أخذ الذخائر المصونة فى قصر السلطان بغير أمره، فرأيت و قد دخل من باب الديلم أحد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادى، و فخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان، و رضى الدولة بن رضى الدولة، و أمير الأمراء بحتكين ابن بسكتكين، و أمير العرب بن كيغلع و الأعز بن سنان، و عدّة من الأمراء أصحابهم البغداديين و غيرهم، و صاروا فى الإيوان الصغير، فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم و جماعتهم، و كان معهم أحد الفزاشين

المستخدمين يرسم القصور المعمورة، فدخلوا إلى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور، وصحبهم فعلة، وانتهوا إلى حائط مجير، فأمروا الفعلة بكشف الجير عنه، فظهرت حنية باب مسدود، فأمروا بهدمه، فتوصلوا منه إلى خزائنه، ذكر أنها عزيزية من أيام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر، و من الرماح العزيزية المطلية أسنتها بالذهب، ذات مهارك فضة مجراة بسواد ممسوح، و فضة بياض ثقيلة الوزن عدّة رزم، أعودها من الزان الجيد، و من السيوف المجوهرة النصول و من الشباب الخلنجي و غيره، و من الدرق اللمطي، و الجحف التيني و غير ذلك، و من الدروع المكمل سلاح بعضها و المحلى بعضها بالفضة المركبة عليه، و من التخافيف، و الجواشن، و الكراعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة، و غير ذلك، مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار، فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب.

و لقد شاهدت بعض حواشيهم، و ركاياتهم يكسرون الرماح، و يتلفون بذلك أعودها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧١

الزان، ليأخذوا المهارك الفضة و منهم من يجعل ذلك في سراويله، و عمامته، و جيبه، و منهم من يستوهب من صاحب السيف الثمين، و كان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدّة، حملوا منها ما قدروا عليه، و بقي منها ما كسره الركابية، و من يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازلين، و لصناع المرادن، حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة، و لم تعترضهم الدولة، و لا التفتت إلى قدر ذلك، و لا احتفلت به، و جعلته هو و غيره فداء لأموال المسلمين، و حفظا لما في منازلهم.

### ديوان المجلس

قال ابن الطوير: ديوان المجلس، هو أصل الدواوين قديما، و فيه علوم الدولة بأجمعها، و فيه عدّة كتاب، و لكل واحد مجلس مفرد، و عنده معين أو معينان، و صاحب هذا الديوان، هو المتحدّث في الإقطاعات، و يلحق بديوان النظر و يخلع عليه و ينشأ له السجل، و له المرتبة و المسند و الدواة و الحاجب إلى غير ذلك.

قال: ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم، فأولها دفتر المجلس، و صاحبه من الأستاذين المحنكين، ثم يتولاه أجلّ كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين، و يتضمن ذلك الدفتر، و له مكان ديوان بالقصر الباطن من الإنعام في العطايا، و الظاهر من الرسوم المعروفة في غرة السنة، و الضحايا و المرتب من الكسوات للأولاد، و الأقارب و الجهات، و أرباب الرتب على اختلاف الطبقات، و ما يرد من ملوك الدنيا من التحف و الهدايا، و ما يرسل إليهم من الملاحظات، و مقادير الصلات للمترسلين بالمكاتبات، و ما يخرج من الأكفان لمن يموت من أرباب الجهات المحترمات، ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت، فالصرة المنعم بها في أول العام من الدنانير، و الرباعية و القراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار، و ثمن الضحايا يقرب من ألفي دينار، و ما ينفق في دار الفطرة فيما يفرّق على الناس سبعة آلاف دينار، و ما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص، و غيرها في كل سنة عشرة آلاف دينار، و ما ينفق في مهم فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار، و ما ينفق في شهر رمضان في سماطه ثلاثة آلاف دينار، و ما ينفق في سماطى الفطر، و النخر أربعة آلاف دينار، و هذا خارج عما يطلق للناس أصنافا من خزائنه من المآكل و المشارب و المواصلة من الهبات، و ما تخرج به الخطوط من التشريفات، و المسامحات، و ما يطلق من الأهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شيء من هذه المطلقات، و في هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدي صاحب ديوانه الأصلي، و معه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٢

كاتبان آخران لتنزيل ذلك في الدفتر، و الدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها في أوقاته من غير فوات.

قال: و إذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدّم بعمل الاستيثار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها، فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند



متوليه، و تحمل العروض إليه، فإذا تحرّرت نسخة التحرير: بيّضت بعد أن يستدعى من المجلس أوراق بالإدراج الذي يقبض بغير حرج، و في الإدراج ما هو مستقرّ بالوجهين، فيضاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب و جهاتها، حتى لا يفوت من الاستيثار شيء من كل ما تقرّر شرحه، و يعلم مقداره عينا و ورقا، و غلّه و غير ذلك، فيحرّر ذلك كله بأسماء المرتقين، و أولهم: الوزير، و من يلوذ به، و على ذلك إلى أن ينتهي الجميع إلى أرباب الضرّ، فإذا تكمل استدعى له من خزائنه الفرش و طاء حرير لشده، و شرابة لمسكه، إمّا خضراء أو حمراء، و يعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده، و هذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لأربابها، و الرسوم المعدّة في كل سنة، و ما يحمل من دار الفطرة من الأصناف برسم عيد الفطر، و عما يشهد به دفتر المجلس من العطايا الخافية و الرسوم، و قد انعقد مرّة، و أنا أتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نيف و مائة ألف دينار أو قريب من مائتي ألف دينار، و من القمح و الشعير على عشرة آلاف أردب، فإذا فرغ من مسكه في الشرابة حمل إلى صاحب ديوان النظر إن كان، و إمّا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة، إن كان يعنى مستبداً أو الوزير لاستقبال المحرّم من السنة الآتية في أوقات معلومة، فيتأخر في العرض، و ربما يستوعب المحرّم ليحيط العلم بما فيه، فإذا كمل العرض أخرج إلى الديوان، و قد شطب على بعضه، و كانوا يتحرّجون من الإقامات على مال الدولة التي لا أصل لها، و على غير متوفر، و يتنجزها أربابها بالمستقبالات على الخلفاء و الوزراء، و ينقص قوم للاستكثار، و يزداد قوم للاستحقاق، و يصرف قوم، و يستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت، ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحمل الأمر على ما شطب عليه، و علامة الإطلاق خروجه من العرض.

و قيل: إنه عمل مرّة في أيام المستنصر بالله، فلما استؤذن على عرضه، قال: هل وقع أحد بما فيه غيرنا؟ قيل له: معاذ الله يا مولانا، ما تم إنعام إمّا لك، و لا رزق إمّا من الله على يديك، فقال: ما ينقص به أمرنا، و لا خطنا، و ما صرفناه في دولتنا يا ذنبا، و تقدّم إلى وليّ الدولة بن جبران كاتب الإنشاء بإمضائه للناس من غير عرض، و حمل الأمر على حكمه، و وقع عن الخليفة بظاهرة: الفقر مرّ المذاق، و الحاجة تذلل الأعناق، و حراسة النعم بإدراج الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق ما عندكم ينفد، و ما عند الله باق. و وقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار الرواتب ما نصه: أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثيرا لإعطاء، و لا يكدره بالتأخير له، و التسوية، و الإبطاء، و لما انتهى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٣

إليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من إيجاباتهم، و حمل خروجاتهم، قد ضعفت قلوبهم، و قنطت نفوسهم، و ساءت ظنونهم، شملهم برحمته و رأفته، و أمنهم مما كانوا و جليلين من مخافته، و جعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للإنعام و المنّ، و تهنئة بصدقه لا تتبع بالأذى و المنّ، فليعتمد في ديوان الجيوش المنصورة إجراء ما تضمنت هذه الأوراق ذكرهم على ما ألفوه، و عهدوه من رواتبهم، و إيجابها على سياقها لكافتهم من غير تأوّل، و لا- تعنت و لا- استدراك و لا- تعقب و ليجروا في نسياتهم على عاداتهم لا ينقص من أمرهم ما كان مبرما، و لا ينسخ من رسمهم ما كان محكما، كرما من أمير المؤمنين، و فعلا مبرورا، و عملا بما أخبر به عز و جل في قوله تعالى: **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُوراً [الإنسان / ٩]** و لينسخ في جميع الدواوين بالحضرة إن شاء الله تعالى.

و قال في كتاب كنز الدرر: إن في سنة ست و أربعمائه: عرض على الحاكم بأمر الله الاستيثار باسم المتفقيين، و القراء، و المؤذنين بالقاهرة و مصر، و كانت الجملة في كل سنة: أحدا و سبعين ألف دينار، و سبعمائه، و ثلاثة و ثلاثين دينارا و ثلثي دينار و ربع دينار، فأمضى جميع ذلك.

و قال ابن المأمون: و أما الاستيثار، فبلغني ممن أثق به أنه كان في الأيام الأفضلية اثني عشر ألف دينار، و صار في الأيام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة، و خمسمائة ستة عشر ألف دينار، و أما تذكر الطراز، فالحكم فيها مثل الاستيثار، و الشائع فيها أنها كانت تشمل في الأيام الأفضلية على أحد و ثلاثين ألف دينار، ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة و أربعين ألف دينار، و تضاعفت



في الأيام الآمرية، و عرض روزنامج بما أنفق عينا من بيت المال في مدّة أولها محرّم سنة سبع و عشرة و خمسمائة، و آخرها: سلخ ذى الحجة منها في العساكر المسيرة لجهاد الفرنج بّرا، و الأساطيل بحرا، و المنفق في أرباب النفقات من الحجريّة و المصطبيّة و السودان على اختلاف قبوضهم، و ما ينصرف برسم خزائنة القصور الزاهرة، و ما يتناع من الحيوان برسم المطابخ، و ما هو برسم منديل الكم الشريف في كل سنة، مائة دينار، و المطلق في الأعياد و المواسم، و ما ينعم به عند الركوبات من الرسوم و الصدقات، و عند العود منها، و ثمن الأمتعة المبتاعة من التجار على أيدي الوكلاء و المطلق برسم الرسل، و الضيوف، و من يصل متسأمتا، و دار الطراز، و دار الديباج، و المطلق برسم الصلاة و الصدقات، و من يعتدى للإسلام، و ما ينعم به على الولاة عند استدامهم في الخدم، و نفقات بيت المال، و العمائر و هو من العين: أربعمائة ألف و ثمانية و ستون ألفا، و سبعمائة و سبعة و تسعون دينارا و نصف من جملة: خمسمائة ألف و سبعة و ستين و ألفا، و مائة و أربعين دينارا و نصف، يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل إلى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر، و ما يحمل إلى الثغور عند نفاذ ما بها: ثمانية و تسعين ألفا، و مائة و سبعة و تسعين دينارا و ربعا و سدسا، و لم يكن يكتب من بيت المال وصول، و لا مجرى و لا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٤

تعرف، و ذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأموني، و الأجلة إخوته، و أولاده، و ما أنعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الأصحاب، و الحواشي، و أرباب الخدم، و الكتاب، و الأطباء، و الشعراء، و الفرّاشين الخاص و الجوق، و المؤدبين، و الخياطين، و الرفائين، و صبيان بيت المال، و نواب الباب، و نقباء الرسائل، و أرباب الرواتب المستقرّة من ذوى النسب، و البيوتات و الضعفاء، و الصعاليك من الرجال و النساء عن مشاهرتهم، ستة عشر ألفا، و ستمائة و اثنان و ثمانون دينارا و ثلثا دينار يكون في السنة: مائتي ألف و مائة دينار، فتكون الجملة سبمائة ألف و سبعة و ستين ألفا و مائتين و أربعة و تسعين دينارا و نصفا.

قال: و في هذا الوقت، يعنى شؤال، سنة سبع عشرة و خمسمائة: وقعت مرافعة في أبي البركات بن أبي الليث متولى ديوان المجلس صورتها المملوك يقبل الأرض، و ينهى إنه ما واصل إنهاء حال هذا الرجل، و ما يعتمده لأنه أهل أن ينال خدمته، و إنما هي نصيحة تلزمه في حق سلطانه، و قد حصل له من الأموال و الذخائر ما لا عدد له و لا قيمة عليه، و يضرب المملوك عن وجوه الجناية التي هي ظاهرة، لأن السلطان لا يرضى بذكرها في عالي مجلسه و لا سماعها في دولته، و له و لأهله مستخدمون في الدولة ست عشرة سنة بالجارى الثقيل لكل منهم.

و يذكر المملوك ما وصلت قدرته إلى علمه، ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم في الدواوين من أهله، و أصحابه، و يبدأ بما باسمه مياومة إدارا من بيت المال، و الخزائن و دار التعبية، و المطابخ، و شون الحطب، و هو ما يبين برسم البقولات و التوابل: نصف دينار، و من الضأن: رأس واحد، و من الحيوان: ثلاثة أطيار، و من الحطب: حملة واحدة، و من الدقيق: خمسة و عشرون رطلا، و من الخبز: عشرون وظيفة، و من الفاكهة: ثمرة زهرة قصرستان و شمامة، و في كل اثنين و خميس من السماط بقاعة الذهب: طيفور خاص و صحن من الأوائل، و خمسة و عشرون رغيفا من الخبز الموائد و السميد، و في كل يوم أحد و أربعا من الأسمطة بالدار المأمونية مثل ذلك، و في كل يوم سبت و ثلاثاء من أسمطة الركوبات: خروف مشوي، و جام حلوى و رباعي عبا، و يحضر إليه في كل يوم من الإصطبلات بغلة بمركوب محلى و بغلة برسم الراجل، و فراشين من الجوق برسم خدمته، و تبيت على بابه، و إذا خرج من بين يدي السلطان في الليل، كان له شمعة من الموكيات توصله إلى داره و زنها: سبعة عشر رطلا، و لا تعود، و برسم ولده: في كل يوم ثلاثة أرطال لحم، و عشرة أرطال دقيق، و في أيام الركوبات رباعي، و المشاهرة جارى ديوان الخاص،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٥

و المجلس برسمه: مائة و عشرون دينارا، و برسم ولده: راتبا عشرة دنانير و أثبت أربعة غلمان نصارى، و نسبهم للإسلام في جملة المستخدمين في الركاب، و لم يخدموا لا في الليل، و لا في النهار بما مبلغه سبعة دنانير، و من السكر خمسة عشر رطلا، و من غسل

النحل:

عشرة أرطال، و من قلب الفستق: ثلاثة أرقال، و قلب البندق: خمسة أرطال، و قلب اللوز:

أربعة أرطال، و ورد مربى: رطلان، زيت طيب: عشرة أرطال، شيرج: خمسة أرطال، زيت حار: ثلاثون رطلا، خل: ثلاث جرار، أرز: نصف وبيء، سماق: أربعة أرطال، حصرم و كشك، و حب رمان، و قرصيا بالسوية: اثنا عشر رطلا، سدر و أشنا: وبيء، و من الكيزان: عشرون شربةً عزيزيةً و ثلجيةً واحدةً، و من الشمع ست شمعات منهن: اثنتان منويات، و أربعة رطليات، و المسانهة في بكور الغرة برسم الخاصة: خمسة دنانير، و خمسة رباعية، و عشرة قراريط جدد، و برسم ولده: دينار و رباعى، و ثلاثة قراريط، و خروف مقوم، و خمسة أرؤس، و ربع قنطار خبز برماذق، و صحن أرز بلبن و سكر، و من السماط بالقصر في اليوم المذكور خروف شواء، و زبادى، و جام حلوى و الخبز، و قطعة منفوخ، و من القمح: ثلثمائة أردب، و من الشعير: مائة و خمسون أردبا.

و في المواليد الأربعة: أربع صوانى فطرة، و كسوة الشتاء، برسمه خاصة منديل حريرى و شقة ديبقى حرير و شقة ديباج، و رداء أطلس، و شقة ديباج دارى، و شقتان سقلاطون إحداهما اسكندرانية و شقتان عتابى و شقتان خز مغربى، و شقتان اسكندراني، و شقتان دمياطى، و شقة طلى مرش، و فوطه خاص.

و برسم ولده: شقة سقلاطون دارى، و شقة عتابى دارى، و شقة خز مغربى، و شقتان دمياطى، و شقتان اسكندراني، و شقة طلى و فوطه.

و برسم من عنده: منديلا كم أحدهما خزائنى خاص، و نصفى أردية ديبقى، و شقة سقلاطون دارى و شقة عتابى، و شقة سوسى، و شقة دمياطى، و شقتان اسكندراني، و فوطه، و برسمه أيضا في عيد الفطر: طيفوران، فطرة مشورة، و مائة حبة بورى، و بدلة مذهبة مكمله، و لولده: بدلة حرير، و برسم من عنده حلة مذهبة، و في عيد النحر: رسمه مثل عيد الفطر، و يزيد عنه هبة مائة دينار، و لولده: مثل عيد الفطر و زيادة عشرة دنانير، و يساق إليه من الغنم ما لم يكن باسمه.

و في موسم فتح الخليج: أربعون ديناراً، و صينية فطرة، و طيفور خاص من القصر، و خروف شواء، و حام حلواء، و برسم ولده: خمسة دنانير، و لخاصه في النوروز: ثلاثون ديناراً، و شقة ديبقى حريرى، و شقة لاذ و معجر حريرى، و منديل كم حريرى، و فوطه، و مائة بطيخة، و سبعمائه حبة رمان، و أربعة عناقيد موز، و فرد بسر و ثلاثة أفاص تمر قوصى، و قفصان سفرجل، و ثلاث بكالى هريسة، و واحدة بدجاج، و أخرى بلحم ضان،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٦

و الثالثة بلحم بقري، و أربعون رطلا خبز برماذق، و لولده: خمسة دنانير و حوائج النوروز بما تقدم ذكره، و برسم الغيطاس: خمسمائة حبة ترنج و نارنج و ليمون مركب، و خمسة عشر طن قصب، و عشر حبات بورى، و باسمه في عيد الغدير من السماط بالقصر مثل عيد النحر، و له هبة عن رسم الخلع من المجلس المأمونى، يعنى مجلس الوزارة ثلاثون ديناراً، و لولده خمسة دنانير، و من تكون هذه رسومه في أى وجه تنصرف أمواله، و الذى باسم أخيه نظير ذلك، و كذلك صهره في ديوان الوزارة و ابن أخيه في الديوان التاجى، و وجوه الأموال من كل جهة واصله إليهم، و الأمانة مصروفة عنهم.

و قد اختصر المملوك فيما ذكر، و الذى باسمه أكثر، و إذا أمر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحه قول المملوك، و علم أنه ممن يتجنب قول المحال، و لا- يرضاه لنفسه سيما أن رفعه إلى المقام الكريم، و شنع ذلك بكثرة القول فيهم، و عرض بالقبض عليهم، و أوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الأموال التى تخرج عن هذا الإنعام ما يجده حاضرا مدخورا عند من يعرفه مائة ألف دينار، فلم يسمع كلامه إلى أن ظهر الراهب في الأيام الآمرية، فوجد هو و غيره الفرصة فيهم، و كثر الوقائع عليهم، فقبض عليهم عن آخرهم، و من يعرفهم، و أخذ منهم الجملة الكبيرة، ثم بعد ذلك عادوا إلى خدمهم بما كان من أسمائهم، و تجدد من جاههم، و انتقامهم من أعدائهم أكثر مما كان أولاً، انتهى.

فانظر أعزك الله إلى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها، يتبين لك بما تقدم ذكره في هذه المرافعة من عظم الشأن و كثر العطاء، ما يكون دليلا على باقى أحوال الدولة.

### ديوان النظر

قال ابن الطوير: أما دواوين الأموال، فإنَّ أجَلَّها من يتولى النظر عليهم، و له العزل، و الولاية، و من يده عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير، و لم ير فيه نصراني، إلَّا الأحمز، و لم يتوصل إليه إلَّا بالضمان، و له الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة، و له الجلوس بالمرتبة، و المسند، و بين يديه حاجب من أمراء الدولة، و تخرج له الدواة بغير كرسى، و هو يندب المترسلين لطلب الحساب، و الحث على طلب الأموال، و مطالبة أرباب الدولة، و لا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة.

### ديوان التحقيق

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين، و كان لا يتولاها إلَّا كاتب خبير، و له الخلع المرتبة، و الحاجب، و يلحق برأس الديوان يعنى متولى النظر، و يفتقر إليه في أكثر الأوقات.

و قال ابن المأمون: و في هذه السنة يعنى سنة إحدى و خمسمائة: فتح ديوان المجلس،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٧

قال: و لما كثرت الأموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان، رغب في التبجح على الأفضل بن أمير الجيوش ينهضه، و يسأله أن يشاهده قبل حمله، و ذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال، فجعلت الدنانير في صناديق بجانب، و الدراهم في صناديق بجانب، و قام ابن أبي الليث بين الصفين، فلما شاهد الأفضل بن أمير الجيوش ذلك، قال لابن أبي الليث: يا شيخ تفرحني بالمال؟ و تربة أمير الجيوش إن بلغني أن بثر معطلة، أو أرضا باثرة، أو بلدا خراب، لأضربن عنقك، فقال: و حق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب، أو بثر معطلة، أو أرض بور، فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى.

و قتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة و خمسمائة.

### ديوان الجيوش و الرواتب

قال ابن الطوير: أما الخدمة في ديوان الجيوش، فتنقسم قسمين: الأول ديوان الجيش، و فيه مستوف أصيل و لا يكون إلَّا مسلما، و له مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس، و له الطراحة، و المسند، و بين يديه الحاجب، و ترد عليه أمور الأجناد، له العرض و الحلوى و الثياب.

و لهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد، و إذا عرض أحد الأجناد، و رضى به عرض دوابه، فلا يثبت له إلَّا الفرس الجيد من ذكور الخيل، و إناثها، و لا- يترك لأحد منهم برزون و لا- بغل، و إن كان عندهم البراذين و البغال، و ليس لهم تغيير أحد من الأجناد إلَّا بمرسوم، و كذلك إقطاعهم، و يكون بين يدي هذا المستوفى: نقيب الأمراء ينهون إليه متجددات الأجناد من الحياة و الموت و المرض و الصحة، و كان قد فسح للأجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الإقطاع بالتوقيعات بغير علامة، بل بتخريج صاحب ديوان المجلس، و من هذا الديوان تعمل أوراق أرباب الجرايات، و ما كان لأمير، و إن علا قدره بلد مقور إلَّا نادرا.

و أما القسم الثاني من هذا الديوان: فهو ديوان الرواتب، و يشتمل على أسماء كل مرتزق، و جار، و جارية، و فيه كاتب أصيل بطراحة، و فيه من المعينين و الميضيين نحو عشرة أنفس و التعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر، و مباشرة من استجد، و موت من مات ليجب استحقاقه على النظام المستقيم.

و في هذا الديوان عدّة عروض، العرض الأول: يشتمل على راتب الوزير، و هو في الشهر خمسة آلاف دينار، و من يليه من ولد، و أخ من ثلثمائة دينار إلى مائتي دينار، و لم يقرّر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور، المنعوت: بالكامل، حواشيهم على مقتضى عدّتهم، من خمسمائة إلى أربعمائة إلى ثلثمائة خارجا عن الإقطاعات.

العرض الثاني حواشي الخليفة، و أولهم: الأستاذون المحنكون على رتبهم، و جوارى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٨

خدمهم التي لا يباشرها سواهم، فزمام القصر، و صاحب بيت المال، و حامل الرسالة، و صاحب الدفتر، و مشاد التاج، و زمام الأشراق الأقارب، و صاحب المجلس لكل واحد منهم: مائة دينار في كل شهر، و من دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير، و تزيد عدّتهم على ألف نفس، و لطيبى الخاص لكل واحد: خمسون ديناراً، و لمن دونهما من الأطباء برسم المقيمين بالقصر، لكل واحد عشرة دنانير.

العرض الثالث: يتضمن أرباب الرتب بحضرة الخليفة، فأوله كاتب الدست الشريف، و جارية: مائة و خمسون ديناراً، و لكل واحد من كتابه ثلاثون ديناراً، ثم صاحب الباب و جارية: مائة و عشرون ديناراً، ثم حامل السيف و حامل الرمح لكل منهما: سبعون ديناراً و بقية الأزمة على العساكر و السودان: من خمسين إلى أربعين ديناراً إلى ثلاثين ديناراً.

العرض الرابع: يشتمل على المستقرّ لقاضى القضاء، و من يلي قاضى القضاء: مائة دينار، و داعى الدعاء: مائة دينار، و لكل من قراء الحضرة: عشرون ديناراً إلى خمسة عشر إلى عشرة، و الخطباء الجوامع: من عشرون ديناراً إلى عشرة، و للشعراء من عشرون ديناراً إلى عشرة دنانير.

العرض الخامس: يشتمل على أرباب الدواوين، و من يجرى مجراهم، و أولهم: من يتولى ديوان النظر و جارية: سبعون ديناراً، و ديوان التحقيق جارية: خمسون ديناراً، و ديوان المجلس: أربعون ديناراً، و صاحب دفتر المجلس: خمسة و ثلاثون ديناراً، و كاتبه: خمسة دنانير، و ديوان لجيوش و جارية: أربعون ديناراً، و الموقع بالقلم الجليل: ثلاثون ديناراً، و لجميع أصحاب الدواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد: عشرون ديناراً، و لكل معين: من عشرة دنانير إلى سبعة إلى خمسة دنانير.

العرض السادس: يشتمل على المستخدمين بالقاهرة و مصر لكل احد من المستخدمين فى ولاية القاهرة، و ولاية مصر فى الشهر: خمسون ديناراً، و الحماة بالإهراء، و المناخات و الجوالى و البساتين، و الأملاك و غيرها لكل منهم: من عشرون ديناراً إلى خمسة عشر إلى عشرة إلى خمسة دنانير.

العرض السابع: الفّراشون بالقصور برسم خدمها و تنظيفها خارجا و داخلا و نصب الستائر المحتاج إليها، و خدمة المناظر الخارجة عن القصر، فمنهم خاص برسم خدمة الخليفة، و عدّتهم: خمسة عشر رجلا منهم: صاحب المائدة، و حامى المطابخ: من ثلاثين ديناراً إلى ما حولها، و لهم رسوم متميزة، و يقربون من الخليفة فى الأسمطة التي يجلس عليها، و يليهم الرشاشون داخل القصر و خارجه، و لهم عرفاء، و يتولى أمرهم أستاذ من خواص الخليفة و عدّتهم: نحو الثلاثمائة رجل، و جار بهم: من عشرة دنانير إلى خمسة دنانير.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٧٩

العرض الثامن: صبيان الركاب، و عدّتهم: تزيد على ألفى رجل، و مقدّموهم أصحاب ركاب الخليفة، و عدّتهم: اثنا عشر مقدّما، منهم: مقدّم المقدمين، و هو صاحب الركاب اليمين، و لكل من هؤلاء المقدمين فى كل شهر: خمسون ديناراً، و لهم نقيب من جهة المذكورين يعرفونهم و هم مقرّرون جوقا على قدر جواريتهم، جوقه لكل منهم: خمسة عشر ديناراً، و جوقه لكل منهم: عشرة دنانير، و

جوقه لكل منهم: خمسة دنانير، و منهم من ينتدب في الخدم السلطانية، و يكون لهم نصيب في الأعمال التي يدخلونها، و هم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة في المواسم و غيرها.  
و أول من قرّر العطاء لغلمانه، و خدمه، و أولادهم الذكور و الإناث، و لنسائهم، و قرّر لهم أيضا الكسوة: العزيز بالله نزار بن المعز.

### ديوان الإنشاء و المكاتبات

و كان لا- يتولاه إلّا أجل كتاب البلاغة، و يخاطب: بالشيخ الأجل، و يقال له: كاتب الدست الشريف، و يسلم المكاتبات الواردة مختومة، فيعرضها على الخليفة من بعده، و هو الذي يأمر بتزليلها، و الإجابة عنها للكتاب، و الخليفة يستشير في أكثر أموره، و لا يحجب عنه متى قصد المثل بين يديه، و هذا أمر لا يصل إليه غيره، و ربما بات عند الخليفة ليالي و كان جاريه: مائة و عشرين ديناراً في الشهر، و هو أول أرباب الإقطاعات، و أرباب الكسوة، و الرسوم و الملاطفات و لا سبيل أن يدخل إلى ديوانه بالقصر، و لا يجتمع بكتابه أحد إلّا الخواص، و له حاجب من الأمراء الشيوخ، و فرّاشون و له المرتبة الهائلة، و المخادّ، و المسند، و الدواة لكنها بغير كرسى، و هي من أخص الدوى، و يحملها أستاذ من أستاذي الخليفة.

### التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم

و كان لا بدّ للخليفة من جلس يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله، و تجويد الخط، و أخبار الأنبياء، و الخلفاء، فهو يجتمع به في أكثر الأيام، و معه أستاذ من المحنكين مؤهل لذلك، فيكون الأستاذ ثالثهما، و يقرأ على الخليفة ملخص السير، و يكرّر عليه: ذكر مكارم الأخلاق، و له بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست، و يكون صحبته للجلوس دواءً محلاةً، فإذا فرغ من المجالسة، ألقى في الدواة كاغد: فيه عشرة دنانير، و قرطاس: فيه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٠

ثلاثة مثاقيل ندد مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانی مرة، و له منصب التوقيع بالقلم الدقيق، و له طراحة، و مسند، و فرّاش يقدّم إليه ما يوقع عليه، و له موضع من حقوق ديوان المكاتبات، لا- يدخل إليه أحد إلّا بإذن، و هو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم، و الكساوى و غيرها.

### التوقيع بالقلم الجليل

و هي رتبة جليّة، و يقال لها: الخدمة الصغرى، و لها الطراحة، و المسند بغير حاجب، بل الفرّاش لترتيب ما يوقع فيه. المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢؛ ص ٢٨٠

### مجلس النظر في المظالم

كانت الدولة إذا خلت من وزير صاحب سيف، جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر، و بين يديه النقباء و الحجاب، فينادى المنادى بين يديه: يا أرباب الظلمات، فيحضرون، فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت إلى الولاة و القضاء رسالة بكشفها، و من تظلم

ممن ليس من أهل البلدين أحضر قصة بأمره، فيتسلمها الحاجب منه، فإذا جمعها أحضرها إلى الموقع بالقلم الدقيق، فيوقع عليها، ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل، فيسقط ما أشار إليه الموقع الأول، ثم تحمل في خريطة إلى الخليفة، فيوقع عليها، ثم تخرج في الخريطة إلى الحاجب، فيقف على باب القصر، و يسلم كل توقيع لصاحبه، فإن كان وزيره صاحب سيف: جلس للمظالم بنفسه، و قبالة: قاضى القضاء، و من جانيه شاهدان معتبران، و من جانب الوزير: الموقع بالقلم الدقيق، و يليه: صاحب ديوان المال، و بين يديه صاحب الباب و اسفهلار العساكر، و بين أيديهما التواب، و الحجاب على طبقاتهم، و يكون الجلوس بالقصر فى مجلس المظالم فى يومين من الأسبوع، و كان الخليفة إذا رفعت إليه القصة، وقع عليها: يعتد ذلك إن شاء الله تعالى، و يوقع فى الجانب الأيمن منها، يوقع بذلك، فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس، فيوقع عليها جليلا، و يخلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة و تثبت، و كانت علامتهم أبدا: الحمد لله رب العالمين، و كان الخليفة يوقع فى المسامحة، و التسويغ و التحسيس: قد أنعمنا بذلك، و قد أمضينا ذلك، و كان إذا أراد أن يعلم ذلك الشئ الذى أنهى وقع ليخرج الحال فى ذلك، فإذا أحضر إليه إخراج الحال، علم عليه فإن كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه، وزيرنا السيد الأجل و ذكر نعته المعروف به أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك إن شاء الله تعالى، فيكتب الوزير تحت خط

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨١

الخليفة: يمثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و يثبت فى الدواوين.

## رتب الأمراء

كان أجل خدم الأمراء: أرباب السيوف، خدم الباب، و يقال لمتولى هذه الخدمة: صاحب الباب، و ينعت أولا- بالمعظم، و أول من خدم بها: المعظم خمرتاش فى أيام الخليفة الحافظ، و كان من العقلاء، و ناب عن الحافظ فى مرضه، فلما عوفى أراده على الوزارة، فامتنع، و له نائب يقال له: النائب، و تسمى الخدمة فيها: بالنيابة الشريفة و مقتضاها أنها مميزة، و لا يليها إلا أعيان العدول، و أرباب العمائم، و ينعت أبدا بعدى الملك، و هو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول، و معه تواب الباب فى خدمته، و يحفظهم ينزلهم بالأماكن المعدة لهم، و يقدمهم للسلاح على الخليفة، و الوزير مع صاحب الباب، فيكون صاحب الباب يمينا، و هو يسار، و يتولى افتقادهم، و الحث على ضيافتهم، و لا يمكن من التقصير فى حقوقهم، و اجتماع الناس بهم، و الاطلاع على ما جاؤوا فيه، و لا- من ينقل الأخبار إليهم، و يلي رتبة صاحب الباب، الإسفهلار، و هو زمام كل زمام، و إليه أمور الأجناد، ثم يليه حامل سيف الخليفة أيام الركوب بالمظلة و اليتيم، ثم من يزم طائفتى الحافظية، و الأمرية، و هما وجه الأجناد، و هؤلاء أرباب الأطواق، و يليهم: أرباب القصب، و العماريات، و هى الأعلام، ثم زى الطوائف، ثم من يترشح لذلك من الأماثل و كانت الدولة لا- تسند ذلك إلا إلى أرباب الشجاعة، و النجدة، و لهذا دخل فيه أخلاط الناس من الأرمن و الروم و غيرهم، و على ذلك كان عملهم لا للزينة و التباهى.

## قاضى القضاء

و كان من عادة الدولة، أنه إذا كان وزير: رب سيف، فإنه يقلد القضاء رجلا نيابة عنه، و هذا إنما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجمالى، و إذا كان الخليفة مستبداً قلد القضاء رجلا، و نعته بقاضى القضاء، و تكون رتبته أجل رتب أرباب العمائم، و أرباب الأقاليم، و يكون فى بعض الأوقات داعيا، فيقال له حينئذ: قاضى القضاء، و داعى الدعاء و لا يخرج شئ من الأمور الدينية عنه، و يجلس



السبت و الثلاثاء، بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة و مسند حرير.

فلما ولى ابن عقيل القضاء، رفع المرتبة و المسند، و جلس على طراحات السامان، فاستمر هذا الرسم و يجلس الشهود حوالبه يمنة و يسرة بحسب تاريخ عدالتهم، و بين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه، و اثنان على باب المقصورة، و واحد ينفذ الخصوم إليه، و له أربعة من الموقعين بين يديه: اثنان يقابلان اثنين، و له كرسي الدواة، و هي دواة محلاة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٢

بالفضة تحمل إليه من خزائن القصور، و لها حامل بجامكية في الشهر على الدولة، و يقدم له من الإصطبلات برسم ركوبه على الدوام: بغلة شهباء، و هو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، و عليها من خزانه السروج، سرج محلى ثقيل وراء دفتر فضة، و مكان الجلد حرير، و تأتيه في المواسم الأطواق، و يخلع عليه الخلع المذهبة بلا طبل، و لا بوق إلا إذا ولى الدعوة مع الحكم، فإن للدعوة في خلعه الطبل، و البوق، و البنود الخاص و هي نظير البنود التي يشرف بها الوزير صاحب السيف، و إذا كان للحكم خاصة كان حوالبه القراء رجاله، و بين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة، و الوزير إن كان، ثم و يحمل بنواب الباب و الحجاب، و لا يتقدم عليه أحد في محضره هو حاضره من رب سيف و قلم، و لا يحضر لأملاك و لا جنازة إلا بإذن، و لا سبيل إلى قيامه لأحد، و هو في مجلس الحكم و لا يعدل شاهد إلا بأمره، و يجلس بالقصر في يومى الاثنين و الخميس، أول النهار للسلام على الخليفة، و نوابه لا يفترون عن الأحكام، و يحضر إليه و كيل بيت المال، و كان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير فكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه، و يختم عليه، و يحضر لفتحه، و كان القاضى لا يصرف إلا بجنحة، و لا يعدل أحد إلا بتريكة عشرين شاهدا: عشرة من مصر، و عشرة من القاهرة، و رضى الشهود به، و لا يحتمى أحد على الشرع و من فعل ذلك أدب.

### قاعة الفضة

و هي من جملة قاعات القصر.

### قاعة السدره

كانت بجوار المدرسه، و التربة الصالحية، و اشتراها قاضى القضاء: شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى، مدرس الحنابلة بالمدرسه الصالحية: بألف و خمسة و تسعين ديناراً فى رابع شهر ربيع الآخر: سنة ستين و ستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر و كيل بيت المال، ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى ربيع الآخر المذكور، و كان يتوصل إليها من باب البحر.

### قاعة الخيم

كانت شرقى قاعة السدره، و قد دخلت قاعة السدره، و قاعة الخيم فى مكان المدرسه الظاهرية العتيقة.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٣

### المناظر الثلاث

استجدهن الوزير المأمون البطائحي، وزير الخليفة الأمر بأحكام الله: إحداهن بين باب الذهب، و باب البحر و الأخرى: على قوس باب الذهب، و منظره ثلثة، و كان يقال لها: الزاهرة، و الفاخرة، و الناضرة، و كان يجلس الخليفة في إحداها لعرض العساكر يوم عيد الغدير، و يقف الوزير في قوس باب الذهب.

### قصر الشوك

قال ابن عبد الظاهر كان منزلا لبني عذرة قبل القاهرة يعرف: بقصر الشوك، و هو الآن أحد أبواب القصر انتهى، و العامة تقول: قصر الشوك، و أدركت مكانه دارا استجدت بعد الدولة الفاطمية، هدمها الأمير جمال الدين يوسف الإستاذار في سنة إحدى عشرة و ثمانمائة، لينشئها دارا، فمات قبل ذلك، و موضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه، و بين المارستان العتيق.

### قصر أولاد الشيخ

هذا المكان من جملة القصر الكبير، و كان قاعة، فسكنها الوزير صاحب الأمير الكبير: معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه في أيام الملك الصالح: نجم الدين أيوب، فعرف به، و أدركت هذا المكان خطأ يعرف: بالقصر يتوصل إليه من زقاق تجاه حمام يسرى، و فيه عدّة دور منها: دار الطواشي سابق الدين، و مدرسته المعروفة بالمدرسة السابقة، و كان يتوصل إليه من الركن المخلق أيضا من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء بالمعروف قديما: بباب الريح، ثم عرف: بقصر ابن الشيخ، و عرف في زمننا: بباب القصر إلى أن هدمه جمال الدين الإستاذار كما يأتي إن شاء الله تعالى.

### قصر الزمرد

هو من جملة القصر الكبير، و عرف أخيرا: بقصر قوصون، ثم عرف في زمننا: بقصر الحجازية، و قيل له: قصر الزمرد لأنه كان بجوار: باب الزمرد، أحد أبواب القصر، و وجد به في سنة بضع و سبعين و سبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الأبيض، فعمل لهما ابن عابد رئيس الحراريق السلطانية أساقيل، و جرّهما إلى المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف شعبان بن حسين تجاه: الطبلخانة من قلعة الجبل، و أدركنا لجرّ هذين العمودين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٤

أوقاتا في أيام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك، و لهجوا بذكرهما زمننا، و قالوا فيهما شعرا، و غناء كثيرا، و عملوا نموذجات من ثياب الحرير، و تطريز المناديل عرفت بجرّ العمود، و كانت الأنفس حينئذ منبسطة، و القلوب خالية من الهموم و للناس إقبال على اللهو لكثرة نعمهم، و طول فراغهم، و كان العمودان المذكوران، مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث.

### الركن المخلق

موضعه الآن: تجاه حوض الجامع الأقرم على يمينه من أراد الدخول إلى المسجد المعروف الآن: بمعبد موسى و قيل له: الركن المخلوق لأنه ظهر في: سنة ستين و ستمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه: هذا مسجد موسى عليه السلام، فخلق بالزعران، و سمي من ذلك اليوم بالركن المخلوق، و أخبرني الأمير الوزير أبو المعالي يلبغا السالمي، أنه قرأ في الأسطر المكتوبة: بأسكفة باب الجامع الأقرم كلاما من جملته، و الحوانيت التي بالركن المخوق: بواو بعد الخاء، فرأيت بعد ذلك في الأمالي للقاللي، و قال أبو عبيدة عن أبي عمر، و الخوقاء: الصحراء التي لا ماء بها، و يقال: الواسعة و أخوق: واسع، فلعله سمي: المخوق بمعنى الاتساع، فكان ركنا متسعا، و في بناء واسع أو يكون المخلوق باللام من قولهم قدح مخلوق بضم الميم، و فتح الخاء، و تشديد اللام، و فتحها أي: مستو أملس، و كل ما لين و ملس، فقد خلق، فكل مملس مخلوق، و سمته العامة بعد ذلك: الركن المخلوق عندما خلقوه بالزعران، و الله أعلم.

### السقيفة

و كان من جملة القصر الكبير موضع يعرف: بالسقيفة يقف عنده المتظلمون، و كانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين، فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة، و قال بصوت عال: لا إله إلا الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله، فيسمعه الخليفة، فيأمر بإحضاره إليه، أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو الوالي، و من غريب ما وقع أن المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٥

الموفق بن الخلال: لما كان يتحدّث في أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله، و خرج من انتدب بعد انحطاط النيل من العدول، و النصراني الكتاب إلى الأعمال لتحرير ما شمله الرى، و زرع من الأراضي و كتابة المكلفات، فخرج إلى بعض النواحي من يمسحها من شادّ، و ناظر، و عدول، و تأخر الكاتب النصراني، ثم لحقهم و أراد التعديّة إلى الناحية، فحملة ضامن تلك المعدية إلى البرّ، و طلب منه أجره التعديّة، فنفر فيه النصرانيّ و وسبّه، و قال: أنا ماسح هذه البلدة، و تريد منى حق التعديّة، فقال له الضامن: إن كان لى زرع خذه، و قلع لجام بغلة النصرانيّ، و ألقاه في معديته، فلم يجد النصرانيّ بدّا من دفع الأجره إليه، حين أخذ لجام بغلته، فلما تمم مساحة البلد، و بيض مكلفه المساحة ليحملها إلى دواوين الباب، و كانت عادتهم حينئذ، كتب الجملة بزيادة عشرين فدانا ترك بياضا في بعض الأوراق، و قابل العدول على المكلفه، و أخذ الخطوط عليها بالصحة، ثم كتب في البياض الذي تركه: أرض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانا، قطيعه كل فدان: أربعة دنانير، عن ذلك ثمانون دينارا، و حمل المكلفه إلى ديوان الأصل و كانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية أربعة أشهر ندب من الجند من فيه حماسه، و شدة، و من الكتاب العدول، و كاتب نصرانيّ، فيخرجون إلى سائر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة فينفق في الأجناد، فإنه لم يكن حينئذ للأجناد إقطاعات، كما هو الآن، و كان من العادة أن يخرج إلى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة، بل ينتدب قوم سواهم، فلما خرج الشادّ و الكاتب و العدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا أرباب الزرع على ما تشهد به المكلفه، و من جملتهم ضامن المعدية، فلما حضر: ألزم بسنة و عشرين دينارا و ثلثي دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التي تشهد بها المكلفه، عن خراج أرض اللجام فأنكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية، و صدّقه أهل البلد، فلم يقبل الشادّ ذلك، و كان عسوفاً، و أمر به فضرب بالمقارع و احتج بخط العدول على المكلفه، و ما زال به حتى باع معديته و غيرها، و أورد ثلث المال الثابت في المكلفه و سار إلى القاهرة، فوقف تحت السقيفة، و أعلن بما تقدّم ذكره، فأمر الخليفة الحافظ بإحضاره، فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة، و حكى له ما اتفق منه في حق النصرانيّ، و ما كاده به، فأحضر ابن الخلال، و جميع أرباب الدواوين، و أحضرت المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدّة سنين ماضية، و تصفحت بين يديه سنة سنة، فلم يوجد لأرض اللجام ذكر البتة، فحينئذ أمر الخليفة الحافظ: بإحضار ذلك النصرانيّ، و سمر في مركب و أقام له من يطعمه و يسقيه، و تقدّم بأن يطاف به سائر الأعمال، و ينادى عليه،

ف فعل ذلك، و أمر بكف أيدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة، فتعطلوا مدّة إلى أن ساءت أحوالهم. و كان الحافظ مغرماً بعلم النجوم و له عدّة من المنجمين من جملتهم: شخص صار إليه عدّة من أكابر كتاب النصارى، و دفعوا إليه جملة من المال، و معهم رجل منهم يعرف:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٦

بالأخرم بن أبي زكريا، و سأله أن يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل، فإنه إن أقامه في تدبير دولته زاد النيل، و نما الارتفاع، و زكت الزروع، و نتجت الأغنام، و دزت الضروع، و تضاعفت الأسماك، و ورد التجار، و جرت قوانين المملكة على أجمل الأوضاع، فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب و عمل ما قرره النصارى معه، فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة، فأمر بإحضار الكتاب من النصارى، صار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده، و هم يؤخرون الأخرم عن الحضور إليه قصدا منهم، و خشية أن يفتن بمكرهم إلى أن اشتد إلزامهم بإحضار سائر من بقى منهم، فأحضره بعد أن وضعوا من قدره، فلما رآه الحافظ: رأى فيه الصفات التي عينها منجمه، فاستدناه إليه، و قربه و آل أمره إلى أن ولّاه أمير الدواوين، فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه، و شرعوا في التجبر، و بالغوا في إظهار الفخر، و تظاهروا بالملابس العظيمة، و ركبوا البغال الرائعة، و الخيول المسومة بالسروج المحلاة، و اللجم الثقيلة، و ضايقوا المسلمين في أرزاقهم و استولوا على الأحباس الدينية، الأوقاف الشرعية، و اتخذوا العبيد و المماليك، و الجوارى من المسلمين و المسلمات، و صودر بعض كتاب المسلمين، فألجأته الضرورة إلى بيع أولاده و بناته، فيقال: إنه اشتراه بعض النصارى، و في ذلك يقول ابن الخلال:

إذا حكم النصارى في الفروج و غالوا بالبغال و بالسروج

و ذلت دولة الإسلام طرّوا صار الأمر في أيدي العلوج

فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج

و موضع السقيفة فيما بين درب السلامى، و بين خزائن البنود يتوصل إليه من تجاه البئر التي قدّام دار كانت تعرف: بقاعة ابن كتيلة، ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار، و جعلها مسكناً لأخيه ناصر الدين الخطيب و غير بابها.

## دار الضرب

هذا المكان الذى هو الآن: دار الضرب من بعض القصر، فكان خزائن بجوار الإيوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله أبى تميم معدّ، ذلك أن الأمر لما قتل فى يوم الثلاثاء: رابع عشر ذى القعدة سنة أربع و عشرين خمسمائة، قام العادل برغش، و هزّار الملوك جوامرد، و كانا أخص غلمان الأمر بالأمير عبد المجيد، و نصباه خليفة، و نعتاه بالحافظ لدين الله، و هو

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٧

يومئذ أكبر الأقارب سنا، و ذكر أن الأمر، قال قبل أن يقتل بأسبوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين، و إنه أشار إلى أن بعض جهاته حامل منه، و أنه رأى أنها ستلد ذكراً، و هو الخليفة من بعده، و أن كفاله للأمير عبد المجيد، فجلس على أنه كافل للمذكور، و ندب هزّار الملوك للوزارة، و خلع عليه، فلم ترض الأجناد به، و ثاروا بين القصرين، و كبيرهم رضوان بن ولخشى، و قاموا بأبى على بن الأفضل الملقب: بكتيفات، و قالوا: لا نرضى إلّا أن يصرف هزّار الملوك و تفوض الوزارة لأحمد بن الأفضل فى سادس عشرة، فكان أوّل ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ، و سجنه بالقاعة المذكورة، و قيده، و همّ بخلعه، فلم يتأت له ذلك، و كان إمامياً، فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة، و صار يدعو للقائم المنتظر، و نقش على السكة: الله الصمد الإمام محمد، فلما قتل فى يوم الثلاثاء

سادس عشر المحرم سنة ست و عشرين و خمسمائة بالميدان خارج باب الفتوح، سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله إلى الحافظ، و أخرجوه من الخزانة المذكورة و فكوا عنه قيده، و كان كبيرهم: يانس، و أجلسوه في الشباك على منصب الخلافة، و طيف برأس أحمد بن الأفضل، و خلع على:

يانس خلع الوزارة، و ما زالت الخلافة في يد الحافظ، حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع و أربعين، و خمسمائة عن: سبع و ستين سنة منها: خليفه من حين قتل ابن الأفضل: ثمان عشرة سنة، و أربعة أشهر و أيام.

### خزائن السلاح

كانت بالإيوان الكبير الذي تقدم ذكره في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة تحت القبة التي هدمت في سنة سبع و ثمانين و سبعمائة كما تقدم، و خزائن السلاح المذكورة هي الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسيني، و عقد الإيوان باق، و قد تشعث.

### المارستان العتيق

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع و سبعين و خمسمائة في تاسع ذى القعدة:

أمر السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح: مارستان للمرضى و الضعفاء، فاختر له مكان بالقصر، و أفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة، مبلغها مائتا دينار، و غلات جهاتها الفيوم، و استخدم له أطباء، و طبائعين، و جراحيين، و مشارف، و عاملا، و خداما،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٨

و وجد الناس به رفقا، و إليه مستروحا، و به نفعاً، و كذلك بمصر أمر: بفتح مارستانها القديم و أفرد برسمه من ديوان الأعباس ما تقدير ارتفاعه: عشرون دينارا، و استخدم له طبيب، و عامل و مشارف، و ارتفق به الضعفاء، و كثر بسبب ذلك الدعاء.

و قال ابن عبد الظاهر: كان قاعة بناها العزيز بالله في سنة أربع و ثمانين و ثلثمائة، و قيل: إن القرآن مكتوب في حيطانها، و من خواصها أنه لا يدخلها ثمل لطلسم بها، و لما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال: هذا يصلح أن يكون مارستانا، و سألت مباشره عن ذلك، فقالوا: إنه صحيح، و كان قديما المارستان، فيما بلغني القشاشين، و أظنه المكان المعروف: بدار الديلم انتهى، و القشاشين المذكورة تعرف اليوم: بالخراطين المسلوكة فيها إلى الخيمين، و الجامع الأزهر.

### التربة المعزية

كان من جملة القصر الكبير: التربة المعزية، و فيها دفن المعز لدين الله، آباءه الذين أحضرهم في توأبيت معه من بلاد المغرب، و هم الإمام المهدي عبيد الله، و ابنه القائم بأمر الله محمد، و ابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل، و استقرت مدفنا يدفن فيه الخلفاء، و أولادهم، و نساءهم، و كانت تعرف: بتربة الزعفران، و هو مكان كبير من جملتها الموضع الذي يعرف اليوم: بخط الزراكية العتيق، و من هناك بابها، و لما انشأ الأمير: جهاركس الخليلي خانة المعروف به في الخط المذكور، أخرج ما شاء الله من عظامهم، فألقيت في المزابل على كيما البرقية، و يمتد من هناك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية، و بها إلى اليوم بقايا من

قبورهم، و كان لهذه التربة عوايد و رسوم منها:

أن الخليفة كلما ركب بمظلة، و عاد إلى القصر لا بد أن يدخل إلى زيارة آبائه بهذه التربة، و كذلك لا بد أن يدخل في يوم الجمعة دائماً، و في عيدي الفطر و الأضحى مع صدقات و رسوم تفرق.

قال ابن المأمون: و في هذا الشهر يعنى شوالاً سنة ست عشرة و خمسمائة، تنبه ذكر الطائفة النزاريه، و تقرّر بين يدي الخليفة الأمر بأحكام الله أن يسير رسول إلى صاحب الموق بعد أن جمعوا الفقهاء من الإسماعيلية، و الإمامية، و قال لهم الوزير المأمون البطائحي ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية؟ فقال كل منهم: لم يكن لنزار إمامه و من اعتقد هذا، فقد خرج عن المذهب، و ضلّ، و وجب قتله، و ذكروا حجتهم، فكتب الكتاب، و وصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويت شوكتهم، و اشتدت في البلاد طمعتهم، و أنهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم النجوى و برسم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم، و يخفون في محلهم، فتقدّم الوزير بالفحص عنهم، و الاحتراز التام على الخليفة في ركوبه، و منتزهاته، و حفظ الدور و الأسواق، و لم يزل البحث في طلبهم إلى أن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٩

وجدوا، فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا.

و أما المال و هو ألفا دينار، فإن الخليفة أبى قبوله، و أمر أن ينفق في السودان عبيد الشراء، و أحضر من بيت المال نظير المبلغ، و تقدّم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب، و قنديلان من فضة، و أن يحمل منها قنديل ذهب، و قنديل فضة إلى مشهد الحسين بئغر عسقلان، و قنديل إلى التربة المقدسة تربة الأئمة بالقصر، و أمر الوزير المأمون: بإطلاق ألفى دينار من ماله، و تقدّم بأن يصاغ بها قنديل ذهب، و سلسله فضة برسم المشهد العسقلاني، و أن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب، و أطلق حاصل الصناديق التي تشتمل على مال النجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرّق في الجوامع الثلاثة: الأزهر بالقاهرة، و العتيق بمصر، و جامع القرافة، و على فقراء المؤمنين على أبواب القصور، و أطلق من الأهراء ألفى أردب قمحا، و تصدّق على عدّة من الجهات بجملة كثيرة، و اشترت عدّة جوار من الحجر، و كتب عتقهن للوقت، و أطلق سراحهن، و قال في كتاب الذخائر: إن الأتراك طلبوا من المستنصر نفقة في أيام الشدة، فمأظلمهم و إنهم هجموا على التربة المدفون فيها أجداده، فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب و كانت قيمة ذلك، مع ما اجتمع إليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن، و المجامر و حلى المحاريب و غير ذلك خمسين ألف دينار.

### القصر النافعي

قال ابن عبد الظاهر: القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خووخ كان فيه عجائز من عجائز القصر و أقارب الأشراف انتهى. و موضع هذا القصر اليوم فندق المهندار الذي يدق فيه الذهب، و ما في قبله من خان منجك، و دار خواجه عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بحذاء خان منجك، و ما بجوار دار خواجه من الزقاق المعروف: بدرج الحبشي، و كان حدّ هذا القصر الغربي ينتهي إلى الفندق الذي بالخيمييين المعروف قديماً: بخان منكورس، و يعرف اليوم: بخان القاضي، و اشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة، الأمير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكامل المهندار الذي يعرف: بفندق المهندار بعد أن كان اصطبلا له، و اشترى بعضه الأمير حسام الدين لاجين الإيدمرى المعروف: بالدركيل دودار الملك الظاهر بيبرس، و عمّره اصطبلا، و دارا، و هي الدار التي تعرف اليوم: بخواجه عبد العزيز على باب درب الحبشي، ثم عمل الإصطبل الخان الذي يعرف اليوم: بخان منجك، و ابنتى الناس في مكان درب



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٠  
الحبشي الدور، و زال أثر القصر، فلم يبق منه شيء البتة.

### الخزائن التي كانت بالقصر

#### إشارة

و كانت بالقصر الكبير عدّة خزائن منها: خزنة الكتب، و خزنة البنود، و خزائن السلاح، و خزائن الدرق، و خزائن السروج، و خزنة الفرش، و خزنة الكسوات، و خزنة الأدم، و خزائن الشراب، و خزنة التوابل، و خزائن الخيم، و دار التعيبة، و خزائن دار أفتكين، و دار الفطرة، و دار العلم، و خزنة الجوهر و الطيب، و كان الخليفة يمضي إلى موضع من هذه الخزائن، و في كل خزنة دكة عليها طراحة، و لها فراش يخدمها، و ينظفها طول السنة، و له جار في كل شهر، فيطوفها كلها في السنة.

#### خزنة الكتب

قال المسبحي: و ذكر عند العزيز بالله، كتاب العين للخليل بن أحمد، فأمر خزان دفاتره، فأخرجوا من خزائنه نيفا و ثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد، و حمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري: اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان، فأخرجوا من الخزنة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري، منها نسخة بخطه.

و ذكر عنده كتاب: الجمهرة لابن دريد، فأخرج من الخزنة مائة نسخة منها، و قال في كتاب الذخائر: عدّة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر: أربعون خزنة، خزنة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، و إن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان و أربعمئة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب و فضة، و غيرهما، و إن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته، و لم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها، و وجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقله، و ابن البواب و غيرهما.

قال: و كنت بمصر في العشر الأول من محرّم سنة إحدى و ستين و أربعمئة، فرأيت فيها خمسة و عشرين جملا موقرة كتبا محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩١

جعفر المغربي، فسألت عنها، فعرفت أنّ الوزير أخذها من خزائن القصر هو، و الخطير ابن الموق في الدين بإيجاب و جبت لهما عما يستحقانه، و غلمانهما من ديوان الجليلين، و إن حصّة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاري مماليكه، و غلمانه بخمسة آلاف دينار، و ذكر لي من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار، و نهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها، مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج، و ابن أبي كدينه، و غيرهما هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة، و سوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترق بالإسكندرية، ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب، و سوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار إليه بالبتايغ، و الغصب في بحر النيل إلى الإسكندرية في سنة إحدى و ستين و أربعمئة، و مما بعدها من الكتب الجليلة المقدار، المعدومة المثل في سائر الأمصار صحه، و حسن خط، و تجليد، و غرابه التي أخذ جلودها عبيدهم، و إمأهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم، و أحرق ورقها تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره، و إن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق، و تلف، و حمل إلى سائر الأقطار، و بقي منها ما لم يحرق، و

سفت عليه الرياح التراب، فصار تلالا باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف: بتلال الكتب.

و قال ابن الطوير: خزائن الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني:

المارستان العتيق، فيجىء الخليفة راكبا، و يترجل على الدكة المنصوبة، و يجلس عليها، و يحضر إليه من يتولاها، و كان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى، فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة، و غير ذلك مما يقترحه من الكتب، فإن عن له أخذ شيء منها أخذه، ثم يعيده، و تحتوى هذه الخزائن على عدّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، و الرفوف مقطعة بحواجز، و على كل حاجز باب مقفل بمفصلات، و قفل و فيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، و يسير من المجردات، فمنها الفقه على سائر المذاهب، و النحو، و اللغة، و كتب الحديث و التواريخ، و سير الملوك، و النجامة، و الروحانيات، و الكيمياء من كل صنف النسخ، و منها النواقص التي ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزائن، و ما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها، و فيها من الدروج بخط ابن مقله، و نظائره كابن البوّاب و غيره، و تولى بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين، فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها، و فيها ناسخان، و فرائش صاحب المرتبة. و آخر، فيعطى الشاهد عشرين دينارا،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٢

و يخرج إلى غيرها، و قال ابن أبي طى بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر، و من جملة ما باعوه: خزائن الكتب، و كانت من عجائب الدنيا، و يقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر، و من عجائبها: أنه كان فيها ألف، و مائتا نسخة من تاريخ الطبري إلى غير ذلك، و يقال: إنها كانت تشتمل على ألف و ستمائة ألف كتاب، و كان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة انتهى، و مما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليّ: لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة، جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد، و باع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدّة أعوام، فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء، و ذكر ابن أبي واصل: أن خزائن الكتب كانت تزيد على مائة و عشرين ألف مجلد.

### خزائن الكسوات

قال ابن أبي طى: و عمل يعنى لمعز الدين الله دارا، و سماها: دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب و البز، و يكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء و الصيف، و كانت لأولاد الناس، و نسائهم كذلك و جعل ذلك رسما يتوارثونه في الأعباب، و كتب بذلك كتبا، و سمى هذا الموضوع: خزائن الكسوة، و قال عند ذكر انقراض الدولة.

و من أخبارهم: أنهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدمهم و حواشيهم، و من يلود بهم من صغير و كبير، و رفيع، و حقير كسوات الصيف و الشتاء من العمامة إلى السراويل، و ما دونه من الملابس و المنديل من فاخر الثياب، و نفيس الملبوس، و يقومون لهم بجميع ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات و المشروبات، و سمعت من يقول: إنه حضر كسا القصر التي تخرج في الصيف و الشتاء، فكان مقدارها ستمائة ألف دينار و زيادة، و كانت خلعتهم على الأمراء الثياب الديقى، و العمامم بالطراز الذهب، و كان طراز الذهب و العمامة من خمسمائة دينار، و يخلع على أكابر الأمراء الأطواق و الأسورة و السيوف المحلاة، و كان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر.

و قال ابن المأمون: و جلس الأجل يعنى الوزير المأمون في مجلس الوزارة لتنفيذ الأمور، و عرض المطالعات، و حضر الكتاب، و من جملتهم ابن أبي الليث كاتب الدفتر، و معه ما كان أمر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله، و أوان تفرقتها، فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة و خمسمائة: من الأصناف أربعة عشر ألفا و ثلثمائة و خمس قطع، و إن أكثر ما أنفق عن مثل ذلك في الأيام الأفضلية في طول مدتها لسنة ثلاث عشرة، و خمسمائة: ثمانية آلاف و سبعمائة و خمس و سبعون قطعة، يكون الزائد عنها

بحكم ما رسم به في منفق سنه، ست عشرة: خمسة آلاف و ستمائة و أربعا و ثلاثين قطعاً، و وصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر الشهر، و قد تضاعفت عما كانت عليه في الأيام

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٣

الأفضلية لهذا الموسم، و هي تشتمل على ذهب و سلف دون العشرين ألف دينار، و هو عندهم الموسم الكبير، و يسمى: بعيد الحلل، لأن الحلل فيه تعم الجماعة، و في غيره للأعيان خاصة، فأحضر الأمير: افتخار الدولة مقدم خزانه الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة، و هو برسم الموكب: بدله خاص جليله مذهبه، ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين إحدى عشرة قطعة، السلف عنها مائة و ستة و سبعون ديناراً و نصف، و من الذهب العالي المغزول: ثلثمائة و سبعون و خمسون مثقالاً و نصف، كل مثقال أجره غزله ثمن دينار، و من الذهب العراقي: ألفان و تسعمائة و أربع و تسعون قصبه.

تفصيل ذلك: شاشية طميم السلف: ديناران، و سبعون قصبه ذهباً عراقياً منديل بعمود ذهب السلف: سبعون و ألفان و مائتان و خمسون قصبه ذهباً عراقياً، فإن كان الذهب نظير المصري، كان الذي يرقم فيه: ثلثمائة و خمسة و عشرين مثقالاً، لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهباً عراقياً وسط سرب بطانة للمنديل السلف: عشرة دنانير و سبعون قصبه ذهباً عراقياً ثوب موشح مجاوم مطرف السلف: خمسون ديناراً و ثلثمائة و أحد و خمسون مثقالاً- و نصف ذهباً عالياً، أجره كل مثقال ثمن دينار، تكون جملة مبلغه، و قيمة ذهبه: ثلثمائة و أربعة و تسعين ديناراً و نصفاً، ثوب ديبقي حريري و سلطاني السلف: اثنا عشر ديناراً، غلالة ديبقي حريري السلف: عشرون ديناراً، منديل كم أول مذهب السلف: خمسة دنانير و مائتان و أربع قصبات ذهباً عراقياً، منديل كم ثان حريري السلف: خمسة دنانير، حجرة السلف:

أربعة دنانير، عرضي مذهب السلف: خمسة دنانير و خمسة عشر مثقالاً ذهباً عالياً، عرضي لفاقه للثخت دينار واحد و نصف، بدله ثانية برسم الجلوس على السّماط عدتها باللفافتين، عشر قطع السلف: مائة و أربعة عشر ديناراً، و من الذهب العالي خمسة و خمسون مثقالاً، و من الذهب العراقي: سبعمائة و أربعون قصبه.

تفصيل ذلك: شاشية طميم السلف: ديناران، و سبعون قصبه ذهباً عراقياً، منديل السلف: ستون ديناراً، و ستمائة قصبه ذهباً عراقياً، شقة و كم السلف: ستة عشر ديناراً، و خمسة و خمسون مثقالاً ذهباً عالياً، أجره كل مثقال ثمن دينار شقة ديبقي حريري و سلطاني:

اثنا عشر ديناراً، شقة ديبقي غلالة ثمانية دنانير، منديل الكم الحريري: خمسة دنانير، حجرة أربعة دنانير، عرضي خمسة دنانير، عرضي برسم الثخت دينار واحد و نصف، و هذه البدله لم تكن فيما تقدم في أيام الأفضل لأنه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة، فإنه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الأسمطة، و الدواوين إلى داره، فصاره يعمل هناك، ما هو برسم الأجل أبي الفضل: جعفر أخى الخليفة الأمر بدله مذهبه مبلغها: تسعون ديناراً و نصف، و خمسة و عشرون مثقالاً ذهباً عالياً، و أربعمائة و سبعون قصبه ذهباً عراقياً، تفصيل ذلك: منديل السلف: عشرة دنانير، شقة غلالة ديبقي السلف: ثمانية دنانير، حجرة: ثلاثة دنانير و ثلث، عرضي ديبقي: ثلاثة دنانير، الجهة العاليه بالدار الجديدة التي يقوم بخدمتها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٤

جوهر: حله مذهبه موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها: خمس عشرة قطعة سلفها: ستة آلاف و ثلثمائة و ثلاثون قصبه، تفصيل ذلك: مذهب مكلف موشح مجاوم السلف: خمسة عشر ديناراً، و ستمائة و ستون قصبه، سداسي مذهب السلف: ثمانية عشر ديناراً، و مائتا قصبه معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف: خمسون ديناراً، و ألف و تسعمائة قصبه. معجز ثان حريري السلف: خمسة و ثلاثون ديناراً و نصف، رداء حريري أول السلف:

عشرة دنانير و نصف، رداء حريري ثان، السلف: تسعة دنانير، دراعه موشح مجاوم مذايل مذهبه السلف: خمسة و تسعون ديناراً، و من الذهب العراقي ألفان و ستمائة و خمس و خمسون قصبه، شقة ديبقي حريري و سلطاني السلف: عشرون ديناراً و نصف، شقة ديبقي

بغير رقم برسم عجز التفصيل: ثلاثة دانير، ملاءة ديبقى السلف: أربعة و عشرون ديناراً و ستمائة قصبه، مندبل كم أول السلف: ستة دانير، و مائة و ستون قصبه، مندبل كم ثان السلف: خمسة دانير، و مائة و ستون قصبه مندبل كم ثالث السلف: خمسة دانير، حجرة: ثلاثة دانير، عرضى ديبقى: ثلاثة دانير، جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح، و العدة جهة مرشد: حلة مذهبه عدتها، أربع عشرة قطعة السلف: مئة و أحد و أربعون ديناراً، و من الذهب العراقى: ألف و ستمائة و تسع و ثمانون قصبه، جهة عنبر مثل ذلك. السيدة جهة ظل: مثل ذلك، جهة منجب: مثل ذلك، الأمير أبو القاسم عبد الصمد:

بدله مذهبه، الأمير داود مثله، السيدة العمه حله مذهبه، السيدة العابدة العمه مثل ذلك، الموالى الجلساء من بنى الأعمام، و هم أبو الميمون بن عبد المجيد، و الأمير أبو اليسر ابن الأمير محسن، و الأمير أبو على ابن الأمير جعفر، و الأمير حيدر ابن الأمير عبد المجيد، و الأمير موسى ابن الأمير عبد الله، و الأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود لكل منهم: بدله مذهبه، البنون و البنات من بنى الأعمام غير الجلساء لكل منهم: بدله حريرى، ست سيدات لكل منهن حله حريرى، جهة المولى أبى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حله مذهبه، جهة المولى عبد الصمد حله حريرى، ما يختص بالدار الجوشية و المظفرية فعلى ما كان بأسمائهم، المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة: حله مذهبه، ست خزان لكل منهن حله حريرى، عشر وقافات لكل منهن كذلك، المعلمة مقدمة المائدة كذلك، رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك، المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات، و ممن انضاف إليهن من الأفضليات مائة و سبعون حله مذهبه و حريرى على التفصيل المتقدم، المستخدمات عند الجهات العالیه، جهة جوهر عشرون حله مذهبه و حريرى، و كذلك المستخدمات عند مكنون الأمراء.

الأستاذون المحنكون: الأمير الثقة زمام القصور: بدله مذهبه، الأمير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك، الأمير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك، الأمير عظيم الدولة، و سيفها حامل المظلة كذلك، الأمير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٥

و فى الدولة إسعاف متولى المائدة مثله، الأمير افتخار الدولة جندب بدله مذهبه، نظير البدله المختصة بالأمير الثقة و لكل من غير هؤلاء المذكورين: حله حريرى أربع قطع و لفافه فوطه، مختار الدولة ظل بدله حريرى، ستة أستاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الأمير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدله مذهبه، جوهر زمام الدار الجديدة بدله حريرى، تاج الملك أمين بيت المال مثله، مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله، مكنون متولى خدمة الجهة العالیه مثله، فنون متولى خدمة التربة مثله، مرشد الخاصى مثله، التواب عن الأمير الثقة فى زمان القصور، و عدتهم أربعة لكل منهم بدله حريرى خسروانى، العظمى مقدم خزانة الشراب، و رفيقه لكل منهما بدله. كذلك الصقالبة أرباب المداب، و عدتهم أربعة لكل منهم: بدله حريرى و شقة و فوطه، نائب الستر مثل ذلك. الأستاذون برسم خدمة المظلة، و عدتهم خمسة لكل منهم: مندبل سوسى، و شقة دمياطى، و شقة اسكندرانى، و فوطه، الأستاذون الشدادون برسم الدواب، و عدتهم ستة كذلك، ما حمل برسم السيد الأجل المأمون يعنى الوزير: بدله خاصة مذهبه كبيرة موكية عدتها: إحدى عشرة، و ما هو برسم جهاته و برسم أولاده: الأجل تاج الرياسة، و تاج الخلافة، و سعد الملك محمود، و شرف الخلافة جمال الملك موسى، و هو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم أولاد الأفضل بن أمير الجيوش، و هم: حسن، و حسين، و أحمد الأجل المؤمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمه العساكر، و زم الأزمية و برسم الجهة المختصة به، و ركن الدولة عزا الملوك أبو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجاً عما له من حماية خزانة الكسوات، و صناديق النفقات، و ما يحمل أيضاً للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن فى رأى من العاشية المأمونية: ثلاثون بدله.

الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الشريف: بدله مذهبه عدتها خمس قطع و كم و عرضى، الأمير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجيبه الباب: بدله مذهبه، كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم: بدله مذهبه عدتها أربع قطع و كم و عرضى، الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق: بدله مذهبه، الأمير الشريف أبو على أحمد بن عقيل نقيب الأشراف: بدله

حريرى ثلاث قطع و فوطه، الشريف أنس الدولة متولى ديوان الإنشاء بدله كذلك، ديوان المكاتبات الشيخ أبو الرضى ابن الشيخ الأجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور: بدله مذهبه عدتها ثلاث قطع و كم، أبو المكارم: هبة الله أخوه بدله مذهبه ثلاث قطع و فوطه، أبو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم أبو الفتح بدله حريرى قطعتان و فوطه، الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٦

منشى ما يصدر عن ديوان المكاتبات، و محرر ما يؤمر به من المهمات: بدله مذهبه عدتها ثلاث قطع و كم و مزنر، أبو سعيد الكاتب: بدله حريرى، أبو الفضل الكاتب كذلك، الحاج موسى المعين فى الإلصاق كذلك.

و أما الكتاب بديوان الإنشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه أسماؤهم، فيذكروا، و من القياس أن يكونوا قريبا من ذلك، الشيخ ولّى الدولة أبو البركات متولى ديوان المجلس و الخاص: بدله مذهبه عدتها خمس قطع و كم و عرضى، و لامراته حله مذهبه. الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبى الليث متولى الدفتر، و ما جمع إليه بدله، أبو المجد ولده بدله حريرى، عدى الملك أبو البركات متولى دار الضيافة: بدله مذهبه، و بعده الضيوف الواردون إلى الدولة جميعهم، منهم من له بدله مذهبه و منهم من له بدله حريرى، و كذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم.

مقدمو الركاب: عفيف الدولة مقبل بدله مذهبه، القائد موفق و القائد تميم مثل ذلك، أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم: بدله حريرى الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم:

بدله حريرى، الخاص من الفرّاشين، و هم اثنان و عشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم: بدله مذهبه، و بقيتهم لكل واحد بدله حريرى.

الأطباء: الشديد أبو الحسن على بن أبى الشديد: بدله حريرى، أبو الفضل النسطورى بدله حريرى، و كذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام، و هم ثمانية مقدمهم: بدله مذهبه، و بقيتهم لكل واحد بدله حريرى، والى القاهرة، و والى مصر لكل منهما بدله مذهبه. المستخدمون فى المواكب: الأمير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب، و الدرقة المعزية: بدله حريرى، حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما: منديل و شقة و فوطه، و هؤلاء الثلاثة رماح ما هى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب، حاملا- لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه و يساره لكل منهما بدله، متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدله حريرى، متولى حمل المظلة كذلك، عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالدياج وراء الموكب لكل منهم: منديل و شقة و فوطه، حامل السبع وراء الموكب: بدله حريرى.

المقدمون من صبيان الخاص، و هم عشرون لكل منهم: بدله، عرفاء الفرّاشين الذين ينحطون عن فرّاشى الخاص، و فرّاشى المجلس، و فرّاشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم: بدله حريرى، الفرّاشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالإيوان، و هم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم فإنها لا- تشدّ إلّا بين يديه، و يبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة، و يكمل المستخدمون بقية شدها، و ما سوى ذلك من القضب الفضة، و ألوية الوزارة، و غيرها، و عدتهم: سبعة لكل منهم: منديل سوسى، و شقتان

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٧

اسكندراني. المستخدمون برسم حمل القضب الفضة، و لوائى الوزارة أربعة عشر كذلك، مشارف خزانة الطيب، و كانت من الخدم الجلييلة، و كان بها أعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد، و يستدعى منها عند الحاجة، و يعاد إليها عند الغنى عنها، و كذلك السيف و الثلاثة رماح المعزية، مشارف خزائن السروج بدله حريرى، مشارف خزائن الفرش، و كاتب بيت المال، و مشارف خزائن الشراب، و مشارف خزائن الكتب كل منهم:



بدلة حريري، و بركات الأدمى و المستخدمون بالدولة بالباب، و سنان الدولة مز الكركندى عن زم الرهجية، و المبيت على أبواب القصور و كانت من الخدم الجليئة، و الصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقرين، و عدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء، و العيدين و غيرهما، و عدده الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفرائشين أكثر من صبيان الركاب، و ذلك أنهم يتولون الأسطة، و يقفون فى تقدمتها، و ينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المتحصل فى المخلفات فى العيدين، و هو ما مبلغه ستة آلاف دينار ما لأحد معهم فيها نصيب، و كان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء.

فمما كتب به من إنشاء ابن الصيرفى مقترنه بكسوة عيد الفطر من سنة: خمس و ثلاثين و خمسمائة، و لم يزل أمير المؤمنين منعما بالرغائب، موليا إحسانه كل حاضر من أوليائه، و غائب مجزلا حظهم من منائح و مواهبه، موصلا إليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه و واجبه، و إنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه، و أحراهم باستنشاق نسيمه، و أخلقهم بالجزء الأوفى منه عند فضه و تقسيمه، إذ كنت فى سماء المسابقة بدرا، و فى جرائد المناصحة صدرا، و ممن أخلص فى الطاعة سراً و جهراً، و حظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له و صوفا و سير له ذكرا، و لما أقبل هذا العيد السعيد، و العادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم و يأخذوا عند كل مسجد زينتهم، و من وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه و خدمه فيه، و فى المواسم التى تجاربه، بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف و الجمال، و لا يبقى بعدها مطمع للأمال، و كنت من أخص الأمراء المقدمين.

قال: و وصلت الكسوة المختصة بغيره شهر رمضان، و جمعته برسم الخليفة للغير بدلة كبيرة موكبية مكمله مذهبه، و برسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر: بدلة موكبية حريرى مكمله مندليها و طيلسانها بياض، و برسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة مندليها و طيلسانها شعري، و ما هو برسم أخى الخليفة للغير خاصة بدلة مذهبه، و يرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات، و برسم الوزير للغير بدلة مذهبه مكمله موكبية، و برسم الجمعيتين بدلتان حريرى، و لم يكن لغير الخليفة، و أخيه الوزير فى ذلك شىء فيذكر، و وصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج، و هى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان إحدهما: مندليها و طيلسانها طميم برسم المضى، و الأخرى جميعها حريرى، برسم العود، و كذلك ما يختص بإخوته، و جهاته بدلتان مذهبتان و أربع حلل مذهبه، و برسم الوزير بدلة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٨

موكبىة مذهبه فى تخت، و برسم أولاده الثلاثة: ثلاث بدلات مذهبه، و برسم جهته حله مذهبه فى تخت و بقيه ما يخص المستخدممين، و ابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت: عدده بدلات، و حضر متولى الدفتر، و استأذن على ما يحمل برسم الخليفة، و ما يفرق و يفصل برسم الخلع، و ما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل، و هو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم: سبعمائه قباء و خمسمائه و شقين سقلاطون دارى، و برسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى، و المناديل السوسى، و الفوط الحرير الحمر، و برسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندراني، و الكلوتات، و قد تقدم تفصيل الكسوات جميعها، و عددها و أسماء المستمزين لقبضها.

و قال فى كتاب الذخائر: و حدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال: قومنا ما أخرج من خزائن القصر يعنى فى سننى الشدة أيام المستنصر، من سائر ألوان الخسروانى، ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب، و سألت ابن عبد العزيز، فقال: أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدي، و بحضرتى أكثر من ألف قطعة.

و حدثنى أبو الفضل يحيى بن دينار البغدادي: أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى أبو سعيد النهاوندى المعروف: بالمعتمد بيعة خاصة من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مدّة يسيرة: ثمانية عشر ألف قطعة من بلور، و يحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة دنانير و نيف، و عشرون ألف قطعة خسروانى. و حدثنى عميد الملك أبو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم، أن ناصر الدولة أرسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه، فذكر أنه لم يبق عنده شىء إلا ملابسه، فأخرج



ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت و حملت إليه.

وقال ابن الطوير: الخدم في خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة في المباشرات، و هما خزانتان، فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشى الخليفة إقياً أستاذ أو غيره، و فيها من الحواصل ما يدل على إسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب، و الخاص الديبقيّ الملوّن، رجالية و نسائية، و الديباج الملوّن، و السقلاطون و إليها يحمل ما يستعمل في دار الطراز بتينس و دمياط و إسكندرية من خاص المستعمل و بها صاحب المقص، و هو مقدّم الخياطين، و لأصحابه مكان لخياطتهم، و التفصيل يعمل على مقدار الأوامر و ما تدعو الحاجة إليه، ثم ينقل إلى خزانه الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة، و يتولاها امرأة تنعت: بزین الخزان أبداً، و بين يديها ثلاثون جارية، فلا يغير الخليفة أبداً ثيابه إلّا عندها، و لباسه خافيا الثياب الدارية و سعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهر، و ليس في جهة من جهاته ثياب أصلا، و لا يلبس إلّا من هذه الخزانه، و كان يرسم هذه الخزانه بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى أبداً فيه النسرين، و الياسمين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٩٩

فيحمل في كل يوم منه شيء في الصيف و الشتاء، لا ينقطع البتة برسم الثياب و الصناديق، فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدّم ذكره من أولاد الخليفة، و جهاته و أقاربه، و أرباب الرواتب و الرسوم من كل صنف شدة على ترتيب الفروض من شقق الديباج الملوّن، و السقلاطون إلى السوسى، و الإسكندرانيّ على مقدار الفصول من الزمان، ما يقرب من مائتي شدة، فالخواص في العراضى الديبقي، و دونهم في أوطية حرير، و دونهم في فوط إسكندرية، و يدخل في ذلك: كتاب ديوانى الإنشاء، و المكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم، و ذلك يخرج من الجوارى في الشهر المطلقات.

وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع و ستين و خمسمائة بعد وفاة العاضد:

و كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر، فقيل: إن الموجود فيها: مائة صندوق كسوة فاخرة من موسى، و مرصع، و عقود ثمينه، و ذخائر فحمة، و جواهر نفيسة، و غير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر، و كان الكاشف بهاء الدين قراقوش.

### خزائن الجواهر و الطيب و الطرائف

قال ابن المأمون: و كان بها الأعلام و الجواهر التي يركب بها الخليفة في الأعياد و يستدعى منها عند الحاجة، و يعاد إليها عند الغنى عنها، و كذلك السيف الخاص، و الثلاثة رماح المعزية، و قال في كتاب الذخائر و التحف: و ذكر بعض شيوخ دار الجواهر بمصر: أنه استدعى يوماً هو و غيره من الجوهريين من أهل الخبرة بقيمة الجواهر إلى بعض خزائن القصر يعنى في أيام الشدة زمن المستنصر، فأخرج صندوق كيل منه: سبعة أمداد زمرد قيمتها، على الأقل: ثلاثمائة ألف دينار، و كان هناك جالسا فخر العرب بن حمدان، و ابن سنان، و ابن أبى كدينة، و بعض المخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين: كم قيمة هذا الزمرد؟ فقالوا: إنما نعرف قيمة الشيء إذا كان مثله موجودا، و مثل هذا لا قيمة له، و لا مثل! فاغتاز، و قال ابن أبى كدينة: فخر العرب كثير المؤنة، و عليه خرج، فالتفت إلى كتاب الجيش، و بيت المال، فقال: يحسب عليه فيه خمسمائة دينار، فكتب ذلك، و قبضه و أخرج عقد جوهر قيمته على الأقل: من ثمانين ألف دينار فصاعداً، فتحريّا فيه، فقال: يكتب بألفى دينار، و تشاغلوا بنظر ما سواه، و انقطع سلكه فتناثر حبه، فأخذوا واحد منهم واحدة، فجعلها في جيبه، و أخذ ابن أبى كدينة أخرى، و أخذ فخر العرب بعض الحب، و باقى المخالفين التقطوا ما بقى منه، و غاض كأن لم يكن، و أخذ ما كان أنفذه: الصليحي من نفيس الدرّ الرفيع الرائع و كيله على ما ذكر سبع و ييات، و أخذوا ألفا و مائتي خاتم ذهباً و فضةً فصوصها من سائر أنواع الجواهر المختلف الألوان و القيم و الأثمان، و الأنواع مما كان لأجداده و له، و صار إليه من وجوه دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعه عليها ثلاثة فصوص أحدها زمرد، و الاثنان ياقوت سماقي، و رمانيّ بيعت باثني عشر ألف دينار بعد ذلك.

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٠

وأحضر خريطة فيها نحو وبيء جوهر، وأحضر الخبراء من الجوهريين، وتقدم إليهم بقيمتها، فذكروا أن لا قيمة لها، ولا يشتري مثلها إلا الملوكة، فقومت: بعشرين ألف دينار، فدخل جوهر الكاتب المعروف: بالمختار عز الملك إلى المستنصر، وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جدّه: بسبعمائة ألف دينار واسترخصه، فتقدم بإنفاقه في الأتراك، فقبض كل واحد منهم جزء بقيمة الوقت، وفزق عليهم.

قال: فأما ما أخذ مما في خزائن البلور، والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجروود، والبغدادى والخيار، والمدهون، والخلنج، والعينى، والدهيمى، والآمدى، وخزائن الفرش والبسط، والستور، والتعليق فلا يحصى كثرة.

وحدثني من أتق به من المستخدمين في بيت المال: أنه أخرج يوماً في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدّة صناديق، وإنّ واحداً منها فتح، فوجد فيه على مثال كيزان الفقاغ من صافى البلور المنقوش والمجروود شىء كثير، وإنّ جميعها مملوء من ذلك وغيره، وحدثني من أتق به أنه رأى: قده بلور بيع مجروداً بمائتين وعشرين ديناراً، ورأى خردادى بلور بيع:

بثلاثمائة وستين ديناراً، وكوز بلور بيع: بمائتين وعشرة دنانير، ورأى صحون مينا كثيرة تباع من: المائة دينار إلى ما دونها.

وحدثني من أتق بقوله أنه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج، الغاية في النقاء، وحسن الصنعة إحداهما خردادى، والأخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما:

اسم العزيز بالله، تسع الباطية سبعة أرطال بالمصرى ماء، والخردادى تسعة، وإنه عرضهما على جلال الملك أبى الحسن على بن عمار، فدفع فيهما: ثمانمائة دينار، فامتنع من بيعهما، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن، وإن الذى تولى بيعه: أبو سعيد النهاندى من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مديدة يسيرة، ثمانية عشر ألف قطعة من بلور، ويحكم منها ما يساوى: الألف دينار إلى عشرة دنانير.

وأخرج من صوانى الذهب المجراة بالمينا، وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوء جميعها من سائر أنواعه، وألوانه، وأجناسه شىء كثير جداً، ووجد فيما وجد غلف خيار مبطنه بالحرير محللة بالذهب مختلفه الأشكال خالية مما فيها من الأوانى عدتها: سبعة عشر ألف غلاف؛ كان فى كل قطعة إما بلور مجرود أو محكم أو ما يشاكله، ووجد أكثر من مائة كأس باد زهر، ونصب، وأشباهها، على أكثرها اسم هارون الرشيد وغيره.

ووجد فى خزائن القصر عدّة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبه، ومفضضة بنصب

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠١

مختلفة من سائر الجواهر وصناديق كثيرة مملوءة من أنواع الدوى المربعة، والمدورة والصغار، والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود، والأبنوس الزنجى، والعاج، وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر، والذهب والفضة، وسائر الأنواع الغريبة، والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوى: الألف دينار، والأكثر والأقل سوى ما عليها من الجواهر، وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقّة بالسواد صغار، وكبار مصنوعة بأحسن ما يكون من الصنعة، وعدة أزيار صينى كبار، مختلفه الألوان مملوءة:

كافورا قيصوريا، وعدة من جماجم العنبر الشحرى، ونوافج المسك التبتى، وقواريره وشجر العود وقطعه.

ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة: ما قيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملة: ثلاثون ثوب خز مقطوع واثنا عشر ألفاً من الثياب المصمت ألواناً، ومائة قاطر ميز مملوءة كافورا قيصوريا، ومما وجد لها معجمات بجواهرها من أيام المعز، وبيت هرون الرشيد الخز الأسود الذى مات فيه بطوس، وكان من ولى من الخلفاء ينتظرون وفاتها، فلم يقض ذلك إلا للمستنصر بالله، فحازه فى خزانته.

ووجد لعبدة بنت المعز: أيضاً وماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ما لا يحصى.

حدّثني بعض خزان القصر: أن خزائن السيدة عبدة، و مقاصيرها و صناديقها، و ما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع في خواتيمه على الصحة و المشاهدة أربعون رطلا- بالمصري و إن بطائق المتاع الموجود كتبت: في ثلاثين رزمة ورق، و مما وجد لها أيضا: أربعمئة قمطره، و ألف و ثلثمائة قطعة مينا فضة مخزقة زنة كل مينا: عشرة آلاف درهم، و أربعمئة سيف محلي بالذهب، و ثلاثون ألف شقة صقلية، و من الجواهر ما لا يحدد كثرة، و زمرذ كيله: أردب واحد، و أن سيد الوزراء أبا محمد البازوري وجد في موجوداتها: طستا و إبريقا، فلفط استحسانه لهما، سأل المستنصر فيهما، فوهبهما له، و وجد مدهن ياقوت أحمر وزنه: سبعة و عشرون مثقالا، و أخرج أيضا: تسعون طستا و تسعون إبريقا من صافي البلور، و وجد في القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصيني منها: أجاجين صيني كبار محلاة، كل إجانة منها على ثلاثة أرجل على صورة الوحوش، و السباع قيمة كل قطعة منها:

ألف دينار، معمولة لغسل الثياب، و وجد عدّة أقفاص مملوءة ببيض صيني معمول على هيئة البيض في خلقتة، و بياضه يجعل فيها ماء البيض النيمبرشت يوم الفصاد، و وجد حصير ذهب وزنها: ثمانية عشر رطلا ذكر أن الحصر التي جليت عليها: بوران بنت الحسن بن سهل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٢

على المأمون، و أخرج ثمان و عشرون صينية مينا مجرابا لذهب بكعوب، كان أرسلها ملك الروم إلى العزيز بالله، قومت كل صينية منها: بثلاثة آلاف دينار، أنفذ جميعها إلى ناصر الدولة.

و وجد عدّة صناديق مملوءة مرآئي حديد من صيني، و من زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة، جميعها محلي بالذهب المشبك و الفضة، و منها المكمل بالجواهر في غلف الكيمخت، و سائر أنواع الحرير و الخيزران و غيره، مضرب بالذهب و الفضة، و لها المقابض من العقيق و غيره، و أخرج من المظال و قضبها الفضة و الذهب شيء كثير، و أخرج من خزائن الفضة ما يقارب: الألف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجرأة بالذهب فيها: ما زنة القطعة الواحدة منه، خمسة آلاف درهم، الغربية النقش و الصنعة التي تساوي خمسة دراهم بدينار، و إن جميعه بيع كل عشرين درهما بدينار، سوى ما أخذ من العشاريات الموكية، و أعمدة الخيام، و قضب المظال و المتحوقات، و الأعلام و القناديل، و الصناديق، و التوقات، و الروازين و السروج و اللجم و المناطق التي للعماريات، و القباب و غيرها مثل ذلك و أضعافه.

و أخرج من الشطرنج و الترد المعمولة من سائر أنواع الجواهر، و الذهب، و الفضة، و العاج و الأبنوس برقاع الحرير، و المذهب ما لا يحدد كثرة و نفاسة، و أخرج آلات فضة وزنها: ثلثمائة ألف و نيف، و أربعون ألف درهم تساوي ستة دراهم بدينار، و أخرج أقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجرأة بالذهب عدتها أربعمئة قصص كبار، سبكت جميعها، و فرقت على المخالفين، و أخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب، يعمل فيها النرجس، و ألفا بنفسجية كذلك، و أخرج من خزائن الطرائف: ستة و ثلاثون ألف قطعة من محكم و بلور، و قوم السكاكين بأقل القيم، فجاءت قيمتها على ذلك: ستة و ثلاثين ألف دينار و أخرج من تماثيل العنبر: اثنان و عشرون ألف قطعة، أقل تماثيل منها وزنه: اثنا عشر مئا، و أكبره يجاوز ذلك، و من تماثيل الخليفة ما لا يحدد، من جملتها ثمانمئة بطيخة كافور.

و أخرجت الكلوثة المرصعة بالجواهر، و كانت من غريب ما في القصر، و نفيسه، ذكر أن قيمتها: ثلاثون ألف دينار، و مائة ألف دينار، قومت: بثمانين ألف دينار، و كان وزن ما فيها من الجواهر: سبعة عشر رطلا اقتسمها فخر العرب، و تاج الملوك، فصار إلى فخر العرب منها قطعة بلخش وزنها: ثلاثة و عشرون مثقالا، و صار إلى تاج الدين مما وقع إليه حبات درّ، كل حبة: ثلاثة مثاقيل، عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٣

و أخرج من خزائن الطيب: خمسة صواري عود هندي، كل واحد من تسعة أذرع إلى عشرة أذرع، و كافور قيصوري زنة كل حبة: من

خمس مئتا رطل من الطعام، و عدّة قطع شب و باد زهر منها: جام سعته ثلاثة أشبار و نصف، و عمقه شبر، و مليح الصنعة، و قاطر ميز بلور فيه: صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا، و بلوغة بلور مجرود تسع عشرين رطلا، و قصرية نصب كبيرة جدّا، و طابع ندّ فيه ألف مثقال، كان فخر الدولة أبو الحسن عليّ بن ركن الدولة بن بويه الديلمي عمله مكتوب في وسطه فخر الدولة شمس الملة، و أبيات منها:

و من يكن شمس أهل الأرض قاطبة فنّده طابع من ألف مثقال

و طاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر، عيناه من ياقوت أحمر، و ريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس، و ديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من أعراف الديوك من الياقت الأحمر مرصع بسائر الدر، و الجوهر، و عيناه ياقوت، و غزال مرصع بنفيس الدر و الجوهر، و بطنه أبيض، قد نظم من در رائع، و مجمع سكارج من بلور تخرج منه و تعود فيه، فتحته أربعة أشبار، مليح الصنعة في غلاف خيزران، و بطيخة من الكافور في شباك ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور، و قطعة عنبر تسمى:

الخروف وزنها سوى ما يمسكها من الذهب: ثمانون منا، و بطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب: ثلاثة آلاف مثقال، و مائة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها، و بيضة بلخس وزنها: سبعة و عشرون مثقالا أشدّ صفاء من الياقوت الأحمر، و قاطر ميز بلور مليح التقدير، يسع مروتين قوم في المخرج: بثمانمائة دينار دفع إلى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألفا دينار، فامتنع من بيعه، مائدة جزع يقعد عليها جماعة، قوائمها مخروطة منها، و نخلة ذهب مكللة بالجوهر، و بديع الدرّ في إجانة ذهب تجمع الطلع و البلح، و الرطب بشكله، و لونه و على صفته، و هيأته من الجواهر لا قيمة لها، و كوز زير بلور يحمل عشرة أرتال ماء، و دارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له، و مزيرة مكللة بحب لؤلؤ نفيس، و قبة العشاري، و كارتة و كسوة رحله الذي استعمله عليّ بن أحمد الجرجاني، و فيه مائة ألف و سبعة و ستون ألفا، و سبعمائة درهم نقرة، و أطلق للصناع عن أجره صياغته، و ثمن ذهب للطلاء: ألفان و تسعمائة دينار، و كان سعر الفضة حينئذ: كل مائة درهم بستة دنانير و ربع، سعر ستة عشر درهما بدينار، و أخرج العشاري الفضي الذي استعمله عليّ بن أحمد لأمّ المستنصر، و كان فيه مائة ألف، و عشرون ألف درهم نقرة، و صرف أجره صياغة، و طلاء ألفان و أربعمائة دينار، و كسوة بمال جليل، و أخرج جميع كسا العشاريات التي برسم البرية و البحرية، و عدّتها، و مناطقها و رؤوس منحرفات و أهله، و صفریات و كانت أربعمائة ألف دينار لسته

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٤

و ثلاثين عشاريا، و عدّة ميالكيم فضة فيها ما وزنه مائة و تسعة أرتال فضة، و أخرج بستان أرضه فضة مخرقة مذهبة و طينه ندّ، و أشجاره فضة مذهبة مصوغة و أثماره عنبر، و غيره وزنه ثلثمائة و ستة أرتال، و بطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال، و قطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة: سبعون درهما، قطع زمرد زنة كل قطعة ثمانون درهما، و نصاب مرآة من زمرد له طول و ثخن كل ذلك أخذه المخالفون.

### خزائن الفرش و الأمتعة

قال في كتاب الذخائر: و حدّثني من أتق به عن ابن عبد العزيز الأنماطيّ قال: قومنا ما أخرج من خزائن القصر من سائر الخسرواني، ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب، و سألت ابن عبد العزيز، فقال: أخرج من الخزائن ما حرّرت قيمته على يدي و بحضرتي أكثر من مائة ألف قطعة، و أخرج مرتبة خسرواني حمراء بيعت: بثلاثة آلاف و خمسمائة دينار، و مرتبة قلموني بيعت: بألفين و أربعمائة دينار، و ثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها: بثلاثين ديناراً، و نيف و عشرون ألف قطعة خسرواني في هدبه لم يقطع منها شيء، و كانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم، و أبرز الأثمان في مدّة خمسة عشر يوماً من صفر سنة ستين و أربعمائة سوى ما نهب و

سرق ثلاثون ألف دينار قبض جميعها الجند، و الأتراك ليس لأحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق. و حدثني الأمير أبو الحسن علي بن الحسن أحد مقدمي الخيمين بالقصر: أن الفزاشين دخلوا إلى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقى للمستنصر بالمال إلى الخزائنة المعروفة: بخزائنة الرفوف، و سميت بذلك لكثرة رفوفها، لكل رف منها سلم مفرد، فأنزلوا منها ألفي عدل شقق طميم بهديها من سائر أنواع الخسرواني و غيره لم تستعمل بعد، و جميع ما فيها مذهب معمول بسائر الأشكال، و الصور، و أنهم فتحوا عدلا منها، فوجدوا ما فيه أجله معموله للفيلة من خسرواني أحمر مذهب كأحسن ما يكون من العمل، و موضع نزول أفخاذ الفيل، و رجليه ساذجة بغير ذهب. و أخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني أحمر مطرز بأبيض في هديها لم يفصل من كسا بيوت كاملة بجميع آلاتها و مقاطعها، و كل بيت يشتمل على مسانده، و مخاذه، و مساوره، و مراتبه، و بسطه و عتبه مقاطعه و ستوره، و كل ما يحتاج إليه فيه.

قال: و أخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلموني و الديقي من سائر ألوانه، و أنواعه المخمل، و الخسرواني، و الديقاج الملكي، و الخز و سائر الحرير من جميع ألوانه و أنواعه ما لا يحصى كثرة، و لا يعرف قدره نفاسه، و أخرج من الحصر، و الأنخاخ السامان المطرزة بالذهب و الفضة و غير المطرزة من المخرمة، و الطيور و الفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير، و التمس بعض الأتراك من المستنصر مفرمة يعنى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٥

ستارة سندس أخضر مذهبة، فأخرج عدل منها مكتوب عليه: مائة و ثمانية و ثمانون من جملة أعداد أعدل، فيها من المتاع، و وجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها و أطوالها عدة مئين تقارب الألف فيها: صور الدول و ملوكها، و المشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه و مدته أيامه و شرح حاله.

و أخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه و تعاليقه، و سائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس، و صار إلى فخر العرب مقطع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب، و سائر ألوان الحرير، كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث و خمسين و ثلثمائة، فيه صورة أقاليم الأرض و جبالها، و بحارها، و مدنها، و أنهارها، و مسالكها شبه جغرافيا، و فيه صورة مكة و المدينة مبينة للنظر مكتوب على كل مدينة، و جبل و بلد و نهر، و بحر، و طريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير، و في آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا إلى حرم الله، و إشهارا لمعالم رسول الله في سنة ثلاث و خمسين و ثلثمائة، و النفقة عليه: اثنان و عشرون ألف دينار، و صار إلى تاج الملوك: بيت أرمني أحمر منسوج بالذهب، عمل للمتوكل على الله لا مثل له و لا قيمة، و بساط خسرواني دفع إليه فيه ألف دينار، فامتنع من بيعه.

و قال ابن الطوير: خزائنة الفرش، و هي قريبة من باب الملك يحضر إليها الخليفة من غير جلوس، و يطوف فيها و يستخبر عن أحوالها، و يأمر بإدامة الاستعمال، و كان من حقوقها استعمال السامان في أماكن خارجها بالقاهرة و مصر، و يعطى مستخدمها: خمسة عشر دينارا يعنى يوم يطوف بها الخليفة.

### خزائن السلاح

قال في كتاب الذخائر: فأما خزائن السيوف، و الآلات، و السلاح فإن بعضها أخذ، و قسم بين العشرة الثائرين على المستنصر، و هم ناصر الدولة بن حمدان، و أخواه، و بلد كوس، و ابن سبكتكين، و سلام عليك، و شاور بن حسين. حتى صار ذو الفقار: إلى تاج الملوك، و صمصامة عمرو بن معدى كرب، و سيف عبد الله بن وهب الراسي، و سيف كافور، و سيف المعز، و سيف أبي المعز إلى: الأعر بن سنان، و درع المعز لدين الله، و كانت تساوي ألف دينار، و سيف الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، و درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، و سيف جعفر الصادق رضي الله عنه، و من الخود و الدروع، و التخافيف، و السيوف المحلاة



بالذهب، و الفضة، و السيوف الحديدية، و صناديق النصول، و جعاب السهام الخلنج، و صناديق القسي، و رزم الرماح الزان الخفية، و شدات القسا الطوال و الزرد و البيض مئين ألوف، و كان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٦

و قال ابن الطوير: خزانه السلاح يدخل إليها الخليفة، و يطوفها قبل جلوسه على السرير هناك، و يتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد المغشاء بالديباج المحكمه الصنعة، و الجواشن المبطنه المذهبه، و الزرديات السابله برءوسها، و الخود المحلاة بالفضة و كذلك أكثر الزرديات، و السيوف على اختلافها من العربيات، و القلجوريات، و الرماح القنا، و القنطاريات المدهونه و المذهبه، و الأسنة البرصانية، و القسي لرماية اليد المنسوبة إلى صناعاتها مثل الخطوط المنسوبة إلى أربابها، فيحضر إليه منها ما يجزبه، و يتأمل النشاب، و كانت نصوله مثلثة الأركان على اختلافها، ثم قسي الرجل و الركاب، و قسي اللولب الذي زنه نصله: خمسة أرتال، و يرمى من كل سهم بين يديه، فينظر كيف مجراه، و النشاب الذي يقال له: الجراد، و طوله: شبر يرمى به عن قسي في مجار معموله برسمة، فلا يدرى به الفارس أو الراجل إلّا و قد نفذ، فإذا فرغ من نظر ذلك كله، خرج من خزانه الدرق، و كانت في المكان الذي هو خان مسرور، و هي برسم الاستعمالات للأساطيل من الكبورة الخرجية، و الخود الجلودية إلى غير ذلك، فيعطى مستخدمها: خمسة و عشرون ديناراً، و يخلع على متقدم الاستعمالات جو كانية مزيد حريراً، و عمامة لطيفة.

### خزائن السروج

قال في كتاب الذخائر: أخرج فيما أخرج: صناديق سروج محلاة بفضة مجراه بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها: الثامن و التسعون و الثلاثمائة، و عدّه ما فيها زيادة على أربعة آلاف سرج، و أخرج المستنصر من خزائن السروج: خمسة آلاف سرج كان أبو سعد إبراهيم بن سهل التستري دخرها له فيها، و تقدّم بحفظها كل سرج منها يساوي: من سبعة آلاف دينار إلى ألف، و أكثرها عال سبك جميعها، و فرق في الأتراك كان برسم ركابه منها أربعة آلاف سرج، و أخذ من خزائن السيدة والدته: أربعة آلاف سرج مثلها، و دونها صنع بها مثل ذلك. و قال ابن الطوير: خزانه السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك، و هي قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان، و مجالسها كذلك، و على تلك المصطبة متكآت مخلصه الجانبين على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة، و فوقه في الحائط وتد مدهون مضروب في الحائط قبل تبييضه، و هو بارز بروزاً متكناً عليه المركبات الحلى على لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة أو الفضة خاصة أو الذهب، و الفضة، و قلائدها و أطواقها لأعناق الخيل، و هي لخاص الخليفة، و أرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج، و منها لجام هو الخاص و منها الوسط، و منها الدون، و هي خيار غيرها برسم العواري لأرباب الرتب و الخدم، و منها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم، و جاريه على الخليفة ما دام مستخدماً، و العلف مطلق من الأهراء و أما الصاغة: فإنّ فيها منهم و من المركبين و الخزازين عدداً جماداً ثمين لا يفترق عن العمل، و كل مجلس

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٧

مضبوط بعدد متكآته، و ما عليها من السروج، و الأوتاد و اللجم، و كل مجلس لذلك عند مستخدميه في العرض، فلا يختل عليهم منها شيء، و كذلك وسط قاعدتها بعدة متوالية أيضاً، و الشدادون مطلوبون بالنقائص منها أيام المواسم و هم يحضرونها أو قيمتها فيعرض و يركب، و يحضر إليها الخليفة، و يطوفها من غير جلوس، و يعطى حاميتها للتفرقة في المستخدمين عشرين ديناراً. و يقال: إنّ الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة، فجاء إليها مع الحامي، فوجد الشاهد غير حاضر و ختمه عليها، فرجع إلى مكانه، و قال: لا يفك ختم العدل إلّا هو، و نحن نعود في وقت حضوره انتهى.

و كان الخليفة الأمر بأحكام الله تحدّثه نفسه بالسفر إلى المشرق و الغارة على بغداد، فأعدّ لذلك شروجا مجوفه القراييص، و بطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء، و جعل لها فيما فيه صفارة، فإذا دعت الحاجة إلى الماء شرب منه الفارس، و كان كل سرج منها



يسع سبعة أرتال ماء، و عمل عدّة مخال للخيل من ديباج، و قال في ذلك:  
 دع اللوم عنى لست منى بموثق فلا بدّ لى من صدمة المتحقّق  
 و أسقى جيادى من فرات و دجله و أجمع شمل الدين بعد التفريق  
 و أوّل من ركب المتصرّفين فى دولته من يخوله بالمراكب الذهب فى المواسم:  
 العزيز بالله نزار بن المعز.

### خزائن الخيم

قال فى كتاب الذخائر: و أخبرنى سماء الرؤساء أبو الحسن علىّ بن أحمد بن مدير وزير ناصر الدولة قال: أخرج فيما أخرج من خزائن القصر عدّة لم تحص من أعدال الخيم، و المضارب، و الفازات، و المسطحات، و الجركاوات، و الحصون، و القصور، و الشراعات، و المشارع، و الفساطيط المعمولة من الديبقيّ، و المخمل و الخسرانّيّ، و الديباج الملكيّ، و الأرميّ، و البهنساويّ، و الكرديانّيّ و الجيد من الحلبيّ، و ما أشبه ذلك من سائر ألوانه، و أنواعه، و من السندس و الطميم أيضا منها المفيل، و المسبج، و المخيل، و المطوّس و المطير، و غير ذلك من سائر الوحوش، و الطير و الأدميين من سائر الأشكال، و الصور البديعة الرائعة، و منها الساذج و المنقوش فى ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الأعمدة الملبسة أنابيب الفضة، و الثياب المذهبة، و غير المذهبة من سائر أنواعها، و ألوانها، و الصفريات الفضة على أقدارها، و الحبال الملبسة القطن، و الحرير، و الأوتاد، و سائر ما يحتاج إليه من جميع آلاتها و عدّتها المبطن جميعها بالديبقيّ الطميم المذهب، و الخسروانّيّ المذهب، و ثياب الحرير الصينيّ، و التستريّ، و المضرب، و الرجيج، و الشرفيّ، و الشعريّ،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٨

و الديباج و المريش، و سائر أنواع الحرير من سائر الألوان، و أنواعها كبارا و صغارا منها ما يحمل خرقة، و أوتاده، و عمدته، و سائر عدّته على عشرين بعيرا، و دون ذلك، و فوقه.

فالمسطح بيت مربع له أربع حيطان، و سقف بستة أعمدة منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول و الخروج، و الخيمة ظهرها حائط مربع و سقيفتها إلى الباب حائط مربع، و أركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم، و فيها أربعة أعمدة اثنان فى الباب و اثنان فى وسطها، و كلما زادت زاد عمدتها و سقفها، لها حدان مشروكان من الجانبين، و الشراع حائط فى الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أىّ موضع دارت الشمس حوّل إلى ناحية الشمس، و المشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تامّ، و شراع سابل خلفها من أىّ موضع دارت الشمس أدير، و القبة على حالها.

و حدّثنى أبو الحسن علىّ بن الحسن الخيميّ قال: أخرجنا فى جملة ما أخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدّت المطالبة على السلطان: فسطاطا كبيرا أكبر ما يكون يسمى: المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله: خمسة و ستون ذراعا بالكبير، و دائر فلكته: عشرون ذراعا، و قطرها: ستة أذرع و ثلثا ذراع، و دائره خمسمائة ذراع، و عدّة قطع خرقة: أربع و ستون قطعة كل قطعة منها تحزم فى عدل واحد يجمع بعضه إلى بعض بعري و شراريب حتى ينصب، يحمل خرقة و حباله، و عدّته على: مائة جمل، و فى صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية يحملها من داخل قضبان حديد من سائر نواحيها، تمتلىء ماء من راوية جمل قد صوّر فى رفره كل صورة حيوان فى الأرض، و كل عقد مليح، و شكل ظريف، و فيه باذهنج طوله: ثلاثون ذراعا. فى أعلاه، كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى أمر بعمله أيام وزارته، فعمله الصناع، و عدّتهم: مائة و خمسون صناعا فى مدّة تسع سنين، و اشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار، و كان عمله على مثال القاتول الذى كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافته إلّا أن هذا أعلى عمودا منه، و أوسع، و أعظم، و أحسن، و كان الخليفة أنفذ إلى مملك الروم فى طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما: سبعون

ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع، و الآخر حملة ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله إلى الاسكندرية، و ما أدري ما فعل به.

قال: و أقمنا مدّة طويلة في تفصيل بعضه من بعض، و تقطيعه خرقا و شققا قوّمت على المذكورين بأقل القيم، و تفرّق في الآفاق، و قال لى أيضا: أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا موجهًا من جانبه، عمل بتنيس للعزیز بالله يسمی: دار البطيخ، وسطه بكنيس على ستّة المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٠٩

أعمدة، أربعة منها في أركان الكنيس، و في أربعة الأركان أربع قباب، و من القبّة إلى القبّة رواق دائر عليه، و القباب دونه، و في كل قبّة أربعة أعمدة ذول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا، و كذلك طول قائم القباب، و فعلنا به مثل ما فعلنا في الأول. و قال لى: أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لإعزاز دين الله: بتنيس ذهب في ذهب طميم، قائم على عمود له: ست صفارى بلور، و ستّة أعمدة فضة أنفق عليه أربعة عشر ألف دينار، و مسطحا ديبقيا كبيرا مذهبا بدوائر كردوانى منقوش، و أخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرفات من المخمل و القلمونى، و الديبقي، و الديباج الخسروانى، و الحرير من سائر أنواعه، و ألوانه المذهبة المنقوشة بحياضها، و دككها، و مصاطبها، و قدورها، و زجاجها، و سائر عددها.

و أخرجنا من الخيام الكردوانى شيئا كثيرا، و أخرجنا خيمة كبيرة مدوّرة كردوانى مليحة النقش و الصنعة، عدتها قطع كثيرة طول عمودها خمسة و ثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالأول، و أخرج في جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدوّرة الكبيرة المتولى عمله بحلب أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن الأيسر في سنى نيف و أربعين و أربعمئة المنفق على خرقة، و نقشه و عمله، و عدته ثلاثون ألف دينار الذى عموده أثول ما يكون من صواری درامين الروم البنادقه أربعون ذراعا، و دائر فلكه عوده أربعة و عشرون شبرا، و يحمل على سبعين جملا، و وزن صفريته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده، و يتولى إتقان عمده، و نصبه مائتا رجل من فزاش و معين، و هو شبيه بالقاتول العزیزى، و سمي بالقاتول: لأنه ما نصب قط إلّا، و قتل رجلا أو رجلين ممن يتولى إتقانه من فزاش و غيره.

قال: و وجد في خزائن مملوءة من سائر أنواع الصوانى المدهونة ببغداد المذهبة التى حشيت، كل واحدة منها بما دونها فى السعة إلى ما سعته دون الدرهم، و من سائر أنواع الأطباق الخلع الرازى فى هذه السعة، و فوق ذلك و دونه قد حشيت بطونها بما دونها فى السعة، إلى ما سعته دون الدينار، و من الموائد القوائمى الصغار، و الكبار ألوف، و من موائد الكرم، و ما أشبهها شىء كثير، و من الجفان الحور الواسعة التى قد عملت مقابضها من الفضة، و حليت بأنواع الحلوى التى لا يقدر الجمل القوي على حمل جفتين منها، لعظمتها تساوى الواحدة منها: مائة دينار، و فوقها، و دونها شىء كثير، و وجد من الدكك، و المحاريب، و الأسرّة العود، و الصندل، و العاج و الأبنوس، و البقم شىء كثير ملبح الصنعة.

و قال ابن ميسر: و عمل الأفضل بن أمير الجيوش خيمة سماها: خيمة الفرع اشتملت على:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٠

ألف ألف و أربعمئة ألف ذراع، و قائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل، صرف عليها: عشرة آلاف دينار، و مدحها جماعة من الشعراء.

### خزانة الشراب

قال ابن المأمون: و لم يكن فى الإيوان فيما تقدّم شراب حلو، بل إنها قرّرت لاستقبال النظر المأمونى، و أطلق لها من السكر: مائة و خمسة عشر قنطارا، و برسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا، و أما ما يستعمل بالكافورى من الحلو الفانيذ و الحامض، فالمبلغ فى ذلك على ما حصره شاهده فى السنة: ستّة آلاف و خمسمائة دينار، و ما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه

متولى الشراب.

وقال ابن الطوير: خزائنه الشراب، و هي أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التي هي الآن:

المارستان العتيق، فإذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميها، و هو من كبار الأستاذين و شاهدها، فيحضر إليه فراشوها بين يدي مستخدمها من عيون الأصناف العالیه من المعاجين العجيبة في الصينی، و الطيافير الخلنج، فيذوق ذلك شاهدها بحضرتها، و يستخبر عن أحوالها بحضور أطباء الخاص، و فيها من الآلات، و الأزياء الصينی، و البرابي عدّه عظیمه للورد، و البنفسج، و المرسين، و أصناف الأديه من الراوند الصينی، و ما يجرى مجراه، مما لا يقدر أحد على مثله إلا هناك، و ما يدخل في الأديه من آلات العطر إلى ذلك، و يسأل عن الدرياق الفاروق، و يأمرهم بتحصيل أصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه، و يؤكد في ذلك تأكيدا عظيمًا، و يستأذن على ما يطلق منها برقع أطباء الخاص للجها، و حواشي القصر، فيأذن في ذلك، و يعطى الحامي للفرقة في الجماعة: ثلاثين دينارًا.

### خزائنه التوابل

وقال ابن المأمون: فأما التوابل العالی منها و الدون، فإنها جملة كثيرة، و لم يقع لي شاهد بها، بل إنني اجتمعت بأحد من كان مستخدما في خزائنه التوابل، فذكر أنها تشتمل على: خمسين ألف دينار في السنة، و ذلك خارج عما يحمل من البقولات، و هي باب مفرد مع المستخدم في الكافوري، و الذي استقرّ إطلاقه على حكم الاستيمار من الجرايات المختصة بالقصور، و الرواتب المستجدة، و المطلق من الطيب، و يذكر الطراز، و ما يتتاع من الثغور، و يستعمل بها و غير ذلك.

فأولها: جرایه القصور، و ما يطلق لها من بيت المال إدارا لاستقبال النظر المأموني:

سته آلاف و ثلثمائة و ثلاثة و أربعون دينارًا، تفصيله: مندیل الكم الخاص الأمری في الشهر:

ثلاثة آلاف دينار، عن مائة دينار كل يوم أربع جمع الحمام في كل جمعة: مائة دينار

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١١

أربعمائة دينار، و برمس الإخوة و الأخوات، و السيدة الملكة، و السيدات، و الأمير أبي علي، و إخوته، و الموالی، و المستخدمات، و من استجدّ من الأفضليات ألفان و تسعمائة و ثلاثة و أربعون دينارًا، و لم يكن للقصور في الأيام الأفضلية من الطيب راتب فيذكر، بل كان إذا وصلت الهدية و الجاوى من البلاد اليمينية تحمل برمتها إلى الإيوان، فينقل منها بعد ذلك للأفضل، و الطيب المطلق للخليفة من جملتها فانفسخ هذا الحكم.

و صار المرتب من الطيب مياومة، و مشاهرة على ما يأتي ذكره ما هو برسم الخاص الشريف في كل شهر نَدّ مثلث: ثلاثون مثقالًا، عود

صيفي: مائة و خمسة دراهم، كافور قديم: خمسة عشر درهما، عنبر خام: عشرة مثاقيل، زعفران: عشرون درهما، ماء ورد:

ثلاثون رطلا، برسم بخور المجلس الشريف في كل شهر في أيام السلام، نَدّ مثلث: عشرة مثاقيل، عود صيفي: عشرون درهما، كافور

قديم: ثمانية دراهم، زعفران شعر: عشرة دراهم، ما هو برسم بخور الحمام في كل ليلة جمعة عن أربع جمع في الشهر، نَدّ مثلث:

أربعة مثاقيل، عود صيفي: عشرة مثاقيل، ما هو برسم السيدات، و الجها، و الأخوة في كل شهر: نَدّ مثلث خمسة و ثلاثون مثقالًا، عود

صيفي: مائة و عشرون درهما، زعفران شعر: خمسون درهما، عنبر خام: عشرون مثقالًا، كافور قديم: عشرون درهما، مسك:

خمس عشر مثقالًا، ماء ورد: أربعون رطلا، ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة مسك خمسة عشر مثقالًا، ماء ورد: خمسة

عشر رطلا، ما هو برسم خزائنه الشراب الخاص مسك: ثلاثة مثاقيل، نَدّ ثلث سبعة مثاقيل، عود صيفي: خمسة و ثلاثون درهما، ماء

ورد:

عشرون رطلا، ما هو برسم بخور المواكب الستة، و هي الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان، برسم الجامعين بالقاهرة يعنى الجامع

الأزهر، و الجامع الحاكمي، و العيدان، و غيد الغدير، و أول السنة بالجوامع و المصلى، نَدَّ خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر، و لم يكن للغزتين غزّة السنة، و غزّة شهر رمضان، و فتح الخليج بخور فيذكر، و عدّة المبخرين في المواكب ستّة: ثلاثة عن اليمين، و ثلاثة عن الشمال، و كل منهم مشدود الوسط، و في كفه فحم برسم تعجيل المدخنة، و المداخن فضة، و حامل الدرج الفضة الذي فيه البخور أحد مقدّمي بيت المال، و هو فيما بين المبخرين طول الطريق، و يضع بيده البخور في المدخنة، و إذا مات أحد هؤلاء المبخرين لا يخدم عوضا عنه إلّا من يتبرّع بمدخنة فضة، لأنّ لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قربهم في المواكب من الخليفة، و من الوقت الذي يتبرّع فيه بالمدخنة يرجع في حاصل بيت المال، و إذا توفي حاملها لا ترجع لورثته، و عدّة ما يبخر في الجوامع و المصلى غير هؤلاء في مداخن كبار، في صواني فضة: ثلاث صوان، في المحراب إحداهنّ، و عن يمين المنبر، و شماله اثنتان، و في الموضع الذي يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة صينية رابعة.

و أما البخور المطلق برسم المأمون فهو في كل شهر: نَدَّ مثلث: خمسة عشر مثقالا،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٢

عود صيفي: ستون درهما، عنبر خام: ستّة مثاقيل، كافور: ثمانية دراهم، زعفران شعر:

عشرة دراهم، ماء ورد: خمسة عشر رطلا و منها مقرّر الحلوى، و الفستق، و مما استجدّ ما يعمل في الإيوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى: اثنا عشر جاما رطبة و يابس نصفين وزن كل جام من الرطب: عشرة أرتال، و من اليابس: ثمانية أرتال، و مقرّر الخشكناج و البسندود في كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمري، و المأموني: قطار واحد سكر، و مثقالان مسك و ديناران برسم المؤن لعمل خشكناج و بسندود في قعبان و سلال صفصاف، و يحمل ثلثا ذلك إلى القصر و الثلث إلى الدار المأمونية.

قال و جرت مفاوضة بين متولى بيت المال، و دار الفطرة بسبب الأصناف، و من جملتها: الفستق، و قله وجوده و تزايد سعره إلى أن بلغ رطل و نصف: بدينار، و قد وقف منه لأرباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه، فجأبه متولى الديوان، بأن قال: ما تمّ موجب الإنفاق لما هو راتب من الديوان، و طالعا المقام العالى بأنه لما رسم لهما: ذكرا جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقرّ الإنفاق من قلب الفستق الذي يطلق من الخزائن من قلب الفستق إدرارا مستقرّا بغير استدعاء، و لا توقيع مياومة، كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة و خمسة و ثمانون رطلا، و في الشهر الناقص عن تسعة و عشرين يوما خمسمائة و خمسة و ستون رطلا حسابا عن كل: يوم تسعة عشر رطلا- و نصف من ذلك ما يستلمه الصناع الحلاويون، و المستخدمون بالإيوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمريّة عن اثني عشر جام حلوى خاص وزنها: مائة و ثمانية أرتال منها: رطب ستون رطلا، و يابس و غيره: ثمانية و أربعون رطلا مما يحمل في يومه و ساعته، منها ما يحمل مختوما برسم المائدتين الآمريتين بالبادهنج، و الدار الجديدة اللتين ما يحضرهما إلّا من كبرت منزلته، و عظمت وجاهته جامان رطبا و يابسا، و ما يفرّق في العوالى من الموالى، و الجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات، و ما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالداردون السماط: جام واحد.

تمّة المياومة المذكورة ما يتسلمه الشاهد، و المشارف على المطابخ الآمريّة، مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى، و غيره مما يكون على المدورة في الأسمطة المستمرّة بقاعة الذهب في أيام السلام، و في أيام الركوبات، و حلول الركاب بالمناظر أربعة أرتال،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٣

و ما يتسلمه الحاج مقبل الفزّاش برسم المائدة المأمونية، مما يوصله لزاما الدار دون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع، و لا استدعاء بأسماء كبراء الجهات، و المستخدمين من الأصحاب، و الحواشي في الخدم المميزة، و هو في الشهر ثلاثة عشر رطلا، و الديوان شاهد بأسماء أربابه، و ما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات و المطالعات، و يقع عليه بالإطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما يأتي ذكره، و ما يستدعى برسم التوسعة في الراتب عند تحويل الركاب العالى إلى اللؤلؤة مدّة أيام النيل المبارك في كل يوم رطلان، و ما يستدعى برسم الصيام مدّة تسعة و خمسين يوما رجب و شعبان حسابا عن كل يوم:

رطلان مائة و ثمانية عشر رطلا- و ما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة في كل ليلة برسم الخاص خشكناج لطيفة، و بسندود، و جوارشات، و نواطف، و يحمل في سلال صفصاف لوقته، عن مدة أولها مستهل رجب، و آخرها سلخ رمضان عن تسعة و ثمانين يوما مائة و ثمانية و سبعون رطلا، لكل ليلة: رطلان، و يسمى ذلك: بالتعبية، و ما يستدعيه صاحب بيت المال، و متولى الديوان.

فيما يصنع بالإيوان الشريف برسم الموالد الشريفة الأربعة: النبوي، و العلوي، و الفاطمي، و الأمري مما هو برسم الخاص، و الموالي، و الجهات بالقصور الزاهرة، و الدار المأمونية، و الأصحاب، و الحواشي خارجا عما يطلق مما يصنع بدر الوكالة، و يفرق على الشهود، و المتصدّرين و الفقراء، و المساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مؤبد منها: خمسة أرتال.

ما يستدعى برسم ليالي الوقود الأربع الكائنات في رجب و شعبان، مما يعمل بالإيوان برسم الخاصين، و القصور خاصة: عشرون رطلا لكل ليلة خمسة أرتال.

و أما ما ينصرف في الأسمطة، و الليالي المذكورات في الجامع الأزهر بالقاهرة، و الجامع الظاهري بالقرافة فالحكم في ذلك يخرج عن هذه الخزائن، و يرجع إلى مشارف الدار السعيدة، و كذلك ما يستدعيه المستخدمون في المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره برسم الأسمطة لمدة تسعة و عشرين يوما من شهر رمضان و سلخه لأسماط فيه، و في الأعياد جميعها بقاعة الذهب، و ما يستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الأمراء في الخدم الكبار، و يعود إلى الباب، و من يرد إليه من جميع الضيوف، و ما يستدعيه المستخدمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج، و هي الجملتان الكبيرتان، فجميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته، و لا ذكر جملة، و المعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة، و أما: ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولائم، و الأفراح، و إرسال الأنعام فهو شيء لم تتحقق أوقاته، و لا مبلغ استدعائه، أنهى المملوكان ذلك، و المجلس فضل السمّ، و القدرة فيما يأمر به إن شاء الله تعالى.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٤

### دار التعبية

قال ابن المأمون: دار التعبية كانت في الأيام الأفضلية تشتمل على مبلغ يسير، فانتهى الأمر فيها إلى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية، و هو النرجس و النيوفران الأصفر، و الأحمر، و النخل الموقوف برسم الخاص، و ما يصل إليه من الفيوم، و ثغر الإسكندرية، و من جملةتها تعبئة للجهات، و الخاص و السيدات، و لدار الوزارة، و تعبئة المناظر في الركوبات إلى الجمع في شهر رمضان خارجا عن تعبئة الحمامات، و ما يحمل كل يوم من الزهرة، و برسم خزانه الكسوة الخاص، و برسم المائدة، و تفرقة الثمرة الصيفية في كل سنة على الجهات، و الأمراء، و المستخدمين، و الحواشي، و الأصحاب، و ما يحمل لدار الوزارة، و الضيوف و حاشية دار الوزارة.

### خزانة الأدم

قال: و أما الراتب من عند بركات الأدمي، فإنه في كل شهر ثمانون زوجا أو طية من ذلك، برسم الخاص: ثلاثون زوجا، برسم الجهات: أربعون زوجا، برسم الوزارة: عشرة أزواج خارجا عن السباعيات، فإنها تستدعى من خزانه الكسوة، و في كل موسم تكون مذهبة.

### خزائن دار أفتكين

قال ابن الطوير: و كانت لهم دار كبرى يسكنها: نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزار بن المستنصر بالإسكندرية جعلوها: برسم الخزن، فقيل: خزائن دار أفتكين، و تحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الإسكندرية و غيرها، و جميع القلوب المأكولة من الفستق و غيره، و الأعسال على اختلاف أصنافها، و السكر، و القند، و الشيرج، و الزيت، فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميتها، و هو من الأستاذين المميزين و مشارفها، و هو من المعدلين راتب المطابخ: خاصا و عاما أو لأيام، ينفق منها للمستخدمين، ثم لأرباب التوقعات من الجهات، و أرباب الرسوم فى كل شهر من أرباب الرتب حتى لا يخرج عما يحتاجونه فيها إلا اللحم، و الخضراوات، فهى أبدا معمورة بذلك انتهى. خبر نزار و أفتكين:

لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور: فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٥

سبع و ثمانين و أربعمائ، بادر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى إلى القصر، و أجلس: أبا القاسم أحمد بن المستنصر فى منصب الخلافة، و لقبه: بالمستعلى بالله، و سير إلى الأمير نزار، و الأمير عبد الله، و الأمير إسماعيل: أولاد المستنصر فجاؤوا إليه، فإذا أخوهم أحمد، و هو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة، فامتعضوا لذلك، و شق عليهم.

و أمرهم الأفضل بتقبيل الأرض، و قال لهم: قبلوا الأرض لمولانا المستعلى بالله، و بايعوه فهو الذى نص عليه الإمام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده، فامتنعوا من ذلك، و قال كل منهم: إن أباه قد وعده بالخلافة، و قال نزار: لو قطعت ما بايعت من هو أصغر منى سنا، و خط والدى عندى بأنى ولى عهد، و أنا أحضره، و خرج مسرعا ليحضر الخط، فمضى لا يدري به أحد، و توجه إلى الاسكندرية.

فلما أبطأ مجيئه بعث الأفضل إليه ليحضر بالخط، فلم يعلم له خبرا. فانزعج لذلك انزعاجا عظيما، و كانت نفرة نزار من الأفضل لأمر منها: أنه خرج يوما فإذا بالأفضل قد دخل من باب القصر، و هو راكب، فصاح به نزار: انزل يا أرمنى الجنس، فحقدتها عليه، و صار كل منهما يكره الآخر، و منها: أن الأفضل: كان يعارض نزارا فى أيام أبيه، و يستخف به، و يضع من حواشيه، و أسبابه، و يبطش بغلمانة، فلما مات المستنصر خافه، لأنه كان رجلا كبيرا، و له حاشية، و أعوان، فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعد ما اجتمع بالأمرء و خوْفهم من نزار، و ما زال بهم حتى وافقوه على الإعراض عنه، و كان من جملتهم:

محمود بن مصال، فسير خفيه إلى نزار، و أعلمه بما كان من اتفاق الأفضل مع الأمرء على إقامة أخيه أحمد، و إدارته لهم عنه، فاستعد إلى المسير إلى الاسكندرية هو و ابن مصال، فلما فارق الأفضل، ليحضر إليه بخط أبيه، خرج من القصر متنكرا، و سار هو و ابن مصال إلى الاسكندرية، و بها الأمير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالى، و دخلا عليه ليلا و أعلماه بما كان من الأفضل، و تراميا عليه، و وعده نزار بأن يجعله وزيرا مكان الأفضل، فقبلهما أتم قبول، و بايع نزارا، و أحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه، و نعتة بالمصطفى لدين الله، فبلغ ذلك الأفضل، فأخذ يتجهز لمحاربتهم و خرج فى آخر المحرم سنة ثمان و ثمانين بعسكره، و سار إلى الاسكندرية، فبرز إليه نزار و أفتكين، و كانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الأفضل، و رجع بمن معه منهزما إلى القاهرة، فقوى نزار و أفتكين، و صار إليهما كثير من العرب، و اشتد أمر نزار، و عظم و استولى على بلاد الوجه البحرى، و أخذ الأفضل يتجهز ثانيا إلى المسير لمحاربة نزار، و دس إلى أكابر العربان، و وجوه أصحاب نزار و أفتكين، و صاروا إلى الاسكندرية، فنزل الأفضل إليها، و حاصرها حصارا شديدا، و ألح فى مقاتلتهم، و بعث إلى أكابر أصحاب نزار، و وعدهم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٦

فلما كان فى ذى القعدة و قد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله، و فرّ فى البحر إلى جهة بلاد المغرب، ففت ذلك فى عضد نزار و تبين فيه الانكسار، و اشتد الأفضل، و تكاثرت جموعه، فبعث نزار و أفتكين إليه يطلبان الأمان منه، فأمنهما و دخل الاسكندرية،



و قبض على نزار و أفتكين، و بعث بهما إلى القاهرة، فأما نزار: فإنه قتل في القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما، و أما أفتكين، فإنه قتله الأفضل بعد قدومه، و دار أفتكين هذه كانت خارج القصر و موضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل، و آدره بدر بملوخيا.

### خزانة البنود

البنود: هي الرايات و الأعلام، و يشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا: العصائب السلطانية، و كانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير، و من حقوقه فيما بين قصر الشوك، و باب العيد بناها: الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله، و كان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع، و كانت أيام الظاهر هذا سكونا و طمأنينة، و كان مشتغلا بالأكل و الشرب، و النزه، و سماع الأغاني.

و في زمانه تأتق أهل مصر و القاهرة في اتخاذ الأغاني و الرقاصات، و بلغ من ذلك المبالغ العجيبة، و اتخذت له حجرة المماليك، و كانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم و أنواع آلة الحرب، و صنوف حيلها من الرماية، و المطاعنة، و المسابقة و غير ذلك.

و قال في كتاب الذخائر و التحف: و لما وهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع و الآلات، و غير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة إحدى و ستين و أربعمائة، حمل جميعه ليلا، و كان فيما وجد سعد الدولة فيها ألفا و تسعمائة درقة إلى ما سوى ذلك من آلات الحرب و ما سواه، و غير ذلك من القضب الفضة و الذهب و البنود، و ما سواه، و في خلال ذلك سقط من بعض الفزاشين: مقط شمع موقد نارا، فصادف هناك أعدال كتان، و متاعا كثيرا، فاحترق جميعه، و كانت لتلك غلبة عظيمة، و خوف شديد فيما يليها من القصر، و دور العامة و الأسواق.

و أعلمني من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات، و الأمتعة، و الذخائر لا يعرف له قيمة عظما، و إن المنفق فيها كل سنة: من سبعين ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر، و بناء القصر من سنة ثمان و خمسين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٧

و ثلثمائة إلى هذا الوقت، و ذلك زائد عن مائة سنة، و إن جميعه باق فيها على الأيام لم يتغير، و إن جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية، و لا أثر، و إنه احترق في هذه الليلة من قربات النفط عشرات ألوف، و من زراقات النفط أمثالها، فأما الدرق و السيوف و الرماح و الشباب، فلا تحصى بوجه، و لا سبب مع ما فيها من قضب الفضة، و ثيابها المذهبة و غيرها، و البنود المجملية، و سروج و لجم و ثياب الفرحية المصبغات و البنادين، و غيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه، حتى لواء الحمد، و سائر البنود، و جميع العلامات، و الأولوية.

و حدّثني من أتق به أيضا: أنه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف، و ما لا يحصى كثرة، و إن السلطان بعد ذلك بمدّة طويلة احتاج إلى إخراج شيء من السلاح لبعض مهماته، فأخرج من خزانة واحدة مما بقى و سلم خمسة عشر ألف سيف مجوهره سوى غيرها. حدّثني بجميعه الأجل: عظيم الدولة متولى الستر الشريف انتهى.

و جعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حسبا، و فيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها، و كتب بها للكامل بن شاور:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليانسيم الصبا يرسل إلى كبدى نفحا

و قولاً لضوء الصبح هل أنت عائد إلى نصرى أم لا أرى بعدها صباحا

و لا تياساً من رحمة الله أن أرى سريعا بفضل الكامل العفو و الصفحا

و قال:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليان من الصبح ما يبدو سناه لناظري

فو الله ما أدري أطرفي ساهر على طول هذا الليل أم غير ساهر

و ما لي من أشكو إليه إذا كماسوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

و استثمرت سجنا للأمرء، و الوزراء، و الأعيان إلى أن زالت الدولة، فاتخذها ملوك بني أيوب أيضا سجنا، تعتقل فيه الأمرء و المماليك.

و من غريب ما وقع بها أن الوزير: أحمد بن عليّ الجرجاني: لما توفى طلب الوزارة: الحسن بن عليّ الأنباري: فأجيب إليها، فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده، و ضيع ماله و نفسه، و ذلك أنه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٨

بتصرف أحدهما في التجارة، و الآخر في الصرف، و بيع ما يحمله التجار من العراق.

وهما: أبو سعد إبراهيم، و أبو نصر هارون ابنا سهل التستري، و اشتهر من أمرهما في البيوع و إظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب و البعد، ما ينشأ به جميل الذكر في الآفاق، فاتسع حالهما لذلك، و استخدم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله: أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة، و تقدّم عنده، فباع له جارية سوداء، فتخطى بها الظاهر، و أولدها: ابنه المستنصر، فرعت لأبي سعد ذلك، فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر ولدها قدمت: أبا سعد، و تخصصت به في خدمتها.

فلما مات الوزير الجرجاني، و تكلم ابن الأنباري في الوزارة قصده أبو نصر أخو أبي سعد، فجبه أحد أصحابه بكلام مؤلم، فظنّ أبو نصر أن الوزير ابن الأنباري إذا بلغه ذلك ينكر على غلامه، و يعتذر إليه، فجاء منه خلاف ما ظنه، و بلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام، فشكا ذلك إلى أخيه أبي سعد، و أعلمه بأن الوزير متغير النية لهما، فلم يفتّر أبو سعد عن ابن الأنباري، و أغرى به أمّ المستنصر مولاته، فتحدّثت مع ابنتها الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة فسعى أبو سعد عند أمّ المستنصر: لأبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحيّ في الوزارة، فاستوزره المستنصر، و تولى أبو سعد الإشراف عليه، و صار الوزير الفلاحيّ منقادا لأبي سعد تحت حكمه، و أخذ الفلاحيّ يعمل على ابن الأنباري و يغرى به، و يصنع عليه ديونا، و يذكر عنه ما يوجب الغضب عليه، حتى تمّ له ما يريد، فقبض عليه، و خرّج عليه من الدواوين أموالا كثيرة، مما كان يتولاه قديما، و ألزمه بحملها، و نوع له أصناف العذاب، و استصفي أمواله، و هو معتقل بخزانة البنود، ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين و أربعمائه بها، فاتفق أن الفلاحيّ لما صرف عن الوزارة، اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الأنباري، قم قتل بها، و حفر له ليدفن، فظهر في الحفر رأس ابن الأنباري قبل أن يمضي فيه القتل، فقال لا إله إلاّ الله: هذا رأس ابن الأنباري أنا قتلته، و دفتته ههنا و أنشد:

رب لحد قد صار لحدا مراراضا حكا من تراحم الأضداد

فقتل، و دفن في تلك الحفرة مع ابن الأنباري، فعّد ذلك من غرائب الاتفاق.

ثم إن خزانة البنود جعلت منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية أيام المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣١٩

كانت محاربة المسلمين لهم، فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون: الأسارى بعد حضوره من الكرك، و أبطل السجن بها، فلم يزالوا فيها بأهاليهم، و أولادهم في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، فصار لهم فيها أفعال قبيحة، و أمور منكرة شنيعة من التجاهر: ببيع الخمر، و التظاهر بالزنا و اللياطة، و حماية من يدخل إليها من أرباب الديون، و أصحاب الجرائم و غيرهم، فلا يقدر أحد، و لو جلّ على أخذ من صار إليهم و احتفى بهم.

و السلطان يغضى عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة، و السياسة التي اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج، و كان يسكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، و يبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة، فلا يقدر على منعهم، و فحش أمرهم، فرفع

الخبر إلى السلطان، و أكثر من شكايتهم غير مرّة و السلطان يتغافل عن ذلك إلى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم، فقال له السلطان: أت تنقل أنت عنهم يا أمير؟

فلم يسعه إلّا الإعراض عن ذلك، و عمّر داره التي بالحسينية، و الإصطبل، و الجامع المعروف: بآل ملك و الحمام و الفندق، و انتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانه البنود، و سكن بالحسينية إلى أن مات السلطان الملك الناصر في أخريات سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و تنقل الملك في أولاده إلى أن جلس الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، و ضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة، كما كانت العادة في ذلك مدّة الدلة التركيّة، فأشير بتولية الأمير: بدر الدين جنكل بن البابا، فتنصل من ذلك، و أبى قبوله، فعرضت النيابة على الأمير الحاج آل مالك فاستبشر و قال: لى شروط أشرطها على السلطان، فإن أجابني إليها فعلت ما يرسم به.

و هي أن لا يفعل شيء في المملكة إلا برأىي، و أن يمنع الناس من شرب الخمر، و يقام منار الشرع، و لا يعترض على أمر من الأمور، فأجيب إلى ما سأل، و أحضرت التشاريف، فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع و أربعين و سبعمائة، و أصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة، و حكم بين الناس، و أول ما بدأ به: أن أمر والى القاهرة بالنزول إلى خزانه البنود، و أن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر و الفواحش، و يخرج الأسرى منها، و يهدمها حتى يجعلها دكا، و يسوّى بها الأرض، فنزل إليها و معه الحاجب في عدّة وافرة، و هجموا على من فيها، و هم آمنون، و أحاطوا بسائر ما تشتمل عليه، و قد اجتمع من العاميّة و الغوغاء، ما لا يقع عليه حصر، فأراقوا منها خمورا كثيرة تتجاوز الحدّ في الكثرة، و أخرج من كان فيها من النساء البغايا، و غيرهنّ من الشباب، و أرباب الفساد، و قبض على الفرنج و الأرمن، و هدمها حتى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٠

لم يبق لها أثر، و نودى في الناس، فحكروها و بنوا فيها الدور و الطواحين على ما هي على الآن، و أمر بالأسرى، فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسى، بجوار كيما م صرفهم هناك إلى الآن، و أنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل، فأسكنوا معهم و طهر الله تلك الأرض منهم، و أراح العباد من شرهم، فإنها كانت شرّ بقعة من بقاع الأرض يباع فيها لحم الخنزير على الوضم، كما يباع لحم الضأن، و يعصر فيها من الخمور في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره، حتى يقال: إنه كان يعصر بها في كل سنة: اثنان و ثلاثون ألف جرّة خمر، و يباع فيها الخمر نحو: اثني عشر رطلا بدرهم إلى غير ذلك من سائر أنواع الفسوق.

## دار الفطرة

قال ابن الطوير: دار الفطرة خارج القصر، بناها: العزيز بالله، و هو أول من بناها، و قرّر فيها ما يعمل مما يحمل إلى الناس في العيد، و هي قبالة باب الديلم من القصر الذي يدخل منه إلى المشهد الحسيني، و يكون مبدأ الاستعمال فيها، و تحصيل جميع أصنافها من السكر و العسل، و القلوب، و الزعفران، و الطيب، و الدقيق لاستقبال النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلا و نهارا، من الخشكناج و البسندود، و أصناف الفانيد الذي يقال له:

كعب الغزال، و البرماورد، و الفستق، و هو شواير مثال الصنج، و المستخدمون يرفعون ذلك إلى أماكن و سيعه مصنونه فيحصل منه في الحاصل شيء عظيم هائل، بيد مائة صانع للعلاويين مقدّم، و للخشكانيين آخر، ثم يندب لها مائة فزاش لحمل طيافير للتفرقة على أرباب الرسوم خارجا عن من هو مرتب لخدمتها من الفزاشين الذين يحفظون رسومها و مواعينها الحاصلة بالدائم، و عدّتهم: خمسة فيحضر إليها الخليفة، و الوزير معه، و لا يصحبه في غيرها من الخزائن لأنها خارج القصر، و كلها للتفرقة فيجلس على سريره بها، و يجلس الوزير على كرسي ملين على عادته في النصف الثاني من شهر رمضان، و يدخل معه قوم من الخواص، ثم يشاهد ما فيها من

تلك الحواصل المعمولة المعبأة مثل الجبال من كل صنف، فيفترقها من ربع قنطار إلى عشرة أرتال إلى رطل واحد، و هو أقلها. ثم ينصرف الخليفة و الوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين ديناراً، ثم يحضر إلى حاميها و مشارفها الأديعة المعمولة المخرجة من دفتر المجلس، كل دعوى لتفريق فريق من خاص، و غيره حتى لا يبقى أحد من أرباب الرسوم إلّا و اسمه وارد في دعوى من تلك الأديعة، و يندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان، فيسيرهم إلى مستخدميها، فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين أو ثلاثة على كثرة ما يحتويه و قلته، و يؤمر بالترفة من ذلك

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢١

اليوم، فيقدمون أبدا مائتي طيفور من العالى و الوسط و الدون، فيحملها الفرائشون برقاع من كتاب الأديعة باسم صاحب ذلك الطيفور علا، أو دنا، و ينزل اسم الفرائش بالدعوى، أو عريفه حتى لا يضيع منها شيء، و لا يختلط، و لا يزال الفرائشون يخرجون بالطيافير ملأى و يدخلون بها فارغة، فبمقدار ما تحمل المائة الأولى عبيت المائة الثانية، فلا يفتر ذلك طول التفرقة، فأجل الطيافير ما عدد خشكانه مائة حبة، ثم إلى سبعين و خمسين، و يكون على صاحب المائة طرحه فوق قوارته، ثم إلى خمسين ثم إلى ثلاث و ثلاثين، ثم إلى خمس و عشرين، ثم إلى عشرين، و نسبة منثور كل واحد على عدد خشكانه، ثم العبيد السودان بغير طيافير، كل طائفه يتسلمه لها عرفاؤها في أفراد الخواص، لكل طائفه على مقدارها الثلاثة الأفراد و الخمسة و السبعة إلى العشرة فلا يزالون كذلك إلى أن ينقضى شهر رمضان، و لا يفوت أحدا شيء من ذلك و يتهداه الناس في جميع الإقليم.

قال: و ما ينفق في دار الفطرة فيما يفترق على الناس منها: سبعة آلاف دينار. و قال ابن عبد الظاهر: دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الإمام الحسين عليه السلام، و هى الفندق الذى بناه الأمير سيف الدين بهادر الآن فى سنة: ست و خمسين و ستمائة، أول من رتبها الإمام العزيز بالله، و هو أول من سنّها، و كانت الفطرة قبل أن ينتقل الأفضل إلى مصر تعمل بالإيوان، و تفرق منه، و عند ما تحوّل إلى مصر نقل الدواوين من القصر إليها، و استجدّ لها مكانا قبالة دار الملك إيوانى المكاتبات، و الانشاء، فإنهما كانا بقرب الدار و يتوصل إليهما من القاعة الكبرى التى فيها جلوسه، ثم استجدّ للفطرة دارا عملت بعد ذلك و راقه، و هى الآن دار الأمير عز الدين الأفرم بمصر قبالة: دار الوكالة، و عملت بها الفطرة مدّة، و فرّق منها إلّا ما يخص الخليفة و الجهات و السيدات و المستخدمات، و الأستاذين، فإنه كان يعمل بالإيوان على العادة.

و لما توفى الأفضل، و عادت الدواوين إلى مواضعها أنهى: خاصة الدولة ريحان، و كان يتولى بيت المال، إن المكان بالإيان يضيق بالفطرة، فأمره المأمون أن يجمع المهندسين، و يقطع قطعة من اصطبيل الطارمة، يبنيه دار الفطرة، فأنشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين، و الباب الذى بمشهد الحسين يعرف: بباب الديلم، و صار يعمل بها ما استجدّ من رسوم الموالي و الوقودات، و عقد لها جملتان إحداهما: وجدت فسطرت، و هى عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين، و الجملة الثانية: فصلت فيها الأصناف، و شرحها: دقيق ألف حمله، سكر: سبعمائة قنطار، قلب فستق: ستة قناطير، قلب لوز:

ثمانية قناطير، قلب بندق: أربعة قناطير، تمر: أربعمائة إردب، زبيب: ثلثمائة إردب، خل: ثلاثة قناطير، عسل نحل: خمسة عشر قنطاراً، شيرج: مائتا قنطار، حطب: ألف و مائتا حمله، سمس إردبان، آيسون إردبان، زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطاراً، ماء ورد خمسون رطلا، مسك خمس نوافج، كافور قديم عشرة مثاقيل، زعفران مطحون مائة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٢

و خمسون درهما، و بيد الوكيل برسم المواعين و البيض و السقائين، و غير ذلك من المؤمن على ما يحاسب به، و برفع المحازيم خمسمائة دينار.

و وجدت بخط ابن ساكن قال: كان المرتب فى دار الفطرة، و لها ما يذكر، و هو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطاراً: مقاطع سكندرى برسم القوارات: ثلثمائة مقطع، طيافير جدد: برسم السماط ثلثمائة طيفور، شمع برسم السماط، و توديع الأمراء ثلاثون قنطاراً،

أجرة الصناع ثلاثمائة دينار، جرى الحامي: مائة و عشرون ديناراً، جرى العامل، و المشارف مائة و ثمانون ديناراً، و شقةً ديبقي، بياض حريري، و منديل ديبقي كبير حيري، و شقة سقلاطون أندلسي يلبسها قدام الفطرة يوم حملها ليفزق طيافير الفطرة على الأمراء، و أرباب الرسومات، و على طبقات الناس حتى يعم الكبير و الصغير، و الضعيف و القوي، و يبدأ بها من أول رجب إلى آخر رمضان. ذكر ما اختص من صفة الطيافير: الأعلى منها: طيفور فيه مائة حبة خشكناج وزنها مائة رطل، و خمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل، سكر سليمانتي، و غيره عشرة أرطال، قلوبات ستة أرطال، بسندود عشرون حبة، كعك و زبيب و تمر قنطار، جملة الطيفور ثلاثة قناطير و ثلث إلى ما دون ذلك على قدر الطبقات إلى عشر حبات.

و قال ابن أبي طي: و عمل المعز لدين الله داراً سماها: دار الفطرة، فكان يعمل فيها من الخشكناج، و الحلواء، و البسندود، و الفانيذ، و الكعك و التمر و البندق شيء كثير من أول رجب إلى نصف رمضان، فيفترق جميع ذلك في جميع الناس الخاص و العام على قدر منازلهم في أوان لا تستعاد، و كان قبل ليلة العيد يفترق على الأمراء الخيول بالمرابك الذهب، و الخلع النفيسة، و الطراز الذهب، و الثياب برسم النساء.

### المشهد الحسيني

قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر: و في شعبان سنة إحدى و تسعين و أربعمائة، خرج الأفضل بن أمير الجيوش بعساكر جمعة إلى بيت المقدس، و به: سكان و ابلغازي ابنا ارتق في جماعة من أقاربهما، و رجالهما و عساكر كثيرة من الأتراك، فراسلها الأفضل يلتمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب، فلم يجيباه لذلك، فقاتل البلد، و نصب عليها المجانيق، و هدم منها جانباً، فلم يجدا بداً من الإذعان له، و سلماه إليه، فخلع عليهما، و أطلقهما، و عاد في عساكره، و قد ملك القدس، فدخل عسقلان.

و كان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأخرجه و عطره، و حمله في سفت إلى أجل دار بها، و عمّر المشهد، فلما تكامل، حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره و سعى به ماشياً إلى أن أحله في مقره، و قيل: إن المشهد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٣

بعسقلان بناه: أمير الجيوش بدر الجمالي، و كمله ابنه الأفضل و كان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان، و وصوله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان و أربعين و خمسمائة، و كان الذي وصل بالرأس من عسقلان: الأمير سيف المملكة تميم واليها كان، و القاضي المؤمن بن مسكين مشارفها، و حصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور.

و يذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف، و له ريح كريح المسك، فقدم به الأستاذ مكنون في عشاري من عشاريات الخدمة، و أنزل به إلى الكافوري، ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة، فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر، و كانوا ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر الإبل و البقر و الغنم، و يكثرون النوح و البكاء، و يسبون من قتل الحسين، و لم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم.

و قال ابن عبد الظاهر: مشهد الإمام الحسين صلوات الله عليه، قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح، كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج، و بنى جامعاً خارج باب زويلة ليدفنه به، و يفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر على ذلك، و قالوا: لا يكون ذلك إلّا عندنا، فعمدوا إلى هذا المكان، و بنوه له، و نقلوا الرخام إليه، و ذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع و أربعين و خمسمائة.

و سمعت من يحكي حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك، و هي أن السلطان الملك الناصر رحمه الله، لما أخذ هذا القصر و شى إليه بخادم له قدر في الدولة المصرية، و كان زمام القصر، و قيل له: إنه يعرف الأموال التي بالقصر و الدفائن،

فأخذ و سئل، فلم يجب بشيء، و تجاهل، فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه، فأخذه متولى العقوبة، و جعل على رأسه خنافس و شدّ عليها قرمزية، و قيل: إن هذه أشدّ العقوبات، و إنّ الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه و تقتله ففعل ذلك به مرارا، و هو لا يتأوه، و توجد الخنافس ميتة، فعجب من ذلك، و أحضره، و قال له: هذا سرّ فيك، و لا بدّ أن تعرّفنى به؟ فقال: و الله ما سبب هذا إلا أنى لما وصلت رأس الإمام الحسين حماتها، قال: و أى سرّ أعظم من هذا و راجع فى شأنه فعفا عنه.

و لما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدرّس و فقهاء، و فوضها للفقير البهاء الدمشقى، و كان يجلس للتدرّس عند المحراب الذى الضريح خلفه، فلما وزر معين الدين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٤

حسين بن شيخ الشيوخ بن حمويه، و ردّ إليه أمر هذا المشهد بعد إخوته، جمع من أوقاته ما بنى به إيوان التدرّس الآن، و بيوت الفقهاء العلوية خاصة، و احترق هذا المشهد فى الأيام الصالحة فى سنة بضع و أربعين و ستمائة، و كان الأمير جمال الدين بن يعمر نائبا عن الملك الصالح فى القاهرة، و سببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئا، فسقطت منه شعله، فوقف الأمير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ و أشدته حينئذ فقلت:

قالوا تعصب للحسين و لم يزل بالنفس للهلول المخوف معرّضا

حتى انضوى ضوء الحرق و أصبح المسودّ من تلك المخاوف أيضا

أرضى الإله بما أتى فكأنه بين الأنام بفعله موسى الرضى

قال: و لحفظه الآثار، و أصحاب الحديث، و نقله الأخبار ما إذا طولع وقف منه على المسطور، و علم منه ما هو غير المشهور، و إنما هذه البركات مشاهدة مرئية، و هى بصحة الدعوى مليء، و العمل بالنية.

و قال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم، و من جملة مبانيه الميضاة قريب مشهد الإمام الحسين بالقاهرة و المسجد و الساقية، و وقف عليها أراضى قريب الخندق فى ظاهر القاهرة، و وقفها دارّ جار، و الانتفاع بهذه المثوبة عظيم، و لما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنة وجد فيه شيء من طلسم لم يعلم لأى شيء هو، فيه اسم الظاهر بن الحاكم، و اسم أمه رصد.

خير الحسين: هو الحسين بن على بن أبى طالب، و اسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله، و أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلّم، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع، و قيل: سنة ثلاث، و عق عنه رسول الله صلى الله عليه و سلّم يوم سابعه بكبش، و حلق رأسه، و أمر أن يتصدّق بزنته فضة، و قال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ فقال على بن أبى طالب: حربا، فقال: بل هو حسين و كان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه و سلّم ما كان أسفل من صدره، و كان فاضلا دينا كثير الصوم و الصلاة و الحج، و قتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء، سنة إحدى و ستين من الهجرة بموضع يقال له: كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة، و يعرف الموضع أيضا: بالطف، قتله سنان بن أنس اليحصبي، و قيل: قتله رجل من مذحج، و قيل: قتله شمر بن ذى الجوشن، و كان أبرص، و أجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحي من حمير، حزّ رأسه، و أتى عبيد الله بن زياد، و قال:

أوقر ركابى فضة و ذهبانى قتلت الملك المحجبا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٥ قتلت خير الناس أمّا و أبوا خيرهم إذ ينسبون نسا

و قيل: قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص، و كان الأمير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين، و أمر عليهم: عمرو بن سعد، و وعده أن يوليه الرىّ إن ظفر بالحسين و قتله.

و قال ابن عباس رضى الله عنهما: رأيت النبي صلى الله عليه و سلّم فيما يرى النائم نصف النهار، و هو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبى أنت و أمى ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم، و هذا البيت



زعموا قديما لا يدري قائله:

أ ترجو أمه قتلت حسينا شفاعه جدّه يوم الحساب

و قتل مع الحسين: سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة، و قد قتل معه من أهل بيته، و إخوته ثلاثة و عشرون رجلا. و كان سبب قتله أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه في سنة ستين، وردت بيعة يزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة، ليأخذ البيعة على أهلها، فأرسل إلى الحسين بن علي، و إلى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما، فقال: بايعا، فقالا:

مثلنا لا- يبايع سرّا، و لكننا نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما، و خرجا من ليلهما إلى مكة، و ذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكة شعبان و رمضان و شوالا و ذو القعدة، و خرج يوم التروية يريد الكوفة، و بكتب أهل العراق.

فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمي صاحب شرطته، فنزل القادسية، و نظم الخيل ما بينها، و بين جبل لعلع، فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد فكتب إلى أهل الكوفة، يعرّفهم بقدمه مع قيس بن مسهر، فظفر به الحصين، و بعث به إلى ابن زياد فقتله، و أقبل الحسين يسير نحو الكوفة، فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل، و خبر قتل أخيه من الرضاة، فقام حتى أعلم الناس بذلك و قال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن يتصرف، فليتصرف، فليس عليه ذمام منا فتفرقوا، حتى بقى في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة و سار، فأدرسته الخيل، و هم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي.

و نزل الحسين، فوقفوا تجاهه و ذلك في نحر الظهيرة، فسقى الحسين الخيل، و حضرت صلاة الظهر، فأذن مؤذنه و خرج، فحمد الله، و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٦

معذرة إلى الله، و إليكم إنى لم آتكم، حتى أتتني كتبكم و رسلكم، أن أقدم علينا، فليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، و قد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهدكم أقدم مصركم، و إن لم تفعلوا و كنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه فسكتوا، و قال للمؤذن: أقم، فأقام و قال الحسين للحرّ: أ تريد أن تصلى أنت بأصحابك؟ قال: بل صل أنت، و نصلى بصلاتك، فصلى بهم، و دخل فاجتمع إليه أصحابه و انصرف الحرّ إلى مكانه، ثم صلى بهم العصر، و استقبلهم فحمد الله، و أثنى عليه، و قال: يا أيها الناس إنكم إن تتقوا الله و تعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، و نحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم السائرين فيكم بالجور و العدوان، فإن أنتم كرهتمونا، و جهلتم حقا، و كان رأيكم غير ما أثنى به كتبكم انصرفت عنكم، فقال الحرّ: إنا و الله ما ندري ما هذه الكتب و الرسل التي تذكر، فأخرج خرجين مملوءين صحفا، فنشرها بين أيديهم، فقال الحرّ: إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، و قد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا، فمنعهم الحرّ من ذلك، فقال له الحسين: ثكلتك أمك ما تريد، فقال له: و الله لو كان غيرك من العرب يقولها، ما تركت ذكر أمه بالشكل كائنا من كان، و الله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلما بأحسن ما نقدر عليه، فقال له الحسين: ما تريد؟ قال: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زيادة، و تراّد الكلام، فقال له الحرّ:

إنى لم أوامر بقتالك، و إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة، فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة، و لا تزول إلى المدينة، حتى أكتب إلى ابن زياد، و تكتب أنت إلى يزيد، أو إلى ابن زياد، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك، فتياسر عن طريق العذيب و القادسية، و الحرّ يسايره.

فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى و ستين، قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف، و بعث إلى الحسين رسولا- يسأله ما الذي جاء به، فقال: كتب إلى أهل مصر كم هذا أن أقدم عليهم، فإذا كرهوني، فأنا أنصرف عنهم، فكتب

عمرو إلى ابن زياد يعرّفه ذلك، فكتب إليه أن يعرض على الحسين ببيعة يزيد، فإن فعل رأينا فيه رأينا، وإلا نمنعه، و من معه الماء، فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين، و بين الماء، و ذلك قبل قتله بثلاثة أيام، و نادى مناد:

يا حسين ألا تنظر الماء لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا، ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا، فكتب عمرو بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإنّ الله قد أطفأ النائرة، و جمع الكلمة، و قد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو أن تسيره إلى أيّ ثغر من الثغور شاء، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، و في هذا الكم رضى، و للأمة صلاح.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٧

فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن: اخرج بهذا الكتاب إلى عمرو فليعرض على الحسين و أصحابه النزول على حكى، فإن فعلوا فليبعث بهم، و إن أبوا، فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له، و أطع و إن أبى فأنت الأمير عليه، و على الناس، و اضرب عنقه و ابعث إلى برأسه.

و كتب إلى عمرو بن سعد: أمّا بعد، فإنى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، و لا لتنيه، و لا لتطاوله و لا لتفعد له عندى شافعا أنظر، فإن نزل حسين و أصحابه على الحكم، و استسلموا فابعث بهم إلى سلما، و إن أبوا فاحذف إليهم حتى تقتلهم، و تمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين، فأوطيء الخيل صدره و ظهره، فإنه عاق شاق قاطع ظلوم، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، و إن أنت أبيت، فاعتزل جندنا، و خل بين شمر و بين العسكر و السلام.

فلما أتاه الكتاب ركب و الناس معه بعد العصر، فأرسل إليهم الحسين: ما لكم؟

فقالوا: جاء أمر الأمير بكذا، فاستمهلهم إلى غدوة، فلما أمسوا، قام الحسين و من معه الليل كله يصلون و يستغفرون و يدعون و يتضرعون، فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت، و قيل: يوم الجمعة يوم عاشوراء، خرج فيمن معه، و عبيء الحسين أصحابه، و كان معه اثنان و ثلاثون فارسا، و أربعون راجلا، و ركب و معه مصحف بين يديه وضعه أمامه، و اقتتل أصحابه بين يديه، و أخذ عمرو بن سعد سهما، فرمى به، و قال: اشهدوا أنّي أول من رمى الناس، و حمل أصحابه فصرعوا رجالا، و أحاطوا بالحسين من كل جانب، و هم يقاتلون قتالا شديدا، حتى انتصف النهار، و لا يقدرون يأتونهم إلا من وجه واحد، و حمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين، و حضر وقت الصلاة، فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلى، ففعلوا، ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال، و وصل إلى الحسين، و قد صرعت أصحابه، و مكث طويلا من النهار، كلما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه، و كره أن يتولى قتله.

فأقبل عليه رجل من كندة يقال له: مالك فضربه على رأسه بالسيف، قطع البرنس و أدماه، فأخذ الحسين دمه بيده، فصبه في الأرض ثم قال: اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير و انتقم من هؤلاء الظالمين، و اشتد عطشه، فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم، فوقع في فمه، فتلقى الدم بيده، و رمى به إلى السماء، ثم قال بعد حمد الله و الثناء عليه: اللهم إني أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك، اللهم أحصهم عددا و اقتلهم بددا، و لا تبقى منهم أحدا، فأقبل شمر في نحو عشرة إلى منزل الحسين، و حالوا بينه و بين رحله، و أقدم عليه و هو يحمل عليهم، و قد بقى في ثلاثة، و مكث طويلا من النهار و لو شاءوا أن يقتلوه لقتلوه، و لكنهم كان يتقى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٨

بعضهم ببعض، و يحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء.

فنادى شمر في الناس: و يحكم؟ ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمكم! فحملوا عليه من كل جانب، فضرب زرعة بن شريك التميمي كفه الأيسر، و ضرب عاتقه، و هو يقوم و يكبو، فحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي، فطعنه بالرمح، فوقع و قال لخولى بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأرعد و ضعف، فنزل عليه، و ذبحه، و أخذ رأسه، فدفعه إلى خولى، و سلب الحسين ما كان

عليه حتى سراويله، و مال الناس، فانتهبوا ثقله و متاعه، و ما على النساء.

و وجد بالحسين: ثلاث و ثلاثون طعنة، و أربع و أربعون ضربة، و نادى عمرو بن سعد فى أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه، فانتدى عشر فداسوا الحسين بخيولهم، حتى رضوا ظهره و صدره، و كان عدده من قتل معه: اثنين و سبعين رجلا، و من أصحاب عمرو بن سعد: ثمانية و ثمانين رجلا غير الجرحى، و دفن أهل الغاضرية من بنى أسد الحسين بعد قتله بيوم و بعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه، و رؤوس أصحابه و بعث بها إلى ابن زياد، فأحضر الرؤوس بين يديه، و جعل ينكت بقضيب ثنايا الحسين، و زيد بن أرقم حاضر، و أقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين، ثم رحل إلى الكوفة، و معه ثياب الحسين و إخوانه، و من كان معه من الصبيان، و على بن الحسين مريض، فأدخلهم على زياد، و لما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت: يا محمداه هذا حسين بالعراء! مزمل بالدماء! مقطع الأعضاء! يا محمد بناتك سبايا، و ذريتك مقتلة فأبكت كل عدو و صديق، و طيف برأسه بالكوفة على خشبة، ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية، و أرسل النساء و الصبيان، و فى عتق على بن الحسين و يديه الغل، و حملوا على الأقتاب، فدخل بعض بنى أمه على يزيد، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، فقد أمكنك الله من عدو الله، و عدوك قد قتل، و وجه برأسه إليك، فلم يلبث إلّا أياما حتى جىء برأس الحسين، فوضع بين يدي يزيد فى طشت، فأمر الغلام فرغ الثوب الذى كان عليه، فحين رآه خمر وجهه بكمه كأنه شم منه رائحة، و قال: الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأ الله، قالت ربيّا حاضنة يزيد، فدنوت منه، فنظرت إليه و به ردغ من حناء، و الذى أذهب نفسه، و هو قادر على أن يغفر له، لقد رأيت يقرع ثنياه بقضيب فى يده، و يقول أبياتا من شعر ابن الزبيرى، و مكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام، ثم أنزل فى خزائن السلاح، حتى ولى سليمان بن عبد الملك الملك، فبعث إليه، فجىء به، و قد محل، و بقى عظما أبيض، فجعله فى سفت، و طيبه و جعل عليه ثوبا، و دفنه فى مقابر المسلمين.

فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح أن وجه إلى برأس الحسين ابن على، فكتب إليه: إن سليمان أخذه و جعله فى سفت، و صلى عليه، و دفنه، فلما دخلت

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٢٩

المسوذة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة، فنبشوه و أخذوه، و الله أعلم ما صنع به.

و قال السرى: لما قتل الحسين بن على بكت السماء عليه، و بكاؤها حمرتها، و عن عطاء فى قوله تعالى: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ [الدخان / ٢٩] قال: بكاؤها حمرة أطرافها. و عن على بن مسهر قال: حدثنى جدتى قالت: كنت أيام الحسين جارية شابة، فكانت السماء أياما كأنها علقه. و عن الزهرى بلغنى: أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلّا وجد تحته دم عبيط.

و يقال: إن الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا، و لم يمس أحد من زعفرانهم شيئا، فجعله على وجهه إلّا احترق و أنهم أصابوا إبلا فى عسكر الحسين يوم قتل، فنحروها و طبخوها فصارت مثل العلقم، فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا، و روى: أن السماء أمطرت دما، فأصبح كل شىء لهم ملآن دما.

### ما كان يعمل فى يوم عاشوراء

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله فى يوم عاشوراء من سنة ثلاث و ستين و ثلثمائة، انصرف خلق من الشيعة، و أشياعهم إلى المشهدين: قبر كلثوم و نفيسة، و معهم جماعة من فرسان المغاربة، و رجالتهم بالنياحة و البكاء على الحسين عليه السلام، و كسروا أوانى السقائين فى الأسواق، و شققوا الروايا، و سبوا من ينفق فى هذا اليوم، و نزلوا حتى بلغوا مسجد الريح، و ثارت عليهم جماعة من رعية أسفل، فخرج أبو محمد الحسين بن عمار، و كان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر، و أغلق الدرب، و منع الفريقين، و

رجع الجميع، فحسن موقع ذلك عند المعز، و لو لا- ذلك لعظمت الفتنة، لأنّ الناس قد غلقوا الدكاكين و أبواب الدور، و عطلوا الأسواق، و إنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، و قد كانت مصر لا- تخلو منهم في أيام الإخشيدية، و الكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم، و قبر نفيسه؟ و كان السودان و كافر يتعصبون على الشيعة، و تتعلق السودان في الطرقات بالناس، و يقولون للرجل: من خالك؟ فإن قال: معاوية، أكرموه، و إن سكت لقي المكروه، و أخذت ثيابه، و ما معه حتى كان كافر قد وكل بالصحراء و منع الناس من الخروج.

و قال المسيحي: و في يوم عاشوراء، يعني من سنة ست و تسعين و ثلثمائة جرى الأمر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الأسواق، و خروج المنشدين إلى جامع القاهرة، و نزولهم مجتمعين بالنوح و النشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز من النعمان، سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح و النشيد و قال لهم: لا تلموا الناس أخذ شيء منهم إذا وفقتهم على حوائثهم، و لا تؤذوهم، و لا تتكسبوا بالنوح و النشيد، و من أراد ذلك فعليه بالصحراء، ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٠

الصلاة، و أنشدوا، و خرجوا على الشارع بجمعهم، و سبوا السلف، فقبضوا على رجل، و نودي عليه: هذا جزء من سب عائشة، و زوجها صلى الله عليه و سلم، و قدّم الرجل بعد النداء، و ضرب عنقه.

و قال ابن المأمون: و في يوم عاشوراء، يعني من سنة خمس عشرة و خمسمائة عبيء السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر، التي كان يسكنها الأفضل بن أمير الجيوش، و هو السماط المختص بعاشوراء، و هو يعيى في غير المكان الجارى به العادة في الأعياد، و لا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم، و السماط يعلوها من غير مراع نحاس، و جميع الزبادى أجان، و سلائط و مخللات، و جميع الخبز من شعير، و خرج الأفضل من باب فردالكم، و جلس على بساط صوف من غير مشورة، و استفتح المقرئون، و استدعى الأشراف على طبقاتهم، و حمل السماط لهم، و قد عمل في الصحن الأول الذى بين يدي الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود، ثم بعده عدس مصفى إلى آخر السماط، ثم رفع و قدّمت صحون جميعها عسل نحل.

و لما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة و خمسمائة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذهنج يعني من القصر بعد قتل الأفضل و عود الأسمطة إلى القصر على كرسى جريد بغير مخدّة مثلثا هو و جميع حاشيته، فسلم عليه الوزير المأمون و جميع الأمراء الكبار، و الصغار بالقيراميز، و أذن للقاضى، و الداعى، و الأشراف، و الأمراء بالسلام عليه، و هم بغير مناديل ملثمون حفاة، و عبيء السماط في غير موضعه المعتاد، و جميع ما عليه خبز الشعير و الحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية، و تقدّم إلى والى مصر و القاهرة بأن لا- يمكننا أحدا من جمع و لا- قراءة مصرع الحسين، و خرج الرسم المطلق للمتصدّرين و القراء الخاص، و الوعاظ، و الشعراء، و غيرهم على ما جرت به عادتهم.

قال: و في ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة و خمسمائة: اعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضى فيها إلى التربة الجيوشية، و حضور جميع المتصدّرين، و الوعاظ، و قراء القرآن إلى آخر الليل، و عوده إلى داره، و اعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك، و جلس الخليفة على الأرض مثلثا يرى به الحزن، و حضر من شرف بالسلام عليه، و الجلوس على السماط بما جرت به العادة.

قال ابن الطوير: إذا كان اليوم العاشر من المحرم: احتجب الخليفة عن الناس فإذا علا النهار ركب قاضى القضاة، و الشهود، و قد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم، ثم صاروا إلى المشهد الحسينى، و كان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر، فإذا جلسوا فيه، و من معهم من قراء الحضرة، و المتصدّرين فى الجوامع جاء الوزير، فجلس صدرا، و القاضى و الداعى من جانيه، و القراء يقرءون نوبة نوبة، و ينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا

يرثون به أهل البيت عليهم السلام، فإن كان الوزير رافضياً تغالوا، وإن كان سنياً اقتصدوا، ولا يزالون كذلك إلى أن تمضى ثلاث ساعات، فيستدعون إلى القصر بنقباء الرسائل، فيركب الوزير، وهو بمنديل صغير إلى داره، ويدخل قاضى القضاة و الداعى، و من معهما إلى باب الذهب، فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط، و ينصب فى الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش، و يجدون صاحب الباب جالسا هناك، فيجلس القاضى و الداعى إلى جانبه، و الناس على اختلاف طبقاتهم، فيقرأ القراء و ينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليهم سماط الحزن مقدار ألف زبديء من العدس، و الملوحات، و المخملات، و الأجان و الألبان الساذجة و الأعسال النحل، و الفطير و الخبز المغير لونه، فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب، و صاحب المائدة، و أدخل الناس للأكل منه، فيدخل القاضى و الداعى، و يجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير، و المذكوران إلى جانبه، و فى الناس من لا يدخل، و لا يلزم أحد بذلك، فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركبانا بذلك الذى ظهر فيه، و طاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم، و أغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر، فيفتح الناس بعد ذلك أو يتصرفون.

### ذكر أبواب القصر الكبير الشرقى

و كان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب أكبرها و أجلها: باب الذهب، ثم باب البحر، ثم باب الريح، ثم باب الزمرد، ثم باب العيد، ثم باب قصر الشوك، ثم باب الديلم، ثم باب تربة الزعفران، ثم باب الزهومة. باب الذهب: و هو باب القصر الذى تدخل منه العساكر، و جميع أهل الدولة فى يومى الاثنين و الخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب.

قال ابن طيء عن المعز لدين الله: أنه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالا كانت له ببلاد المغرب، و أمر بسبكها أرحية كأرحية الطواحين، و أمر بها حين دخل إلى مصر فألقيت على باب قصره، و هى التى كان الناس يسمونها: الحشرات، و لم تزل على باب القصر إلى أن كان زمن الغلاء فى أيام الخليفة المستنصر بالله، فلما ضاق بالناس الأمر أذن لهم أن يبردوا منها بمبارد، فاتخذ الناس مبارد حادة و غزهم الطمع، حتى ذهبوا بأكثرها، فأمر بحمل الباقي إلى القصر فلم تر بعد ذلك.

و قال ابن ميسر: إن المعز لما قدم إلى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب، و قال غيره: كانت خمسمائة جمل على كل جمل: ثلاثة أرحية ذهبا، و إنه عمل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٢

عضادتى الباب من تلك الأرحية واحدة فوق أخرى، فسمى: باب الذهب.

جلوس الخليفة فى الموالد بالمنظرة علو باب الذهب: قال ابن المأمون فى أخبار سنة ست عشرة و خمسمائة: و فى الثانى عشر من المحرم، كان المولد الأمري، و اتفق كونه فى هذا الشهر يوم الخميس، و كان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكناج، و حلوى و كعك، و أطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر و عسل و لوز و دقيق و شيرج، و تقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى، و تفرق على المتصدّرين، و القراء و الفقراء للمتصدّرين، و من معهم فى صحون، و للفقراء على أرغفة السميد، ثم حضر فى الليلة المذكورة القاضى و الداعى، و الشهود، و جميع المتصدّرين و قراء الحضرة، و فتحت الطاقات التى قبلت باب الذهب، و جلس الخليفة و سلموا عليه، ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم، ضمنه عينا مائة دينار، و ألف و ثمانمائة و عشرون درهما برسم أهل القرافة، و ساكنيها و غيرهم، و فرقت الصواني بعد ما حمل منها للخاص، و زمام القصر و متولى الدفتر خاصة و إلى دار الوزارة، و الأجلاء الأخواة، و الأولاد، و كاتب الدست، و متولى حجة الباب، و القاضى و الداعى، و مفتى الدولة و متولى دار العلم، و المقرئين الخاص، و أئمة الجوامع بالقاهرة و مصر، و بقية الأشراف.



قال: و خرج الأمر، يعنى فى سنه سبع عشرة و خمسمائه بإطلاق ما يخص المولد الأمري برسم المشاهد الشريفة من سكر و عسل و شيرج و دقيق، و ما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة، و العتيق بمصر، و بالقرافة خمسة قناطير حلوى و ألف رطل دقيق، و ما يعمل بدار الفطرة، و يحمل للأعيان، و المستخدمين من بعد القصور، و الدار المأمونية صينية خشكناج، و حضر القاضى و الداعى، و المستخدمون بدار العيد، و الشهود فى عشية اليوم المذكور، و قطع سلوكك الطريق بين القصرين، و جلس الخليفة فى المنظره، و قبلوا الأرض بين يديه، و المقرئون الخاص جميعهم يقرءون القرآن و تقدم الخطيب، و خطب خطبة و سع القول فيها، و ذكر الخليفة و الوزير، ثم حضر من أنشد، و ذكر فضيلة الشهر و المولود فيه، ثم خرج متولى بيت المال، و معه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره. قال: و استهل ربيع الأول، و بدأ بما شرف به الشهر المذكور، و هو ذكر مولد سيد الأولين و الآخرين محمد صلى الله عليه و سلم لثلاث عشرة منه، و أطلق ما هو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم، و من الأصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة، و من الخزائن برسم المتولين، و السدنة للمشاهد الشريفة التى بين الجبل و القرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لوز عسل، و شيرج لكل مشهد، و ما يتولى تفرقته: سنا الملك ابن ميسر أربعمائه رطل حلاوة، و ألف رطل خبز.

قال: و كان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الوالد الأربعة: النبوى، و العلوى،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٣

و الفاطمى، و الإمام الحاضر، و ما يهتم به، و قدم العهد به حتى نسى ذكرها، فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الأمر بأحكام الله، و يرددون الحديث معه فيها، و يحسنون له معارضة الوزير بسببها، و إعادتها، و إقامة الجوارى و الرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك، و عمل ما ذكر.

و قال ابن الطوير: ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة فى تواريخ مختلفة، و ما يطلق فيها، و هى مولد النبى صلى الله عليه و سلم، و مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، و مولد فاطمة عليها السلام، و مولد الحسن، و مولد الحسين عليهما السلام، و مولد الخليفة الحاضر، و يكون هذا الجلوس فى المنظره التى هى أنزل المناظر، و أقرب إلى الأرض قبالة دار فخر الدين جهاركس، و الفندق المستجد، فإذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول، تقدم بأن يعمل فى دار الفطرة عشرون قطارا من السكر اليابس حلواء يابس من طرائفها، و تعبى فى ثلثمائة صينية من النحاس، و هو مولد النبى صلى الله عليه و سلم، فتفرق تلك الصوانى فى أرباب الرسوم من أرباب الرتب، و كل صينية فى قواره من أول النهار إلى ظهره.

فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة، ثم داعى الدعاة، و يدخل فى ذلك القراء بالحضرة، و الخطباء و المتصدرون بالجموع بالقاهرة، و قومه المشاهد، و لا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه، فإذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة، و الشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، و معهم أرباب تفرقة الصوانى، فيجلسون مقدار قراءة الختم الكريمة، ثم يستدعى قاضى القضاة، و من معه فإن كانت الدعوة مضافة إليه، و إلا حضر الداعى معه بنقباء الرسائل، فيركبون و يسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين، فيقفون هناك، و قد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق، و من سويقه أمير الجيوش عند الحوض هناك، و كنست الطريق فيما بين ذلك، و رشت بالماء رشا خفيفا، و فرش تحت المنظره المذكورة بالرمال الأصفر.

ثم استدعى صاحب الباب من دار الوزارة، و والى القاهرة ماض، و عائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة، فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى و من معه من مكان وقوفهم، فيقربون من المنظره، يترجلون قبل الوصول إليها بخطوات، فيجتمعون تحت المنظره دون الساعة الزمانية بسمت و تشوف لانتظار الخليفة، فتفتح إحدى الطاقات، فيظهر منها وجهه، و ما عليه من المنديل، و على رأسه عده من الأستاذين المحنكين، و غيرهم من الخواص منهم، و يفتح بعض الأستاذين طاقة، و



يخرج منها رأسه و يده اليمنى فى كفه، و يشير به قائلا: أمير المؤمنين يرّد عليكم السلام، فيسلم بقاضى القضاء أولاً بنعوته و بصاحب الباب بعده كذلك، و بالجماعة الباقية جملة جملة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٤

من غير تعيين أحد، فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة و يكونون قياما فى الصدر وجوههم للحاضرين، و ظهورهم إلى حائط المنطرة، فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم، فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبى صلى الله عليه و سلم، فيقول: و إنّ هذا يوم مولده إلى ما منّ الله به على ملّة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر و يقدم خطيب الجامع الأزهر، فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقرم فيخطب كذلك، و القراء فى خلال خطابة الخطباء يقرءون. فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه، و يده فى كفه من طاقته، و ردّ على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاغان، فتنفض الناس و يجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام إلى حين فراغها على عدتها من غير زيادة و لا نقص، انتهى.

و هذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الأمير فخر الدين جهار كس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية، و هى الآن المارستان المنصوري، و صار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس.

باب البحر: هو من إنشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور، و هدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، و شوهد فيه أمر عجيب.

قال جامع السيرة الظاهرية: لما كان يوم عاشوراء يعنى من سنة اثنتين و سبعين و ستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر، قبالة المدرسة دار الحديث الكاملة لأجل نقل عمدة فيه لبعض العمائر السلطانية، فظهر صندوق فى حائط مبنى عليه، فللوقت أحضرت الشهود و جماعة كثيرة، و فتح الصندوق، فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرام، ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسى، و الصنم جالس متوركا، و له يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها: قدر ثلاثة أشبار، و فى هذه الصحيفة أشكال ثابتة، و فى الوسط صورة رأس بغير جسد، و دائرة مكتوب كتابة بالقبطى، و بالقلطيريات و إلى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبل، و إلى الجانب الآخر شكل آخر، و على رأسه صليب، و الآخر فى يده عكاز، و على رأسه صليب، و تحت أرجلهم أشكال طيور، و فوق رؤوس الأشكال كتابة، و وجد مع هذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان التى يكتبون فيها بالمكاتب مدهون وجهه الواحد أبيض، و وجهه الواحد أحمر، و فيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدّة، و قد بلى اللوح و ما بقيت الكتابة تلتئم، و لا الخط يفهم.

و هذا نص ما فيه، و أخليت مكان كتابته التى تكشطت، و أما الوجه الأبيض: فهو

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٥

مكتوب بقلم الصحيفة القبطى، و المكتوب فى الوجه الأحمر على هذه الصورة: السطر الأول بقى منه مكتوبا الإسكندر، السطر الثانى: الأرض وهبها له، السطر الثالث:

و جرب لكل، السطر الرابع: أصحاب، السطر الخامس: و هو يحرس، السطر السادس: و احترازه بقوة، السطر السابع: الملك مرجو، و أبواب السطر الثامن غير بيته سبعة، السطر التاسع: عالم حكيم عالم فى عقله، السطر العاشر: وصفها فلا تفسد، السطر الحادى عشر: طارد كل سوء، و الذى صاغها النساء، السطر الثانى: عشر سد أيضا كل آثار اسديّة بيبرس، و هى أحد، السطر الثالث عشر: بيبرس ملك الزمان و الحكمة كلمة الله عز و جل، هذا صورة ما وجد فى اللوح مما بقى من الكتابة و البقية قد تكشط.

وقيل: إنّ هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم، و أعجب ما فيه اسم السلطان، و هو بيبرس، و لما شاهد السلطان ذلك: أمر بقراءته، فعرض على قراء الأفلام، فقرىء، و ذلك بالقلم القبطى، و مضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم، و اسم أمّه رصد، و فيه أسماء الملائكة، و عزائم ورقى و أسماء روحانية، و صور ملائكة أكثره حرس لديار مصر و ثغورها، و صرف الأعداء عنها، و كفهم عن طروقهم إليها، و

ابتهاال إلى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية، و صونها من الأعداء، و حفظها من كل طارق من جميع الأجناس، و تضمن هذا الطلسم: كتابة بالقلفطيريات، و أوقافا، و صوراء، و خواص لا يعلمها إلا الله تعالى، و حمل هذا الطلسم إلى السلطان، و بقى فى ذخائره. قال: و رأيت فى كتاب عتيق رث سماه مصنفه: وصية الإمام العزيز بالله، والد الإمام الحاكم بأمر الله لولده المذكور، و قد ذكر فيه الطلسمات التى على أبواب القصر، و من جملتها: إن أول البروج: الحمل، و هو بيت المريخ و شرف الشمس، و له القوة على جميع سلطان الفلك، لأنه صاحب السيف، و اسفهلارية العسكر بين يدى الشمس الملك، و له الأمر و الحرب و السلطان و القوة، و المستولى لقوة روحانيته على مدينتنا، و قد أقمنا طلسمًا لساعته و يومه لقهر الأعداء، و ذل المنافقين فى مكان أحكمناه على إشرافه عليه، و الحصن الجامع لقصر مجاور الأول باب بنيانه، هذا نص ما رأيت، انتهى.

و لعل معنى كتابة بيبرس فى هذا اللوح إشارة إلى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس، فإن القوم كانت لهم معارف كثيرة، و عنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة، و الله أعلم، و موضع باب البحر هذا اليوم يعرف: بباب قصر بشتاك، قبالة المدرسة الكاملية.

باب الريح : كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على يمينه السالك من

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٦

الركن المخلق إلى رحبة باب العيد، و كان بابا مربعا، يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم إلى حيث المدرسة السابقة، و دار الطواشى سابق الدين، و قصر أمير السلاح، و ينتهى إلى ما بين القصرين تجاه حمام اليسرى، و عرف هذا الباب فى الدولة الأيوبية: بباب قصر ابن الشيخ، و ذلك أن الوزير: صاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب: كان يسكن بالقصر الذى فى داخل هذا الباب، ثم قيل له فى زمننا: باب القصر، و كان على حاله، له عضادتان من حجارة، و يعلوه اسكفه حجر مكتوب فيها نقرا فى الحجر عدّة أسطر، بالقلم الكوفى لم يتهاى لى قراءة ما فيها، و كان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر: العشرة أذرع فى طول كبير جدّا، و يعلو هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق، و ما زال على ذلك، إلى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الإستادار مدرسته برحبة باب العيد، و اغتصب لها أملاك الناس، و كان مما اغتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت، و الرباع التى فوقها، و ما جاوز ذلك، و هدمها لينبها على ما يريد، فهدم هذا الباب فى صفر سنة إحدى عشرة و ثمانمائة، و بنى فى مكانه، و مكان الدهليز المظلم الذى كان ينتهى بالسالك فيه من هذا الباب إلى المدرسة السابقة: هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت، و السقيفة و الأبواب الجديدة، و دخل فيها بعض مما كان بجانب هذا الباب من الحوانيت و علوها، و لما هدم هذا الباب ظهر فى داخل بنيانه شخص، و بلغنى ذلك فسرت إلى الأمير المذكور، و كان بينى و بين صحبه، لأشاهد هذا الشخص المذكور، و التمت منه إحضاره، فأخبرنى أنه أحضر إليه شخص من حجارة: قصير القامة إحدى عينيه أصغر من الأخرى، فقلت: لا بد لى من مشاهدته، فأمر بإحضاره الموكل بالعمارة، و أنا معه إذ ذاك فى موضع الباب، و قد هدم ما كان فيها من البناء، فذكر أنه رماه بين أحجار العمارة، و أنه تكسر و صار فيما بينها، و لا يستطيع تمييزه منها، فأغلظ عليه و بالغ فى الفحص عنه، فأعياهم إحضاره.

فسألت الرجل حينئذ فقال لى: إنهم لما انتهوا فى الهدم إلى حيث كان هذا الشخص إذا بدائرة فيها كتابة و بوسطها شخص قصير، صغير إحدى العينين من حجارة، و هذه كانت صفة جمال الدين فإنه كان قصير القامة، إحدى عينيه أصغر من الأخرى، و يشبه، و الله أعلم، أن يكون قد عين فى تلك الكتابة التى كانت حول الشخص، أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته، كما وجد فى باب البحر اسم بيبرس الذى هدم على يديه، و بأمره، و قد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة و جدها فى داخل هذا القصر، لما أنشأ داره الأولى فى الحدره من داخل هذا الباب فى سنة ست و تسعين و سبعمائة، و كان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمانها، و من شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه، لا يقدر أن يصرح به، فكان يقول لأصحابه و خواصه: وجدت فى هذا المكان سبعين قفة من حديد.

أخبرنى اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه: إنه قال لهما هذا القول، و كنت إذ ذاك أيام

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٧

عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملحق رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقة، و بها كان يسكن، فتعزفت بجمال الدين منه، و كان يومئذ من عرض الجند، و يعرف: باستادار نحاس، فاشتهر هناك أنه وجد حال هدمه و عمارته القاعة، و الرواق بالحدرة مكانا مبنيًا تحت الأرض مبيض الحيطان، فيه مال فما كان عندي شك أنه من أموال خبايا الفاطميين، فإنه قد ذكر غير واحد من الإخباريين، أن السلطان صلاح الدين لما استولى على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الخبايا، و عاقب جماعة، فلم يوقفوه على أمرها.

باب الزمرد: سمي بذلك لأنه كان يتوصل منه إلى قصر الزمرد، و موضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رجة باب العيد.  
باب العيد: هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلامي بخط رجة باب العيد، و هو عقد محكم البناء و يعلوه قبة قد عملت مسجداً، و تحتها حانوت يسكنه سقاء، و يقابله مصطبة، و أدركت العامة، و هم يسمون هذه القبة بالقاهرة، و يزعمون أن الخليفة كان يجلس بها، و يرخي كفه فتأتي الناس و تقبله، و هذا غير صحيح، و قيل لهذا الباب: باب العيد، لأن الخليفة كان يخرج منه في يومى العيد إلى المصلى بظاهر باب النصر، فيخطب بعد أن يصلى بالناس صلاة العيد، كما ستقف عليه عند ذكر المصلى إن شاء الله تعالى، و في سنة إحدى و ستين و ستمائة: بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس، و نقل إليه باب العيد هذا، فعمله بابا له، و تم بناؤه في سنة اثنتين و ستين.

باب قصر الشوك: و هو الذى كان يتوصل منه إلى قصر الشوك، و موضعه الآن تجاه حمام الإيدمرى، و يقال لها اليوم: حمام يونس عند موقف المكارية، بجوار خزانة البنود على يمينه السالك منها إلى رجة الإيدمرى، و هو الآن زقاق ينتهى إلى بئر يسقى منها بالدلاء، و يتوصل من هناك إلى المارستان العتيق و غيره، و أدركت منه قطعة من جانبه الأيسر.

باب الديلم: و كان يدخل منه إلى المشهد الحسيني، و موضعه الآن درج ينزل منها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٨

إلى المشهد تجاه الفندق الذى كان دار الفطرة، و لم يبق لهذا الباب أثر البتة.

باب تربة الزعفران: مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحريه، مقابل فندق المهمندار الذى يدق فيه ورق الذهب، و قد بنى بأعلاه طبقة، و رواق و لا يكاد يعرفه كثير من الناس، و عليه كتابة بالقلم الكوفي، و هذا الباب كان يتوصل منه إلى تربة القصر المذكورة فيما تقدم.

باب الزهومة: كان في آخر ركن القصر، مقابل خزانة الدرق التى هى اليوم: خان مسرور، و قيل له: باب الزهومة لأن اللحوم و حوائج الطعام التى كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذى للحوم إنما يدخل بها من هذا الباب. فقيل له: باب الزهومة يعنى باب الزفر، و كان تجاهه أيضا درب السلسلة الآتى ذكره إن شاء الله تعالى. و موضعه الآن: باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحة، تجاه فندق مسرور الصغير، و من بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره، فهذه أبواب القصر الكبير التسعة.

## ذكر المنحر

و كان بجوار هذا القصر الكبير: المنحر، و هو الموضع الذى اتخذته الخلفاء لنحر الأضاحي في عيد النحر، و عيد الغدير و كان تجاه رجة باب العيد، و موضعه الآن يعرف:

بالدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، و صار موضعه ما في داخل هذا الدرب من الدور و الطاحون و غيرها، و ظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه و بين حارة برجوان الحوانيت التى تقابل باب الحارة، و من جملة المنحر الساحة العظيمة التى عملت لها خوند

بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين، البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها حوانيت الأساكفة، و كان الخليفة إذا صلى صلاة عيد النحر، و خطب ينحر بالمصلى، ثم يأتي المنحر المذكور، و خلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير، و يرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئاً، و تكون الحربة في يد قاضى القضاة، و هو بجانب الخليفة ليناوله إياها إذا نحر، و أول من سنّ منهم إعطاء الضحايا، و تفرقتها في أولياء الدولة على قدر رتبهم: العزيز بالله نزار.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٣٩

ما كان يعمل في عيد النحر: قال المسبحي: و في يوم عرفه يعنى من سنة ثمانين و ثلثمائة حمل يانس صاحب الشرطة السماط، و حمل أيضا على بن سعد المحتسب سماط آخر، و ركب العزيز بالله يوم النحر، فصلى و خطب على العادة، ثم نحر عدّة نوق بيده، و انصرف إلى قصره، فنصب السماط، و الموائد، و أكل و نحر بين يديه، و أمر بتفرقة الضحايا على أهل الدولة، و ذكر مثل ذلك في باقى السنين.

و قال ابن المأمون في عيد النحر من سنة خمس عشرة و خمسمائة: و أمر بتفرقة عيد النحر، و الهبة و جملة العين، ثلاثة آلاف و ثلثمائة و سبعون ديناراً، و من الكسوات مائة قطعة، و سبع قطع برسم الأمراء المطوقين، و الأستاذين المحنكين، و كاتب الدست، و متولى حجة الباب، و غيرهم من المستخدمين، و عدّة ما ذبح: ثلاثة أيام النحر في هذا العيد، و عيد الغدير: ألفان و خمسمائة و أحد و ستون رأساً.

تفصيله: نوق مائة و سبعة عشر رأساً، يقر أربعة و عشرون رأساً، جاموس عشرون رأساً، هذا الذى ينحره و يذبحه الخليفة بيده في المصلى و النحر، و باب الساباط، و يذبح الجزارون من الكباش ألفين و أربعمائة رأس، و الذى اشتملت عليه نفقات الأسمة في الأيام المذكورة خارجاً عما يعمل بالدار المأمونية من الأسمة، و خارجاً عن أسمة القصور عند الحرم، و خارجاً عن القصور الحلواء، و القصور المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة: ألف و ثلثمائة و ستة و عشرون ديناراً، و ربع و سدس دينار، و من السكر برسم القصور، و القطع المنفوخ أربعة و عشرون قنطاراً.

تفصيله عن قصرين في أول يوم خاصة اثنا عشر قنطاراً المنفوخ عن ثلاثة الأيام اثنا عشر قنطاراً، و قال في سنة ست عشرة و خمسمائة: و حضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر و وصل ما تأخر فيها بالطراز، و فرقت الرسوم على من جرت عادته خارجاً عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد و أضحيته، و خارجاً عما يفرق على سبيل المناخ، و من باب الساباط مذبوحة، و منحوراً ستمائة دينار و سبعة عشر ديناراً، و في التاسع من ذى الحجة، جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على سرير الملك، و حضر الوزير، و أولاده و قاموا بما يجب من السلام، و استفتح المقرئون، و تقدّم حامل المظلة، و عرض ما جرت عادته من المظال الخمسة التى جميعها مذهب، و سلم الأمراء على طبقاتهم، و ختم المقرئون، و عرضت الدواب جميعها، و العماريات و الوحوش و عاد الخليفة إلى محله، فلما أسفر الصبح: خرج الخليفة، و سلم على من جرت عادته بالسلام عليه، و لم يخرج شئ مما جرت به العادة في الركوب و العود، و غير الخليفة ثيابه، و لبس ما يختص بالنحر، و هى البدلة الحمراء بالشدة التى تسمى: بشدة الوفار، و العلم الجوهر في وجهه بغير قضيب ملك في يده إلى أن دخل المنحر، و فرشت الملاءة الديبقي الحمراء و ثلاث بطائن

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٠

مصبوغة حمر، ليتقى بها الدم مع كون كل من الجزارين، بيده مكبة صفاف مدهونة يلقى بها الدم عن الملاءة، و كبر المؤذنون، و نحر الخليفة أربعاً و ثلاثين ناقه، و قصد المسجد الذى آخر صف المنحر، و هو مغلق بالشروب و الفاكهة المعبأة فيه بمقدار ما غسل يديه، ثم ركب من فور، و جملة ما نحره، و ذبحه الخليفة خاصة في المنحر، و باب الساباط دون الأجل الوزير المأمون، و أولاده، و إخوته في ثلاثة الأيام ما عدته: ألف و تسعمائة و ستة و أربعون رأساً.

تفصيله: نوق مائة و ثلاث عشرة ناقه، نحر منها في المصلى عقيب الخطبة، ناقه و هى التى تهدى و تطلب من آفاق الأرض للتبرك

بلحمها، و نحر في المناخ مائة ناقه، و هي التي يحمل منها للوزير، و أولاده و إخوته و الأمراء، و الضيوف، و الأجناد، و العسكرية و المميزين من الرجال، و في كل يوم يتصدق منها على الضعفاء و المساكين بناقة واحدة، و في اليوم الثالث من العيد تحمل ناقه منحورة للفقراء في القرافة، و ينحر في باب الساباط ما يحمل إلى من حوته القصور، و إلى داره الوزارة، و إلى الأصحاب، و الحواشي اثنتا عشرة ناقه، و ثمانى عشرة بقرة و خمس عشرة جاموسة، و من الكباش ألف و ثمانمائة رأس، و يتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق و البقر.

و أما مبلغ المنصرف على الأسمطه في ثلاثة الأيام خارجا عن الأسمطه بالدار المأمونية، فألف و ثلثمائة و ستة و عشرون ديناراً و ربع و سدس دينار، و من السكر برسم قصور الحلاوة، و القطع المنفوخ المصنوعه بدار الفطره خارجا عن المطابخ ثمانيه و أربعون قنطاراً. و قال ابن الطوير: فإذا انقضى ذو القعدة، و أهل ذو الحجة، اهتم بالركوب في عيد النحر، و هو يوم عاشره، فيجرى حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى، و الركوب إلى المصلى، و يكون لباس الخليفة فيه: الأحمر الموشح، و لا ينخرم منه شيء، و ركوبه ثلاثة أيام متواليه، فأولها: يوم الخروج إلى المصلى و الخطابه، كعيد الفطر، و ثانى يوم و ثالثه إلى المنحر، و هو المقابل لباب الريح الذى فى ركن القصر المقابل لسور دار سعيد السعداء، الخانقاه اليوم، و كان براحا خاليا لا عمارة فيه، فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه، و يكون الوزير واقفا عليه، فيترجل و يدخل ماشيا بين يديه بقربه، هذا بعد انفصالهما من المصلى، و يكون قد قيد إلى هذا المنحر أحد و ثلاثون فصيلا و ناقه أمام مصطبه مفروشه يطلع

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤١

عليها الخليفة و الوزير، ثم أكابر الدوله، و هو بين الأستاذين المحنكين، فيقدم الفراضون له إلى المصطبه رأسا، و يكون بيده حربه، من رأسها الذى لا سنان فيه و يد قاضى القضاة فى أصل سنانها، فيجعله القاضى فى نحر النحيره، و يطعن بها الخليفة، و تجرّ من بين يديه، حتى يأتى على العده المذكوره، فأول نحيره هى التى تقدّد، و تسير إلى داعى اليمن، و هو الملك فيه، فيفرّقها على المعتقدين من وزن نصف درهم إلى ربع درهم، ثم يعمل ثانى يوم كذلك فيكون عدد ما ينحر: سبعا و عشرين، ثم يعمل فى اليوم الثالث كذلك و عدّه ما ينحر ثلاث و عشرون.

هذا: و فى مدّه هذه الأيام الثلاثه يسير رسم الأضحيه إلى أرباب الرتب و الرسوم كما سيرت الغره فى أول السنه من الدنانير بغير رباعيه، و لا-قراريط على مثال الغره من عشرة دنانير إلى دينار، و أما لحم الجزور، فإنه يفرّق فى أرباب الرسوم للتبرّك فى أطباق مع أدوان الفراضين، و أكثر ذلك تفرقه قاضى القضاة و داعى الدعاء للطلبة بدار العلم، و المتصدّرين بجوامع القاهره، و نقيب المؤمنين بها من الشيعة للتبرّك، فإذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه، و منديلا آخر بغير السمّه، و العقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر، فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكوره شاقا القاهره، فإذا خرج من باب زويله انعطف على يمينه سالكا على الخليج، فيدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، و بذلك انفصال عيد النحر.

و قال ابن أبى طى: عدّه ما يذبح فى هذا العيد فى ثلاثة أيام النحر، و فى يوم عيد الغدير: ألفان و خمسمائة و أحد و ستون رأسا، و تفصيله: نوق مائة و سبعة عشر رأسا، بقر أربعة و عشرون رأسا، جاموس عشرون رأسا، هذا الذى ينحره الخليفة، و يذبحه بيده فى المصلى، و المنحر، و باب الساباط، و يذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا و أربعمائه رأس.

و قال ابن عبد الظاهر: كان الخليفة ينحر بالمنحر: مائة رأس، و يعود إلى خزانه الكسوة فيغير قماشه، و يتوجه إلى الميدان، و هو الخرشف بباب الساباط للنحر و الذبح، و يعود بعد ذلك إلى الحمام و يغير ثيابه للجلوس على الأسمطه، و عدّه ما يذبحه ألف و سبعمائة و ستة و أربعون رأسا: مائة و ثلاث عشر ناقه و الباقي بقر و غنم.

قال ابن الطوير: و ثمن الضحايا على ما تقرّر ما يقرب من ألفى دينار، و كانت تخرج المخلفات إلى الأعمال بشائر بركوب الخليفة فى يوم عيد النحر.



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٢

فمما كتب به الأستاذ البارع أبو القسم علي بن منجيب بن سليمان الكاتب المعروف:

بابن الصيرفي المنعوت: بتاج الرياسة، أما بعد: فالحمد لله الذي رفع منار الشرع، و حفظ نظامه و نشر رايه هذا الدين، و أوجب إعظامه، و أطلع بخلافه أمير المؤمنين كواكب سعوده، و أظهر للمؤالف و المخالف عزة أحزابه و قوة جنوده، و جعل فرعه ساميا ناميا، و أصله ثابتا راسخا، و شرفه على الأديان بأسرها و كان لعراها فاصما و لأحكامها ناسخا، يحمده أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليقة، و جعل كراماته الأسباب الجديرة بالإمارة الخليقة، و يرغب إليه في الصلاة على جدّه محمد الذي حاز الفخار أجمعه، و ضمن الجنة لمن آمن به و اتبع النور الذي أنزل معه، و رفعه إلى أعلى منزلة تخير له منها المحل، و أرسله بالهدى و دين الحق، فزهق الباطل، و خمدت ناره و اضمحل، صلى الله عليه، و على أخيه و ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الأئمة و إمامها، و حبر الملة و بدر تمامها، و الموفى يومه في الطاعات على ماضى أمسه، و من أقامه رسول الله صلى الله عليه و سلم في المباهلة مقام نفسه، و اختصه بأبعد غاية في سورة براءة، فنادى في الحج بأولها، و لم يكن غيره ينفذ نفاذه و لا يسد مكانه، لأنه قال: «لا يبلغ عنى إلّا رجل من أهل بيتي» عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه، و على الأئمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه، و القائمين في سياسته خلقه بصريح الإيمان و محضه، و المحكمين من أمر الدين ما لا وجه له، و لا سبيل إلى نقضه، و سلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه، و لا يخشى انصرامه، و مجد و كرم، و شرف و عظم، و كتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الأحد عيد النحر من سنة ست و ثلاثين و خمسمائة الذي تبليج فجره عن سيئات محصت، و نفوس من آثار الذنوب خلصت، و رحمة امتدت ظلالها و انتشرت و مغفرة هنأت و نشرت، و كان من خير هذا اليوم: أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من أوليائه، متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد و أدائه، في عترة راسخة قواعدها متمكنة، و عساكر جمه تضيق عنها ظروف الأمكنة، و مواكب تتوالى كتوالي السيل، و تهاب هيبه مجيئه في الليل، بأسلحه تحسر لها الأبصار و تبرق و ترتاع الأفئدة منها و تفرق، فمن مشرفي إذا ورد توّرد، و من سمهري إذا قصد تقصد، و من عمد إذا عمدت تبرأت المغافر من ضمانها، و من قسى إذا أرسلت بنانها وصلت إلى القلوب بغير استئذانها، و لم يزل سائرا في هدى الإمامة و أنوارها، و سكينه الخلافة و وقارها، إلى أن وصل إلى المصلى قدام المحراب، و أدى الصلاة إذ لم يكن بينه و بين التقييل حجاب، ثم علا المنبر فاستوى على ذروته، ثم هلل الله و كبر، و أثنى على عظمته و أحسن إلى الكافة بتبليغ موعظته، و توجه إلى ما أعدّ من البدن فنحره تكميلا لقربته، و انتهى في ذلك إلى ما أمر الله عز و جل، و عاد إلى قصوره المكرمة، و منازل المقدسة، قد رضى الله عمله، و شكر فعله و تقبله، أعلمك أمير المؤمنين بذلك، لتشكر الله على النعمة فيه، و تذيعه قبلك على الرسم مما تجاربه، فاعلم هذا، و اعمل به إن شاء الله تعالى.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٣

### ذكر دار الوزارة الكبرى

و كان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي تجاه رحبة باب العيد، دار الوزارة الكبرى، و يقال لها: الدار الأفضلية و الدار السلطانية. قال ابن عبد الظاهر: دار الوزارة بناها: بدر الجمالي أمير الجيوش، ثم لم يزل يسكنها من يلي إمرة الجيوش إلى أن انتقل الأمر عن المصريين، و صار إلى بني أيوب، فاستقرّ سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة، و سكنها السلطان الملك الصالح ولده، ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك، و رسل الخليفة إلى هذا الوقت، و كانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب، و أضافها الأفضل إلى دور بني هريسة، و عمرها دارا و سماها دار الوزارة، انتهى.

و الذي تدل عليه كتب ابتياعات الأملاك القديمة التي بتلك الخطة أنها من بناء الأفضل، لا من عمارة أبيه بدر، و الدار التي عمرها



أمير الجيوش بدر هي داره: بحارة برجوان التي قيل لها دار المظفر، و ما زال وزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف من عهد الأفضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه إلى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، و ابنه من بعده: الملك العزيز عثمان، ثم ابنه الملك المنصور، ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب، ثم ابنه الملك الكامل، و صاروا يسمونها الدار السلطانية، و أول من انتقل عنها من الملوك، و سكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، و جعلها منزلاً للرسول، فلما ولي قطز سلطنة ديار مصر، و تلقب بالملك العادل في سنة سبع و خمسين و ستمائة، و حضر إليه البحرية و فيهم بيبرس البندقداري، و قلاون الألفي من الشام، خرج الملك العادل قطز إلى لقائهم، و أنزل الأمير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة، فلم يزل بها، حتى سافر صحبة قطز إلى الشام، و قتله و عاد إلى مصر فتسلطن، و سكن بقلعة الجبل. و في سنة ثلاث و تسعين و ستمائة، لما قتل الأشرف خليل بن قلاون في واقعه بيدرا، ثم قتل بيدرا، و أجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك، و ثارت الأشرفية من المماليك على الأمراء، و قتل من قتل منهم، خاف بقية الأمراء من شر المماليك الأشرفية، فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك، و أنزل بهم من القلعة، و أسكن منهم نحو: الثلاثمائة بدار الوزارة، و أسكن منهم كثير في مناظر الكباش، و أجريت عليهم الرواتب، و منعوا من الركوب إلى أن كان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٤

و لما كانت سنة سبعمائة: أخذ الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري نائب السلطنة في أيام الملك المنصور حسام الدين لاجين: قطعة من دار الوزارة، فبنى بها الربع المقابل خانقاه سعيد السعداء، ثم بنى المدرسة المعروفة: بالقراسنقرية، و مكتب الأيتام، فلما كانت دولة البرجية بنى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير: الخانقاه الركنية، و الرباط بجانبها من جملة دار الوزارة، و ذلك في سنة تسع و سبعمائة، ثم استولى الناس على ما بقى من دار الوزارة، و بنوا فيها، فمن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء، و المدرسة القراسنقرية، و خانقاه ركن الدين بيبرس، و ما بجوارها من دار قرمان و دار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزير، المعروفة: بدار خوند طولوباي الناصرية، جهه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون، و حمام الأعسر التي بجانبها، و الحمام المجاور لها، و ما وراء هذه الأماكن من الآدر و غيرها. و هي الفرن و الطاحون التي قبلي المدرسة القراسنقرية، و من الآدر و الخبرة التي قبلي ربع قراسنقر، و ما جاور باب سر المدرسة القراسنقرية من الآدر، و خبرة أخرى هناك، و الدار الكبرى المعروفة بدار الأمير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم: بدار الغزاوي، و فيها السرداب الذي كان رزيك بن الصالح رزيك فتحه في أيام وزارته من دار الوزارة إلى سعيد السعداء، و هو باق إلى الآن في صدر قاعتها، و ذكر أن فيه حية عظيمة، و من حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة، و كان على دار الوزارة: سور مبنئ بالحجارة و قد بقى الآن منه قطعة في حد دار الوزارة الغربي، و في حدّها القبلي، و هو الجدار الذي فيه باب الطاحون و الساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذي يعرف اليوم: بخرائب تتر، و منه قطعة في حدّها الشرقي عند باب الحمام، و المستوقد بباب الجوانية، و كان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد في القبة التي دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه، و هو الشباك الذي يقرأ فيه القراء، و كان موضوعاً في دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بني العباس.

فلما استولى الأمير أبو الحرث البساسيري على بغداد، و خطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي أربعين جمعة، و انتهت قصر الخلافة، و صار الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى عانته، و سير البساسيري الأموال، و التحف من بغداد إلى المستنصر بالله بمصر في سنة سبع و أربعين و أربعمائة: كان من جملة ما بعث به مندبل الخليفة القائم بأمر الله الذي عممه بيده في قالب من رخام، قد وضع فيه كما هو حتى لا تتغير شدته، و مع هذا المندبل رداءه، و الشباك الذي كان يجلس فيه، و يتكى عليه، فاحتفظ بذلك إلى أن عمرت دار الوزارة على يد الأفضل بن أمير الجيوش، فجعل هذا الشباك بها، يجلس فيه الوزير،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٥

و يتكى عليه، و ما زال بها إلى أن عمر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية، و أخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك، فجعله في القبة، و هو شباك جليل، و أما العمامة و الرداء: فما زالوا بالقصر حتى مات العاضد، و تملك السلطان صلاح الدين ديار مصر، فسيرهما في جملة ما بعث من مصر إلى الخليفة المستضيء بالله العباسي ببغداد، و معهما الكتاب الذي كتبه الخليفة القائم على نفسه، و أشهد عليه العدول فيه أنه لا حق لبني العباس، و لاله من جملتهم في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام. و كان البساسيري أزمه حتى أشهد على نفسه بذلك، و بعث بالأشهاد إلى مصر، فأنفذه صلاح الدين إلى بغداد مع ما سير به من التحف التي كانت بالقصر، و أخبرني شيخ معمر:

يعرف بالشيخ علي السعودي ولد في سنة سبع و سبعمائة قال: رأيت مرّة، و قد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقا هيبرس من جملة ما بقي من سور دار الوزارة جانب، ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير، و عندي أن هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام وزارته للعاضد بعد شاور، فإنه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة، و صار يستدعي واحدا بعد واحد إلى خزائن بالدار، و يوهم أنه يخلع عليهم، فإذا صار واحد منهم في الخزانة قتل، و قطع رأسه، و ذلك في سنة ثمان و خمسين و خمسمائة، و كانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل على عدّة قاعات، و مساكن و بستان و غيره، و كان فيها مائة و عشرون مقسما للماء الذي يجري في برکهها، و مطابخها و نحو ذلك.

### ذكر رتبة الوزارة، و هيئة خلعتهم، و مقدار جاريهم، و ما يتعلق بذلك

أما المعز لدين الله: أوّل الخلفاء الفاطميين بديار مصر، فإنه لم يوقع اسم الوزارة على أحد في أيامه، و أوّل من قيل له الوزير في الدولة الفاطمية، الوزير يعقوب بن كاس وزير العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز، و إليه تنسب الحارة الوزيرية، كما ستقف عليه، عند ذكر الحارات من هذا الكتاب، فلما مات ابن كاس، لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا، و إنما كان رجل يلي الوساطة، و السفارة، فاستقرّ في ذلك جماعة كثيرة بقيت أيام العزيز، و سائر أيام ابنه أبي علي منصور الحاكم بأمر الله، ثم ولي الوزارة: أحمد بن علي الجرجري في أيام الظاهر أبي هاشم علي بن الحاكم، و ما زال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد، و هم أرباب أقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالي.

قال ابن الطوير: و كان من زى هؤلاء الوزراء، أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم، مثل العدول الآن، و ينفردون بلباس ثياب قصار، يقال لها:

الذرايع، واحدها: ذراع، و هي مشقوفة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار و عرى، و منهم من تكون أزراره ممن ذهب مشبك، و منهم من أزراره لؤلؤ، و هذه علامة الوزارة، و يحمل له الدواة المحلاة بالذهب، و يقف بين يديه الحجاب، و أمره نافذ في أرباب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٦

السيوف من الأجناد و أرباب الأقلام، و كان آخرهم الوزير: ابن المغربي الذي قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا، و وزر للمستنصر: وزير سيف، و لم يتقدمه في ذلك أحد، انتهى.

و ترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الأمور كلها مردودة إليه، و منه إلى الخليفة، دون سائر خدمه، فعقد له هذا العقد، و أنشئ له السجل، و نعت بالسيد الأجل أمير الجيوش، و هو النعت الذي كان لصاحب ولاية دمشق و أضيف إليه: كافل قضاء المسلمين و هادي دعاة المؤمنين، و جعل القاضي و الداعي نائبين عنه، و مقلدين من قبله.

و كتب له في سجله، و قد قلدك أمير المؤمنين: جميع جوامع تدبيره، و ناط بك النظر في كل ما وراء سريره، فباشر ما قلدك أمير

المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد، و مصلحا للفساد، و مدمرا أهل العناد، و خلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، و زيد له الحنك مع الذؤابة المرخاء، و الطيلسان المقوزرى قاضى القضاة، و ذلك فى سنة سبع و ستين و أربعمائه، فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض، و يقال لمتوليها: أمير الجيوش، و بطل اسم الوزارة، فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من بعد أبيه، و مات الخليفة المستنصر، و لقبه بالمستعلى، صار يقال له: الأفضل و من بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا.

و أول من لقب بالملك منهم مضافا إلى بقية الألقاب: رضوان بن و لخشى، عندما وزر للحافظ لدين الله، فقيل له: السيد الأجل الملك الأفضل، و ذلك فى سنة ثلاثين و خمسمائه، و فعل ذلك من بعده، فتلقب طلائع بن رزيك: بالملك المنصور، و تلقب ابنه رزيك بن طلائع: بالملك العادل و تلقب شاور بالملك المنصور، و تلقب آخرهم: صلاح الدين يوسف بن أيوب بالملك الناصر، و صار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة، هو سلطان مصر، و صاحب الحل و العقد، و إليه الحكم فى الكافة من الأمراء و الأجناد، و القضاة، و الكتاب، و سائر الرعية، و هو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية، و الدينية، و صار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الأتراك إذا كان السلطان صغيرا و القائم بأمره من الأمراء، و هو الذى يتولى تدبير الأمور، كما كان الأمير يلغا الخاصكى مع الأشرف شعبان، و كما أدركنا الأمير برقوق قبل سلطنته مع ولدى الأشرف، و كما كان الأمير أيتمش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق.

قال ابن أبى طى: و كانت خلعهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الأمراء: الثياب الديقى، و العمائم الصب بالطراز الذهب، و كان طراز الذهب، و العمامة من خمسمائة دينار، و يخلع على أكابر الأمراء: الأطواق الذهب، و الأسورة و السيوف المحلاة، و كان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جواهر.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٧

قال ابن الطوير: و خلع عليه، يعنى على أمير الجيوش بدر الجمالى بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، و زيد له الحنك، مع الذؤابة المرخاء، و الطيلسان المقور زى قاضى القضاة، و هذه الخلع تشابه خلع الوزراء، و أرباب الأقالم فى زمننا هذا، غير أنه لقصور أحوال الدولة جعل عوض العقد الجواهر الذى كان للوزير، و يفك بخمسة آلاف مثقال ذهباً قلادة من عنبر مغشوش يقال لها: العنبرية، و يتميز بها الوزير خاصة، و يلبس أيضا:

الطيلسان المقور، و يسمى اليوم: بالطرحه، و يشاركه فيها جميع أرباب العمائم، إذا خلع عليهم، فإنه تكون خلعهم بالطرحه، و ترك أيضا اليوم من خلعه الوزير، و غيره الذؤابة المرخاء، و هى العذبة و صارت الآن من زى القضاة فقط، و هجرها الوزوراء، و يشبه، و الله أعلم، أن يكون وضعها فى الدولة الفاطمية للوزير فى خلعه إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف، و الأقالم، فإنه كان مع ذلك يتقلد بالسيف و كذلك ترك فى الدولة التركيه من خلع الوزارة تقليد السيف لأنه لا حكم له على أرباب السيوف، و لما قام الأفضل بن أمير الجيوش خلع أيضا عليه بالسيف و الطيلسان المقور، و بعد الأفضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك إلى أن قدم طلائع بن رزيك، و لقب بالملك الصالح عندما خلع عليه للوزارة، و جعل فى خلعه السيف و الطيلسان المقور.

قال ابن المأمون: و فى يوم الجمعة ثانية، يعنى ثانى ذى الحجة يعنى سنة خمس عشرة و خمسمائه: خلع على القائد ابن فاتك البطائحي من الملابس الخاص الشريفة فى فردكم مجلس الكعبة، و طوق بطوق ذهب مرصع و سيف ذهب كذلك، و سلم على الخليفة الأمر بأحكام الله، و أمر الخليفة الأستاذين المحنكين بالخروج بين يديه و أن يركب من المكان الذى كان الأفضل بن أمير الجيوش يركب منه، و مشى فى ركابه القواد على دعاة من تقدمه و خرج بتشريف الوزارة يعنى: من باب الذهب، و دخل من باب العيد راكبا، و جرى الحكم فيه على ما تقدم للأفضل و وصل إلى داره، فضعف الرسوم، و أطلق الهبات.

و لما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع أمراء الدولة لتقيل الأرض بين يدى الخليفة الأمر على العادة التى قررها مستجدة، و استدعى الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة، فلما حضر أمر بإحضار السجل للأجل الوزير المأمون من يده، فقبله و سلمه لزمم القصر، و

أمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه، و قرىء السجل على باب المجلس، و هو أول سجل قرىء في هذا المكان، و كانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالأيوان، و رسم للشيخ أبي الحسن أن ينقل النسبة للأمراء، و المحنكين من الأمراء إلى المأموني للناس أجمع، و لم يكن أحد منهم ينتسب للأفضل، و لا أمير الجيوش، و قدّمت الدواة للمأمون، فعلم في مجلس الخليفة، و تقدّمت الأمراء، و الأجناد فقبلوا الأرض، و شكروا على هذا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٨

الإحسان، و أمر الخليفة بإحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك، و طوّق بطوق ذهب، و سيف ذهب، و منطقة ذهب، ثم أمر بالخلع للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف، و شرفه بالدخول إلى مجلس الخليفة، ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبي الليث، و خلع عليه بدلة مذهبة، و كذلك أبو الرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن، و كذلك أبو المكارم أخوه، و أبو محمد أخوهما، ثم أبو الفضل بن الميديمي، و وهبه دنائير كثيرة بحكم أنه الذي قرأ السجل، و خلع على الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث، صاحب دفتر المجلس، ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى أمور الضيافات، و الرسل الواصلين إلى الحضرة من مجلس الأفضل، و لا يصل لعتبته أحد لا حاجب الحجاب، و لا غيره سوى عدى الملك هذا، فإنه كان يقف من داخل العتبة، و كانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من أجل الخدم و أكبرها، ثم عادت من أهون الخدم، و أقلها، فعند ذلك قال القاضي أبو الفتح بن قادوس: يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه و قد زيد في نعوته:

قالوا أتاه النعت و هو السيد المأمون حقا و الأجل الأشرف

و مغيث أمة أحمد و مجيرها ما زادنا شيئا على ما نعرف

قال: و لما استمرّ حسن نظر المأمون للدولة، و جميل أفعاله، بلغ الخليفة الأمر بأحكام الله، فشكره و أثنى عليه فقال له المأمون: ثم كلام يحتاج إلى خلوة، فقال الخليفة:

تكون في هذا الوقت، و أمر بخلو المجلس، فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة، و قال له: يا مولانا امثالنا الأمر صعب، و مخالفته أصعب، و ما يتسع خلفه قدام أمراء دولته، و هو في دست خلافته، و منصب آبائه و أجداده، و ما في قواي ما يرومه مني، و يكفيني هذا المقدار، و هيهات أن أقوم به و الأمر كبير، فعند ذلك تغير الخليفة، و أقسم إن كان لي وزير غيرك، و هو في نفسى من أيام الأفضل، و هو مستمرّ على الاستعفاء، إلى أن بان له التغير في وجه الخليفة، و قال: ما اعتقدت أنك تخرج عن أمرى، و لا تخالفنى فقال له المؤمن عند ذلك:

لى شروط، و أنا أذكرها، فقال له: مهما شئت اشترط، فقال له: قد كنت بالأمس مع الأفضل و كان قد اجتهد في النعوت، و حل المنطقة، فلم أفعل فقال الخليفة: علمت ذلك في وقته، قال: و كان أولاده يكتبون إليه بما يعلمه مولاي من كوني قد خنته في المال و الأهل، و ما كان و الله العظيم ذلك منى يوما قط، ثم مع ذلك معاداة الأهل جميعا و الأجناد، و أرباب الطيالس، و الأقلام، و هو يعطيني كل رقعة تصل إليه منهم، و ما سمع كلام أحد منهم فيّ، فعند ذلك، قال له الخليفة: فإذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته إيش يكون فعلى أنا، فقال المأمون: يعرّفنى المولى ما يأمر به، فأمثله بشرط أن لا يكون عليه زائد، فأول ما ابتداء به أن قال: أريد الأموال لا تجبى إلا بالقصر و لا تصل الكسوات من الطراز و الثغور إلّا إليه، و لا تفرّق إلّا منه، و تكون أسمطة الأعياد فيه، و يوسع فى رواتب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٤٩

القصور من كل صنف و زيادة رسم منديل الكم، فعند ذلك قال له المأمون: سمعا و طاعة، أما الكسوات و الجباية من الأسمطة، فما تكون إلّا بالقصور، و أما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الأمر، و أما زيادة رسم منديل الكم، فقد كان الرسم فى كل يوم ثلاثين دينارا، يكون فى كل يوم مائة دينار، و مولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك فى الركوبات، و أسمطة الأعياد، و غيرها فى

سائر الأيام، ففرح الخليفة، و عظمت مسرته، ثم قال المأمون: أريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين، و يقسم لى فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد، و لا مبغض، و مهما ذكر فى يطلعنى عليه، و لا- يأمر فى بأمر سراً، و لا جهراً، يكون فيه ذهاب نفسى، و انحطاط قدرى، و هذه الإيمان باقية إلى وقت وفاتى فإذا توفيت تكون لأولادى، و لمن أخلفه بعدى، فحضرت الدواة، و كتب ذلك جميعه، و أشهد الله تعالى فى آخرها على نفسه، فعندما حصل الخط بيد المأمون وقف، و قبل الأرض، و جعله على رأسه، و كان الخط بالإيمان نسختين: إحداهما فى قصبه فضة، قال: فلما قبض على المأمون فى شهر رمضان سنة تسع و عشرين و خمسمائة أنفذ الخليفة الأمر بأحكام الله يطلب الإيمان، فنفذ له التى فى القصبه الفضة، فحرقها لوقتها، و بقيت النسخة الأخرى عندى، فعدمت فى الحركات التى جرت.

و قال ابن ميسر: فى حوادث سنة خمس عشرة و خمسمائة، و فيها: تشرف القائد أبو عبد الله محمد ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى المعروف: بابن البطائحي فى الخامس من ذى الحجة، و كان قبل ذلك عند الأفضل استاداره، و هو الذى قدّمه إلى هذه المرتبة، و استقرت نعوته فى سجله المقرّر على كافة الأمراء، و الأجناد بالأجل المأمون، تاج الخلافة، عز الإسلام، فخر الأنام، نظام الدين و الدنيا، ثم نعت بما كان ينعت به الأفضل، و هو السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام، ناصر الأنام، كافل قضاة المسلمين، و هادى دعاة المؤمنين.

و لما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة، و هو يوم الهناء بعيد النحر، جلس المأمون فى داره عند أذان الصبح، و جاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف، و الأقلام، ثم الأمراء، و الأستاذون المحنكون، و الشعراء بعدهم، فركب إلى القصر، و أتى باب الذهب، فوجد المرتبة المختصة بالوزارة، و قد هيئت له فى موضعها الجارى به العادة، و أغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف و الأقلام، و هذا الباب يعرف: بباب السرداب، فعند ما شاهد الحال فى المرتبة توقف عن الجلوس عليها، لأنها حالة لم يجر معه حديث فيها، ثم ألجأته الضرورة لأجل حضور الأمراء إلى الجلوس فجلس عليها، و جلس أولاده الثلاثة عن يمينه، و أخواه عن يساره، و الأمراء المطوقون خاصة دون غيرهم قيام بين يديه، فإنه لا يصل أحد إلى هذا المكان سواهم، فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب، و خرج عدّة من الأستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٠

و خرج إليه الأمير الثقة متولى الرسالة، و زمام القصور، فعند حضوره وقف له أولاد المأمون، و أخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة، و قال أمير المؤمنين يردّ على السيد الأجل المأمون السلام، فوقف عند ذلك المأمون، و قبل الأرض، و عاد فجلس مكانه، و تأخر الأمير إلى أن نزل من المصطبة، و قبل الأرض، و قبل يد المأمون، و دخل من فوره من الباب، و أغلق الباب على حاله على ما كان عليه الأفضل، و كان الأفضل يقول: ما أزال أعدّ نفسى سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة، و الباب يغلق فى وجهى و الدخان فى أنفى، فإن الحمام كانت من حلف الباب فى السرداب، ثم فتح الباب، و عاد الثقة، و أشار بالدخول إلى القصر فدخل إلى المكان الذى هيئ له، و عاد لمجلس الوزارة، و بقى الأمراء بالدهاليز إلى أن جلس الخليفة.

و استفتح القراء، و استدعى المأمون، فحضر بين يديه و سلم عليه أولاده، و إخوته و أحلّ الأمراء على قدر طبقاتهم، أولهم: أرباب الأطواق، و يليهم أرباب العماريات، و الأقباص، ثم الضيوف و الأشراف، ثم دخل ديوان المكاتبات و سلم بهم الشيخ أبو الحسن ابن أبى أسامة، ثم ديوان الإنشاء، و سلم بهم الشريف ابن أنس الدولة، ثم بقيه الطالبين من الأشراف، ثم سلم القاضي ابن الرسعنى بشهوده و الداعى ابن عبد الحق بالمؤمنين، ثم سلم القائد مقبل مقدّم الركاب الآمرى، بجميع المقدمين الآمرية، ثم سلم بعدهم الشيخ أبو البركات بن أبى الليث متولى ديوان المملكة ثم دخل الأجناد من باب البحر، و سلم كل طائفة بمقدمها، فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة، و والى مصر و سلم كل منهما بياض أهل البلدين.

ثم دخل البطرك بالنصارى، و فيهم كتاب الدولة من النصارى، و رئيس اليهود، و معه الكتاب من اليهود، ثم سلم المقربون، و قد



قارب القصر، و دخل الشعراء على طبقاتهم، و أنشد كل منهم ما سمحت به قريحته.

قال: فكان هذا رتبة الوزير المأمون، قال ابن المأمون: و أما ما قرر للوزارة عينا في الشهر بغير إيجاب بل يقبض من بيت المال، فهو ثلاثة آلاف دينار. تفصيلها: ما هو على حكم النيابة في العلامة: ألف دينار، و ما هو على حكم الراتب: ألف و خمسمائة دينار، و ما هو عن مائة غلام برسم مجلسه، و خدمته لكل غلام: خمسة دنانير في الشهر، فأما الغلمان الركابية، و غيرهم من الفرّاشين و الطباخين، فعلى حكم ما يرغب في إثباته، و في السنة من الإقطاعات: خمسون ألف دينار منها: دهشور، و جزيرة الذهب، و بقية الجملة صفقات، و من البساتين ثلاثة: بستان لأمير تميم، و بستانان بكموم أشفين.

و من القوت يعنى القمح، و من القضم يعنى الشهير و البرسيم في السنة: عشرون ألف إردب قمحا و شعيرا، و من الغنم برسم مطابخه، ساقه من المراحات ثمانية آلاف رأس، و أما

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥١

الحيوان و الأحطاب، و جميع التوابل العال منها و الدون، فمهما استدعاه متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين، و شون الأحطاب، و غير ذلك، و قد تقدّم مقرّر كسوة الوزارة في العيدين، و فصلى الشتاء و الصيف، و موسم عيد الغدير و فتح الخليج، و غير ذلك من غزتي شهر رمضان، و أول العام و غيره، كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

و قد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلقيح العقول، و الآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء. فانظره.

### ذكر الحجر التي كانت برسم الصبيان الحجرية

و كان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف: بالحجر: جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بالخلفاء، كما أدر كنا بالقلعة البيوت التي كان يقال لها: الطباقي، و كانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية، و إلى حيث المسجد الذي يعرف: بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكمي الذي يفضى إلى باب النصر، فمن حقوق هذه الحجر: دار الأمير بهادر اليوسفي السلاحدار الناصري، التي تجاور المسجد الكائن على يمنة من سلك من باب الجونية طالبا باب النصر، و منها الحوض المجاور لهذه الدار، و دار الأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون، و المسجد المعروف بالنخلة، و ما بجواره من القاعتين اللتين تعرف إحداهما: بقاعة الأمير علم الدين سنجر الجاولي، و ما في جانبها إلى مسجد القاصد، و ما وراء هذه الدور، و كان لهؤلاء الحجرية: إصطبل برسم دوابهم سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

و ما زالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين إلى ما بعد السبعمائه، فهدمت و ابنتى الناس مكانها الأماكن المذكورة. قال ابن أبي طي: عن المعز لدين الله، و جعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص، و أفرد لهم مكانا برسمهم، و كذلك فعل بالكتاب و الأفاضل، و شرط على ولاة الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم، فمن كان ذا شهامة، و حسن خلقه أرسله ليعخدم في الركاب، فسيروا إليه عالما من أولاد الناس، فأفرد لهم دورا، و سماها الحجر.

و قال ابن الطوير: و كوتب الأفضل بن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج، فاهتم للتوجه إليها، فلم يبق ممكنا من مال و سلاح، و خيل و رجال و استناب أخاه المظفر:

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٢

أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين يدي الخليفة مكانه، و قصد استنفاد الساحل من يد الفرنج، فوصل إلى عسقلان، و زحف عليها بذلك العسكر، فخذل من جهة عسكره، و هي نوبة النصبة، و علم أنّ السبب في ذلك من جنده، و لما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات، و كان عند الفرنج شاعر منتجع إليهم فقال: يخاطب صنجل ملك الفرنج:



نصرت بسيفك دين المسيح فله درك من صنجل

و ما سمع الناس فيما رووه بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر، و لم ينتفع بعد هذه التوبة أحد من الأجناد بالأفضل، و حظر عليهم النعوت و لم يسمع لأحد منهم كلمة، و أنشأ سبع حجر، و اختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف راجل، و قسمهم في الحجر، و جعل لكل مائة زمانا، و نقيبا، و زم الكل بأمر يقال له: الموفق، و أطلق لكل منهم ما يحتاج إليه من خيل و سلاح، و غيره.

و عنى بهؤلاء الأجناد، فكان إذا دهمه أمر مهمّ جهزهم إليه مع الزمام الأكبر.

و قال ابن المأمون: و كان من جملة الحجرية الذين يحضرون السباط رجل يعرف بابن زحل، و كان يأكل خروفا كبيرا مشويا، و يستوفيه إلى آخره، ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر، و جميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها، ما لم يعمل قط مثله من الأطعمة، فيأكل معظمه، و كان يقعد في طرف المدورة، حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة، لا لميزته، و كان من الأجناد و أسر في أيام الأفضل، و قيده الفرنجى الذى أسره، و عذبه و طالت مدته في الأسر، و كان فقيرا، فاتفق أن ذكر للفرنجى كثرة أكله، فأراد أن يمتحنه، فقال له: أحضر لى عجلا أكبر عجل عندكم آكله إلى آخره، فضحك منه الفرنجى، و نقص عقله و أتاه بعجل كبير، و يقال: بخنزير، فقال له: اذبحه و اشوه و اتنى معه بجزء خل، ثم قال: إذا أكلته ما يكون لى عندك، فغلط الفرنجى، و قال له: أطلقك حتى تمضى إلى أهلك، فاستحلفه على ذلك، و غلظ عليه اليمين، و أحضر الفرنجى عدّة من أصحابه ليشاهدوا فعله، فلما استوفى العجل جميعه صلّب كل من الحاضرين على وجهه و تعجب من فعله، و أطلقه، فقال: أخاف من أن يعتقد أننى هربت فأرد إليكم، فأحضر الفرنجى من العربان من سلمه إليهم، و لم يشعر به إلّا بباب عسقلان، فطلع منها، و أعفى بعد ذلك من السفر، و بقى برسم الأسطة.

و قال ابن عبد الظاهر: الحجر قريب من باب النصر، و هو مكان كبير فى صف دار الوزارة إلى جانبه باب القوس الذى يسمى: باب النصر قديما على يمنة الخارج من القاهرة، كان تربي فيه جماعة من الشباب يسمون: صبيان الحجر، يكونون فى جهات متعدّدة، و هم يناهزون خمسة آلاف نسمة، و لكل حجر اسم تعرف به، و هى المنصورة، و الفتح و الجديدة، و غير ذلك مفردة لهم، و عندهم سلاحهم، فإذا جزوا خرج كل منهم لوقته لا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٣

يكون له ما يمنعه، و كانوا فى ذلك على مثال الذّوابه، و الأستار، و كانوا إذا سمى الرجل منهم: بعقل و شجاعه خرج من هناك إلى الأمره، أو التقدمة مثل على بن السلار، و غيره، و لا يأوى أحد منهم إلّا بحجرته بفرسه، و عدّته و قماشه، و للصبان الحجرية حجره مفردة، عليهم أستاذون يبيتون عندهم، و خدام برسمهم.

### ذكر المناخ السعيد

و كان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى و الحجر: المناخ، و هو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جريات القصور، و برسم مخازن الأخشاب، و الحديد و نحو ذلك.

قال ابن الطوير: و أما المناخات فيها من الحواصل، ما لا يحصره، إلّا القلم من الأخشاب، و الحديد، و الطواحين النجدية، و الغشيمة، و آلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه، و القنب، و الكتان، و المنجنيقات المعدّة، و الطواحين الدائرة برسم الجريات المقدّم ذكرها، و الزفت فى المخازن الذى عليه الأتربة، و لا ينقطع إلّا بالمعاول، و قد أدركت هذه الدولة، يعنى دولة بنى أيوب منه شيئا كثيرا فى هذا المكان انتفع به، و إليه يأوى الفرنج فى بيوت برسمهم، و كانت عدّتهم كثيرة، ففيه من النجارين و

الجزارين، و الدهانين و الخبازين و الخياطين، و الفعله، و من العجانين، و الطحانين في تلك الطواحين، و الفرانين في أفران الجرايات، و في هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة، و حامية أمير من الأمراء و مشاركته من العدول، و فيه أيضا شاهد النفقات، و عامل يتولى التنفيذ مع المشارف، و عامل برسم نظم الحساب من تعلقتهما بجار غير جواربهم، لأن أوقاتهم مستغرقة في مباشرة الإطلاقات و غيرها، و ذكر ابن الطوير: أن المأمون بن البطائحى استجد طواحين برسم الرواتب.

### ذكر اصطلب الطارمة

الطارمة: بيت من خشب، و هو دخيل، و كان بجوار القصر الكبير، تجاه باب الديلم من شرقى الجامع الأزهر اصطلب. قال ابن الطوير: و كان لهم اصطلبان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك، و الآخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة. المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٤

و كان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطلب، النصف من ذلك منها، ما هو برسم الخاص، و منها ما يخرج برسم العواري لأرباب الرتب، و المستخدممين دائما، و منها ما يخرج أيام المواسم، و هى التغيرات المتقدم ذكر إرسالها لأرباب الرتب، و الخدم، و المرتب لكل اصطلب منها لكل: ثلاثة رؤوس سائس واحد ملازم، و لكل واحد منها: شداد برسم تسييرها، و فى كل اصطلب بئر بساقية، تدور إلى أحواض، و مخازن فيها الشعير، و الأقرط اليايسة المحمولة من البلاد إليها، و لكل عشرين رجلا من السواس: عريف يلتزم دركهم بالضمان لأنهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى، و يعيدونها إليها كما تقدم ذكره فى خزائن السروج و لكل من الاصطبلين: رائض كأمر أخور، و لهما ميرة، و جامكية متسعة، و للرفاء على السواس ميرة، و للجماعات الجرايات من القمح، و الخبز خارجا عن الجامكيات، فإذا بقى لأيام المواسم التى يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع أخرج إلى كل رائض فى الإصطلب مع أستاذ مظلة ديبقى مركبة على قنطارية مدهونة، و يختص الرائض على ما يركبه الخليفة إما فرسين أو ثلاثة، و عليهما المركبات الحلى التى يركبها الخليفة، فيركبها الرائض بحائل بينه و بين السرج، و يركب الأستاذ بغلة مظلة، و يحمل تلك المظلة، و يسير فى براح الاصطبل، و فيه سعة عظيمة مارًا، و عائدا و حولها البوق و الطبل، فيكتر ذلك عدده دفعات فى كل يوم مدة ذلك الأسبوع، ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك، و لا ينفر منه فى حال الركوب عليه، فيعمل كذلك فى كل اصطلب من الاصطبلين، و الدواب البغلة التى تنهيا، هى التى يركبها الخليفة، و صاحب المظلة يوم الموسم، و لا يختل ذلك.

و يقال: إنه ما راثت دابة و لا بالت، و الخليفة راكبها، و لا بغلة صاحب المظلة أيضا إلى حين نزولهما عنهما، و كان فى الساحل بطريق مصر من القاهرة فى البساتين المنسوبة إلى ملك صارم الدين حلبا: شونتان مملوءتان تبتنا معبتان كتعبته فى المراكب كالجبلين الشاهقين، و لهما مستخدمون حام، و مشارف، و عامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة المؤهلة له، من موظف الأتبان بالبلاد الساحلية و غيرها، مما يدخل إليه فى أيام النيل، و لها رؤساء، و أمرها جار فى ديوان العمائر، و الصناعة، و الإنفاق منها بالتوقعات السلطانية للاصطبلات المذكورة و غيرها من الأوسى الديوانية، و عوامل بساتين الملك، و إذا جرى بين المستخدمين خلف فى الشنف التبن المعتبر، عادوا إلى قبضه بالوزن، فيكون الشنف التبن: ثلاثمائة و ستين رطلا بالمصري، نقيًا و إذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورة قته كان عن القته اثنا عشر رطلا، و لم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقته، و مما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط، و لا يرون إضافته إلى دوابهم بالاصطبلات، و قال ابن عبد الظاهر:

اصطلب الطارمة: كان اصطبلًا للخليفة، فلما زالت تلك الأيام اختط و بنى آدرا.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٥

## ذكر دار الضرب و ما يتعلق بها

و كان بجوار خزانة الدرغ التي هي اليوم: خان مسرور الكبير، دار الضرب، و موضعها حينئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم: بالخراطين، و صار مكان دار الضرب اليوم: درب يعرف بدرب: الشمسى في وسط سوق السقطيين المهامزين، و باب هذا الدرب: تجاه قيسارية العصفر، فإذا دخلت هذا الدرب، فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب، و بجوارها دار الوكالة الحافظية، فجعلت الحوانيت التي على يمينه من سلكك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالباً الجامع الأزهر في ظهر دار الضرب، و أنشأ هذه الحوانيت، و ما كان يعلوها من البيوت الأمير المعظم: خمرتاش الحافظى، و جعلها وقفاً، و قال في كتاب وقفها: و حدّ هذه الحوانيت الغربى ينتهى إلى دار الضرب، و إلى دار الوكالة، و قد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الأوقاف، و ما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية إلى أن استبدّ السلطان صلاح الدين، فصارت دار الضرب حيث هي اليوم، كما تقدّم ذكره، و كان لدار الضرب المذكورة في أيامهم أعمال و يعمل بها دنانير الغزّة، و دنانير خميس العدس، و يتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها عندهم.

قال ابن المأمون: و فى سؤال منها، و هى سنة ست عشرة و خمسمائة أمر الأجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقرّ الخلافة و موطن الإمامة، فبنيت بالقشاشين:

قبالة المارستان، و سميت بالدار الآمرية، و استخدم لها العدول، و صار دينارها أعلى عياراً من جميع ما يضرب بجميع الأمصار، انتهى. و كانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان، فكان المارستان، بجوار خزانة الدرغ، فما عن يمينك الآن إذا سلكت من رأس الخراطين، فهو موضع دار الضرب، و دار الوكالة هكذا إلى الحمام التي بالخراطين، و ما وراءها، و ما عن يسارك، فهو موضع المارستان.

قال ابن عبد الظاهر: فى أيام المأمون بن البطائحي وزير الأمر بأحكام الله بنيت دار الضرب فى القشاشين قبالة المارستان الذى هناك و سميت بالدار الآمرية.

دار العلم الجديدة: و كان بجوار القصر الكبير الشرقى: دار فى ظهر خزانة الدرغ من باب تربة الزعفران لما أغلق الأفضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٦

فتحتها فى باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم، فامتنع الوزير المأمون من إعادتها فى موضعها، فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع، فعمل دار العلم فى شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة و خمسمائة، و ولاها لأبى محمد حسن بن آدم، و استخدم فيها مقرئين و لم تزل دار العلم عامر حتى زالت الدولة الفاطمية.

قال ابن عبد الظاهر: رأيت فى بعض كتب الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من القصر النافعى، و كذا ذكر لى السيد الشريف الحلبي، أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن، خلف فندق مسرور الكبير، و كذلك قال لى والدى رحمه الله، و قد بناها جمال الدين الإستادار الحلبي: داراً عظيمة غرم عليها مائة ألف، و أكثر من ذلك على ما ذكره، انتهى. و موضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريباً من خان الخليلي، بخط الزراكشة العتيق.

موسم أول العام: قال ابن المأمون، و أسفرت غزّة سنة سبع عشرة، و خمسمائة، و بادر المستخدمون فى الخزائن، و صناديق الإنفاق بحمل ما يحضر بين يدى الخليفة من عين، و ورق من ضرب السنة المستجدة، و رسم جميع من يختص به من إخوته، و جهاته، و قرابته، و أرباب الصنائع، و المستخدمات، و جميع الأستاذين العوالى و الأدوان، و ثنوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون، و أولاده، و إخوته، و استأذنوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون، و أولاده، و الأصحاب و الحواشى و الأمراء، و الضيوف، و الأجناد، فأمروا

بتفرقة، و الذى اشتمل عليه المبلغ فى هذه السنة نظير ما كان قبلها، و جلس المأمون باكرا على السماط بداره، و فرقت الرسوم على أرباب الخدم و المميزين من جميع أصنافه على ما تضمنته الأوراق، و حضرت التعاشير، و التشريفات، و زى الموكب إلى الدار المأمونية، و تسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجبة، و مصفات العساكر، و ترتيب الأسمطة، و أصمد كل منهم إلى شغله، و توجه لخدمته، ثم ركب الخليفة، و استدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب، و قد نشرت مظلمته، و خدمت الرهجية، و رتب الموكب و الجنائب، و مصفات العساكر عن يمينه و شماله، و جميع تجار البلدين من الجوهريين و الصيارف، و الصاعغة، و البزازين، و غيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم، و معاشه لطلب البركة بنظر الخليفة.

و خرج من باب الفتوح، و العساكر فارسها و راجلها بتجملها و زيها، و أبواب حارات العبيد معلقة بالاستور، و دخل من باب النصر و الصدقات تعم المساكين، و الرسوم تفرق على المستقرين إلى أن دخل من باب الذهب، فلقى المقرئون بالقرآن الكريم فى طول الدهاليز إلى أن دخل خزنة الكسوة الخاص، و غير ثياب الموكب غيرها، و توجه إلى تربة آبائه للترحيم على عادته، و بعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة، و عبيت الأسمطة،

المواعظ و الإعتبار بذکر الخطط و الآثار، بیروت، ج ۲، ص: ۳۵۷

و جرى الحال فيها، و فى جلوس الخليفة، و من جرت عادته، و تهيئة قصور الخلافة، و تفرقة الرسوم على ما هو مستقر. و توجه الأجل المأمون إلى داره، فوجد الحال فى الأسمطة على ما جرت به العادة و التوسعة فيها أكثر مما تقدمها، و كذلك الهناء فى صبيحة الموسم بالدار المأمونية و القصور، و حضر من جرت العادة بحضوره للهناء و بعدهم الشعراء على طبقاتهم، و عادت الأمور فى أيام السلام، و الركوبات، و ترتيبها على المعهود، و أحضر كل من المستخدمين فى الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر، و المطالعات مما تحتاج إليه الدولة فى طول السنة، و ينعم به و يتصدق و يحمل إلى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل فى التذاكر على يد المندوبين، و يحمل إلى الثغور و يخزن من سائر الأصناف ما يستعمل، و يباع فى الثغور و البلاد و الاستيماز و جريدة الأبواب، و تذكرة الطراز و التوقيع عليها.

و قال ابن الطوير: فإذا كان العشر الأخير من ذى الحجة فى كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالأماكن لإخراج آلات الموكب من الأسلحة و غيرها، فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الأسلحة، و هو الصماصم المصقولة المذهبة، مكان السيوف المحدبة، و الدبابيس الكيمخت الأحمر و الأسود، و رؤوسها مدورة مضرسة، و اللتوت كذلك و رؤوسها مستطيلة مضرسة أيضا، و آلات يقال لها:

المستوفيات، و هى عمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال بمقابض مدورة فى أيديهم بعدة معلومة من كل صنف، فيتسلمها نقباؤهم، و هى فى ضمانهم، و عليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها، و يخرج للطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب، و يقال لهم: أرباب السلاح الصفر، و هم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين فى شراية و ثلثمائة درقة بكوامخ فضة، يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم، فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان و درقة.

ثم يخرج من خزنة التجمل، و هى من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشرىف الوزير، و الأمراء أرباب الرتب، و أزمنة العساكر، و الطوائف من الفارس، و الراجل و هى رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب إلّا ذراعين منها، فيشد فى ذلك الخالى من الأنابيب عدّة من المعاجر الشرب الملوثة، و يترك أطرافها المرقومة مسبله كالصناجق، و برءوسها رمامين منقوشة فضة مذهبة و أهله مجوفة كذلك، و فيها جلاجل لها حس إذا

المواعظ و الإعتبار بذکر الخطط و الآثار، بیروت، ج ۲، ص: ۳۵۸

تحركت، و تكون عدتها ما يقرب من مائة، و من العماريات، و هى شبه الكخاوات من الديباج الأحمر، و هو أجلها و الأصفر و القروبي، و السقلاطون مبطنه مضبوطة بزنانير حرير، و على دائر التربع منها: مناطق بكوامخ فضة مسمورة فى جلد نظير عدد القصب،

فيسير من القصب عشرة، و من العماريات مثلها من الحمر خاصة، و يخرج للوزير خاصة لواءان على رمحين طويلين ملبسين، بمثل تلك الأنابيب و نفس اللواء ملفوف غير منشور، و هذا التشريف يسير أمام الوزير، و هو للأمرء من ورائهم، ثم يسير للأمرء أرباب الرتب في الخدم، و أولهم صاحب الباب، و هو أجلم خمس قصبات، و خمس عماريات، و يرسل لأسفهلار العساكر أربع قصبات، و أربع عماريات من عدّة ألوان، و من سواهما من الأمرء على قدر طبقاتهم: ثلاث ثلاث و اثنتان اثنتان، و واحدة واحدة، ثم يخرج من البنود الخاص الديبقي المرقوم الملون برماح ملبسة بالأنابيب، و على رؤوسها الرمامين، و الأهلة للوزير خاصة، و دون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة و رؤوسها و رمامينها من نحاس مجوّف مطلّي بالذهب، فتكون هذه أمام الأمرء المذكورين من تسعة إلى سبعة أذرع برأسها طلعة مصقولة، و هي من خشب القنطاريات داخله في الطلعة، و عقبها حديد مدور أسفل، فهي في كف حاملها الأيمن، و هو يفتلها فيه فتلا متدارك الدوران، و في يده اليسرى تشابه كبير يخطر بها، و عدتها ستون مع ستين رجلا يسيرون رجاله في الموكب يسيرون يمنة و يسرة.

ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها طبول، فيتسلمها صناعها، و يسيرون في الموكب اثنين اثنين و لها حس مستحسن، و كان لها ميزة عندهم في التشريف، ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار، و لا جراية تقرب عدّتهم من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللط، و هي واسعة و سيف، و يسيرون أيضا رجاله في الموكب هذا وظيفه خزائن السلاح.

ثم يحضر حامى خزائن السروج و هو من الأستاذين المحنكين إليها مع مشارفها، و هو من الشهود المعدلين، فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلّى ما هو برسم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٥٩

ركوبه، و ما يجب في موكبه مائة سرج، منها سبعون على سبعين حصانا، و منها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب و فضة، أو من ذهب منزل فيه المينا، أو من فضة منزلة بالمينا، و روادفها و قرابيسها من نسبتها، و منها ما هو مرصع بالجواهر الفاتقة، و في أعناقها الأطواق الذهب، و قلائد العنبر، و ربما يكون في أيدي و أرجل أكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها، و مكان الجلد من السروج الديباج الأحمر و الأصفر، و غيرهما من الألوان و السقلاطون المنقوش بألوان الحرير، قيمة كل دابة، و ما عليها من العدّة ألف دينار، فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن لركوبه و أولاده و إخوته، و من يعز عليه من أقاربه، و يسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها بعلاّماتها في أماكنها، و أعدادها، و عدد كل مركب منقوش عليه مثل: أوّل و ثان و ثالث إلى آخرها كما هو مسطور في الجرائد، فيعرف بذلك قطعة قطعة، و يسلمها العرفاء للشدادين بضمان عرفائهم إلى أن تعود، و عليهم غرامة ما نقص منها، و إعادتها برمتها.

ثم يخرج من الخزائن المذكورة لأرباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الحلّى دون ما تقدّم ذكره، و ما تقرب عدّته من ثلثمائة مركب على خيل و بغلات، و بغال يتسلمها العرفاء المتقدّم ذكرهم على الوجه المذكور، و يتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان، و فلان من أرباب الخدم سيفاً و قلماً، فيعرف كل شداد صاحبه، فيحضر إليه بالقاهرة و مصر سحر يوم الركوب، و لهم من الركاب رسوم من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار، فإذا تكمل هذا الأمر، و سلم أيضا الجمالون بالمناخات أغشية العماريات، و يكون إراحه في ذلك كله إلى آخر الثامن و العشرين من ذى الحجة، و أصبح اليوم التاسع و العشرون من سلخه على رأى القوم، عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخاص المقدم ذكرها، و يقال له: يوم عرض الخيل، فيستدعي الوزير بصاحب الرسالة، و هو من كبار الأستاذين المحنكين، و فصحاءهم و عقلائهم و محصلتهم، فيمضى إلى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالا- لأمر الخليفة بالإسراع على خلاف حركته المعتادة، فإذا عاد مثل بين يدي الخليفة، و أعلمه باستدعائه الوزير، فيخرج راكبا من مكانه في القصر و لا يركب أحد في القصر إلّا الخليفة، و ينزل في السدلا بدليلز باب الملك الذى



فيه الشباك، و عليه من ظاهره للناس ستر، فيقف من جانبه الأيمن زمام القصر، و من جانبه الأيسر صاحب بيت المال، و هما من الأستاذين المحنكين فيركب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٠

الوزير من داره، و بين يديه الأمراء، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء، و هو راكب، و يكون دخوله في هذا اليوم من باب العيد، و لا يزال راكبا إلى أول باب من الدهاليز الطوال، فينزل هناك، و يمشى فيها، و حواليه حاشيته، و غلمانه و أصحابه، و من يراه من أولاده، و أقاربه و يصل إلى الشباك فيجد تحته كرسيًا كبيرًا من كراسي البلق الجيد، فيجلس عليه، و رجلاه تطأ الأرض، فإذا استوى جالسًا رفع كل أستاذ الستر من جانبه، فيرى الخليفة جالسًا في المرتبة الهائلة، فيقف و يسلم و يخدم بيده إلى الأرض ثلاث مرات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه، فيجلس و يستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لا ثقة بذلك الحال، مقدار نصف ساعة، ثم يسمر الأمراء، و يسرع في عرض الخيل، و البغال الخاص المقدم ذكرها دابة دابة، و هي هادئة كالعرائس بأيدي شداديتها إلى أن يكمل عرضها، فيقرأ القراء لختم ذلك الجلوس، و يرخى الأستاذان الستر، فيقدم الوزير و يدخل إليه، و يقبل يديه و رجليه و ينصرف عنه إلى داره، فيركب من مكان نزوله، و الأمراء بين يديه لوداعه إلى داره ركبانًا و مشاة، إلى قريب المكان فإذا صلى الخليفة الظهر بعد انقضاء ما تقدم، جلس لعرض ما يلبسه في عيد تلك الليلة، و هو يوم افتتاح العام بخزائن الكسوات الخاص، و يكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص و بدلة، فأما المنديل: فيسلم الشاد التاج الشريف، و يقال له شدة الوقار، و هو من الأستاذين المحنكين، و له ميزة لممارسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه، شكل الإهليلجة، ثم يحضر إليه اليتيمة، و هي جوهره عظيمة لا يعرف لها قيمة فتتظم هي و حوالها ما دونها من الجواهر، و هي موضوعة في الحافر، و هو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا، فتتظم على خرقة حرير أحسن وضع، و يخطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة، فتكون بأعلى جهة الخليفة.

و يقال: إن زنة الجوهره سبعة دراهم، وزنه الحافر: أحد عشر مثقالًا، و بدائرها قصبه زمرد ذبابي له قدر عظيم ثم يؤمر بشد المظلة التي تشابهها تلك البدلة المحضرة بين يديه، و هي مناسبة للثياب، و لها عندهم جلاله لكونها تعلق رأس الخليفة، و هي اثنا عشر شوزكا عرض سفلى كل شوزك شبر، و طوله ثلاثة أذرع و ثلث، و آخر الشورك من فوق دقيق جدًا، فيجتمع ما بين الشواذك في رأس عودها بدائرها، و هو قنطارية من الزان ملبسة بأنايب الذهب، و في آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦١

فلكه بارزة مقدار عرض إبهام فيشد آخر الشوارك في حلقة من ذهب، و يترك متسعا في رأس الرمح، و هو مفروض فتلقى تلك الفلكة، فتتمنع المظلة من الحدور في العمود المذكور و لها أضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف في الوزن طولها طول الشوارك، و فيها خطاطيف لطاف، و حلق يمسك بعضها بعضا، و هي تنضم و تنفتح على طريقة شوكات الكيزان، و لها رأس شبه الرمانه، و يعلوه رمانه صغيرة، كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان، و لها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه أكثر من شبر و نصف، و سفلى الرمانه فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع، فإذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة في رأس العمود ركب الرمانه عليها، و لفت في عرض ديبقى مذهب، فلا يكشفها منه إلا حاملها عند تسليمها إليه أول وقت الركوبه.

ثم يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين بالخليفة، و هما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة إلى حد نصفهما، و هما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، و غير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين، فيشدان ليخرجا بخروج المظلة إلى أميرين من حاشية الخليفة، برسم حملهما و يخرج إحدى و عشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره.

و نص كتابتها: نصر من الله و فتح قريب، على رماح مقومة من القنا المتتقى، طول كل راية ذراعان في عرض ذراع و نصف في كل



واحدة ثلاث طرازات، فتسلم لأحد و عشرين رجلا- من فرسان صبيان الخاص ، و لهم بشاره عود الخليفة سالما عشرون ديناراً، ثم يخرج رمحان رؤوسهما أهله من ذهب صامتة في كل واحد سبع من ديباج أحمر و أصفر، و في فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح، فينفتحان فيظهر شكلهما، و يتسلمهما فارسان من صبيان الخاص، فيكونان أمام الرايات، ثم يخرج السيف الخاص، و هو من صاعقة وقعت على ما يقال، و جلبته ذهب مرصعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه، ليسلم إلى حامله، و هو أمير عظيم القدر، و هذه عندهم رتبة جليئة المقدار، و هو أكبر حامل، ثم يخرج الرمح و هو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ، و له سنان مختصر بحلية ذهب، و درقه بكوامخ ذهب فيها سعة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه في غشاء من حرير لتخرج إلى حاملها، و هو أمير مميز، و لهذه الخدمة و صاحبها عندهم جلاله.

ثم تشعر الناس بطريق الموكب، و سلوكه لا يتعدى دورتين إحداهما كبرى، و الأخرى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٢

صغرى، أما الكبرى: فمن باب القصر إلى باب النصر ماراً إلى حوض عز الملك نبا، و مسجده هناك، و هو أقصاها ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح إلى القصر، و الأخرى إذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور، و دخل من باب الفتوح، فيعلم الناس بسلوك إحداهما، فيشرون إذا ركب الخليفة فيها من غير تبادل للموكب و لا تشويش، و لا اختلال، فلا يصبح الصبح من يوم الركوب إلّا و قد اجتمع من بالقاهرة و مصر من أرباب الرتب و أرباب التميزات من أرباب السيوف، و الأقلام قياما بين القصرين، و كان يراحم و اسعا خاليا من البناء الذى فيه اليوم، فيسع القوم لانتظار الخليفة، و يبكر الأمراء إلى الوزير إلى داره، فيركب إلى القصر من غير استدعاء لأنها خدمة لازمة للخليفة، فيسير أمامه تشريفه المقدم ذكره، و الأمراء بين يديه ركبانا و مشاة، و أمامه أولاده و إخوته و كل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك، و هو فى أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة، و المنديل، و هو بالحنك، و يتقلد بالسيف المذهب، فإذا وصل القصر ترجل قبله أهله فى أخص مكان لا- يصل الأمراء إليه، و دخل من باب القصر، و هو راكب دون الحاضرين إلى دهليز يقال له دهليز العمود، فيترجل على مصطبة هناك، و يمشى بقيه الدهليز إلى القاعة فيدخل مقطع الوزارة هو و أولاده و إخوته، و خواص حاشيته، و يجلس الأمراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكسوة فى الصيف بالحصر السامان، و فى الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة، فإذا أدخلت الدابة لركوب الخليفة و أسندت إلى الكرسي الذى يركب عليه من باب المجلس، أخرجت المظلة إلى حاملها، فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مطوية، فيتسلمها بإعانه أربعة من الصقالبة برسم خدمتها، فيركزها فى آله حديد متخذة شكل القرن و هو مشدود فى ركاب حاملها الأيمن بقوة و تأكيد، فيمسك العمود بحاجز فوق يده، فيبقى و هو منتصف واقف و لم يذكر قط أنها اضطربت فى ريح عاصف، ثم يخرج بالسيف، فيتسلمه حامله فإذا تسلمه أرخيت ذؤابته ما دام حاملا له، ثم تخرج الدواة، فتسلم لحاملها، و هو من الأستاذين المحنكين. المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢؛ ص ٣٦٢

كان الوزراء حملوها لقوم من الشهود المعدلين، و هى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان، و هى فى نفسها من الذهب، و حليتها مرجان، و هى ملفوفة فى منديل شرب بياض مذهب، و قد قال فيها بعض الشعر: يخاطب الخليفة التى صنعت حلية المرجان فى وقته و هذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك فى بيتين و هما:

ألين لداود الحديد كرامة فقدّر منه السرد كيف يريد

و لأن لك المرجان و هو حجاره و مقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير، و من كان معه من المقطع، و تنضم إليه الأمراء، و يقفون إلى جانب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٣

الراية، فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم، و فى إثرهم يبرز الخليفة بالهيئة للشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه، و المنديل الحامل للتيمة بأعلى جبهته، و هو محنك مرخى الذؤابة مما يلي جانبيه الأيسر، و يتقلد بالسيف

المغربي و بيده قضيب الملك، و هو طول شبر و نصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدرر و الجواهر، فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك، و على أهله على الأمراء بعدهم، ثم يخرج أولئك أولاً- فأولاً، و الوزير يخرج بعد الأمراء فيركب و يقف قبالة باب القصر بهيئته.

و يخرج الخليفة و حواله الأستاذون و دابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام، فإذا قارب الباب، و ظهر وجهه ضرب رجل بوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له: الغريبة، بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات، فإذا سمع ذلك ضربت الأبواق في الموكب، و نشرت المظلة، و برز الخليفة من الباب، و وقف وقفه يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين و غيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة، و سار الخليفة و على يساره صاحب المظلة، و هو يباليغ أن لا يزول عنها ظلها، ثم يكتنف الخليفة مقدّم صبيان الركاب منهم، اثنان في الشكيمة، و اثنان في عنق الدابة من الجانبين، و اثنان في ركابه فالأيمن مقدّم المقدمين، و هو صاحب المقرعة التي يتناولها، و يناولها، و هو المؤدّي عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامر، و النواهي، و يسير الموكب بالحث.

فأوله الأمراء و أولادهم، و أخلاط بعض العسكر الأماثل إلى أرباب القصر إلى أرباب الأطواق إلى الأستاذين المحنكين إلى حامل اللوائين من الجانبين إلى حامل الدواة، و هي بينه و بين قربوس السرج إلى صاحب السيف، و هما في الجانب الأيسر كل واحد ممن تقدّم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، و يحجبه أهل الوزير المقدّم ذكرهم من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المحنكين، ثم يأتي الخليفة، و حواله صبيان الركاب المذكورة، تفرقة السلاح فيهم، و هم أكثر من ألف رجل، و عليهم المناديل الطبقيات، و يتقلدون بالسيوف، و أوساطهم مشدودة بمناديل، و في أيديهم السلاح مشهور، و هم من جانبي الخليفة كالجنّاحين المادّين و بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، و بالقرب من رأس الصقيليان الحاملان للمذبتين، و هما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر و غيره، و هو سائر على تودة، و رفق و في طول الموكب من أوله إلى آخره والى القاهرة مارّ و عائد، يفسح الطرقات و يسير الركبان فيلقى في عوده الإسفهلار كذلك مارا و عائدا لحت الأجناد في الحركة و الإنكار على المزاحمين المعترضين، و يلقى في عوده صاحب الباب، و مروره في زمرة الخليفة إلى أن يصل إلى الإسفهلار، فيعود لترتيب الموكب، و حراسه طرقات الخليفة، و في يد كل منهم دبوس، و هو راكب خير دوابه و أسرعها، هذا لمن أمام الموكب، ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٤

الركاب لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر و أصفر بشراريب غزيرة يقال لها: سيوف الدم برسم ضرب الأعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير، أرباب الفرنجيات المقدّم ذكرهم.

ثم يأتي الوزير في هيبه، و في ركابه من أصحابه قوم يقال لهم: صبيان الزرد من أقوياء الأجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبه بفرجة لطيفة أمامه، دون فرجة الخليفة، و كأنه على و فز من حراسه الخليفة، و يجتهد أن لا يغيب عن نظره، و خلفه الطبول و الصنوج و الصفافير، و هو مع عدّة كثيرة تدوى بأصواتها و حسّها الدنيا، ثم يأتي حامل الرمح المقدّم ذكره و درقته حمراء. ثم طوائف الراجل من الركابية و الجيوشية، و قبلهما المصامدة، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية زمرة زمرة في عدّة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر، و هم أضعاف ذلك، ثم أصحاب الرايات و السبعين، ثم طوائف العساكر من الآمرية و الحجرية الكبار، و الحافظية، و الحجرية الصغار المنقولين، و الأفضلية و الجيوشية، ثم الأتراك المصطنعون، ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الغز المصطنعة، و قد كان تقدّم هؤلاء الفرسان عدّة وافرة من المترجلة أرباب قسيّ اليد، و قسيّ الرجل في أكثر من خمسمائة، و هم المعدّون للأساطيل، و يكون من الفرسان المقدّم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف، و هذا كله بعض من كل.

فإذا انتهى الموكب إلى المكان المحدود، عادوا على أدراجهم، و يدخلون من باب الفتوح، و يقفون بين القصرين بعد الرجوع، كما كانوا قبله، فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأقمّر بالقماحين اليوم وقف وقفه بجملته في موكبه، و انفرج الموكب للوزير، فيتحرّك مسرعا ليصير أمام الخليفة، حتى يدخل بين يديه فيمرّ الخليفة، و يسكع له سكعة ظاهرة، فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفية، و هذه

أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة، و لا تكون إلّا للوزير صاحب السيف، و سبقه إلى دخول باب القصر راكبا على عادته إلى موضعه، و يكون الأمراء، قد نزلوا قبله لأنهم في أوائل الموكب، فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر، و دخله ترجل الوزير، و دخل قبله الأستاذون المحنكون، و أحدقوا به، و الوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله إلى الكرسي الذي ركب منه، فينزل عليه و يدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له، فيخرج الوزير، و يركب من مكانه الجارى به على عادته، و الأمراء بين يديه، و أقاربه حواله، فيركبون من أماكنهم و يسيرون صحبته إلى داره، فيدخل و ينزل أيضا إلى مكانه على كرسي فتخدمه الجماعة بالوداع، و يتفرق الناس إلى أماكنهم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٥

فيجدون قد أحضر إليهم الغزة، و هو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الآخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التي ركب أولها في هذا اليوم جملة من الدنانير و الرباعية و الدراهم المدورة المقسقة، فيحمل إلى الوزير منها ثلثمائة و ستون دينارا، و ثلثمائة و ستون رباعيا و ثلثمائة و ستون قيراطا، و إلى أولاده، و إخوته من كل صنف من ذلك خمسون، و إلى أرباب الرتب من أصحاب السيوف، و الأقلام من عشرة دنانير، و عشر رباعيات، و عشرة قيراطات، و دينار واحد، و رباعي واحد، و قيراط واحد، فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة قال: و مبلغ الغزة التي ينعم بها في أول العام المقدم ذكره من الدنانير و الرباعيات و القيراط ما يربط من ثلاثة آلاف دينار، و الله تعالى أعلم.

### ذكر ما كان يضرب في خميس العدى من خرايب الذهب

قال ابن المأمون: و أحضر الأجل المأمون كاتب الدفتر، و أمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدى من الخرايب الذهب، و هو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبه، و استدعى كاتب بيت المال، و وقع له بإطلاق ألف دينار، و أمره بإحضار مشارف دار الضرب، و سلمها إليه، فاعتمد ذلك، و ضربت عشرين ألف خروبه و أحصرها، فأمر بحملها إلى الخليفة، فسير الخليفة منها إلى المأمون ثلثمائة دينار، و ذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة، ثم بطل حكمها، و نسي ذكرها. قال: و صار ما يضرب باسم الخليفة يعنى الأمر بأحكام الله في ستة مواضع: القاهرة، و مصر، و قوص، و عسقلان، و صور، و الإسكندرية.

و قال ابن عبد الظاهر: خميس العدى كان يضرب فيه خمسمائة، تعمل عشرة آلاف خروبه، كان الأفضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتي دينار، و البقية برسمه، ثم جعلت في الأيام المأمونية ألف دينار، و ربما زادت أو نقصت يسيرا، و قد تقدم أن قاضى القضاء كان يتولى عيار دار الضرب، و يحضر التخليق بنفسه، و يختم عليه و يحضر للموعود الآخر لفتحه.

### ذكر دار الوكالة الأمرية

كانت دار الوكالة المذكورة، بجانب دار الضرب، و موضعها الآن على يمينه السالك

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٦

من رأس الخراطين إلى سوق الخيمين، و الجامع الأزهر.

قال ابن المأمون: في سؤال سنة ست عشرة و خمسمائة، ثم أنشأ، يعنى المأمون بن البطائحي، وزير الخليفة الأمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة، لمن يصل من العراقيين و الشاميين و غيرهما من التجار، و لم يسبق إلى ذلك.

**ذكر مصلى العيد**

و كان فى شرقى القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر، و هذا المصلى بناه القائد جوهر لأجل صلاة العيد فى شهر رمضان سنة: ثمان و خمسين و ثلثمائة، ثم جدده العزيز بالله، و بقى بقى إلى الآن بعض هذا المصلى، و اتخذ فى جانب منه موضع مصلى الأموات اليوم.

**ذكر هيئة صلاة العيد و ما يتعلق بها**

قال ابن زولاق: و ركب المعز لدين الله، يوم الفطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر، و كان محمد بن أحمد بن الأدرع الحسنى، قد بكر و جلس فى المصلى تحت القبة فى موضع، فجاء الخدم و أقاموه، و أقعدوا موضعه أبا جعفر مسلما، و أقعدوه هو دونه، و كان أبو جعفر مسلم، خلف المعز عن يمينه، و هو يصلى و أقبل المعز فى زيه و بنوده و قبابه، و صلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة، قرأ فى الأولى بأَمّ الكتاب، و هل أتاك حديث الغاشية، ثم كبر بعد القراءة، و ركع فأطال، و سجد فأطال، أنا سبحت خلفه فى كل ركعة، و فى كل سجدة نيفا و ثلاثين تسبيحة.

و كان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير، و قرأ فى الثانية بأَمّ الكتاب، و سورة و الضحى، ثم كبر أيضا بعد القراءة، و هى صلاة جدّه على بن أبى طالب عليه السلام، و أطال أيضا فى الثانية الركوع و السجود، أنا سبحت خلفه نيفا و ثلاثين تسبيحة فى كل ركعة، و فى كل سجدة، و جهر بيسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة، و أنكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءة قبل التكبير لقلّة علمهم، و تقصيرهم فى العلوم.

حدّثنا محمد بن أحمد قال: حدّثنا عمر بن شيبه، ثنا عبد الله، و رجاء عن إسرائيل، عن أبى إسحاق عن الحارث عن على عليه السلام: أنه كان يقرأ فى صلاة العيد قبل التكبير، فلما فرغ المعز من الصلاة، صعد المنبر و سلم على الناس يمينا و شمالا، ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر، فخطب وراءهما على رسمه، و كان فى أعلى درجة من المنبر و سادة ديباج مثقل، فجلس عليها بين الخطبتين، و استفتح الخطبة: بيسم الله الرحمن الرحيم، و كان معه على المنبر القائد جوهر، و عمار بن جعفر، و شفيح صاحب المظلة، ثم قال: الله أكبر الله أكبر و استفتح بذلك، و خطب و أبلغ، و أبكى الناس، و كانت خطبة بخشوع

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٧

و خضوع، فلما فرغ من خطبته، انصرف فى عساكره و خلفه أولاده الأربعة بالجواشن و الخود على الخيل بأحسن زى، و ساروا بين يديه بالفيلين، فلما حضر فى قصره أحضر الناس، فأكلوا و قدّمت إليهم السمط، و نشطهم إلى الطعام، و عتب على من تأخر، و هدّد من بلغه عنه صيام العيد.

و قال المسبحى فى حوادث آخر يوم من رمضان: سنة ثمانين و ثلثمائة، و بقيت مصاطب ما بين القصور و المصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون، حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر، و فيه تقدّم أمر القاضى محمد بن النعمان، بإحضار المتفقهة و المؤمنين يعنى الشيعة، و أمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب و لم يزل يرتب الناس، و كتب رقاعا فيها أسماء الناس، فكانت تخرج رقعة رقعة، فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب.

و فى يوم العيد: ركب العزيز بالله لصلاة العيد، و بين يديه الجنائب، و القباب الديق بالحلّى و العسكر فى زيه من الأتراك، و الديلم و العزيزية، و الإخشيدية، و الكافورية، و أهل العراق بالديباج المثقل و السيوف، و المناطق الذهب، و على الجنائب السروج الذهب

بالجوهر، و السروج بالعنبر، و بين يديه الفيلة عليها الرجاله بالسلاح، و الزرافة، و خرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر، و بيده قضيب جدّه عليه السلام، فصلى على رسمه و انصرف.

و قال ابن المأمون: و لما توفي أمير الجيوش بدر الجمالي، و انتقل الأمر إلى ولده:

الأفضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده في صلاة العيد، و يقف في قوس باب داره الذي عند باب النصر يعني: دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرا، و يقف على باب داره على الحالة الأولى، حتى تستحق الصلاة، فيدخل من باب العيد إلى الإيوان، و يصلى به القاضي ابن الرسعني، ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة إلى أن تنقضي الخطبة فيدخل من باب الملك، و يسلم على الخليفة، بحيث لا يراه أحد غيره، ثم يخلع عليه، و يتوجه إلى داره بمصر، فيكون السماط بها مدى الأعياد، فلما قتل الأفضل، و استقرّ بعده المأمون بن البطائح في الوزارة قال: هذا نقص في حق العيد، و لا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر، فقال له الخليفة الأمر بأحكام الله: فما تراه أنت؟ فقال: يجلس مولانا في المنظره التي استجدت بين باب الذهب، و باب البحر، فإذا جلس مولانا في المنظره، و فتحت الطاقات، وقف المملوك بين يديه في قوس باب الذهب، و تجوز العساكر فارسها و راجلها، و تشملها بركة نظر مولانا إليها، فإذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب و الزيّ و جميع الأمراء و الأجناد، و اجتاز بأبواب القصر، و دخل الإيوان، فاستحسن ذلك منه، و استصوب رأيه، و بالغ في شكره، ثم عاد المأمون إلى مجلسه، و أمر بتفرقة كسوة العيد و الهبات، يعني في عيد النحر، سنة خمس عشرة و خمسمائة، و جملة العين: ثلاثة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٨

آلاف و ثلثمائة دينار و سبعة دنانير و من الكسوات: مائة قطعة و سبع قطع برسم الأمراء المطوقين، و الأستاذين المحنكين، و كاتب الدست، و متولى حجة الباب و غيرهم.

قال: و وصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر شهر رمضان يعني من سنة ست عشرة و خمسمائة و هي تشتمل على دون العشرين ألف دينار، و هو عندهم الموسم الكبير، و يسمى بعيد الحلل، لأنّ الحلل فيه تعم الجماعة، و في غيره للأعيان خاصة، و قد تقدّم تفصيلها عند ذكر خزائنه الكسوة من هذا الكتاب.

قال: و لما كان في التاسع و العشرين من شهر رمضان، خرجت الأوامر بأضعاف ما هو مستقرّ للمقرئين و المؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر، و حضر المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة، و الحضور على الأسمطة على العادة و حضر إخوته و عمومته، و جميع الجلساء، و حضر المقرئون و المؤذنون، و سلّموا على عاداتهم و جلسوا تحت الروشن، و حمل من عند معظم الجهات و السيدات، و المميزات من أهل القصور بلاحي و موكيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى، و جعلت أمام المذكورين، ليشملها بركة ختم القرآن، و استفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة، و تطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع، و دعا فأبلغ، و رفع الفرائشون ما أعدّوه برسم الجهات، ثم كبر المؤذنون، و هلّوا، و أخذوا في الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دراهم و دنانير و ربايعيات، و قدّمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى، فجروا على عاداتهم، و ملأوا أكمامهم، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعتها على الخطيب و غيره، و دراهم تفرّق على الطائفتين من المقرئين و المؤذنين، و رسم أن تحمل الفطرة إلى قاعة الذهب، و أن تكون التعبية في مجلس الملك، و تعبي الطيافير المشورة الكبار من السرير إلى باب المجلس، و تعبي من باب المجلس إلى ثلثي القاعة سماطا واحدا مثل سماط الطعام، و يكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم، و يزين بالقطع المنفوخ، فامثل الأمر، و حضر الخليفة إلى الإيوان، و استدعى المأمون، و أولاده و إخوته، و عرضت المظال المذهبة المحاومة، و كان المقرئون يلوّحون عند ذكرها بالآيات التي في سورة النحل و الله جعل لكم مما خلق ظلّالا إلى آخرها.

و جلس الخليفة و رفعت الستور، و استفتح المقرئون، و جدّد المأمون السلام عليه، و جلس على المرتبة عن يمينه، و سلم الأمراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتعدّى أحد منهم مكانه و النّوَاب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم، و ترتيب وقوفهم، و سلم الرسل

الواصلون من جميع الأقاليم، و وقفوا في آخر الإيوان، و ختم المقرئون، و سلموا، و خدمت الرهجية، و تقدّم متولى كل اصطبل من الرّواض و غيرهم يقبل الأرض، و يقف و دخلت الدواب من باب المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٦٩

الديلم و المستخدمون في الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدّادين و يدورون بها حول الإيوان، و دواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الأستاذون، و المستخدمون في الركاب و يعلون بها إلى قريب من الشباك الذي فيه الخليفة، و كلما عرض دواب اصطبل قبل الأرض متوليه. و انصرف. و تقدّم متولى غيره على حكمه إلى أن يعرض جميع ما أحضره، و هو ما يزيد على ألف فارس خارجا عن البغال و ما تأخر من العشاريات و الحجور و المهارة، و لما عرضت الدواب أبطلت الرهجية، و عاد استفتاح المقرئين، و كانوا محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم، مما يوافق الحال، مثل الآية من آل عمران: زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ إِلَى آخِرِهَا، ثم بعدها: قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، إلى آخرها.

و عرضت الوحوش بالأجلة الديباج و الديبقي بقباب الذهب، و المناطق، و الأهلة و بعدها النجب، و البخاتي بالأقتاب الملبسة بالديبقي الملوّن المرقوم، و عرض السلاح، و آلات الموكب جميعها، و نصبت الكسوات على باب العيد، و ضربت طول الليل و حملت الفطرة الخاص التي يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات بالمسك، و العود و الكافور و الزعفران و التمر المصبغة التي يستخرج ما فيها، و تحشى بالطيب و غيره، و تسدّ، و تختم و سلمت للمستخدمين في القصور، و عيبت في مواعين الذهب المكلفة بالجواهر، و خرجت الأعلام و البنود.

و ركب المأمون، فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في مشاهدة السماط من سرير الملك إلى آخرها، و خرج الخليفة لوقته من الباذنج، و طلع إلى سرير ملكه، و بين يديه الصواني المقدم ذكرها، و استدعى بالمأمون، فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام، و أمر بإحضار الأمراء المميزين و القاضي و الداعي و الضيوف، و سلم كل منهم على حكم ميزته، و قدمت الرسل، و شرفوا بتقبيل الأرض و المقرئون يتلون، و المؤذنون يهللون و يكبرون، و كشفت القوّارات الشرب المذهبات، عما هو بين يدي الخليفة فبدأ و كبر، و أخذ بيده تمرّة، فأفطر عليها، و ناول مثلها الوزير، فأظهر الفطر عليها، و أخذ الخليفة في أن يستعمل من جميع ما حضر، و يناول وزيره منه، و هو يقبله و يجعله في كفه، و تقدّمت الأجلاء إخوة الوزير و أولاده من تحت السرير، و هو يناولهم من يده، فيجعلونه في أكمامهم بعد تقبيله، و أخذ كل من الحاضرين كذلك، و يومئ بالفطور و يجعله في كفه على سبيل البركة، فمن كان رأيه الفطور أفطر، و من لم يكن رأيه أوما، و جعله في كفه لا ينتقد على أحد فعله.

ثم قال المأمون بعد ذلك: ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة بل له به الشرف و الميزة، و مدّ يده، و أخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عود نبات، و جعله في كفه بعد تقبيله، و أشار إلى الأمراء، فاعتمد كل من الحاضرين ذلك و ملأوا أكمامهم، و دخل الناس، فأخذوا جميع ذلك، ثم خرج الوزير إلى داره و الجماعة في ركابه، فوجد التعبية فيها من المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٠

صدر المجلس إلى آخره على ما أمر به، و لم يعد مما كان بالقصر غير الصواني الخاص، فجلس على مرتبه و الأجلاء أولاده، و استدعى بالعوالي من الأمراء، و القاضي و الداعي، و الضيوف، فحضرُوا و شرفوا بجلوسهم معه، و حصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم، و رفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف، ثم انصرفوا و حضرت الطوائف، و الرسل على طبقاتهم إلى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره، و انقضى حكم الفطور.

و عاد للتنفيذ في غيره، و ضربت الطبول، و الأبواق على أبواب القصور، و الدار المأمونية، و أحضرت التغاير، و فرقت على أربابها من الأجناد و المستخدمين، و خرجت أزيمة العساكر فارسها و راجلها، و ندب الحاجب الذي بيده الدعوة لترتيب صفوفها من باب القصر إلى المصلى، ثم حضر إلى الدار المأمونية الشيوخ المميزون، و جلس المأمون في مجلسه و أولاده بهيئة العيد و زينته، و رفعت الستور،



و ابتدأ المقرئون، و سلم متولى الباب و الشيوخ، و لم يدخل المجلس غير كاتب الدست، و متولى الحجة، و بالغ كل منهما فى زيه و ملبوسه، و جروا على رسمهم فى تقبيل الأرض و عتبة المجلس، و وصل إلى الدار المأمونية التجملى الخاص الذى يرسم الخليفة جميعه، القصب الفضة و الأعلام و المنجوقات، و العقبات و العماريات، و لواء الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم، و المراكب الذهب المرصعة بالجواهر، و غير ذلك من التجملات.

و ركب المأمون من داره و جميع التشاريى الخاص بين يديه، و خدمت الرهجية، و من جملتهم الغربية و هى أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة و لا تضرب قدام الوزير إلما فى المواسم خاصة و فى أيام الخلع عليه و الأمراء مصطفون عن يمينه، و عن شماله، و يليهم إخوته و بعدهم أولاده، و دخل إلى الإيوان، و جلس على المرتبة المختصة به، و عن يمينه جميع الأجلاء و المميزون و قوف أمامه، و من انحط عنهم من باب الملك إلى الإيوان قيام، و يخرج خاصة الدولة ريحان إلى المصلى بالفرش الخاص، و آلات الصلاة، و علق المحراب بالشروب المذهبة، و فرش فيه ثلاث سجادات متراكبة، و أعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظمه، و هى قطعة من حصير ذكر أنها من جملة حصير:

لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، يصلى عليها، و فرش الأرض جميعها بالحصير المحارب، ثم علق على جانبى المنبر، و فرش جميع درجه، و جعل أعلاه المخاد التى يجلس عليها الخليفة، و علق اللواءان عليه، و قعد تحت القبة خاصة الدولة ريحان و القاضى و أطلق البخور.

و لم يفتح من أبوابه إلّا باب واحد، و هو الذى يدخل منه الخليفة، و يقعد الداعى فى الدهليز و نقباء المؤمنين بين يديه، و كذلك الأمراء، و الأشراف، و الشيوخ، و الشهود، و من سواهم من أبواب الحرف و لا يمكن من الدخول إلّا من يعرفه الداعى، و يكون فى ضمانه،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧١

و استفتحت الصلاة، و أقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه، و العلم الجوهر فى منديله، و قضيب الملك بيده، و بنو عمه، و إخوته و أستاذوه فى ركابه، و تلقاه المقرئون عند وصوله و الخواص، و استدعى بالمأمون، فتقدم بمفرده، و قبل الأرض، و أخذ السيف و الرمح من مقدمى خزائن الكسوة، و الرهجية تخدم، و حمل لواء الحمد بين يديه إلى أن خرج من باب العيد، فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه، و الذى بيده المدعو فى ترتيب الحجة لمن شرف بها، لا يتعدى أحد حكمه، و سائر المواكب بالجنايب الخاص، و خيل التخافيف، و مصفات العساكر و الطوائف جميعها بزيتها، و راياتها وراء الموكب إلى أن وصل إلى قريب المصلى، و العماريات و الزرافات، و قد شد على الفيلة بالأسرة مملوءة رجالا مشيكة بالسلاح لا يتبين منهم إلّا الأحداق، و بأيديهم السيوف المجردة، و الدرق الحديد الصينى، و العساكر قد اجتمعت و ترادفت صفوفًا من الجانبين إلى باب المصلى، و النظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يبلغوه، و الموكب سائر بهم، و قد أحاط بالخليفة و الوزير صبيان الخاص، و بعدهم الأجناد بالدروع المسبلة، و الزرديات بالمغافر ملثمة، و البروك الحديد بالصماصم و الدبايس.

و لما طلع الموكب من ربوة المصلى ترجل متولى الباب، و الحجاب و وقف الخليفة بجمعه بالمظلة إلى أن اجتاز المأمون راكبا بمن حول ركابه، و ردّ الخليفة السلام عليه بكمه، و صار أمامه، و ترجل الأمراء المميزون و الأستاذون المحنكون بعدهم، و جميع الأجلاء، و صار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير، ثم على الخليفة إلى أن صار الجميع فى ركابه، و لم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة، ثم ترجل على باب الثانى إلى أن وصل الخليفة إليه فاستدعى به، سلم و أخذ الشكيمة بيده إلى أن ترجل الخليفة فى الدهليز الآخر، و قصد المحراب و المؤذنون يكبرون قدامه، و استفتح الخليفة فى المحراب و سامته فيه:

وزيره و القاضى، و الداعى عن يمينه و شماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين، و يتصل منهم التكبير إلى مؤذنى مصلى الرجال و النساء الخارجين عن المصلى الكبير، و كاتب الدست و أهله، و متولى ديوان الإنشاء يصلون تحت عقد المنبر، و لا يمكن

غيرهم أن يكون معهم.

ولما قضى الخليفة الصلاة، و هي ركعتان قرأ في الأولى بفاتحة الكتاب، و هل أتاك حديث الغاشية، و كبر سبع تكبيرات، و ركع و سجد، و في الثانية بالفاتحة، و سورة و الشمس و ضحاها، و كبر خمس تكبيرات، و هذه سنة الجميع و من ينوب عنهم في صلاة العيدين على الاستمرار و سلم، و خرج من المحراب، و عطف عن يمينه، و الحرص عليه شديد و لا يصل إليه إلّا من كان خصيصاً به، و صعد المنبر بالخشوع و السكينة، و جميع من بالمصلى و التربة لا يسأم نظره و يكثر من الدعاء له، و لما حصل في أعلى المنبر أشار إلى المأمون، فقبل الأرض و سارع في الطلوع إليه، و أدى ما يجب من سلامه، و تعظيم مقامه، و وقف بأعلى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٢

درجة، و أشار إلى القاضي، فتقدّم و قبل كل درجة إلى أن يصل إلى الدرجة الثالثة، وقف عندها، و أخرج الدعوى من كفه، و قبله و وضعه على رأسه، و أعلى بما تضمنه و هو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد، و سنته و الدعاء للدولة.

و كانت الحال في أيام وزراء الأقلام و السيوف إذا حصل الخليفة في أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره، و أشار الخليفة إلى القاضي، فيقبل الأرض، و يطلع إلى الدرجة الثالثة و يخرج الدعوى من كفه و يقبله، و يضعه على رأسه، و يذكر يوم العيد، و سنته و الدعاء للدولة، ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضي، فراعى الخليفة ذلك الأمر في حق الوزير، فجعل الإشارة منه إليه أولاً، و رفعه عن أن يكون مأموراً مثل غيره، و جعلها له ميزة على غيره ممن تقدّمه، و استمرت فيما بعد، و استفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة في الفطر، و الخطبتين إلى آخرهما، و كبر المؤذنون، و رفع اللواءان، و ترجل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه، و صار الجميع في ركاب الخليفة، و جرى الأمر في رجوعه على ما تقدّم شرحه، و مضى إلى تربة آبائه، و هى سنتهم في كل ركة بمظلة، و فى كل يوم جمعة مع صدقات، و رسوم تفزق.

و أمّا الوزير المأمون فإنه توجه و خرج من باب العيد، و الأمراء بين يديه إلى أن وصل إلى باب الذهب، فدخل منه بعد أن أمر ولده الأكبر بالوصول إلى داره و الجلوس على سماط العيد على عادته، و لما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد السروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط، فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها، و هو ما يحمل إلى مجلس الوزارة برسم الحاشية، و لكل من حاشية أولاده و إخوته، و كاتب الدست، و متولى حجة الباب، و متولى الديوان، و كاتب الدفتر، و النائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة، و عند انقضاء الأسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم، ثم حضر أبو الفضائل ابن أبى الليث، و استأذن على طيافير الفطرة الكبار التى فى مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد فى تفرقتها على ما كان يعتمد فى الأيام الأفضلية، و هو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور.

فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه إلى التربة جلس على السرير، و بين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالميناء، معبأة بالزبادى الذهب، و استدعى الوزير و اصطف الناس من المدورة إلى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم، و رفعت الستور، و استفتح المقرئون، و وفى الدولة إسعاف متولى المائدة مشدود الوسط، و مقدّم خزائنه الشراب، بيده شربة فى مرفع ذهب، و غطاء مرصعين بالجواهر و الياقوت، و متولى خزائن الإنفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة، و إنعاماً فيؤمر بما يدفع إليه، و تفرقة الرسوم الجارى بها العادة، و لعبت المنافقون، و التحسارية، و تناوب القراء، و المنشدون، و أرخيت الستور و عبىء السماط ثانياً على ما كان عليه أولاً.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٣

ثم رفعت الستور، و جلس على المدورة و السماط من جرت العبادة به، و فرقت الدنانير على المقرئين، و المنشدين و التحسارية و المنافقين، و من هو معروف بكثرة الأكل، و نهبت قصور الخلافة، و فرّق من الأصناف ما جرت به العادة، و أرخيت الستور، و أحضر متولى خزائنه الكسوة الخاص للخليفة: بدلة إلى أعلى السرير حسبما كان أمره، فلبسها و خلع الثياب التى كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ فى شكره، و الثناء عليه، و توجه إلى داره، فوصل إليه من الخليفة الصوانى الخاص المكلمة معبأة على ما كانت بين يديه، و غيرها

من الموائد، و كذلك إلى أولاده و إخوته صينية صينية، و لكاتب الدست، و متولى حجة الباب مثل ذلك و يكبر الوزير بجلوسه فى داره معلنا، و تسارع الناس على طبقاتهم بالعيد، و الخلع و بما جرى فى صعود المنبر، و حضر الشعراء، و أسنيت لهم الجوائز، و جرى الحال يومئذ فى جلوس الخليفة، و فى السلام لجميع الشيوخ و القضاة و الشهود و الأمراء، و الكتاب، و مقدّمى الركاب و المتصدّرين بالجوامع، و الفقهاء، و القاهريين، و المصريين، و اليهود برئيسهم، و النصارى بطريقهم على ما جرت به عادتهم، و ختم المقرئون، و قدمت الشعراء على طبقاتهم إلى آخرهم و جدّد لكل من الحاضرين سلامه، و انكفأ الخليفة إلى الباذنج لأداء فريضة الصلاة و الراحة بمقدار ما عييت المائدة الخاص، و استحضر المأمون، و أولاده و إخوته على عادتهم، و استدعى من شرف بحضور المائدة، و هم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست، و أبو الرضى سالم ابنه، و متولى حجة الباب، و ظهير الدين الكنانى على ما كان عليه الحال قبل الصيام، و انقضى حكم العيد.

و قال ابن الطوير: إذا قرب آخر العشر الآخر من شهر رمضان خرج الزى من أماكنه، على ما وصفنا فى ركوب أول العام، و لكن فيه زيادات يأتى ذكرها، و يركب فى مستهل شوال بعد تمام شهر رمضان، و عدّته عندهم أبدا ثلاثون يوما، فإذا تهيأت الأمور من الخليفة، و الوزير و الأمراء، و أرباب الرتب على ما تقدّم، و صار الوزير بجماعته إلى باب القصر، ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة و التيممة و الآلات المقدّم ذكرها، و لباسه فى هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة، و هى أجل لباسهم، و المظلة كذلك، فإنها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب، و يكون خروجه من باب العيد إلى المصلى، و الزيادة ظاهرة فى هذا اليوم فى العساكر، و قد انتظم القوم له صفين من باب القصر إلى باب المصلى، و يكون صاحب بيت المال قد تقدّم على الرسم، لفرش المصلى، فيفرش الطّراحات على رسمها فى المحراب مطابقة، و يعلق سترين يمنة و يسرة فى الأيمن: البسملة و الفاتحة، و سبح اسم ربك الأعلى، و فى الأيسر: مثل ذلك، و هل أتاك حديث الغاشية، ثم يركز فى جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنايب الفضة، و هما مستوران مرخيان، فيدخل الخليفة من شرقى المصلى إلى مكان يستريح فيه دقيقة، ثم يخرج محفوظا، كما يحفظ فى جامع القاهرة، فيصير إلى المحراب، و يصلى صلاة العيد،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٤

بالتكبيرات المسنونة، و الوزير وراءه و القاضى، و يقرأ فى كل ركعة، ما هو مرقوم فى الستين فإذا فرغ و سلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر، فإذا جلس فى الذروة و هناك طّراحة سامان أو ديبقى على قدرها و باقية يستر بياض على مقداره فى تقطيع درجه، و هو مضبوط لا يتغير، فيراه أهل ذلك الجمع جالسا فى الذروة و يكون قد وقف أسفل المنبر الوزير، و قاضى القضاء، و صاحب الباب إسفهلار العساكر، و صاحب السيف و صاحب الرسالة، و زمام القصر، و صاحب دفتر المجلس، و صاحب المظلة، و زمام الأشراف الأقارب، و صاحب بيت المال، و حامل الرمح، و نقيب الأشراف الطالبين، و وجه الوزير إليه فيشير إليه فيصعد، و يقرب و قوفه منه، و يكون وجهه موازيا رجله، فيقبلهما بحيث يراه العالم، ثم يقوم و يقف على يمينه، فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاء، فيصعد إلى سبع درجة، و يتطلع إليه صاغيا لما يقول، فيشير إليه فيخرج من كمة مدرجا قد أحضر إليه أمس من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة و الوزير، فيعلن بقراءة مضمونه.

و يقول: بسم الله الرحمن الرحيم: ثبت بمن شرف بصعوده المنبر الشريف فى يوم كذا، و هو عيد الفطر من سنه كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و على آباءه الطاهرين، و أبناءه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل، و نعوته المقررة و دعائه المحرر، فإن أراد الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير، و إخوته استدعاه القاضى بالنعته المذكور، ثم يتلو ذلك ذكر القاضى و هو القارئ، فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته و لا دعاءه، بل يقول: المملوك فلان بن فلان، و قرأه مرّة القاضى ابن أبى عقيل.

فلما وصل إلى اسمه قال: العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل فى المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عقيل، فاستحسن ذلك منه، ثم حذا حذوه الأعز بن سلامة، و قد استقضى فى آخر الوقت، فقال المملوك فى محل الكرامة الذى عليه من الولاء أصدق

علامة: حسن بن علي بن سلامة، ثم استدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم، و ذكر خدمهم و دعائهم على الترتيب، فإذا طلع الجماعة و كل منهم يعرف مقامه في المنبر يمنة و يسرة أشار الوزير إليهم، فأخذ هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذي بجانبه، فيستر الخليفة، و يسترون و ينادى في الناس بأن ينصتوا، فيخطب الخليفة من المسطور على العادة، و هي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم، فإذا فرغ ألقى كل من في يده من اللواء شيء خارج المنبر، فينكشون و ينزلون أولا فأولا، الأقرب فالأقرب إلى القهقري فإذا خلا المنبر منهم، قام الخليفة هابطا، و دخل إلى المكان الذي خرج منه، فلبث يسيرا و ركب في زيه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٥

المفخم و عاد من طريقه بعينها إلى إن يصل إلى قريب القصر، فيتقدمه الوزير كما شرحنا، ثم يدخل من باب العيد، فيجلس في الشباك، و قد نصب منه إلى فسقية كانت في وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكان و البسندود و البرماورد مثل الجبل الشاهق، و فيه القطعة وزنها من ربع قنطار إلى رطل، فيدخل ذلك الجمع إليه، و يفطر منه من يفطر، و ينقل منه من ينقل، و يباح و لا يحجر عليه، و لا مانع دونه، فيمر ذلك بأیدی الناس و ليس هو مما يعتد به و لا يعبى مما يفرق للناس، و يحمل إلى دورهم، و يعمل في هذا اليوم سماط من الطعام في القاعة يحضر عليه الخليفة و الوزير، فإذا انقضى ذو القعدة، و هل هلال ذى الحجة، اهتم بركوب عيد النحر، فيجری حاله كما جرى في عيد الفطر من الزي و الركوب إلى المصلى، و يكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح، و لا ينخرم منه شيء، انتهى.

و صعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد، فوقف الشريف ابن أنس الدولة بإزائه، و قال مشيرا إلى الحاضرين:

خشوعا فإن الله هذا مقامه و همسا فهذا وجهه و كلامه

و هذا الذي في كل وقت بروزه تحياته من ربنا و سلامه

فضرب الحافظ الجانب الأيسر من المنبر، فرقى إليه زمام القصر، فقال له: قل للشريف حسبك، قضيب حاجتك، و لم يدعه يقول شيئا آخر، و كانت تكبت المخلفات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد، و بيعت بها إلى الأعمال.

فمما كتب به من إنشاء ابن الصيرفي: أميا بعد، فالحمد لله الذي رفع بأمر المؤمنين، عماد الإيمان، و ثبت قواعده و أعز بخلافته معتقده، و أذل بمعابته معانده، و أظهر من نوره مان انبسط في الآفاق، و زال معه الإظلام، و نسخ به ما تقدمه من الملل، فقال: إن الدين عند الله الإسلام، و جعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره، و يباهيه و أوجب دخول الجنة، و خلودها لمن عمل بأوامره و نواهيه، و صلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اصطفى له الدين و بعثه إلى الأقربين و الأبعدين، و أيدته في الإرشاد حتى صار العاصي مطيعا، و دخل الناس في التوحيد فرادى و جميعا، و غدوا بعروته الوثقى متمسكين، و أنزل عليه قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملء إبراهيم حنيفا، و ما كان من المشركين، و على أخيه و ابن عمه أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمام الأمة، و كاشف الغمة، و أوجه الشفعاء لشيئته يوم العرض، و من الإخلاص في ولائه قيام بحق و أداء فرض، و على الأئمة من ذريتهما سادة البرية، و العادلين في القضية، و العاملين بالسيرة المرضية، و سلم و كرم،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٦

و شرف و عظم و كتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الثلاثاء: عيد الفطر من سنة ست و ثلاثين و خمسمائة، و قد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه و أدائه، و جريه في ذلك على عادته، و عادة من قبله من آبائه، ما ينبئك به، و يطلعك على مستوره عنك و مغيبه، و ذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح، و عاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح، توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها إلى بابه، و أفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام و ثوابه، ثم انثنت إلى مصافها في الهيئات، التي يقصر عنها تجريد الصفات، و تغنى مهابتها عن تجريد المرهفات، و تشهد أسلحتها و عددها بالتنافس في الهمم، و تلق مواضيها في أعمادها شوقا إلى

الطلى و القمم، و قد امتلأت الأرض بازدهام الرجل و الخيل، و ثار العجاج فلم ير أغرب من اجتماع النهار و الليل، و برز أمير المؤمنين من قصوره، و ظهر للأبصار على أنه محتجب بضياؤه و نوره، و توجه إلى المصلى فى هدى جدّه و أبيه، و الوقار الذى ارتفع فيه عن النظر و الشيبه، و لما انتهى إليه قصد المحراب و استقبله، و أدّى الصلاة على وضع رضىه الله و تقبله، و أجرى أمرها على أفضل المعهود، و وفاها حقها من القراءة و التكبير و الركوع و السجود، و انتهى إلى المنبر، فعلا- و كبر الله، و هلله على ما أولاه، و ذكر الثواب على إخراج الفطرة و بشر به، و إن المسارعة إليه من وسائل المحافظة على الخير و قربه، و وعظ و عطا ينتفع قابله فى عاجلته و منقلبه، ثم عاد إلى قصوره الزاهرة مشمولاً بالوقاية، مكنوفاً بالكفاية، منتهاً فى إرشاد عبده، و رعاياه أقصى الغاية، أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم، لتعلم منه ما تسكن إليه و تعلن بتلاوته على الكافة ليشتروا فى معرفته، و يشكروا الله عليه، فاعلم هذا، و اعمل به إن شاء الله تعالى. و كان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها إقطاعات و جرايات، و كسوات و رسوم فإذا ركب الخليفة فى العيدين مدّوا جبلين مسطوحين من أعلى باب النصر إلى الأرض حبلا عن يمين الباب، و حبلا عن شماله، فإذا عاد الخليفة من المصلى، نزل على الجبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب، مدهون و فى أيديهم رايات، و خلف كل واحد منهم رديف، و تحت رجله آخر معلق بيديه و رجله، و يعملون أعمالاً- تذهل العقول، و يركب منهم جماعة فى الموكب على خيول، فيركضون و هم يتقلبون عليها، و يخرج الواحد منهم من تحت إبط الفرس، و هو يركض، و يعود يركب من الجانب الآخر، و يعود، و هو على حاله لا يتوقف، و لا يسقط منه شيء إلى الأرض، و منهم من يقف على ظهر الحصان، فيركض به، و هو واقف.

### ذكر القصر الصغير الغربى

#### إشارة

و كان تجاه القصر الكبير الشرقى الذى تقدّم ذكره فى غريبه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربى، و مكانه الآن حيث المارستان المنصورى، و ما فى صفّه من المدارس، و دار الأمير بيسرى، و باب قبو الخرنشف، و ربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديماً بالتبانين، و ما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٧

الجامع الأحمر، و ما وراء هذه الأماكن إلى الخليج، و كان هذا القصر الغربى يعرف أيضاً بقصر البحر و الذى بناه العزيز بالله نزار بن المعز.

قال المسبحى: و لم بين مثله فى شرق، و لا فى غرب.

و قال ابن أبى طىّ فى أخبار سنة سبع و خمسين و أربعمائه، ففيتها تمم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربى، و سكنه، و غرم عليه ألفى ألف دينار و كان ابتداء بنيانه فى سنة خمسين و أربعمائه، و كان سبب بنائه أنه غرم على أن يجعله منزلاً للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد، و يجمع بنى العباس إليه، و يجعله كالمجلس لهم، فخانته أمله، و تممه فى هذه السنة، و جعله لنفسه و سكنه.

و قال ابن ميسر: إن ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم، و إنّ والدها العزيز بالله كان قد أفردا بسكنى القصر الغربى، و جعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون: بالقصريه، و هذا يدلّك على أنّ القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر، و هو الصحيح، و كان هذا القصر يشتمل أيضاً على عدّة أماكن:

الميدان: و كان بجوار القصر الغربى، و من حقوقه الميدان، و يعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف و اصطبل القطيئة.

البستان الكافورى: و كان من حقوق القصر الصغير الغربى: البستان الكافورى، و كان بستاناً أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طفج بن جف الإخشيد أمير مصر، و كان مطلاً على الخليج، فاعتنى به الإخشيد، و جعل له أبواباً من حديد، و كان ينزل به، و يقيم فيه الأيام، و



اهتم بشأنه من بعد الإخشيد ابنه: الأمير أبو القاسم أونوجور بن الإخشيد، و الأمير أبو الحسن علي بن الإخشيد في أيام إمهارةهما بعد أبيهما، فلما استبد من بعدهما الأستاذ أبو المسك كافور الإخشيدى بإمارة مصر كان كثيرا ما ينتزه به، و يواصل الركوب إلى الميدان الذى كان فيه و كانت خيوله بهذا الميدان.

فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لأخذ ديار مصر، أتاخ بجوار هذا البستان، و جعله من جملة القاهرة، و كان منتزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم، و كانوا يتصلون إليه من سراديب مبنية تحت الأرض، ينزلون إليها من القصر الكبير الشرقى، و يسرون فيها بالدواب إلى البستان الكافورى، و مناظر اللؤلؤة، بحيث لا تراهم الأعين، و ما زال البستان عامرا إلى أن زالت الدولة، فحكر و بنى فيه فى سنة إحدى و خمسين و ستمائة، كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى، عند ذكر الحارات و الخطط من هذا الكتاب، و أما الأقباء و السرايب، فإنها عملت أسربة للمراحيض، و هى باقية إلى يومنا هذا تصب فى الخليج.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٨

القاعة: و كان من جملة القصر الغربى قاعة كبيرة هى الآن المارستان المنصورى، حيث المرضى، كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله، و كانت أحوالها متسعة جدا.

قال فى كتاب الذخائر و التحف: و أهدت السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله إلى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع و ثمان و ثلثمائة: هدايا من جملتها: ثلاثون فرسا بمركبها ذهبا، منها: مركب واحد مرصع، و مركب من حجر البلور و عشرون بغلة بسروحها و لحمها، و خمسون خادما منهم عشرة صقالبة، و مائة تخت من أنواع الثياب، و فاخرها، و تاج مرصع بنفيس الجواهر، و بديعه و شاشية مرصعة، و أسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه، و بستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر.

قال: و خلفت حين ماتت فى مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس و عشرين و أربعمائة ما لا يحصى كثرة، و كان إقطاعها فى كل سنة يغل خمسين ألف دينار، و وجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنيات ألف و خمسمائة، و كانت سمحة نبيلة كريمة الأخلاق و الفعل، و كان فى جملة موجودها نيف و ثلاثون زيرا صينيا مملوءا جميعها مسكا مسحوقا، و وجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل.

قال المسبحى: ولدت بالمغرب فى ذى القعدة سنة خمس و ثلثمائة، و لما زالت الدولة عرفت هذه الدار: بالأمير فخر الدين جهار كس موسك ثم بالملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل، فلما كان فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة، شرع الملك المنصور قلاون الألفى فى بنائها مارستانا، و مدرسة و تربة، و تولى عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، مدبر الممالك، و يقال: إن ذرع هذه الدار عشرة آلاف و ستمائة ذراع.

### أبواب القصر الغربى

كان لهذا القصر عدة أبواب: منها: باب الساباط، و باب التبانين، و باب الزمرذ.

باب الساباط: هذا الباب موضعه الآن باب سرّ المارستان المنصورى الذى يخرج منه الآن إلى الخرنشف و كان من الرسم، أن يذبح فى باب الساباط المذكور، مدة أيام النحر، و فى عيد الغدير عدة ذبائح تفرّق على سبيل الشرف.

قال ابن المأمون: فى سنة ست عشرة و خمسمائة، و جملة ما نحره الخليفة الأمر بأحكام الله، و ذبحه خاصة فى المنحر، و باب الساباط دون المأمون، و أولاده و إخوته فى ثلاثة الأيام: ألف و سبعمائة و ستة و أربعون رأسا، فذكر ما كان بالمنحر قال: و فى باب

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٧٩

الساباط مما يحمل إلى من حوته القصور، و إلى دار الوزارة، و الأصحاب و الحواشى اثنتا عشرة ناقه، و ثمانية عشر رأس بقر، و خمسة عشر رأس جاموس، و من الكباش: ألف و ثمانمائة رأس، و يتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق و البقر.



وقال ابن عبد الظاهر: كان في القصر باب يعرف بباب السباط، كان الخليفة في العبيد يخرج منه إلى الميدان، وهو الخرنشف الآن لينحر فيه الضحايا.

باب التبانين: هذا الباب، مكان باب الخرنشف الآن، وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى.  
باب الزمرد: كان موضع اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافوري الموجود الآن.

### ذكر دار العلم

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم، ويدخل إليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف: بقبو الخرنشف، و صار مكان دار العلم الآن، الدار المعروفة: بدار الخضيرى الكائنة بدار الحكمة بالقاهرة، و جلس فيها الفقهاء، و حملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة و دخل الناس إليها، و نسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها مما التمس، و كذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، و جلس فيها القراء و المنجمون، و أصحاب النحو و اللغة، و الأطباء بعد أن فرشت هذه الدار، و زخرفت و علقت على جميع أبوابها و ممراتها الستور، و أقيم قوام و خدام و فزاشون، و غيرهم و سمووا بخدمتها، و حصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم، و الآداب و الخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك.

قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسبحي: و في يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس و تسعين و ثلثمائة: فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، و جلس فيها الفقهاء، و حملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة و دخل الناس إليها، و نسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها مما التمس، و كذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، و جلس فيها القراء و المنجمون، و أصحاب النحو و اللغة، و الأطباء بعد أن فرشت هذه الدار، و زخرفت و علقت على جميع أبوابها و ممراتها الستور، و أقيم قوام و خدام و فزاشون، و غيرهم و سمووا بخدمتها، و حصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم، و الآداب و الخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك.

و أباح ذلك كله لسائر الناس، على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب، و النظر فيها فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضا، التي لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السنّي، لمن رسم له بالجلوس فيها، و الخدمة لها من فقيه و غيره، و حضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، و منهم من يحضر للنسخ، و منهم من يحضر للتعلم، و جعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر، و الأقلام، و الورق و المحابر، و هي الدار المعروفة بمختار الصقليّ. قال: و في سنة ثلاث و أربعمائة: أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٠

و المنطق و جماعة من الفقهاء منهم: عبد الغني بن سعيد، و جماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله، و كانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه، ثم خلع على الجميع و وصلهم، و وقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع، و ضمنها كتابا ثبت على قاضى القضاة: مالك بن سعيد، و قد ذكر عند ذكر الجامع الأزهر، و قال فيه: و قد ذكر دار العلم، و يكون العشر و ثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربيّ: مائتان و سبعة و خمسون دينارا، من ذلك الثمن الحصر العبدانيّ، و غيرها لهذه الدار عشرة دنانير، و من ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون دينارا، و من ذلك للخازن بها ثمانية و أربعون دينارا، و من ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارا، و من ذلك للفراش خمسة عشر دينارا، و من ذلك للورق و الحبر، و الأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا، و من ذلك لمرمة الستارة: دينار واحد، و من ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب و ما عساه أن يسقط من ورقها: اثنا عشر دينارا، و من ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير، و من ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير.

وقال ابن المأمون: و في هذا الشهر يعنى شهر ذى الحجة سنة ست عشرة و خمسمائة جرت نوبة القصار، و هي طويلة، و أولها من الأيام الأفضلية، و كان فيهم رجلان يسمى أحدهما: بركات، و الآخر: حميد بن مكّي الإطفيحيّ القصار، مع جماعة يعرفون بالبديعية، و هم على الإسلام و المذاهب الثلاثة المشهورة، و كانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة، فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة، و أخرجهم عن الصواب، و كان ذلك في أيام الأفضل فأمر للوقت بغلق دار العلم، و القبض على المذكور، فهرب، و كان من

جملة من استفسد عقله بركات المذكور: أستاذان من القصر.

فلما طلب بركات المذكور، و استتر دق الأستاذان الحيلة إلى أن دخلاه عندهما في زى جارية اشترياها، و قاما بحقه، و جميع ما يحتاج إليه، و صار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات، فمرض بركات عند الأستاذين، فحارا في أمره و مداواته، و تعذر عليهما إحضار طبيب له، و اشتد مرضه، و مات، فأعملا الحيلة، و عرّفا زمام القصر، أن إحدى عجائزهما قد توفيت، و أن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور، و يشيعنها إلى تربة النعمان بالقرافة، و كتبنا عدّة من يخرج، ففسح لهما في العدّة، و أخذنا في غسله، و ألبسناه ما أخذه من أهله، و هو ثياب معلمة، و شاشية و منديل، و طيلسان مقوّر، و أدرجوه في الديبقيّ، و توجه مع التابوت الأستاذان المشار إليهما، فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الأجر له على قدر عقولهما، فقالا للحمالين: هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه: نداء الرجال، و اکتّموا الحال، و هذه أربعة دنانير لكم، فسّر الحمالون بذلك، فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرّفوه بما جرى، و قاسموه الدنانير، فخافت نفسه، و علم أنها قضية لا تخفى، فمضى بهم إلى الوالى، و شرح له القضية فأودعهم في الاعتقال، و أخذ الذهب منهم، و كتب مطالعة بالحال.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨١

فمن أوّل ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذى قيل له بعد ذلك: المأمون بالقضية، و كان مدير الأمور في الأيام الأفضلية قال: هو بركات المطلوب، و أمر بإحضار الأستاذين و الكشف عن القضية، و إحضار الحمالين، و الكشف عن القبر بحضورهم، فإذا تحقّقه أمرهم بلعنه، فمن أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه، و من أبى أحضروه، فحققوا معرفته، فمنهم من بصق فى وجهه، و تبرأ منه، و منهم من همّ بتقبيله، و لم يتبرأ منه، فجلس الأفضّل و استدعى الوالى و السيف، و استدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه، فكل من تبرأ منه، و لعنه أطلق سبيله، و بقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه: خمسة نفر و صبى لم يبلغ الحلم، فأمر بضرب رقابهم، و طلب الأستاذين، فلم يقدر عليهما، و قال للصبى: من لفظه تبرأ منه، و أنعم عليك، و أطلق سبيلك فقال له: الله يطالبك إن لم تلحقنى بهم، فإنى مشاهد ما هم فيه، و أخذ بسيفه على الأفضّل، فأمر بضرب عنقه، فلما توفى الأفضّل أمر الخليفة الأمر بأحكام الله: وزيره المأمون بن البطائحيّ باتخاذ دار العلم، و أفسد عقل أستاذ و خياط، و جماعة، و ادعى الربويّة فحضر الداعى ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون، و عرّفه بأنّ هذا قد تعرّف بطرف من علم الكلام، على مذهب أبى الحسن الأشعريّ، ثم انسلخ عن الإسلام، و سلكك طريق الحلاج فى التمويه فاستهوى من ضعف عقله، و قلّة بصيرته، فإنّ الحلاج فى أوّل أمره كان يدعى أنه: داعية المهديّ، ثم ادعى أنه المهديّ ثم ادعى الإلهية، و أنّ الجنّ تخدمه، و أنه أحيى عدّة من الطيور، و كان هذا القصار شيعى الدين، و جرت له أمور فى الأيام الأفضلية، و نفى دفعه و اعتقل أخرى، ثم هرب بعد ذلك، ثم حضر و صار يواصل طلوع الجبل، و استصحب من استهواء من أصحابه، فإذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلى ركعتين: نطلب شيئا تأكله أصحابنا فيمضى، و لا يلبث دون أن يعود، و معه ما كان أعدّه مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه، فكانوا يهابونه و يعظمونه حتى أنهم يخافون الإثم فى تأمل صورته، فلا ينفكون مطرقين بين يديه، و كان قصيرا دميم الخلقه، و ادعى مع ذلك الربويّة و كان ممن اختص بحميد رجل خياط و خصى، فرسم المأمون بالقبض على المذكور، و على جميع أصحابه فهرب الخياط، و طلب فلم يوجد، و نودى عليه و بذل لمن يحضر به مال، فلم يقدر عليه، و اعتقل القصار و أصحابه، و قرّروا فلم يقرّوا بشيء من حاله، و بعد أيام تماوت فى الحبس.

فلما استؤمر عليه أمر بدفنه، فلما حمل ليدفن ظهر أنه حيّ، فأعيد إلى الاعتقال، و بقى كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلى الخصى، فإنه لم يتبرأ منه، و ذكر أن القتل لا يصل إليه فأمر بقطع لسانه، و رمى قدّامه، و هو مصرّ على ما فى نفسه، فأخرج القصار، و الخصى، و من لم يتبرأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب، و ضربوا بالنشاب، فماتوا لوقتهم، ثم نودى على الخياط ثانيا، فاحضر و فعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له: ها أنت تنظره، فلم يتبرأ منه، و صلب إلى جانبه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٢

و ذكر أن بعض أصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشتري الكافور، و يرميه بالقرب من خشبته التي هو مصلوب عليها، فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق و يقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله، فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب، و أن تخط رممهم و يدفنوا متفرقين، حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم، و كان قتلهم في سنة سبع عشرة و خمسمائة، و ابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة و خمسمائة.

قال: و كان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمول القول: إنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار، و ما ظهر منه أراد أن يمتحنه، فتسبب إلى أن خالطه، و صار في جملة أصحابه، و من يعظمه و يطلع معه إلى الجبل، فأفسد عقله، و غير معتقده، و أخرجه عن الإسلام، و أنه لآمه على ذلك، و ردعه فحدّثه بعجائب منها أنه قال: و الله ما من الجماعة الذين يطلعون معه إلى الجبل أحد إلّا و يسأله، و يستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره إليه لوقته، و إنّ بيده سكين لا تقطع إلّا بيده، و إذا أمسك طائراً، و قبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التي معه له، و يقول له: اذبحه، فلا تمشى في يده، فأخذها هو و يذبحه بها و يجرى دمه، ثم يعود و يمسكه بيده، و يسرحه فيطير، و يقول: إنّ الحديد لا يعمل فيه، و يوسع القول فيما يشاهده منه، و يسمعه، فلما اعتقل القصار بقى هذا الرجل مصرّاً على اعتقاده، فلما قتل و خرج إليه و شاهده، و تحقق موته علم أن ما كان فيه سحر، و زور و إفك، فتصدّق بجملة من ماله، و عاد إلى مذهبه، و صحّ معتقده.

و قال ابن عبد الظاهر: دار العلم كان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطلها، و هي بجوار باب التبانين، و هي متصلة بالقصر الصغير، و فيها مدفون الداعي: المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الأعجمي، و كان لإبطلها أمور سببها اجتماع الناس، و الخوض في المذاهب و الخوف من الاجتماع على المذهب النزاري، و لم يزل الخدّام يتوصلون إلى الخليفة الأمر بأحكام الله، حتى تحدّث في ذلك مع الوزير المأمون فقال: أين تكون هذه الدار؟ فقال بعض الخدّام: تكون بالدار التي كانت أولاً، فقال المأمون: هذا لا يكون لأنه باب صار من جملة أبواب القصر، و برسم الحوائج، و لا يمكن الاجتماع و لا يؤمن من غريب يتحصل به، فأشار كل من الأستاذين بشيء، فأشار بعضهم أن تكون في بيت المال القديم، فقال المأمون: يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة؟ فقال الثقة زمام القصور: في جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر، و لا مخالطاً له يجوز أن يعمر، و يكون دار العلم، فأجاب المأمون إلى ذلك و قال: بشرط أن يكون متوليها رجلاً ديناً، و الداعي الناظر فيها، و يقيم فيها متصدّرون برسم قراءة القرآن، فاستخدم فيها أبو محمد حسن بن آدم، فتولاها، و شرط عليه ما تقدّم ذكره، و استخدم فيها مقرنون.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٣

### ذكر دار الضيافة

خرّج مالك في الموطأ: عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان إبراهيم عليه السلام أوّل من ضيّف الضيف، و أوّل من اتخذ دار ضيافة الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه في سنة سبع عشرة، و أعدّ فيها الدقيق و السمن و العسل و غيره، و جعل بين مكة و المدينة من يحمل المنقطعين من ماء إلى ماء حتى يوصلهم إلى البلد، فلما استخلف عثمان بن عفان رضی الله عنه، أقام الضيافة لأبناء السبيل، و المتعبدين في المسجد و أوّل من بنى دار الضيافة بمصر للناس: عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي، أحد من شهد فتح مصر من الصحابة، و كان ميدان القصر الغربي الذي هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان، و كانت هذه الدار أوّلاً- تعرف: بدار الأستاذ برجوان، و فيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان، ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر من عكا، و استبدّ بأمر الدولة أنشأ هناك داراً عظيمة، و سكنها و لم يسكن بدار الدياج التي كانت دار الوزارة القديمة.

فلما مات أمير الجيوش بدر، و استولى سلطنته ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، و أنشأ دار القباب التي عرفت: بدار

الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العيد، أقر أخاه أبا محمد جعفر المنعوت: بالمظفر ابن أمير الجيوش، بدار أمير الجيوش من حارة برجوان، فعرفت: بدار المظفر، و ما زال بها حتى مات، و قبر بها، و إلى اليوم قبره بها، و تسميه العامة: جعفر الصادق. و لما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك، و استمرت كذلك إلى أن انقرضت الدولة، فأنزل بها السلطان صلاح الدين أولاد العاضد إلى أن نقلهم إلى قلعة الجبل، الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب.

فلما كان في سنة تسع و سبعين و ستمائة، تقدم أمر الملك المنصور قلاون لوكيل بيت المال القاضي: مجد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر، فباع القاعة الكبرى، و ما هو من حقوقها، و بيعت دار المظفر الصغرى، و هدمها الناس، و بنوا في مكانها دورا، و موضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي الحنفي، و ما بجوارها إلى الدار التي بها سكنى اليوم، و هي من حقوق دار المظفر الصغرى، على ما في كتبها القديمة، و لما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره: في سنة سبع أو سنة ثمان و ثمانين و سبعمائة، ظهر من تحت الأرض عند حفر الأساس حجر عظيم، قيل: إنه عتبة دار المظفر الكبرى، و كان إذ

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٤

ذاك الأمير جهار كس الخليلي يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق، التي في خط بين القصرين، فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث إليه، و أمر بجزه إلى العمارة، فعمل عتبة باب المزملة، التي للمدرسة و كان من وراء هذه الدار، رحبة الأفيال أدركتها ساحة ثم عمر فيها.

قال ابن الطوير: الخدمة المعروفة: بالنيابة للقاء المرسلين، و هي خدمة جليئة يقال لمتوليها النائب، و ينعت بعدي الملك، و هو ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين على مسافة، و إنزال كل واحدة في دار تصلح له، و يقيم له من يقوم بخدمته، و له نظير في دار الضيافة، و هو يسمى اليوم بمهمندار، و يرتب لهم ما يحتاجون إليه، و لا يمكن أحدا من الاجتماع بهم، و يذكر صاحب الباب بهم، و يبالي في نجاح ما وصلوا فيه، و هو الذي يسلم بهم أبدا عند الخليفة و الوزير، و ينفذ بهم، و يستأذن عليهم، و يدخل الرسول و صاحب الباب قابض على يده اليمنى، و النائب بيده اليسرى، فيحفظ ما يقولون، و ما يقال لهم، و يجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه، و بين يديه من الفرائشين المقدم ذكرهم عدّة لإعانتة و إذا غاب أقام عنه نائبا إلى أن يعود و له من الجارى خمسون دينارا في كل شهر، و في اليوم نصف قطار خبز، و قد يهدى إليه المرسلون طرفا فلا يتناولها إلّا بإذن، انتهى.

و في هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة: مهمندار، و لا يليها عندهم إلّا صاحب سيف من الأمراء العشراوات، و كانت في الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير:

لا- يليها إلّا أعيان العدول، و أرباب العمائم، و ينعت أبدا بعدي الملك، و أصل هذه الكلمة الفارسية: مهمان دار (و معناها ملتقى الضيوف).

### ذكر اصطبل الحجرية

و كان بجوار دار الضيافة: اصطبل الصبيان الحجرية المقدم ذكرهم، و موضع هذا الاصطبل اليوم يعرف: بخان الوراقه داخل باب الفتوح القديم، بسوق المرحلين، على يسره من أراد الخروج من باب الفتوح القديم، تجاه زيادة الجامع الحاكمي، و من حقوق هذا الاصطبل أيضا الموضع الذي فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التي هي اليوم تجاه المدرسة الصيرمية، و الجمولون الصغير، و كانت بهذه الاصطبل خيول الصبيان الحجرية إحدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء الفاطميين.

ذكر مطبخ القصر

و كان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير: مطبخ القصر، و موضعه الآن: الصاغة تجاه المدارس الصالحية، و لما كانت مطبخا، كان يخرج إليه من باب الزهومة، و ذكر ابن عبد الظاهر: أنه كان يخرج من المطبخ المذكورة مدّة شهر رمضان:

ألف و مائتا قدر من جميع ألوان الطعام، تفرق كل يوم على أرباب الرسوم و الضعفاء.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٥

درب السلسلة: و كان بجوار مطبخ القصر: درب السلسلة، قال ابن الطوير: و بيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارسا، فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة، و صلى الإمام الراتب بها بالمقيمين فيها من الأستاذين و غيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له: سنان الدولة بن الكركندى، فإذا علم بفرغ الصلاة، أمر بضرب النوبات من الطبل و البوق، و لوائقهما من عدّة و افرّة بطرائق مستحسنّة مدّة ساعة زمانية، ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة، فيقول أمير المؤمنين يردّ على سنان الدولة السلام، فيصقع و يغرس حربّة على الباب ثم يرفعها بيده، فإذا رفعها أغلق الباب، و سار حوالى القصر سبع دورات، فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين و الفرائشين المقدم ذكرهم، و انصرف المؤذنون إلى خزانهم هناك، و ترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين، فينقطع المار من ذلك المكان إلى أن تضرب النوبة سحرا قرب الفجر، فتصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة. و قال ابن عبد الظاهر: درب السلسلة الذى هو الآن إلى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه إلى قبالة، تعلق كل يوم من الظهر، حتى لا يعبر راكب تحت القصر، و هذا الدرب يعرف: بسنان الدولة بن الكركندى، و هذا الدرب هو المختص بالتفزية، و هذه التفزية أمرها مستظرف، لا من قبل الحسن، بل من قبل التعجب من العقول.

و لها خمسة أوقات، و هى: ليالى العيدين، و غزّة السنة، و غزّة شهر رمضان و يوم فتح الخليج، و هو: أنه يقف راكبا فى وسط الزلافة التى لباب الذهب، قبالة الدار القطبية، فيخرج إليه السلام من الخليفة، ثم يخدم الرهجية، ثم يصعد على كندرة باب الزهومة، و قدّامه دواب المظلة يمنة و يسرة، و الرهجية تخدم و أرباب الضوء، و مستخدمو الطرق على السلسلة، فإذا كان الطرف وصلوا إليه، و اجتمعت الرهجية كلهم، و ركب فرسا و عليه ثياب حسنة، و كشف عن راياته، و أخذ بيده رمحا، و اجتمعت الرهجية حوله، و يعبر مشورا، و أولئك خلفه بالصراخ و الصياح بشعار الإمام، ثم يسير بذاك الجمع و خيل المظلة إلى أبواب القصر، فيقف عند كل باب تخدم الرهجية إلى أن يعودوا إلى باب الذهب، ثم إلى دار الوزارة للهناء، فلم يزالوا كذلك إلى ولاية ابن الكركندى فبطلت هذه السنة فى الأيام الآمرية، و صاحب التفزية: ممن واصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٦

### ذكر الدار المأمونية

و كان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية، و هى المدرسة السيوفية، و كانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحي، و عرفت قديما، بقوام الدولة حبوب، ثمجدّها المأمون محمد ابن فاتك.

المأمون البطائحي: هو أبو عبد الله محمد ابن الأمير نور الدولة أبى شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى، اتصل بخدمته الأفضل بن أمير الجيوش فى شهر شوال سنة إحدى و خمسمائة، عند ما تغير على تاج المعالى المختار الذى كان اصطنعه، و فخم أمره و سلم إليه خزائن أمواله، و كسواته، و سلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك، فتصرف فيها، و قرّر له الأفضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الإقطاع، و هو مائة دينار فى كل شهر، و ثلاثون دينارا عن جارى الخزائن مضافا إلى الأصناف الراتبية مياومة و مشاهرة و مسانحة فحسن عند الأفضل موقع خدمته، فاعتمد عليه و سلم له جميع أموره، و صرفه فى كل أحواله.

فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبى تراب حيدر، و أبى الفضل جعفر، فأطلق الأفضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة و المشاهرة و المسانحة، و نعتة الأفضل بالقائد، فصار يخاطب بالقائد، و يكاتب به، و صار عنده بمنزلة الأستادار، فلما قتل الأفضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة و خمسمائة، قام القائد أبو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الأمر بأحكام الله و أطلعه على أموال



الأفضل، و بالغ في مناصحته، حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر فى قتل الأفضل بإشارة الخليفة، فخلع عليه الأمر فى مستهل ذى القعدة، بمجلس اللعبة من القصر، و هو المجلس الذى يجلس فيه الخليفة، و لم يخلع قبله على أحد فيه، و حل المنطقه من وسطه، و خلع على ولده، و حل منطقته، و خلع على إخوته، و استمرّ تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهل ذو الحجة، ففى يوم الجمعة ثانية، خلع عليه من الملابس الخاص فى فرد كمّ مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع، و سيف ذهب كذلك، و سلم على الخليفة، و تقدّم الأمر للأمرء، و كافة الأستاذين المحنكين بالخروج بين يديه، و أن يركب من المكان الذى كان الأفضل يركب منه، و مشى فى ركابه القواد، على عادة من تقدّمه، و خرج بتشريف الوزارة، و دخل من باب العيد راكبا، و وصل إلى داره، فضاعف الرسوم، و أطلق الهبات. فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الأمرء بين يدى الخليفة، و أحضر السجل فى لفافة خاص مذهبه، فسلمه الخليفة له من يده قبله، و سلمه لزمّام القصر، فأمره الخليفة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٧

بالجلوس إلى جانبه عن يمينه، و قرىء السجل على باب المجلس، و هو أوّل سجل قرىء هناك، و كانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان، و رسم للشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الأمرء، و المحنكين من الأمرى إلى المأمونى، و كذا الناس أجمع، و لم يكن أحد ينتسب إلى الأفضل، و لا لأمر الجيوش، و قدّمت له الدواة، فعلم فى مجلس الخليفة، و نعت بالسيد الأجل، المأمون تاج الخلافة و وجيه الملك، فخر الصنائع، ذخر أمير المؤمنين، عز الإسلام، فخر الأنام، نظام الدين، أمير الجيوش سيف الإسلام، ناصر الأنام، كافل قضاة المسلمين، و هادى دعاة المؤمنين، و كان يجلس بداره فى يومى الأحد و الأربعاء للراحة و النفقة فى العسكر البساطية إلى الظهر، ثم يرفع النفقة، و يحط السماط، و يجلس بعد العصر، و الكتاب بين يديه، فينفق فى الراجل إلى آخر النهار، و فى يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير، و لكل من هو مستمرّ القراءة على بابه من الضعفاء، و الأجراء مما هو ثابت بأسمائهم: خمسمائة درهم، و لبقية الضعفاء و المساكين: خمسمائة درهم أخرى.

فإذا توجه يوم الجمعة إلى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرًا لأربابه، و لم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة و خمسمائة، فقبض الأمر المذكور عليه، و على إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه و أهله، و اعتقله ثم صلبه مع إخوته فى سنة اثنتين و عشرين.

قيل: إن سبب القبض عليه ما بلغ الأمر عنه أنه بعث إلى الأمير جعفر بن المستعلى يغريه بقتل أخيه، ليقمه مكانه فى الخلافة، و كان الذى بلغ الأمر ذلك الشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة، و بلغه أيضا عنه أنه: سير نجيب الدولة أبى الحسن إلى اليمن ليضرب سكة عليها، الإمام المختار محمد بن نزار، و ذكر عنه أنه سمّ شيئا، و دفعه لقصاد الخليفة، فتمّ عليه القصاد.

و كان مولد المأمون فى سنة ثمان و سبعين و أربعمائة، و كان من ذوى الآراء، و المعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء، كثير التحرز و التطلع إلى معرفة أحوال الناس من العامة و الجند، فكثر الوشاة فى أيامه. حبس المعونة: و كان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة، و موضعه اليوم: قيسارية العنبر.

قال ابن المأمون فى سنة سبع عشرة و خمسمائة: تقدّم أمر المأمون إلى الواليين بمصر و القاهرة بإحضار عرفاء السقائين و أخذ الحج على المتعشين منهم بالقاهرة بحضورهم، متى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٨

دعت الحاجة إليهم ليلا و نهارا، و كذلك يعتمد فى القربين، و أن يبيتوا على باب كل معونة، و معهم عشرة من الفعله بالطوارىء و المساحى، و أن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم، انتهى.

و كان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم، كما هو اليوم السجن المعروف:

بخزانة شمائل، و أما الأمرء، و الأعيان، فيسجنون: بخزانة البنود، كما تقدّم، و لم يزل هذا الموضع سجنا مدّة الدولة الفاطمية، و مدّة



دولة بنى أيوب إلى أن عمره: الملك المنصور قلاوون قيساريه، أسكن فيها العنبرانيين في سنة ثمانين و ستمائة.

## ذكر الحسبة و دار العيار

و كان بجوار حبس المعونة: دكة الحسبة، و مكانها اليوم يعرف: بالإبازرة، و مكسر الحطب بجوار سوق القصارين و الفحامين. قال ابن الطوير: و أما الحسبة، فإن من تسند إليه لا يكون إلا من وجوه المسلمين و أعيان المعدلين لأنها خدمة دينية، و له استخدام النؤاب عنه بالقاهرة و مصر، و جميع أعمال الدولة، كتؤاب الحكم، و له الجلوس بجامعة القاهرة و مصر يوما بعد يوم، و يطوف نؤابه على أرباب الحرف، و المعاش و يأمر نؤابه بالختم على قدور الهزاسين، و نظر لحمهم و معرفة من جزاره، و كذلك الطباخون و يتبعون الطرقات، و يمنعون من المضايقة فيها، و يلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة، و كذلك مع الحملين على البهائم و يأمر السقائين بتغطية الروايا بالأكسية، و لهم عيار: و هو أربعة و عشرون دلو، كل دلو: أربعون رطلا، و أن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم، و هي زرق، و يندرون معلمى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا، و لا فى مقتل، و كذلك معلمو العلوم بتحذيرهم من التغير بأولاد الناس، و يقفون على من يكون سىء المعاملة، فينهونه بالردع و الأدب، و ينظرون المكاييل و الموازين، و للمحتسب النظر فى دار العيار، و يخلع عليه و يقرأ سجله بمصر و القاهرة على المنبر، و لا يحال بينه، و بين مصلحة إذا رآها، و الولاة تشد معه إذا احتاج إلى ذلك و جاريه: ثلاثون دينارا فى كل شهر، انتهى.

و كان للعيار: مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها، و جميع الصنح، و كان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطاني، فيما تحتاج إليه من الأصناف كالنحاس و الحديد و الخشب و الزجاج، و غير ذلك من الآلات، و أجر الصناع و المشرفين و نحوهم، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٨٩

و يحضر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره، فإن صح ذلك أمضاه، و إلا أمر بإعادة عمله، حتى يصح، و كان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار، فلا تباع الصنح، و الموازين و الأكيال، إلا بهذه الدار، و يحضر جميع الباعة إلى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم، و معهم موازينهم، و صنجهم و مكاييلهم، فتعير فى كل قليل، فإن وجد فيها الناقص استهلك، و أخذ من صاحبه لهذه الدار، و ألزم بشراء نظيره، مما هو محرر بهذه الدار، و القيام بثمانه، ثم سومح الناس و صار يلزم من يظهر فى ميزانه أو صنجه خلل بإصلاح ما فيها من فساط فقط، و القيام بأجرته فقط، و ما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية. فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار، و جعلها وقفا على سور القاهرة مع كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع و النواحي الجارية فى ديوان الأسوار، و ما زالت هذه الدار باقية.

اصطبل الجميزة: و كان بجوار القصر الغربى من قبله اصطبل الجميزة من جانب باب السباط الذى هو الآن: باب سرّ المارستان المنصوري، و قيل له: اصطبل الجميزة من أجل أنه كان فى وسطه شجرة جميز كبيرة، و كان موضع هذا الاصطبل، تجاه من يخرج من باب السباط، فينزل من الحدره التى هى الآن تجاه باب سرّ المارستان المتوصل منها إلى حارة زويلة، و يمتد فيما حاذاه يسارك، إذا وقفت بأول هذه الحدره، حيث الطاحون الكبيرة التى هى الآن فى أوقاف المارستان، و ما وراءها و يحاذيها إلى الموضع المعروف اليوم:

بالبنديانيين، و كانت بئر تعرف: ببئر زويلة، و عليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول، و موضع هذا البئر اليوم: قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الأنجب، و قد شاهدت هذه البئر، لما أنشأ الأمير يونس الدوا دار هذه القيسارية و الربيع علوها، فرأيت بئرا كبيرة جدا، و قد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية، و ترك منها شىء، و منها الآن الناس تسقى بالدلاء، و ما زال هذا الاصطبل باقيا إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية، فحكر و بنى فى مكانه الآدار التى هى موجودة الآن، و حكره جار فى أوقاف الصلاح الأزبكي، و قد تقدّم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة، فانظر رسومه هناك.

دار الديباج : و كان بجوار اصطبل الطارمة من غريبه: دار الديباج، و هي حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب و ما جاورها من جانبها، و ما خلفها إلى الوزيرية، و كانت هي: دار الوزارة القديمة، و أول من أنشأها: الوزير يعقوب بن يونس بن كاس وزير العزيز بالله، ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضي القضاة، و داعى الدعاء علم المجد أبو

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٠

محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري، و ما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا، و وزره المستنصر، و صار وزيراً مستبداً، فأنشأ داره: بحارة برجوان، و سكنها و سكن من بعده ابنه الأفضل ابن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت:

بدار الوزارة الكبرى، و صارت هذه الدار تعرف: بدار الديباج، لأنه يعمل فيها الحرير الديباج، و يتولاها الأماثل و الأعيان.

فمن وليها أبو سعيد بن قرقة الطيب متولى خزائن السلاح، و خزائن السروج و الصناعات، فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية، و ما وراءها من المواضع التي تعرف أماكنها اليوم: بدرب الحريري، و ما جاور هذا الدرب إلى المدرسة الصاحبية، و ما بجوارها و ما هو فى ظهرها، فصار يعرف خط دار الديباج فى زمننا بخط سويقة الصاحب.

الأهراء السلطانية : و كانت أهراء الغلال السلطانية فى دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزنة شمائل، و ما وراءها إلى قرب الحارة الوزيرية.

قال ابن الطوير: و أما الأهراء فإنها كانت فى عدّة أماكن بالقاهرة و هي اليوم:

اصطبلات و مناخات، و كانت تحتوى على ثلثمائة ألف أردب من الغلات، و أكثر من ذلك.

و كان فيها مخازن يسمى أحدها: بغدای، و آخر: الفول، و آخر: القرافة، و لها الحماة من الأمراء و المشارفين من العدول، و المراكب و اصله إليها بأصناف الغلات إلى ساحل مصر، و ساحل المقس، و الحمالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب، و أمنائها من كل ناحية سلطانية، و أكثر ذلك من الوجه القبلي، و منها إطلاق الأقوات لأرباب الرتب و الخدم و أرباب الصدقات، و أرباب الجوامع، و المساجد، و جرايات العبيد السودان بتعريفات، و ما ينفق فى الطواحين برسم خاص الخليفة، و هي طواحين مدارها سفلى، و طواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب، و يحمل دقيقها للخاص، و ما يختص بالجهات فى خرائط من شقق حلبية.

و من الأهراء تخرج جرايات رجال الأسطول، و فيها ما هو قديم يقطع بالمساحى، و يخلط فى بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين و جرايات السودان، و منها ما يستدعى بدار الضيافة لإخجاز الرسل، و من يتبعهم، و ما يعمل من القمح برسم الكعك لزد الأسطول، فلا- يفتر مستخدموها من دخل و خرج و لهم جامكية مميزة، و جرايات برسم أقواتهم، و شعير لدوابهم و ما يقبض من الواصلين بالغلل إلّا ما يماثل العيون المختومة معهم، و إلّا ذرى، و طلب العجز بالنسبة.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩١

و ذكر ابن المأمون: أن غلات الوجه القبلي، كانت تحمل إلى الأهراء، و أما الأعمال البحرية، و البحيرة و الجزيرتان و الغربية و الكفور، و الأعمال الشرقية، فيحمل منها اليسير، و يحمل باقياها إلى الإسكندرية، و دمياط و تيس ليسير إلى ثغر عسقلان، و ثغر صور، و إنه كان يسير إليهما فى كل سنة مائة و عشرون ألف أردب، منها العسقلان خمسون ألفاً، و لصور: سبعون ألفاً، فيصير هناك ذخيرة، و يباع منها عند الغنى عنها.

قال: و كان متحصل الديوان فى كل سنة ألف ألف أردب.

و ذكر جامع السيرة البازورية: أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة، و أن الوزير أبا محمد البازوري قال للخليفة المستنصر: و هو يومئذ يتقلد وظيفة قاضي القضاة، و قد قصر النيل فى سنة أربع و أربعين و أربعمائة و لم يكن بالمخازن السلطانية غلال، فاشتدت المسغبة بأمر المؤمنين: إن المتجر الذى يقام بالغلة فيه أو فى مضرة على المسلمين، و ربما أفضح السعر من مشتراها، و لا يمكن بيعها،

فتتغير في المخازن و تتلف، و إنه يقام متجر لا كلفه فيه على الناس، و يفيد أضعاف فائدة الغلة، و لا يخشى عليه من تغير في المخازن، و لا انحطاط سعر، و هو الصابون و الخشب و الحديد، و الرصاص، و العسل، و ما أشبه ذلك، فأمضى الخليفة ما رآه، و استمر ذلك و دام الرخاء على الناس و توسعوا.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٢

### ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين، و مواضع نزهم ما كان لهم فيها من أمور جميلة

#### إشارة

و كان للخلفاء الفاطميين: مناظر كثيرة بالقاهرة و مصر، و الروضة، و القرافة، و بركة الحبش، و ظواهر القاهرة، و كانت لهم عدّة منتزهات أيضا فمن مناظرهم التي بالقاهرة:

منظرة الجامع الأزهر، و منظرة اللؤلؤة على الخليج، و منظرة الدكة، و منظرة المقس، و منظرة باب الفتوح، و منظرة البعل، و منظرة التاج، و الخمس و جوه، و منظرة الصناعة بمصر، و دار الملك، و منازل العز، و الهودج بالروضة، و منظرة بركة الحبش، و الأندلس بالقرافة و قبة الهواء، و منظرة السكر، و كان من منتزهاتهم كسر خليج أبي المنجا، و قصر الورد بالخرقانية، و بركة الجب. منظرة الجامع الأزهر: و كان بجوار الجامع الأزهر من قبله: منظرة تشرف على الجامع الأزهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالي الوقود. ذكر ليالي الوقود: قال المسبحي في حوادث شهر رجب من سنة ثمانين و ثثمائة:

و فيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالي الجمع، و ليلة النصف إلى جامع القاهرة يعنى الجامع الأزهر عوضا عن القرافة، و زيد فيه في الوعيد على حافات الجامع، و حول صحنه التناير، و القناديل، و الشمع على الرسم في كل سنة، و الأطعمة، و الحلوى و البخور في مجامر الذهب و الفضة، و طيف بها، و حضر القاضي محمد بن النعمان في ليلة النصف بالمقصورة، و معه شهوده و جوه البلد، و قدّمت إليه سلال الحلوى و الطعام، و جلس بين يديه القراء، و غيرهم و المنشدون، و الناحة و أقام إلى نصف الليل، و انصرف إلى داره بعد أن قدّم إلى من معه أطعمته من عنده و بخرهم.

و قال في شعبان و كان الناس في كل ليلة جمعة، و ليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب، و أزيد، و في ليلة النصف من شعبان: كان الناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء، و القراء، و المنشدين، و حضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده، و جوه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٣

البلد، و وقدت التناير و المصابيح على سطح الجامع، و دور صحنه، و وضع الشمع على المقصورة و في مجالس العلماء، و حمل إليهم العزيز بالله بالأطعمة، و الحلوى و البخور، فكان جمعا عظيما.

قال: و في شهر رجب سنة اثنتين و أربعمائة: قطع الرسم الجارى من الخبز، و الحلوى الذي يقام في هذه الثلاثة الأشهر لمن يبيت بجامع القاهرة في ليالي الجمع، و الأنصاف و حضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقي إلى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب، و اجتمع الناس بالقرافة على ما جرت به رسومهم من كثرة اللعب و المزاح.

روى الفاكهي في كتاب مكة: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كان يصيح في أهل مكة، و يقول: يا أهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا فجاجكم لحاج بيت الله، و احرسوهم ليلة هلال المحرم، حتى يصبحوا، و كان الأمر على ذلك بمكة في هذه الليلة، حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة، فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب، فيحرسوا عمار أهل اليمن، ففعلوا ذلك في ولايته، ثم تركوه بعد.

و في ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة و أربعمائه: حضر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله، و معه السيدات، و خدم الخاصة و غيرهم، و سائر العامة و الرعايا، فجلس الخليفة في المنظر، و كان في ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله، و أوقدت المساجد كلها أحسن و قيد، و كان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله، لأن الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك، فانقطع عمله.

و قال ابن المأمون: و لما كانت ليلة مستهل رجب، يعني من سنة ست عشرة و خمسمائه عملت الأسمطة الجارى بها العادة، و جلس الخليفة الأمر بأحكام الله عليها، و الأجل المأمون الوزير، و من جرت عادته بين يديه، و أظهر الخليفة من المسرة و الانسراح، ما لم تجر به عادته، و بالغ في شكره و زيره، و إطرائه و قال: قد أعدت لدولتي بهجتها، و جددت فيها من المحاسن ما لم يكن، و قد أخذت الأيام نصيبها من ذلك، و بقيت الليالي و قد كان بها مواسم قد زال حكمها، و كان فيها توسعة و بر و نفقات، و هي ليالي الوقود الأربع، و قد آن وقتهن فأشتهى نظرن، فامثل الأمر و تقدم بأن يحمل إلى القاضي خمسون دينارا يصرفها في ثمن الشمع.

و أن يعتمد الركوب في الأربع الليالي و هي: ليلة مستهل رجب، و ليلة نصفه، و ليلة مستهل شعبان، و ليلة نصفه، و أن يتقدم إلى جميع الشهود بأن يركبوا صحبته، و أن يطلق

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٤

للجوامع و المساجد توسعة في الزيت برسم الوقود، و يتقدم إلى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالي من أصناف الحلوات مما يجب برسم القصور، و دار الوزارة خاصة.

و قال في سنة سبع عشرة و خمسمائه: و في الليلة التي صبيحتها مستهل رجب، حضر القاضي أبو الحجاب يوسف بن أيوب المغربي، و وقع له بما استجد إطلاقه في العام الماضي، و هو خمسون دينارا من بيت المال، لابتياح الشمع برسم أول ليلة من رجب، و استدعى ما هو برسم التعيين، إحداهما: للمقصورة، و الأخرى: للدار المأمونية بحكم الصيام من مستهل رجب إلى سلخ رمضان ما يصنع في دار الفطرة خشكناج صغير و بسندود في كل يوم قنطار سكر و مثقالان مسكا، و ديناران مؤنة.

و كان يطلق في أربع ليالي الوقود برسم الجوامع الستة: الأزهر و الأقمر و الأنور بالقاهرة، و الطولوني، و العتيق بمصر، و جامع القرافة، و المشاهد التي تضمنت الأعضاء الشريفة، و بعض المساجد التي لأربابها و جاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب، و يختص بجامع راشدة، و جامع ساحل الغلة بمصر و الجامع بالمقس يسير قال: و لقد حدثني القاضي المكين بن حيدرة، و هو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التي كانت بيده مشارفة الجامع العتيق، و أن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة، و أن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده: أحد عشر قنطارا و نصف قنطار زيت طيب. و ذكر ركوب القاضي و الشهود في الليلة المذكورة على جارى العادة.

قال: و توجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثاني الشهر بموكبه إلى مشهد السيدة نفيسة، و ما بعده من المشاهد، ثم إلى جامع القرافة، و بعده إلى الجامع العتيق بمصر، و قد عمّ معروفه جميع الضعفاء، و قومه المساجد و المشاهد، و صلى الجمعة و عند انقضاء الصلاة، احضر إليه الشريف الخطيب المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضی الله عنه، فوقع بإطلاق ألف دينار من ماله، و أن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب، و كتب عليه اسمه، و في الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال في ركوب القاضي، و شهوده على الترتيب الذي تقدم في أول الشهر، و لما وصل إلى الجامع وجدته قد عبىء في الرواق الذي عن يمين الخارج منه سماط كعك، و خشكناج، و حلوى، فجلس عليه بشهود، و نهبه الفقراء، و المساكين، و توجه بعده إلى ما سواه من جامع القرافة و غيره، فوجد في رواق الجامع المذكور سماطا مثل السماط المذكور، فاعتمد فيه على ما ذكره، و له أيضا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء، و أهل الربط، مما يفترقه القاضي عشرة دنائير يفترقها القاضي.

و قال ابن الطوير: إذا مضى النصف من جمادى الآخرة، و كان عدده عندهم تسعة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٥

و عشرين يوماً، أمر أن يسبك في خزائن دار أفتكين: ستون شمعة وزن كل شمعة منها:

سدس قنطار بالمصري، و حملت إلى دار قاضي القضاة لركوب ليلة مستهل رجب، فإذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتّم الشهود أيضاً، فمنهم من يركب بثلاث شمعات إلى اثنتين إلى واحدة، و يمضي أهل مصر منهم إلى القاهرة، فيصلون المغرب في الجوامع و المساجد، ثم ينتظرون ركوب القاضي، فيركب من داره بهيئته، و أمامه الشمع المحمول إليه موقوداً مع المندوبين لذلك من الفرّاشين من الطبقة السفلى، من كل جانب: ثلاثون شمعة، و بينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى، و يدعون للخليفة و الوزير، بترتيب مقدّر محفوظ، و يندب في حجته: ثلاثة من نواب الباب، و عشرة من الحجاب، خارجاً عن حجاب الحكم المستقرّين، و عدّتهم: خمسة في زىّ الأمراء، و في ركابه القراء يطربون بالقراءة و الشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم، الأقدم فالأقدم، و حوالى كل واحد ما له من شمع، فيشقون من أوّل شارع فيه دار القاضي إلى بين القصرين، و قد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالاً- و نساء، و صبياناً بحيث لا يعرف الرئيس من المرؤوس، و هو مارّ إلى أن يأتي هو و الشهود باب الزمردّ من أبواب القصر في الرحبة الوسيعة تحت المنظره العالیه في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة، و هي التي تقابل درب قراصيا، فيحضر صاحب الباب، و والى القاهرة و القراء، و الخطباء كما شرحنا في المواليد الستة و يترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها، و بين يديه شمع و يبين شخصه، و يحضر بين يديه الخطباء الثلاثة، و يخطبون كالمواليد، و يذكرون استهلال رجب، و أن هذا الركوب علامته.

ثم يسلم الأستاذ من الطاقه الأخرى استفتاحاً و انصرافاً كما ذكرنا، ثم يركب الناس إلى دار الوزارة، فيدخل القاضي و الشهود إلى الوزير، فيجلس لهم في مجلسه و يسلمون عليه، و يخطب الخطباء أيضاً بأخف من مقام الخليفة، و يدعون له و يخرجون عنه، فيشق القاضي و الجماعة القاهرة، و ينزل على باب كل جامع بها، و يصلّى ركعتين، ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام و والى القاهرة في خدمته اليوم مستكثراً من الأعوان، و الحفظه في الطرقات إلى جامع ابن طولون، فيدخل القاضي إليه للصلاة، فيجد والى مصر عنده للقاء القوم و خدمتهم، فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضاً، فإذا وصل إلى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة، و سار شاقا الشارع الأعظم إلى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها، فيوقد له التنور الفضة الذي كان معلقاً فيه، و كان مليحاً في شكله، و تعليقه غير منافر في الطول و العرض واسع التدوير فيه عشر مناطق في كل منطقة: مائة و عشرون بزاقه، و فيه سروات بارزة مثل النخيل في كل واحدة عدّة بزاقات تقرب عدّة ذلك من ثلثمائة، و معلق بدائر سفله: مائة قنديل نجمية، و يخرج له الحاكم فإن كان ساكناً بمصر استقرّ بها و إن كان ساكناً بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون، فيودّعه والى مصر، و يسير معه والى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٦

القاهرة إلى داره، فإذا مضى من رجب أربعة عشر يوماً: ركب ليلة الخامس عشر كذلك، و فيه زيارة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر إلى القرافة ليصلّى في جامعها، و الناس يجتمعون له لينظروه، و من معه في كل مكان، و لا يملون من ذلك فإذا انقضت هذه الليلة: استدعى منه الشمع ليكمل بعضه، حتى يركب به في أوّل شعبان، و نصفه على الهيئه المذكورة و الأسواق معمورة بالحلواء، و يتفرغ الناس لذلك هذه الأربع الليالي.

منظره للؤلؤة: و كان للخلفاء الفاطميين، منظره تعرف: بقصر اللؤلؤة، و بمنظره اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة، و كان قصراً من أحسن القصور، و أعظمها زخرفه، و هو أحد منتزهات الدنيا المذكورة، فإنه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافوري، و يطل من غربيه على الخليج، و كان غربيّ الخليج، إذ ذاك ليس فيه من المباني شيء، و إنما كان فيه بساتين عظيمة، و بركة تعرف ببطن البقرة، فيرى الجالس في قصر اللؤلؤة جميع أرض الطباله، و سائر أرض اللوق، و ما هو من قبلها، و يرى بحر النيل من وراء البساتين.



قال ابن ميسر: هذه المنظره بناها العزيز بالله، و لما ولي برجوان الحاكم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكتامي: سكن بمنظره اللؤلؤة في جمادى الأولى سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة، إلى أن قتل، و في السادس و العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين و أربعمائه: أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة، و نهبها، فهدمت، و نهبت و بيع ما فيها.

و قال المسبحي: و في سادس عشرى ربيع الآخر، يعنى سنة اثنتين و أربعمائه: أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف: باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس، و أمر نهب أنقاضه، فنهبت كلها، ثم قبض على من وجد عنده شيء من نهب أنقاض اللؤلؤة و اعتقلوا. و قال ابن المأمون: و لما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة، و المقام فيها مدّة النيل على الحكم الأوّل يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر و ابنه الأفضل، أمر بإزاله ما لم تكن العادة جارية به من مضايقتها بالبناء، و لما بدت زيادة النيل، و عوّل الخليفة الأمر بأحكام الله على السكن باللؤلؤة أمر الأجلّ الوزير المأمون: بأخذ جماعة الفّراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها، و عندما بلغ النيل: ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيم.

و عندما قارب النيل الوفاء: تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته و إخوته،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٧

و أعمامه، و السيدات كرائمه، و عماته إلى اللؤلؤة، و تحوّل المأمون إلى دار الذهب، و أسكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبى أسامة الغزالة على شاطئ الخليج، و سكن حسام الملك:

حاجب الباب داره على الخليج، و أمر متولى المعونة أن يكشف الآدر المطله على الخليج قبلى اللؤلؤة، و لا يمكن أحدا من السكن فى شيء منها إلّا من كان له ملك، و من كان ساكناً بالأجرة ينقل، و يقام بالأجرة لرب الملك ليسكن بها حواشى الخليفة مدّة سنة، و قرّر من التوسعة فى النفقات، و ما يكون برسم المستخدمين فى المبيئات ما يختص برواتب القصور مدّة المقام فى اللؤلؤة فى أيام النيل مياومه من الغنم و الحيوان، و جميع الأصناف، و هى جملة كبيرة و أمر متولى الباب أن يندب فى كل يوم خروف شواء، و قطار خبز، و كذلك جميع الدروب من يحرسها، و يطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك، و تكون نوبة دائرة بينهم، و بقيه مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم، و فى يومى الركوب يجتمعون للخدمة إلّا من هو فى نوبته فيما رسم له، و أمر متولى زمام المماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم، حيث يكون الخليفة، و فى الليل يبيت منهم عدّة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة، و لهم فى كل يوم مثل ما تقدّم، و الرهجية تقسم قسمين أحدهما: على أبواب القصور، و الآخر: على أبواب اللؤلؤة، و أصحاب الضوء مثل ذلك، و قرّر للجماعة المقدم ذكرها فى الليل عن رسم المبيت، و عن ثمن الوقود ما يخرج إليهم مختوما بأسماء كل منهم و يعرضهم متولى الباب فى كل ليلة بنفسه عند رواحه و عوده، و كذلكما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة، و من باب الخوخة، و لهم رسوم كما تقدّم لغيرهم و المتفرجون يخرجون كل ليلة للترهه عليهم، و يقيمون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج فى شيء من ذلك عما يوجب الشرع، و فى يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره، بحيث لا يراه، إلّا أستاذوه و خواصه إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقى، و يحضر الوزير على عادته إليه، فيكون السلام بها على مستمرّ العادة، و الأسمطة بها فى يومى الاثنين و الخميس، و تكون الركوبات من اللؤلؤة فى يومى السبت و الثلاثاء إلى المنتزهات.

و قال فى سنة سبع عشرة و خمسمائه، و لما جرى النيل، و بلغ خمسة عشر ذراعاً: أمر بإخراج الخيام، و المضارب الديبقي، و الديباج و تحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة بحاشيته و أطلقت التوسعة فى كل يوم لما يخص الخاص، و الجهات و الأستاذين من جميع الأصناف، و انضاف إليها ما يطلق كل ليلة عينا و ورقا، و أطعمه للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار، و الشهر فى طول الليل من باب القنطرة بما دار إلى مسجد الليمونة من التزين من صبيان الخاص و الركاب، و الرهجية و السودان، و الحجاب كل طائفة بنقيبها و العرض من متولى الباب واقع بالعدّة فى طرفى كل ليلة، و لا يمكن بعضهم بعضاً من المنام و الرهجية تخدم على الدوام، و تحوّل الوزير المأمون إلى دار الذهب، وى ٤ لقت التوسعة، و الحال فى إطلاق الأسمطة لهم فى الليل و النهار مستمرّ.



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٨

و قال ابن عبد الظاهر : المنظره المعروفة بالؤلؤة على بَرّ الخليج بناها: الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم يعنى بعدما هدمها أبوه الحاكم، و كانت معدة لزهة الخلفاء، و كان التوصل إليها من القصر يعنى القصر الغربى، من باب مراد، و أظنه فيما ذكر لى: علم الدين بن مماتى الوراق، لأنه شاهد فى كتب دار ابن كوخيا التيقه أنه بابها، و كان عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل، و لما حصل التوهم من النزاريه، و الحشيشيه قبل تصرفهم لا سيما لصغر سنّ الخليفه، و قلّه حواشيه، أمر بسدّ باب مراد المذكور الذى يتوصل منه إلى الكافورى، و إلى اللؤلؤة، و أسكن فى بعضها فراشين لحفظها، فإن كان فى صبيحه كسر الخليج استؤذن الأفضل ابن أمير الجيوش فى فتح باب مراد الذى يتوصل منه إلى اللؤلؤة و غيرها، فيفتح و يروح الخليفه ليتفرّج هو و أهله من النساء، ثم يعود، و يسدّ الباب هذا إلى آخر أيام الأفضل، فلما راجع الوزير المأمون فى ذلك سارع إليه، فأصلحت و أزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر فى مكانه إن شاء الله تعالى.

و مات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين: الأمر بأحكام الله، و الحافظ لدين الله، و الفائز، و حملوا إلى القصر الكبير الشرقى من السراييب. و لما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده: صلاح الدين يوسف، و خرج الخليفه العاضد لدين الله إلى لقائه بصحراء الهليلج بآخر الحسينيه عند مسجد تير، أنزل بمنظره اللؤلؤة، فسكنها حتى مات فى سنه سبع و ستين و خمسمائه، و اتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عماره اليمنى، و الرضى أبو سالم يحيى الأحذب بن أبى حصيبه الشاعر فى قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفه العاضد، فأنشد ابن أبى حصيبه نجم الدين أيوب فقال:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفانها و ما كان منها لم يكن طرفا  
قد عجل الله هذى الدار تسكنهاو قد أعد لك الجنات و العرفا  
تشرّفت بك عن كان يسكنها فالبس بها العزّ و لتلبس بك الشرفا  
كانوا بها صدقا و الدار لؤلؤة و أنت لؤلؤة صارت لها صدفا  
فقال الفقيه عماره يرد عليه:

أثمت يا من هجا السادات و الخلفا و قلت ما قلته فى تلبهم سخفا  
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة و العرف ما زال سكنى اللؤلؤ الصدفا

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٣٩٩ و إنما هى دار حل جوهرهم فيها و شف فأسناها الذى وصفنا

فقال لؤلؤة عجا بيهجتهاو كونها حوت الأشراف و الشرفا

فهم بسكناهم الآيات إذ سكنوا فيها و من قبلها قد أسكنوا الصحفا

و الجوهر الفرد نور ليس يعرفه من البريه إلا كل من عرفا

لو لا تجسمهم فيه لكان على ضعف البصائر للأبصار مختطفا

فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمه لأن فيه حفاظا دائما و وفا

فلله درّ عماره لقد قام بحق الوفاء، و وفى بحسن الحفاظ، كما هى عادته، لا جرم أنه قتل فى واجب من يهوى كما هى سنه المحبين فالله يرحمه و يتجاوز عنه.

منظره الغزاة : و كان بجوار منظره اللؤلؤة منظره تعرف: بالغزاة على شاطيء الخليج تقابل حمام ابن قرقه و قد خربت هذه المنظره أيضا، و موضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربى الذى من ناحيه الخليج، و قد خربت أيضا حمام ابن قرقه، و صار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التى هناك يعرف بفندق عماد، و موضع منظره الغزاة اليوم ربع يعرف بربع غزاة إلى جانب قنطره الموسكى فى الحد الشرقى، و كان يسكن بهذه المنظره الأمير أبو القاسم بن المستنصر والد الحافظ لدين الله، ثم سكنها أبو الحسن بن أبى أسامه

كاتب الدست، و كان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء.

قال ابن المأمون: لما ذكر تحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة: و أسكن الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزاة التي على شاطئ الخليج، و لم يسكن أحد فيها قبله ممن يجرى مجراه و لا كانت إلّا سكن الأمير أبي القاسم ولد المستنصر، ولد الإمام الحافظ.

قال: و أما ما يذكره الطراز، فالحكم فيه مثل الاستيمار و الشائع فيها أنها كانت تشتمل في الأيام الأفضلية على أحد و ثلاثين ألف دينار، فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي، و المصري ستة عشر ألف دينار، ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة و أربعين ألف دينار، و تضاعفت في الأيام الآمرية.

و قال ابن الطوير: الخدمة في الطراز، و ينعت بالطراز الشريف، و لا يتولاه إلّا أعيان المستخدمين من أرباب العمائم و السيوف، و له اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، و مقامه بدمياط، و تيس و غيرها و جارية أمير الجوارى، و بين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى، و له عشائر دتماس مجرد معه، و ثلاثة مراكب من الدكاسات،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٠

و لها رؤساء، و نواتية لا يبرحون و نفقاتهم جارية من مال الديون، فإذا وصل بالاستعمالات الخاصة التي منها المظلة، و بدلتها و البدنة و اللباس الخاص الجمعي، و غيره هيئ بكرامة عظيمة، و ندب له دابة من مراكيب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود إلى خدمته و ينزل في الغزاة على شاطئ الخليج، و كانت من المناظر السلطانية، و جددها شعاع بن شاور، و لو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور، لا يمكن من نزوله إلّا بالغزاة، و تجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة، فيمثل بين يدي الخليفة بعد حمل الأسفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة، و يعرض جيع ما معه، و هو ينبه على شىء فشىء بيد فراشى الخاص في دار الخليفة مكان سكنه، و لهذا حرمة عظيمة، و لا سيما إذا وافق استعماله غرضهم. فإذا انقضى عرض ذلك بالمدرج الذى يحضر سلم لمستخدم الكسوات، و خلع عليه بين يدي الخليفة باطنا و لا يخلع على أحد كذلك سواه، ثم ينكفى إلى مكانه، و له في بعض الأوقات التي لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه بذلك غير غريب منه، و لا- يمكن أن يكون إلّا ولدا أو أخوا، فإن الرتبة عظيمة، و المطلق له من الجامكية في الشهر سبعون ديناراً، و لهذا النائب: عشرون ديناراً، لأنه يتولى عنه إذا وصل بنفسه، و يقوم إذا غاب في الاستعمال مقامه و من أدواته أنه إذا عبيء ذلك في الأسفاط: استدعى والى ذلك المكان لي شاهد عند ذلك، و يكون الناس كلهم قياماً لحلول نفس المظلة، و ما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز، و هو جالس في مرتبته، و والى واقف على رأسه خدمة لذلك، و هذا من رسوم خدمته و ميزتها.

دار الذهب: و كان بجوار الغزاة: دار الذهب، و موضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة، فيما بينه و بين باب سعادة، و كانت مطلة على الخليج في مكانها اليوم دار تعرف: ببهادر الأعسر، و بقى منها عقد بجوار دار الأعسر يعرف الآن: بقبو الذهب من خطه بين السورين.

قال ابن المأمون: لما ذكر تحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة: ثم أحضر الوزير المأمون و كيله أبا البركات محمد بن عثمان، و أمره أن يمضى إلى دارى الفلك و الذهب اللتين على شاطئ الخليج، فالدار الأولى التي من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك، و ذكر أنه من الأستاذين الحاكمية و لم تكن تعرف إلّا بدار الفلك، و لما بنى الأفضل ابن أمير الجيوش، الدار الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة، و سماها دار الذهب غلب الاسم على الدارين، و يصلح ما فسد منهما، و يضيف إليهما دار الشابورة، و ذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم إلّا لأن جزءاً منها بيع في أيام الشدة في زمن المستنصر بشابورة.

قال: و عندما قارب النيل أقاربه، تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته و إخوته و أعمامه و السيدات كرائمه، و عماته إلى اللؤلؤة، و تحوّل الأجل المأمون بالأجلاء

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠١

أولاده، إلى دار الذهب، و ما أضيف إليها.

و قال ابن عبد الظاهر: دار الذهب بناها: الأفضل بن أمير الجيوش، و كانت عادة الأفضل أن يستريح بها إذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب و كذلك كان المأمون من بعده، و كان حرس دار الذهب يسلم للوزير من باب سعادة يسلم لهم، و من باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور، و صبيان الخاص، و كان المقرّر لهم في كل يوم سماطين، أحدهما بقاعة الفلك للمماليك الخاص، و الحاشية، و أرباب الرسوم، و الآخر على باب الدار برسم المصامدة حتى أنه من اجتاز و رأى أنه يجلس معهم على السماط لا يمنع، و الضعفاء، و الصعاليك يقعدون بعدهم، و في أوّل الليل يمثل ذلك، و لكل منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء إلى الأعلى.

منظرة السكره: و كان من جملة مناظر الخلفاء، منظرة تعرف بمنظرة السكره في برّ الخليج الغربيّ يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج، و كان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز، و قد دثرت هذه المنظرة، و يشبه أن يكون موضعها في المكان الذي يقال له اليوم: المريس قريبا من قنطرة السد، و كانت السكره من جنات الدنيا المزخرقة، و فيها عدّة أماكن معدّة لتزول الوزير، و غيره من الأستاذين.

### ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله: و في ذى القعدة، يعنى من سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة، و هى السنة التي قدم فيها الخليفة المعز لدين الله إلى القاهرة من بلاد المغرب، ركب المعز لدين الله عليه السلام، لكسر خليج القنطرة، فكسر بين يديه، ثم سار على شاطئ النيل، حتى بلغ إلى بنى وائل، و مرّ على سطح الجرف في موكب عظيم و خلفه وجوه أهل الدولة، و معه أبو جعفر أحمد بن نصر يسير معه، و يعرفه بالمواضع التي يجتاز عليها، و نجعت له الرعية بالدعاء، ثم عطف على بركة الحبش، ثم على الصحراء على الخندق الذي حفره القائد جوهر، و مرّ على قبر كافور و على قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى و عرفه، ثم عاد إلى قصره. و ذكر الأمير المسبحى في تاريخه الكبير: ركوب العزيز بالله بن المعز، و ركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز، و ركوب الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم في كل سنة لفتح الخليج.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٢

و قال ابن المأمون: في سنة ست عشرة و خمسمائة، و عندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيم، و أن يضرب الثوب الكبير الأفضلى المعروف بالقاتول، و هو أعظم ما في الحاصل بأربعة دهاليز و أربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة، و مساحته على ما ذكر: ألف ذراع، و أربعمائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن القاعة الكبيرة، منه ارتفاعه: خمسون ذراعا، و لما كمل استعماله في أيام الأفضل، و نصب تأذى منه جماعة، و مات رجلان، فسمى: بالقاتول لأجل ذلك، و ما زال لا يضرب إلا بحضور المهندسين، و تنصب له أساقيل عدّة بأخشاب كثيرة، و المستخدمون يكرهون ضربه، و يرغبون في ضرب أحد الثوبين الجيوشيين، و إن كانا عظيمين، إلا أنهما لا يصلان بجملتهما إلى مقايسته، و لا مؤنته، و لا صنعته.

و أقام هذا الثوب في الاستعمال عدّة سنين مع جمع الصناع عليه، و ما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير، و أربعة الدهاليز، و بعض السرادق الذي هو سور عليه لضيق المكان الذي يضرب فيه، و كونه لا يسعه بجملته.

قال: و وصلت كسوة موسم فتح الخليج، و هى ما يختص بالخليفة، و أخيه، و بعض جهاته و الوزير.

فأما ما يختص بالخليفة خاصة: فبدلة شرحها بدنه طميم منديل سلفه: مائة و عشرون ديناراً، و أحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهابا عراقيا دمجا لوحا واحدا، و الثانى ثلاثة أذرع سلفه أربعة و عشرون ديناراً، ثوب طميم سلفه: خمسون ديناراً، و الذهب الذي فى الثوب و المنديل و الحنك ألف دينار، و خمسة دنانير، فتكون جملتها بالسلف: ألف دينار، و مائة و خمسة و سبعين ديناراً، شاشية طميم

للسلف: ديناران و سبعون قصبه ذهباً عراقياً، فتكون جملة سلفها، و قيمة ذهبها ثمانيةً ديناراً، مندبيل سلام سلفه: ديناران، و سبعون قصبه قيمته كذلك، وسط برسم المندبيل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر ديناراً و سبعون قصبه قيمه ذلك عشرون ديناراً، شقه ديبقي و سطناني حريري السلف: اثنا عشر ديناراً، غلالة ديبقي حريري السلف: عشرةً ديناراً، مندبيل كم ثان حريري: خمسةً ديناراً، حجره: أربعةً ديناراً، عرضي لفافه خاص: خمسةً ديناراً و ستة عشر مثقالاً ذهباً مصرياً، فتكون سلفه و ذهبه: خمسةً و عشرين ديناراً، عرضي ثان برسم تغطيه التخت: دينار واحد و نصف، تخت ثان ضمنه:

بدله خاص حريري برسم العود من السكره شرحها مندبيل حريري سلفه: ستون ديناراً، وسط شرب رسمه اثنا عشر ديناراً، شقه ديبقي: و عشرون ديناراً، شقه و سطناني اثنا عشر ديناراً، غلالة: خمسةً عشر ديناراً، و غلالة: عشرةً ديناراً، مندبيل سلام ديناران، مندبيل كم خمسةً ديناراً، مندبيل كم ثان أيضاً خمسةً ديناراً، شاشيه حريري ديناران، حجره أربعةً ديناراً، عرضي لفافه خمسةً ديناراً، عرضي ثان برسم لفافه التخت دينار واحد و نصف.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٣

قال: و رأيت شاهداً أن قيمة كل حله من هذه الحلل، و سلفها إذا كانت حريري ثلثمائة و ستةً ديناراً، و إذا كانت مذهبه ألف دينار، و اختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخى الخليفة و أربع جهات.

و أما ما يختص بالوزير: فبدله مذهبه شرحها مندبيل سلفه سبعون ديناراً، و خمسمائة و سبعون قصبه عراقى جملة سلفه و ذهبه: مائة و أربعة عشر ديناراً، شقه ديبقي و كم السلف ستة عشر ديناراً و ثمانيةً و عشرون مثقالاً ذهباً عالياً تكون جملة ذلك خمسين ديناراً، تصف شقه ديبقي و سطناني اثنا عشر ديناراً و نصف، شقه و سطناني برسم العود ثلاثةً ديناراً، غلالة ديبقي سبعةً ديناراً و نصف، شقه برسم الغلالة ديناران و نصف، مندبيل كم سبعةً ديناراً و اثنا عشر مثقالاً ذهباً، تكون قيمته تسعةً عشر ديناراً، حجره ثلاثةً ديناراً، عرضي أربعةً ديناراً و أحد عشر مثقالاً تكون سلفه و ذهبه سبعةً عشر ديناراً.

ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير، و ما يكون برسم صبيان الحمام، و ما يفصل برسم المماليك الخاص: صبيان الرايات، و الرماح خمسمائة، شقه سقلاطون دارى تكون قيمتها: سبعمائة و خمسين، قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء، و يفرق جميع ذلك.

قال: و لم يكن لأحد من الأصحاب، و الحواشى و غيرهم فى هذا الموسم شىء فيذكر، بل لهم من الهبات العين و الرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتى ذكره فى موضعه، و فى صبيحه هذا الموسم خلع على ابن أبى الرداد، و على رؤساء المراكب، و غيرهم، و حمل إلى المقياس برسم المبيت، و ركوب الخليفة بتجمله، و مواكبه إلى السكره ما فصله، و بينه مما يطول ذكره.

و قال: فى سنة سبع عشرةً و خمسمائة، و لما جرى النيل، و بلغ خمسةً عشر ذراعاً، أمر بإخراج الخيام و المضارب الديبقي، و الديباج و تحوّل الخليفة إلى اللؤلؤة بحاشيته، و تحوّل المأمون إلى دار الذهب، و وصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز و إن كانت يسيرة العدة فهى كثيرة القيمة، و لم تكن للعموم من الحاشية، و المستخدممين بل للخليفة خاصةً، و إخوته و أربع من خواص جهاته، و الوزير و أولاده، و ابن أبى الرداد، فلما وفى النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة، و الوزير إلى الصناعة بمصر العشرية بين أيديهما، ثم عدّيا فى إحداها إلى المقياس، و صلياً و نزل الثقة صدقةً بن أبى الرداد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٤

منزلته، و خلق العمود، و دعا الخليفة على فوره، و ركب البحر فى العشارى الفضى، و الوزير صحبته، و الرهجية تخدم برّاً و بحراً، و العساكر طول البرّ قبالتة إلى أن وصل إلى المقس، و رتب الموكب، و قدم العشارى بالخليفة الأمر بأحكام الله، و الوزير المأمون، و سار الموكب، و الرهجية تخدم، و الصدقات، و الرسوم تفرّق، و دخل من باب القنطرة، و قصد باب العيد، و اعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير، و ترجمه فى ركابه إلى أن دخل من باب العيد إلى قصره، و تقدّم بالخلع على ابن أبى الرداد: بدله مذهبه، و ثوب

ديبقي حريرى، و طيلسان مقور، و بياض مذهب، و شقة سقلاطون، و شقة تحتاني، و شقة خز، و شقة ديبقي، و أربعة أكياس دراهم، و نشرت قدامه الأعلام الخاص الديبقي المحاومة بالألوان المختلفة التي لا ترى إلّا قدامه لأنها من جملة تجمل الخليفة، و أطلق له برسم المبيت من البخور و الشموع، و الأغنام، و الحلوات كثير.

قال: و هيئت المقصورة في منظره السكره برسم راحة الخليفة، و تغيير ثيابه و قد وقعت المبالغة في تعليقها، و فرشها و تعبيتها، و قدّم بين يديه الصواني الذهب التي وقع التناهي فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية، و الوحشية من الفيلة، و الزرافات، و نحوها المعمولة من الذهب و الفضة و العنبر و المرسين المشدود و المظفور عليها المكمل باللؤلؤ، و الياقوت و الزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة. جميعها عنبر معجون كخلفه الفيل، و ناباه فضة، و عيناه جوهرتان كبيرتان في كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده و عليه سرير منجور من عود بمتكات فضة و ذهب، و عليه عدّة من الرجال ركبان، و عليهم اللبوس تشبه الزرديات و على رؤوسهم الخود، و بأيديهم السيوف المجردة، و الدرق و جميع ذلك فضة، ثم صور السباع منجورة من عود، و عيناه ياقوتتان حمران، و هو على فريسته، و بقيه الوحوش، و أصناف تشدّ من المرسين المكمل باللؤلؤ شبه الفاكهة.

قال: و من جملة ما وقع الاهتمام به في هذا الموسم ما صار يستعمل في الطراز، و إن لم يتقدّم نظيره للولائم التي تتخذ برسم تغطية الصواني عدّة من عراضى ديبقي، ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصواني مفتوح كل قوارة منهّن دون أربعة أشبار سلف كل واحدة منهّن خمسة عشر ديناراً، و رقم في كل منهّن سجع ذهب عراقى ثمنه: من أربعين إلى ثلاثين ديناراً، تكون الواحدة بخمسين ديناراً، و يستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات الإسكندراني التي تشدّ على الموائد التي تحمل من عند كل جهة قوارات ديبقي مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى، مفتوح كل قوارة أربعة أذرع يكون الثمن عن كل واحدة: أربعين ديناراً، و لقد بيعت عدّة من القوارات الشرب، فسارع التجار

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٥

العراقيون إلى شرائها، و نهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهّن: ستة عشر ديناراً، و سافروا بها إلى البلاد، فلم يبع لهم منها سوى اثنتين، و عادوا بالبقية إلى الديار المصرية في سنه ست و ثمانين و خمسمائة و حفظوا منهّن شيئاً عن السوق، فلم يحفظ لهم رأس مالهنّ. قال: و كان ما تقدّم من الزبادة في الطيافير من الصينى إلى آخر أيام الأفضل بن أمير الجيوش، و أيام المأمون، و إنما استجدت الأواني الذهب في أواخر الأيام الآمرية و الذى يعبى بين يديه الخليفة قوائميه ضمنها: عدّة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الأطباق الحارة، و ليس في المواسم مائدة بغير سباط للأمرء، و يجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم، و إن كان يجرى مجرى الأعياد، و له البخور مطلق مثلها، و ينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون و المستخدمون، و عند كمال تعبيتها، و بخورها جلس الخليفة عليها عن يمينه: وزيره، و عن يساره: أخوه، و من شرف بحضوره، و فى آخرها فزق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة.

و قال: فى سنة ثمان عشرة و خمسمائة، و وصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج و هى برسم الخليفة، تختان ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها، و ثوبها طميم برسم المضى، و الأخرى جميعها حريرى برسم العود، و كذلك ما يخص إخوته و جهاته: بدلتان مذهبتان، و أربع حلل مذهبة، و برسم الوزير بدله موكبية مذهبة فى تخت، و برسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة، و برسم جهته حله مذهبة فى تخت، و هؤلاء المميزون لكل منهم تخت، و بقيه ما يخص المستخدمين و ابن أبى الرّداد فى تخت كل تخت فيه: عدّة بدلات، و حضر متولى الدفتر و استأذن على ما يحمل، برسم الخليفة، و ما يفرّق، و ما يفصل برسم الخلع، و ما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل، و هو ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء: خمسمائة، و شقتان سقلاطون دارى و برسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطى و المناديل السوسى، و الفوط الحرير الأحمر، و برسم النواتية التي برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندراني، و الكلوات فوقه يانفاق جميع ذلك، و تفصيل ما يجب منه، ثم ابتيع ذلك بمطالعة ثانية برسم ما هو مستمرّ العموم من النقد العين و الورق للموسم المذكورة، و هو من العين: أربعة آلاف و خمسمائة دينار و من الورق: خمسة عشر ألف درهم، فوقع بإطلاق ذلك.



و ذكر تفصيل الكسوات و الهبات بأسماء أربابها و حضر متولى المائدة الأمريكية بمطالعة يستدعى ما جرت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان، و الضأن، و البقر، و غير ذلك من الأصناف برسم التفرقة، و الأسمطة، و حضر متولى دار التعيبة يستدعى ما يتتبع به الثمرة و الزهرة، و هيئة المتعينين لتعيبة السكره لأجل حلول الركاب بها، و مقامه فيها، و تعبيبة جميع مقاصيرها التى برسم الأستاذين، و الأصحاب، و الحواشى، و هو: مائة دينار، فوقع

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٦

بإطلاقها، و فى العاشر من الشهر المذكور يعنى شهر رجب، و فى النيل: ستة عشر ذراعا، فتوجه المأمون إلى صناعة العمائر بمصر، و رميت العشاريات بين يديه و قد حدت و زينت جميعها بالستور الديقى الملونة، و الكوامخ، و الأهله الذهب و الفضة، و شمل الإنعام أرباب الرسوم على عادتهم، و عدى فى إحدى العشاريات إلى المقياس، و خلقت العمود بما جرت به عادتهم من الطيب و فرقت رسوم الإطلاق، و انكفا إلى دار الذهب، و أمر بإطلاق ما يخص المبيت فى المقياس بجميع الشهود و المتصدرين، و هى العشرات من الخبز: عشرة قناطير، و عشرة خراف شوى، و عشر جامات حلوى، و عشر شمعات و أول من يحضر المبيت: الشريف الخطيب سيد المقرين، و إمام المتصدرين، و له و للجماعة من الدراهم التى تفرقت أوفى نصيب.

قال: و خرج الخليفة بزي الخلافة، و وقارها و ناموسها بالثياب الطميم التى تذهل الأبصار و المنديل بالشدة العربية التى ينفرد بلباسها فى الأعياد، و المواسم خاصة لا- على الدوام، و كانت تسمى عندهم: شدة الوقار مرصعة بغالى الياقوت و الزمرذ و الجواهر، و عند لباسها تخفق لها الأعلام، و يتجنب الكلام، و يهاب و لا يكون سلام قريب منه، و خليل غير الوزير إلا بتقبيل الأرض من بعيد من غير دنو، ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه، و رمحه المرصعين بأفخر ما يكون ثم المذاب التى كل منها عمودها ذهب، و ينفرد بحملها الصقالبة، و يمشى بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له، و كل من الصفين يتناهى فى مواصلة تقبيل الأرض إلى أن وصل إلى مجلس خلافته، و صعد على الكرسى المغشى بالدباج المنسوب رسم ركوبه، و قد صفت الرواض، و أزمنة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزال الأغشية الحرير، و الشقق الديقى المذهبة عن السروج، و بقيت كما وصفها الله تعالى فى كتابه، فقدم إليه ما وقع اختياره عليه، و أمر بأن يجنب البقية فى الموكب بين يديه.

و لما علا- ما قدم إليه استفتح مقرئو الحضرة، و تسلم جميع مقدمى الركاب ركابه، و الرواض الشكيمة، و زال حكم الأستاذين المستخدمين فى الركاب، و عادت الموالى و الأقارب إلى محالهم، و استدعى بالوزير بجميع نعوته فواصل تقبيل الأرض إلى أن قبل ركابه، و شرفه بتقبيل يده بحكم خلوها من قضيب الملك فى هذه المواسم، و لما أدى ما يجب من فرض السلام، أخذ السيف من الأمير افتخار الدولة أحد الأمراء الأستاذين المميزين المحنكين متولى خزانه الكسوة الخاص، و سلمه بعد أن قبله لأخيه الذى يتولى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عذبتة تشريفا له مدة حمله خاصة، و ترفع بعد ذلك، و شد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٧

وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا و تعظيما لما معه، و سلم الرمح و الدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب.

و لم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاء، و لا منطقة، و استدعى ركوب الوزير و أولاده من عند باب قاعة الذهب، و خرج الخليفة من القاعة المذكورة إلى أول دهلز، فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة و الميسرة، و صبيان وراء صبيان الرسائل، و صبيان السلام كل منهم فى الخدمة المعينة لا- يخرج عنها لسواها، و جميعهم بالمناديل الشروب المعلمة، و بأوساطهم العراض الديقى المقصورة، و ليس الجميع عبيدا بشراء و لا سودان، بل مولدة، و أولاد أعيان، و أهل فهم و لسان، ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زيهم بل بالقنايز المفرجة، و المناديل السوسى، و هم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لا يكون إلا فى موكبه خاصة على الاستمرار من الصوارى، و الفرنجيات و الدبابيس، و اللتوت، و الصمامم بالدرق الصينى، و اليمنى بالكوامخ الفضة، و الذهب، و يحصل الاستدعاء من صبيان السلام فى مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم فى الموكب ركوبه من محل حجبتة،



إلى أن خرج الخليفة من باب الذهب، و قد ضربت الغريبة، و أبواق السلام و اجتمع الرهج من كل مكان، و نشرت المظلة، فاجتمع إليها الزويلية بالعدد الغريبة، و ظلل بها، و سارت بسيره، و القرآن الكريم عن يمينه و يساره، و الحجرية الصبيان المنشدون، و اجتمع الموكب بجملته على ما ذكر أولاً، و الترتيب أمامه لمتولى الباب و حجابها، و تلوه لمتولى الستر، و كل منهم على حكم المدارج التي وصلت إليه لا- سبيل إلى الخروج عما رسم فيها، و سار بجملته موكبه على ترتيب أوضاعه، بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها، و راجلها كل طائفة يقدمها زمامها، و قد ازدحموا في المصنفات بالعدد المذهبة الحربية، و الآلات المانعة المضيئة و ليس بينهم طريق لسالك، و قد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوانيتها، و آدرها، و جميع مساكنها، و أبواب حاراتها، بأنواع من الستور، و الديباج و الديقى على اختلاف أجناسها، ثم بأصناف السلاح و ملأت النظارة الفجاج و البطاح، و الوها و الربا، و الصدقات، و الرسوم تعم أهل الجانبين من أرباب الجوامع و المساجد، و بوابى الأبواب، و السقائين، و الفقراء، و المساكين في طول الطريق إلى أن أظل على الخيام المنصوبة. فوقف بموكبه، و استدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه، فاجتاز راكبا بمفرده، و جمع حاشيته بسلاحهم رجاله في ركابه بعد أن بالغ في الإيماء بتقبيل الأرض أمامه، فردّ عليه بكلمة السلام.

و عاد الخليفة في سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه، و ترجل جميع من شرف بحجته في ركابه، و آخرهم متولى حمل سيفه، و رمحه و صبيان السلام يستدعون كل منهم إلى تقبيل الأرض بجميع نعوته إكبارا له، و تميزا و احتاطوا بركابه، و وصل إلى المضارب في الحرس الشديد على أبوابها، و سرادقاتها من كل جانب، و قد تبين و جاهة من حصل بها،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٨

و مكن من الدخول إليها، و ترجل الوزير في الدهليز الثالث من دهاليزها، و تقدّم إلى الخليفة، و أخذ شكيمه الفرس من يد الرواض، و شق به الخيام التي جمعت جمع الصور الآدمية و الوحشية، و قد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية و الأندلسية إلى أن وصل إلى القاعة الكبرى فيها، و ترجل على سرير خلافته، و جلس في محل عظمتها، و أجلس وزيره على الكرسي الذي أعد له، و احتاط به المستخدمون من جملة السلاح المنتصب جميعه، و حجبا العيون عن النظر إليه وصف بين يديه الأمراء و الضيوف، و المشرفون بحجته، و ختم المقرئون القرآن العظيم، و قدّم عدى الملك النائب: شعراء المجلس على طبقاتهم، و عند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون، و الرواض مقدمه ما أمروا به من الدواب، فعلاه الخليفة و الوزير يمسك الشكيمه بيده، و انتظم موكبا عظيما و القراء عوض الرهجية، و الجماعة في ركابه رجاله على حكم ما كانوا عليه أولاً، و صعد من القاعة التي في دهاليز الباب القبلى منها، فخرج منه، و انفصلت خدمة جميع الأمراء و الضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الأرض.

و صعد الخليفة و وزيره، و أولاده و إخوته و الأصحاب و الحواشى إلى السكره، و هى من جنات الدنيا المزخرفة، و تلقاه أخوه بعظمة سلامه، و تقبيل الأرض بين يديه، و جلس لوقته، و فتحت الطاقات التي في المنظره، و عن يمينه وزيره، و عن يساره أخوه جالسان، و اعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الأرض له، و إدامه النظر نحوه، و المستخدمون جميعهم على السدّ مشدودى الأوساط واقفين عليه.

فلما أمرهم الوزير أن يكسروه: قبلوا الأرض جميعا، و انصرفوا عنه، و تولته الفعلة في البساتين السلطانية بالفتح من الحانيين، و القرآن و التكبير من الجانب الغربى، حيث الخليفة و الرهج و اللعب من الجانب الشرقى، و لما كمل فتحه: انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير، و الجميع مزينة بالذهب و الفضة، و الستور المرقومه، و رؤسائهم و خدامهم بالكسوات الجميلة، و بعد ذلك غلقت الطاقات، و حلّ الخليفة بالمقصورة التي لراحته، و كذلك الوزير، و أولاده و إخوته، و جميع الأمراء الأستاذين، و الأصحاب و الحواشى و استدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى، و خلع عليه بدله مندلبها و ثوبها مذهبان، و ثوبان عتابى و سقلاطون، و قبل الأرض من تحت المنظره، و عدى في البحر إلى حفظ مكانه.

ثم استدعى بعده حامى البساتين و مشارفها، فخلع عليهما بدلتين حريرى و ثوبين سقلاطون، و عتابى، ثم متولى ديوان العمائر كذلك،

ثم مقدّمى الرؤساء كذلك، و اعتمد كل من سلم إليه الإثباتات المشتملة على أصناف الأنعام من العين و الورق، و صوانى الفطرة و الموائد التى بهتّم بها جميع الجهات، و الخراف المشوية، و الجامات الحلواء، تفرقة ذلك

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٠٩

على ما رسم، و هو شامل غير مخصص من أخى الخليفة، و الوزير إلى الأصحاب و الحواشى من أرباب السيوف و الأقلام، ثم الأمراء المستخدمين و الضيوف المميزين من الأجناد، و غيرهم من الأدوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة، و أرباب اللعب و غيرهم، و عبيت الأسمطة فى المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربى، من الخيام.

و أمر الوزير أخاه: بالمضى إليها و الجلوس عليها، فتوجه و بين يديه متولى حجة الباب، و نوابه و المعروفة، و الحجاب و استدعت الأمراء و الضيوف بالسقاة من خيامهم، و أجلس كل منهم على السماط فى موضعه على عادتهم، و تلاهم العساكر على طبقاتهم، و لم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته. و لما انقضى حكم الأسمطة المختصة بالأمراء الكبار، عاد أخو الوزير إلى حيث مقرّ الخلافة، و بقى متولى الباب جالسا لأسمطة العبيد، و جميع المستخدمين من الراجل و السودان، و عبيت المائدة الخاص بالسكره التى ما يحضرها إلا العوالى الخاص المستخدمين فى الخدم الكبار، و يجمع له حالتان حضوره فى أشرف مقام. و جلوسه فى محل يحصل له به حرمة، و ذمام.

و جلس الخليفة عليها، و أخوه على شماله، و وزيره على يمينه بعد أن أدّى كل منهما ما يجب من سلامه و تعظيمه، و حضر أولاد الوزير، و إخوته و الشيخ أبو الحسن: كاتب الدست، و ابنه سالم، و من الأستاذين المحنكين أرباب الخدم، و جرى الحال فى المائدة الشريفة على ما هو مألوف، و فرّق من جملتها لكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها، ما هو لكل منهم على سبيل الشرف، و تميز فى ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضى و شهوده، و الداعى و ابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم فى قاعة الخيمة الكبرى، أمام سرير الخلافة المنسوب مدّة النهار، مع ما يحمل إليهم من الموائد، و غيرها مما هو بأسمائهم فى الإثباتات المذكور و لما تكامل وضع المائدة، و انقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الأرض، و انصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف و البركة.

و يقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة فى وقتها، و لا بدّ من راحة بعدها و حضر مقدّما الركاب، و حاسبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة الرسوم، و الصدقات فى مسافة الطريق فكمّل لهما على ما بقى معهما مثل ما كان أوّلا، و لما استحق العود عاد كل من المستخدمين إلى شغلته من ترتيب الموكب، و مصفات العساكر، و ترتيب من يشرف بالحضرة من الأمراء و الضيوف، و فرّقت الصوانى الخاص التى تكون بين يدى الخليفة مدّة النهار، الجامعة للثروة من كل جهة و الزينة من كل معنى، و الغرابه من كل صنّف، و قد جمعت ملاذ جميع الحواس، و العدة منها يسيرة، و ليس ذلك لتقصير من هم الجهات التى تتنوع فيها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٠

بالغرائب بل للتعب الشديد عليها، ثم لضيق الزمان، لأنّ كلا منها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة و ثمرة، و طول المكث كذلك يتلف ما فيها، و إذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة، و الوزير لم يكن له غير صينية واحدة، و أخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته، و غير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب، و هو بدله حريرى، بشدة الوقار، و علم الجوهر، و سير إلى الوزير صحبة مقدّم خزانه الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الأستاذين من جملة بدلات الجمع التى يتوجه منها إلى زيه، ما يؤمر به من السعى إليه بدله مكمله حريرى و منديلها بياض بالشدة الدانية غير العريية.

و لما لبس ما سير إليه و حضر بين يديه لشكر نعمته، أمره بركوب أخيه فى إحدى العشريات، فامثل أمره، و توجه صحبته من السكره بجميع خواصه و حواشيه، و فتح لهم الباب الذى هو منها بشاطئ الخليج، و قدّم له إحدى العشاريات الموكبية، و فيها مقدّم رياسة البحرية، فركب فيها بجمعه، و الوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمة له إلى أن انحدرت العشاريات جميعها قدّامه، و مراكب

اللعب بغير أحد من أرباب الرهج، و المستخدمون في البرّين يمنعون من يقاربه، و المتفرّجون لا يصدّهم و يرّدّهم ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب، و يسيرون بسيره.

و عاد الوزير إلى السكره، فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التي برسم ركوبه، أمره بما وقع عليه اختياره منها، و علاه فاحتاط بركابه، مقدّموا الركاب و استفتح القراء و خرج من باب السكره و دخل من باب الخليفة القبليّ و شق قاعتها على سرير مملكته و خص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالي، و القاضي و الداعي، و من معهما، و لهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم، و خرج منها إلى البستان المعروف. بنزار، و سار في ميدانه، و جميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج أصولها مفترقه، و فروعها مجتمعته، و ظلت الطريق، و عليها من الثمرة التي أخرجها من وقته إلى هذا اليوم و قد خرجت بهجتها عن المعتاد، و حصل عليها ثمرة سنتين إحداهما انتهت، و الأخرى في الابتداء، و هو بهيئته و زيه و ترتيب عساكره و أمرائه، و خرج من الباب بعد أن عمّ من له رسم بإنعامه، و عاد الرهج و الموكب على ما كان عليه. فلما وصل إلى السدّ الذي على بركة الحبش كسر بين يديه.

و قال في كتاب الذخائر: إن مما أخرج من القصر في سنة إحدى و ستين و أربعمائه في خلافة المستنصر قبة العشاريّ و قاربه، و كسوة رحله، و هو مما استعمله الوزير أحمد بن عليّ الجرجراي في سنة ست و ثلاثين و أربعمائه، و كان فيه مائة ألف و سبعة و ستون ألفاً و سبعمائة درهم فضة نقرة، و إن المطلق لصناع الصاغة عن أجره ذلك، و في ثمن لطلائه خاصة، ألفان و سبعمائة دينار، و عمل أبو سهل التستريّ لوالده المستنصر عشاريا يعرف بالفضيّ و حلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف و ثلاثون ألف درهم، و لزم ذلك أجره الصناعة، و لطلاع

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١١

بعضه: ألفان و أربعمائة دينار، و استعمل كسوة برسمه بمال جليل، و أنفق على العشاريات التي برسم النزه البحريّة التي عدّتها ستة و ثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها، و كساها و حلاها من مناطق، و رؤوس منجوقات، و أهله و صفرات، و غير ذلك: أربعمائة ألف دينار.

و قال ابن الطوير: إذا أذن الله سبحانه و تعالى بزيادة النيل المبارك: طالع ابن أبي الرّداد بما استقرّ عليه أذرع القاع في اليوم الخامس و العشرين من بؤونة، و أرخه بما يوافق من أيام الشهور العربيّ، فعلم ذلك من مطالعته و أخرجت إلى ديوان المكاتب، فنزلت في السير المرتب بأصل القاع، و الزيادة بعد ذلك في كل يوم، تؤرخ بيومه من الشهر العربيّ، ما وافقه من أيام الشهر القبطيّ لا يزال كذلك، و هو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة، و بعده الوزير، فإذا انتهى في ذراع الوفاء، و هو السادس عشر إلى أن يبقى منه أصبع أو أصبعان و علم ذلك من مطالعته.

أمر أن يحمل إلى المقياس في تلك الليلة من المطابخ: عشرة قناطير من الخبز السميد و عشرة من الخراف المشوية، و عشرة من الجامات الحلواء، و عشر شمعات، و يؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس فيحضر إليه قراء الحضرة، و المتصدّرون بالجوامع بالقاهرة و مصر، و من يجرى مجراهم، فيستعملون ذلك و يقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة، و هم يتلون القرآن برفق، و يطربون بمكان التطريب، فيختمون الختم الشريفة و يكون هذا الاجتماع في جامع المقياس، فيوفى الماء ستة عشر ذراعاً في تلك الليلة، و لوفاء النيل عندهم قدر عظيم، و يتتهجون به ابتهاجا زائداً، و ذلك لأنه عمارة الديار، و به التمام الخلق على فضل الله، فيحسن عند الخليفة موقعه، و يهتم بأمره اهتماماً عظيماً أكثر من كل المواسم، فإذا أصبح الصبح من هذا اليوم، و حضرت مطالعة ابن أبي الرّداد إليه بالوفاء، ركب إلى المقياس لتخليقه، فيستدعي الوزير على العادة، فيحضر إلى القصر، فيركب الخليفة بزّي أيام الركوب من غير مظلة، و لا ما يجرى مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب، و الوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب الموكب، و يخرج شاقاً من باب زويلة، و سالكا الشارع إلى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم: بسيف الإسلام، فيعطف سالكا على جامع ابن طولون، و الجسر الأعظم بين الركنين إلى الساحل بمصر إلى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقيّ على دار الفاضل إلى باب الصاغة بجوارها، و له دهليز

ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا و تأزيرا، فيشقها و الوزير تابعه، فيخرج منها منعظا على الصناعة الأخرى، و كانت برسم المكس إلى السيوفيين، ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة، ثم إلى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه، فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٢

ماشيا إلى المكان المعد له، و يكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشارى الخاص، و هو بيت مثن من عاج و أبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع، و طوله قامه رجل تام، فيجمع بين الأجزاء الثمانية، فيصير بيتا دوره أربعة و عشرون ذراعا و عليه قبة من خشب محكم الصناعة، و هو بقبته ملبس بصفائح الفضة، و الذهب، فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص و يركبه على العشارى المختص بالخليفة، و يجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة على الباب الذى يخرج منه للركوب إلى المقياس.

فإذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التي يخرج من بابها إلى العشارى، و أسند إليه استدعى الوزير من مكانه، فيحضر إليه و يخرج بين يديه إلى أن يركب فى العشارى، فيدخل البيت المذهب وحده، و معه من الأستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطلع فى العشارى خواص الخليفة خاصة و رسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه، و ليس فى العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا، و الوزير ظاهرا فى رواق من باب البيت الذى هو بعرائيس من الجانبين قائمه مخروطة من أخف الخشب، و هى مدهونه مذهبه و عليها من جانبيها ستور معموله برسمها على قدرها.

فإذا اجتمع فى العشارى من جرت عاداته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالى على الدرج التي يعلوها النيل، فيدخل الوزير، و معه الأستاذون بين يدى الخليفة إلى الفسقية، فيصلى هو و الوزير ركعات كل واحد بمفرده، فإذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التي فيها الزعفران و المسك، فيديفها بيده بآله، و يتناولها صاحب بيت المال، فيناولها لابن أبى الرداد، فيلقى نفسه فى الفسقية، و عليه غلالته، و عمامته، و العمود قريب من درج الفسقية، فيتعلق فيه برجليه، و يده اليسرى، و يخلقه بيده اليمنى، و قرآء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن نوبه نوبه، ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارى المذكور، و هو بالخيار إما أن يعود إلى دار الملك، و يركب منها عائدا إلى القاهرة، أو ينحدر فى العشارى إلى المقس فيتبعه الموكب إلى القاهرة، و يكون فى البحر فى ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونه بالعالم، فرحا بوفاء النيل، و بنظر الخليفة.

فإذا استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج، و فيه هممة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك، ثم يصير ابن أبى الرداد باكر ثانى ذلك اليوم إلى القصر بالإيوان الكبير الذى فى الشباك إلى باب الملك بجواره، فيجد خلعة معبأه هناك، فيؤمر بلبسها و يخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من أوله قصدا لإشاعة ذلك، فإن ذلك من علامة وفاء النيل، و لأهل البلاد إلى ذلك تطلع، و تكون خلعة مذهبه، و كان من العدول المحنكين، فيشرف فى الخلعة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٣

بالطيلسان المقور، و يندب له من التغييرات، و لمن يريده خمس تغييرات مركبات بالحلى، و يحمل أمامه على أربع بغال مع أربعة من مستخدمى بيت المال، أربعة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة فى أكفهم و بصحبته أقاربه، و بنو عمه و أصدقائه، و يندب له الطبل و البوق، و يكتنف به عدده كثيرة من المتصرفين الرجاله، فيخرج من باب العيد، و يركب إحدى التغييرات، و هى أميزها، و شرف أمامه بجملين من النقارات التي قدمنها ذكرها يعنى فى ركوب أول العام من زى الموكب، فيسير شاقا القاهرة، و الأبواق تضرب أمامه كبارا و صغارا، و البطل وراءه مثل الأمراء، و ينزل على كل باب يدخل منه الخليفة، و يخرج من باب القصر فيقبله و يركب.

و هكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير، و صغير من الأمراء المطوقين إلى من دونهم سيفاً و قلما، و يخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الأعظم إلى مسجد عبد الله إلى دار الأنماط، جائزا على الجامع إلى شاطيء البحر، فيعدى إلى المقياس بخلعه، و أكياسه، و هذه الأكياس معدة لأرباب الرسوم عليه فى خلعه و لنفسه، و لبنى عمه بتقرير من أول الزمان، فإذا انقضى هذا الشأن، شرع فى

الركوب إلى فتح الخليج ثانی يوم، و قد كان وقع الاهتمام به، منذ دخلت زیادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظیما، فیعمل فی بیت المال من التماثل شكل الوحوش من الغزلان، و السباع، و الفیلة، و الزرافات: عدّة وافرّة، منها ما هو ملبس بالعنبر، و منها ما هو ملبس بالصندل، ثم شكل التفاح، و الأترج اللطیف، و الوحوش مفسرة الأعین و الأعضاء بالذهب إلى غیر ذلك.

ثم تخرج الخیمة التي یقال لها القاتول لأنّ فرّاشا سقط من أعلى عمودها فمات، فسمیت بلك، و طوله سبعون ذراعا، و أعلاه صفیئة فضة تسع راویة ماء، و علیه الفلكة التي كانت فی الإیوان إلى قریب الوقت، ثم یعمل فی أوّل العمود شقّة دائرة، ثم أوسع منها، و یتوالی ذلك إلى إحدى عشرة شقّة، فتصیر سعة الخیمة، ما یزید علی فدّانین مستدیرة، و تنصب فی برّ الخلیج الغربی علی حافته مكان بستان الحلیّ الیوم، و كانت تمّ منظره یقال لها السكره برسم جلوس الخلیفة لفتح الخلیج فی مثل هذا الیوم، و ینصب أرباب الرتب من الأمراء من بحرّی تلك لخیمة الكبری خیاما كثيرة، و یتمایزون فیها علی قدر هممهم و ضربهم إیها فی الأماكن الأقرب فالأقرب علی قدر رتبهم، فإذا تمّ ذلك و عزم الخلیفة علی الركوب ثالث یوم التخلیق أو رابعه أخرج كل من المستخدمین فی المواضع المقدم ذكرها فی ركوب أوّل العام: آلات الموكب علی عادته، و یزاد فیہ إخراج أربعین بوقا عشرة من الذهب،

المواعظ و الإعتبار بذکر الخطط و الآثار، بیروت، ج ٢، ص: ٤١٤

و ثلاثون من الفضة، و یكون بواقوها ركباناً، و أرباب الأبواق النحاس مشاة، و من الطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة. فإذا حضر الوزير إلى باب القصر، خرج الخلیفة فی هیئة عظیمة، و همّة عالیة، و قد تضاعفت هم الأجناد فی ذلك الیوم فارسها و راجلها، و یرجى زی الخلیفة من المظلة، و السیف و الرمح و الألویة، و الدوابة، و غیر ذلك من الأستاذین المحنکین، و یركب فی ذلك الیوم من الأقارب المقیمین بالقصر: عشرون أو ثلاثون، و هم بالنوبة فی كل سنة فیتقدّمون إلى المنظره فی مكان لهم صحبة أستاذین لخدمتهم، و حفظهم، و یكون قد لف عمود الخیمة الكبری المشار إليها إما بدیاج أبيض، أو أحمر، أو أصفر من أعلاه إلى أسفله، و ینصب مسندا إليه سریر الملك، و یغشى بقرقوبی و عرانيسه ذهب ظاهرة.

فیخرج الخلیفة للركوب، و یركب فیخرج من باب القصر، و علیه ثوب یقال له: البدنة و هو كله ذهب و حریر مرقوم، و المظلة من شكله، و لا یلبس هذا الثوب فی غیر هذا الیوم، و یسیر بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطریق التي ركب منها لتخلیق المقیاس، إلا أنه لا یدخل طرق مصر من الخشابین، بل خارجها من طریق الساحل، فإذا جاز علی جامع ابن طولون، وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشاری النحاس جبل طویل قوی، موضوع آخره فی الطریق، و فیہ قوم یقال لهم: التختباریة واحد فی زی فارس علی شكل فرس و فی یده رمح، و بكتفه درقة، فینحدر علی بكرة، و فی رجليه آخر ممسكها، و هو یتقلب فی الهواء بطنا و ظهرا، حتی یصل إلى الأرض، و یكون قاضی القضاء، و أعیان الشهود جلوسا فی باب الجامع من هذه الجهة، فإذا وازاهم الخلیفة و كانوا قد ركبوا، وقف لهم وقفه، فیسلم علی القاضی، ثم یدخل، فیقبل الرجل التي من جانبه لا غیر، و یدخل بالشهود فی الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قسبة المساحة، فیسلم علیهم و یرجعون إلى دوابهم، فیركبون، و یكون قد نصب لهم بالقرب من الخیمة الكبری: خیمتان، إحداهما دیاج أحمر، و الأخری دیقی أبيض بصفاری فضة لكل واحدة فیتم الخلیفة بهیئته إلى أن یدخل من باب الخیمة، و یكون الوزير قد تقدّمه علی العادة لیخدمه، فیجده راجلا علی باب الخیمة، فیمشی بین یدیہ إلى سریر الملك، فینزل و یجلس علی المرتبة المنصوبة فیہ، و یحیط به الأستاذون المحنکون و الأمراء المطوّقون بعدهم، و یوضع للوزير الكرسيّ الجاری به عادته، فیجلس علیہ، و رجلاه تحك الأرض و یقف أرباب الرتب صافین من ناحية سریر الملك إلى ناحية الخیمة، و القرّاء یقرءون القرآن ساعة زمانیة، فإذا ختموا قراءتهم، استأذن صاحب الباب علی حضور الشعراء للخدمة بما یطلق هذا الیوم، فیؤمر بتقدیمهم واحدا بعد واحد، و لهم منازل علی مقدار أقدارهم، فالواحد یتقدّم الواحد بخطوة فی الإنشاد، و هو أمر معروف عند مستخدم یقال له النائب، و تقدّم شاعر یقال له ابن جبر، و أنشأ قصیده منها:

فتح الخلیج فسال منه الماء و علت علیه الرایة البيضاء



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٥ فصفت مواردنا فكأنه كفى الإمام فعرّفها الإعطاء فانقدت الناس عليه فى قوله، فسأل منه الماء، و قالوا: أى شىء يخرج من البحر غير الماء، فضيغ ما قاله بعد هذا المطلع، و تقدّم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير، و أنشد:

ما زال هذا السدّ ينظر فتحه إذن الخليفة بالنوال المرسل  
حتى إذا برز الإمام بوجهه وسطا عليه كل حامل معول  
فجرى كأن قد ديف فيه عنبر يعلوه كافور بطيب المندل

فانقدوا عليه أيضا قوله فى البيت الثانى، و قالوا: أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه، و إن كان قصد فتح السدّ بالمعاول، لكنه ما نظمته إلا قلقا، ثم تقدّم له شاعر شاهد يقال له: كافى الدولة أبو العباس أحمد، و أنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضى الأثير بن سنان، فإنه عملها بحضوره بديها:

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد للنيل أم لك يا ابن بنت محمد  
أم لا اجتماعكما معا فى موطن وافيتما فيه لأصدق موعد  
ليس اجتماع الخلق إلّا للذى حاز الفضيلة منكما فى المولد  
شكروا لكلّ منكما لوفائه بالسعى لكن ميلهم للأجود  
و لمن ذا اعتمد الوفاء ففعله بالقصد ليس له كمن لم يقصد  
هذا يفى و يعود ينقص تاره و تسدّ أنت النقص إن لم يردد  
و قواه إن بلغ النهاية قصرت و إذا بلغت إلى النهاية تبتدى  
فالآن قد ضاقت مسالكك سعيه بالسدّ فهو به بحال مقيد  
فإذا أردت صلاحه فافتح ليرى جنابا مخصبا و ترى ندى  
و أمر بفصد العرق منه فما شكاجسم فصيح الجسم إن لم يقصد  
و اسلم إلى أمثال يومك هذافى عيش مغبوط و عز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين ديناراً، و خلع عليه، و زيد فى جاريه، ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا، و الوزير بين يديه حتى يطالع على المنظرة المعروفة بالسكرة، و قد فرشت بالفرش المعدة لها، فيجلس فيها، و يتهاى أيضا للوزير مكان يجلس فيه، و يحيط بالسدّ حامى البساتين و مشارفها لأنه من حقوق خدمتهما، فتفتح إحدى طاقات المنظرة، و يطل منها الخليفة على الخليج، و طاقة تقاربها يتطلع منها أستاذ من الخواص، و يشير بالفتح، فيفتح بأيدى عمال البساتين بالمعاول و يخدم بالطبل و البوق من البرين.

فإذا اعتدل الماء فى الخليج، دخلت العشاريات اللطاف، و يقال لها السماويات و كأنها

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٦

خدم بين يدي العشارى الذهبى المقدم ذكره، ثم العشاريات الخاص الكبار، و هى ست:

الذهبى المذكور و الفضى، و الأحمر، و الأصفر، و اللازوردى، و الصقلى، و كان أنشأه نجار من رأساء الصناعة صقلى، و زاد فيه على الإنشاء المعتاد، فنسب إليه، و هذه العشاريات لا- تخرج عن خاص الخليفة فى أيام النيل، و تحوّل إلى اللؤلؤة للفرجة، و سارت فى الخليج، و على بيت كل منهما الستور الديبقي الملون، و برءوسها و فى أعناقها الأهلة، و قلائد من الخرز، فتسند إلى البرّ الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة، فإذا استقرّ جلوس الخليفة، و الوزير بالمنظرة، و دخل قاضى القضاة، و الشهود الخيمة الديبقي البيضاء، وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤوس الفزاشين صحبة صاحب المائدة، و عدتها مائة شدة فى الطيافير الواسعة، و عليها القوارات الحرير، و فوقها الطراحات، و لها رواء عظيم و مسك فاتح، فتوضع فى خيمة واسعة منصوبة لذلك و يحمل



للوزير ما هو مستقرّ له بعادة جارية، و من صوانى التماثيل المذكورة: ثلاث صوان، و يخصص منها أيضا لأولاده، و إخوته خارجا عن ذلك إكراما و افتقادا، و يحمل إلى قاضى القضاء، و الشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع، و يحمل إلى كل أمير فى خيمته شدة طعام، و صينية تماثيل، و يصل بمن ذلك إلى الناس شىء كثير، و لا يزالون كذلك إلى أن يؤذن بالظهور، فيصلون و يقيمون إلى العصر، فإذا أذن به صلى، و ركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة.

فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته، و المظلة مناسبة لثيابه التى عليه، و اليتيمه و الترتيب بأجمعه على حاله، و يسير فى البرّ الغربى من الخليج شاقا البساتين هناك، حتى يدخل من باب القنطرة إلى القصر، و الوزير تابعه على الرسم المعتاد، و يمرّ فيه لقوم أحسن الأيام، و يمضى الوزير إلى داره مخدوما على العادة.

و قال فى كتاب الذخائر و التحف: إنّ المستعمل من الفضة قبه العشارى المعروف بالمقدم، و قاربه و كسوه رحله فى سنة ست و ثلاثين و أربعمائه فى وزارة على بن أحمد الجرجاني: مائة ألف و سبعة، و ستون ألفا، و سبعمائة درهم نقره، و إنّ المطلق للصناع عن أجره الصناعة، و فى ثمن ذهب لطلائه خاصة: ألفان و تسعمائة دينار و سبعون، و كانت الفضة فى ذلك الوقت، كل مائة درهم: بستة دنانير و ربع، سعر ستة عشر درهما بدينار.

و لما تولى أبو سعيد سهل التستريّ الوساطة سنة ست و ثلاثين و أربعمائه، استعمل لأمّ المستنصر عشاريا يعرف: بالفضى و حلى رواقه بفضة تقديرها: مائة ألف و ثلاثون ألف درهم، و لزم ذلك أجره الصناعة، و لطلاع بعضه: ألفان و أربعمائة دينار، سوى كسوه له بمال جليل، و المنفق على ستة و ثلاثين عشاريا برسم النزّه البحرى، لآلاتها و حلاها من مناطق، و رؤوس منجوقات و أهله و صفرىات و غير ذلك: أربعمائة ألف دينار، و كانت العادة عندهم

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٧

إذا حصل وفاء النيل أن يكتب إلى العمال.

فمما كتب من إنشاء تاج الرياسة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى :

أمّا بعد: فإن أحق ما أوجبت به التهنئة و البشرى، و غدت المسارّ منتشرة تتوالى و تترى، و كان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى، و النعمة الجسيمة الكبرى، ما استدعى الشكر لموجد العالم و خالقه، و ظلت النعمة به عامّة لصامت الحيوان و ناطقه، و تلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى، و له الحمد يوم كذا، فإن هذه العطية تؤدى إلى خصب البلاد و عمارتها، و شمول المصالح و غزارتها، و تفضى بتضاعف المنافع و الخيرات، و تكاثر الأرزاق، و الأقوات و يتساهم الفائدة فيها جميع العباد، و تنتهى البركة بها إلى كل دان و ناء و كل حاضر و باد، فأذع هذه النعمة قبلك، و انشرها فى كل من يتدبر عملك، و حثهم على مواصلة الشكر لهذه الألف الشاملة لهم، و لك، فاعلم هذا و اعمل به إن شاء الله تعالى.

و كتب أيضا: إن أولى ما تضاعف به الابتهاج و الجذل، و انفتح فيه الرجاء، و اتسع الأمل، ما عمّ نفقه صامت الحيوان و ناطقه، و أحدث لكل أحد اغتباطا لزمه، و آلى أن لا يفارقه، و ذلك ما منّ الله به من وفاء النيل المبارك الذى تحبى به كل أرض موات، و تكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات و يكون سببا لتوافر الأقوات، فإنه و فى المقدار الذى يحتاج إليه، فلتذع هذه المنة فى القاضى و الدانى، لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر و التهاني إن شاء الله تعالى.

و كتب أيضا: من لطف الله الواجب حمده، اللازم شكره و فضله، الذى لا يمل بشره، و لا يسأم ذكره، و منه، الذى استبشر به الأنام، و تضاعف فيه الإنعام، و مثل الله الحياء به فى قوله تعالى: **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ [يونس/ ٢٤]** أمر النيل المبارك الذى يعمّ النجود و التهائم، و تنتفع به الخلائق، و ترتع فيما يظهره البهائم، و قد توجه إليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان، فأجره على رسمه فى إظهاره مجملا، و إيصاله إلى رسمه مكملا، و إذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها، و يبالغوا فى الشكر لله سبحانه و تعالى بمقتضاها، و على حسبها فاعلم ذلك، و اعمل به إن شاء الله

تعالى.

منظرة الدكة: و كان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين، منظرة تعرف: بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقس فيما بينه، و بين أراضي اللوق، و ما زالت باقية، حتى زالت الدولة، و حكر مكان البستان، و صار خطه تعرف إلى اليوم بخط الدكة، فخربت المنظرة، و زال أثرها.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٨

قال ابن عبد الظاهر: الدكة بالمقس، كانت بستانا، و كان الخليفة إذا ركب من كسر الخليج من السكره بمظلته يسير في البرّ الغربي، و مضارب الناس و الأمراء، و خيمهم عن يمينه و شماله إلى أن يصل إلى هذا البستان المعروف بالدكة: و قد غلقت أبوابه و دهاليزه، فيدخل إليه بمفرده، و يسقى منه الفرس الذي تحته، و هي قضية، ذكر المؤرخ للسيرة المأمونية: أنهم كانوا يعتمدونها إلى آخر وقت، و لم يعلم سببها، ثم يخرج و يسير إلى أن يقف على الترعّة الآتي ذكرها، و يدخل من باب القنطرة، و ينزل إلى القصر، و الدكة الآن: آدر و حارات شهرتها تغنى عن وصفها، فسبحان من لا يتغير.

و قال ابن الطوير عن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله: كان بمنظرة يقال لها: الدكة بساحل المقس يعني أنه مات بها.

منظرة المقس: و كان من جملة مناظرهم أيضا: منظرة بجوار جامع المقس الذي تسميه العامية اليوم: جامع المقسى، و كانت هذه المنظرة بحرى الجامع المذكور، و هي مطلة على النيل الأعظم، و كان حينئذ ساحل النيل بالمقس و كانت هذه المنظرة: معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول إلى غزو الفرنج، فتحضر رؤساء المراكب بالشوانى، و هي مزينة بأنواع العدد، و السلاح، و يلعبون بها فى النيل حيث الآن الخليج الناصرى تجاه الجامع و ما وراء الخليج من غريبه.

قال ابن المأمون: و ذكر تجهيز العساكر فى البرّ، عند ورود كتب صاحبي دمشق و حلب فى سنة سبع عشرة و خمسمائة، ما يحث على غزو الفرنج، و مسيرها مع حسام الملك، و ركب الخليفة الأمر بأحكام الله، و توجه إلى الجامع بالمقس، و جلس بالمنظرة فى أعلاه، و استدعى مقدّم الأسطول الثانى، و خلع عليه، و انحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال، و العدد، و الآلات، و الأسلحة، و اعتمد ما جرت العادة به من الإنعام عليهم، و عاد الخليفة إلى البستان المعروف بالبعل إلى آخر النهار، و توجه إلى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم، و الصدقات و الهبات الجارى بها العادة فى الركوبات.

و قال ابن الطوير: فإذا تكملت النفقة، و تجهزت المراكب، و تهيأت للسفر ركب الخليفة و الوزير إلى ساحل المقس، و كان هناك على شاطئ البحر بالجامع، منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعنى الأسطول، و لقاءه إذا عاد، فإذا جلس هو و الوزير للوداع، جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات فى البحر بين يديه و هى مزينة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤١٩

بأسلحتها، و لبوسها، و فيها المنجنقات تلعب فتتحدر و تعلق بالمجازيف كما يفعل فى لقاء العدو بالبحر الملح، و يحضر بين يدي الخليفة المقدم و الرئيس، فيوصيهما، و يدعو للجماعة بالنصرة و السلامة، و يعطى المقدم مائة دينار، و الرئيس: عشرين دينارا، و تنحدر إلى دمياط، و تخرج إلى البحر الملح، فيكون لها ببلاد العدو صيب و هيبه، فإذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار و الرجال و النساء، و السلاح و ما عدا ذلك فللأسطول.

و اتفق مرّة أن قدّم على الأسطول سيف الملك الجمل، فكسب بطشه عظيمة فيها ألف و خمسمائة شخص، بعد أن بعث عليهم بالقتال، و قتل منهم نحو من مائة و عشرين رجلا، و حضر إلى القاهرة، ففرح الخليفة، و ركب إلى المقس، و جلس بالمنظرة للقائهم، و أطلقوا الأسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البرّ فاستدعت الجمال لركوبهم، و شق بهم القاهرة و مصر، و هم كل اثنين على جمل، ظهر الظهر، و عاد الخليفة إلى القصر فجلس فى إحدى مناظره لنظرهم فى جوازهم، فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم إلى

المناخات، فصح منهم ألف رجل، فانضافوا إلى من في المناخ، و أمّا النساء و الصبيان فإنهم دخلوا بهم إلى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر، و أخذ الجهات، و الأقارب بقيتهنّ، فيستخدمونهنّ، و يعلمونهنّ الصنائع، و يتولى الأستاذون تربية الصبيان، و تعليمهم الخط و الرماية، و يقال لهم: الترابي، و من استريب به من الأسرى، و نبه عليه بقوة أوقع به، و الشيخ الذي لا ينتفع به يمضى فيه حكم السيف بمكان يقال له: بئر المنامة في الخراب قريب مصر، و لم يسمع على الدولة قط أنها فادت أسيرا بمال، و لا بأسير مثله، و هذه الحال في كل سنة آخذة في الزيادة لا النقص، و قدّم على الأسطول مرّة أمير يقال له: حرب بن فور، صاحب الحاجب لؤلؤ، فكسب بطشه حصل فيها: خمسمائة رجل، انتهى.

و قد خربت هذه المنظره، و كان موضعها برج كبير صار يعرف في الدولة الأيوبية بقلعة المقمس مشرف على النيل، فلما جدّد صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقمس على ما هو عليه الآن في سنة سبعين و سبعمائة، هدم هذا البرج، و جعل مكانه جنيته شرقى الجامع، و تحدّث الناس أنه وجد فيه مالا، و الله أعلم.

منظره البعل: و كان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظره في بستان أنيق يعرف: بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجماليّ، و موضع هذا البستان إلى اليوم يعرف بالبعل، و صارت أرضه مزرعة في جانب الخليج الغربيّ، بحرى أرض الطباله في كوم الريش، مقابل قناطر الأنزر، و قد خربت المنظره و بقي منها آثار أدركتها، يعطن بها الكتان تدل على عظمتها، و جلالتها في حال عمارتها، و كانت منظره البعل من أجل منتزهاتهم، و كان لهم بها أوقات عميمه المبرّات جليله الخيرات.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢٠

قال ابن المأمون: فأما يوم السبت و الثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجيه، و يتوجه إلى القصر، فيركب الخليفة إلى ضواحي القاهرة للنزهة في مثل الروضة، و المشتهى، و دار الملك، و التاج، و البعل، و قبة الهواء، و الخمسة وجوه، و البستان الكبير، و كان لكل منظره منهنّ فرش معلوم مستقرّ فيها من الأيام الأفضلية للصيف و الشتاء، و تفرّق الرسوم و يسلم لمقدمى الركاب اليمين و الشمال لكل واحد عشرون ديناراً، و خمسون رابعياً، و لتالى مقدّم الركاب اليمين مائة كاغده في كل كاغده ثلاثة دراهم، و مائة كاغده في كل كاغده درهمان، و لتالى مقدّم الشمال مثل ذلك، فأما الدنانير، فلكل باب يخرج منه من البلد دينار، و لكل باب يدخل منه دينار، و لكل جامع يجتاز عليه دينار، ما خلا جامع مصر، فإن رسمه خمسة دنانير، و لكل مسجد يجتاز عليه رابعياً، و لكل من يقف و يتلو القرآن:

كاغده، و الفقراء و المساكين من الرجال و النساء، لكل من يقف كاغده، و لكل من يركب الخليفة ديناران، و يكون مع هذا متولى صناديق الإنفاق يحجب الخليفة و بيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به.

فإذا حصل في إحدى المناظر المذكورة، فرّق من العين ما مبلغه: سبعة و خمسون ديناراً، و من الرباعية: مائة و ستة و ثمانون ديناراً للحواشى، و الأستاذين و أصحاب الدواوين و الشعراء، و المؤذنين، و المقرئين، و المنجمين و غيرهم، و من الخزاف الشواء: خمسون رأساً منها طبقان حارة مكمله مشوره، برسم المائدة الخاص مضافاً لما يحضر من القصور من الموائد الخاص، و الحلوات و طبق واحد، برسم مائدة الوزير، و بقيه ذلك بأسماء أربابه، و رأساً بقر برسم الهرائس، فإذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير، و خواصه، و من جرت العادة بجلوسه معه، و من تأخر عن المائدة، ممن جرت عادته بحضورها حمل إليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشريف، و عند عود الخليفة إلى القصر يحاسب متولى الدفتر مقدّمى الركاب على ما أنفق عليه في مسافه الطريق من جامع، و مسجد و باب و دابه.

و أمّا تفرقه الصدقات فهم فيها على حكم الأمانة، قال: و إذا وقع الركوب إلى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقرّ من الإنعام و يؤمر متولى خزائن الخاص، و صناديق الإنفاق أن يكون معه خريطة في السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدّه لمن يؤمر بالإنعام عليه في حال الركوب.

منظرة التاج: هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للتزهوة بناها الأفضل بن أمير الجيوش و كان لها فرش معد لها للشتاء و الصيف، و قد خربت، و لم يبق لها سوى أثر كوم، توجد تحته الحجارة الكبار و ما حول هذا الكوم، صار مزارع من جملة أراضي منية الشيرج.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢١

قال ابن عبد الظاهر: و أمّا التاج فكان حوله البساتين عدّة، و أعظم ما كان حوله: قبة الهواء، و بعدها الخمس و جوه التي هي باقية. منظرة الخمس و جوه: كانت أيضا من مناظرهم التي يتزهون فيها، و هي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش و كان لها فرش معد لها، و بقي منها آثار بناء جليل على بئر متسعة، كان بها: خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل الماء لسقى البستان، العظيم الوصف البديع الزيّ، البهيج الهيئة، و العائمة تقول التاج، و السبع و جوه إلى الآن و موضعها إلى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة، و نبت هناك في أيام النيل عندما يعمّ تلك الأراضي البشنيين فتفتن رؤيته، و تبهج النفوس نضارته، و زينتته، فإذا نصب ماء النيل، زرعت تلك البسطة قرطا، و كنانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه، و أدركت حول الخمس و جوه: غروسا من نخل، و غيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم، و قد تلاشت الآن، ثم إن السلطان الملك المؤيد شيخ المحموديّ الظاهريّ جدّد عمارة منظرة: فوق الخمس و جوه، ابتداء بناها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و عشرين و ثمانمائة.

منظرة باب الفتوح: و كان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح، و كان يومئذ خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب، و بين البساتين الجيوشية، و كانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر، و وداعها إذا سارت في البرّ إلى البلاد الشامية. قال ابن المأمون: و في هذا الشهر يعنى المحرم سنة سبع عشرة و خمسمائة، وصلت رسل ظهير الدين طفدكين صاحب دمشق، و آق سنقر صاحب حلب، بكتب إلى الخليفة الأمر بأحكام الله، و إلى الوزير المأمون إلى القصر، فاستدعوا لتقبيل الأرض كما جرت العادة من إظهار التجمل، و كان مضمون الكتب بعد التصدير، و التعظيم، و السؤال، و الضراعة أن الأخبار تظافت بقله الفرنج بالأعمال الفلسطينية، و الثغور الساحلية، و أن الفرصة قد أمكنت فيهم، و الله قد أذن بهلاكهم، و أنهم ينتظرون إنعام الدولة العلوية، و عوايد أفضالها، و يستنصرون بقوتها، و يحثون على نصره الإسلام، و قطع دابر الكفر و تجهيز العساكر المنصورة، و الأساطيل المظفرة، و المساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مددهم، و تعود إلى القوّة شوكتهم، فقوى العزم على النفقة في العساكر فارسها و راجلها، و تجريدها، و تقدّم إلى الأزمية بإحضار الرجال الأقوياء، و ابتدئ بالنفقة في الفرسان بين يدي الخليفة في قاعة الذهب، و أحضر الوزان، و صناديق المال و أفرغت الأكياس على البساط، و استمرّ الحال بعد ذلك في الدار المأمونية.

و تردّد الرأي فيمن يتقدّم، فوقع الاتفاق على حسام الملك البرني، و أحضر مقدّم الأساطيل الثانية، لأن الأساطيل توجهت في الغزو و خلع عليه، و أمر بأن ينزل إلى الصناعتين

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢٢

بمصر و الجزيرة، و ينفق في أربعين شينيا، و يكمل نفقاتها و عددها، و يكون التوجه بها صحبة العسكر، و أنفق في عشرين من الأمراء للتوجه صحبته، فكمّلت النفقة في الفارس و الراجل، و في الأمراء السائرين، و في الأطباء، و المؤذنين و القوّاء، و ندب من الحجاب عدّة، و جعل لكل منهم خدمة، فمنهم من يتولى خزائنه الخيام، و سير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر، و من لا يقدر على خيمة خيم، و منهم حاجب على خزائن السلاح، و أنفق في عدّة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر، و في كتاب العربان: و أحضر مقدّم الحراسين بالخفار، و تقدّم إليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان، و قبض النفقة، فلا واجب له، و لا إقطاع، و كتبت الكتب إلى المستخدمين بالثغور الثلاثة:

الإسكندرية، و دمياط، و عسقلان بإطلاق، و ابتياع ما يستدعى برسم الأسمطة على ثغر عسقلان للعساكر و العربان من الأصناف، و الغلال.

و وقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين، و كتبت الأجوبة عن كتبهم، و جهز المال و الخلع المذهبات، و الأطواق، و السيوف، و المناطق الذهب، و الخيل بالمراكب الحلى الثقال، و غير ذلك من التجملات، و خلع على الرسل، و أطلق لهم التغيير، و سلمت إليهم الكتب، و التذاكر و توجهوا صحنه العسكر.

و ركب الخليفة الأمر بأحكام الله إلى باب الفتوح، و نظر بالمنظره، و استدعى حسام الملك، و خلع عليه بدله جليله مذهبه، و طوقه بطوق ذهب، و قلده و منطقه بمثل ذلك، ثم قال الوزير المأمون للأمرء: بحيث يسمع الخليفة، هذا الأمير مقدمكم، و مقدم العساكر كلها، و ما وعد به أنجزته، و ما قرره أمضيته، فقبلوا الأرض، و خرجوا من بين يديه، و سلم متولى بيت المال، و خزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال، و أعدل الكسوات، و حملت قدامه، و فتحت طاقات المنظره، فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الأرض، فأشار إليهم بالتوجه، فساروا بأجمعهم، و ركب الخليفة، و توجه إلى الجامع بالمقس، و جلس بالمنظره، و استدعى مقدم الأسطول، و خلع عليه، و انحدرت الأساطيل مشحونه بالرجال و العده.

منظره الصناعه: و كان من جمله مناظر الخلفاء منظره بالصناعه فى الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تاره حتى تقدم له العشاريات، فيركبها و يسير للمقياس، حتى يخلق بين يديه عند الوفاء، و كان بهذه الصناعه ديوان العمائر.

و أنشأ هذه المنظره، و الصناعه التى هى فيها: الوزير المأمون، لم تزل إلى آخر الدوله، و دهليزها ماد بمصاطب مفروشه بالحصر العبدانى بسطا و تأزيرا، و قد خربت هذه

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢٣

الصناعه و المنظره، و صار موضعهما الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان، و يعرف فى زمننا هذا الذى نحن فيه الآن ببستان الطواشى، و هو بأول مراغه مصر، تجاه غيط الجرف على يسره من يسلك من المراغه يريد الكياره، و باب مصر.

قال ابن المأمون: و كانت جميع مراكب الأساطيل ما تنشأ إلاً بالصناعه التى بالجزيره، فأنكر الوزير المأمون ذلك، و أمر بأن يكون إنشاء الشوانى، و غيرها من المراكب النيله الديوانيه بالصناعه بمصر، و أضاف إليها دار الزيب، و أنشأ المنظره بها و اسمه باق إلى الآن عليها، و قصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمه الأساطيل، و رميها بالمنظره المذكوره و أن يكون ما ينشأ من الجرانى، و الشلنديات فى الصناعه بالجزيره.

قال: و لما و فى النيل سته عشر ذراعاً ركب الخليفة و الوزير إلى الصناعه بمصر، و رميت العشاريات بين أيديهما، ثم عدّيا فى إحداها إلى المقياس.

و قال ابن الطوير: الخدمه فى ديوان الجهاد، و يقال له: ديوان العمائر، و كان محله بصناعه الإنشاء بمصر للأسطول و المراكب الحامله للغلات السلطانيه، و الأحطاب و غيرها، و كانت تزيد على خمسين عشاريا، و يليها عشرون ديماسا، منها عشره برسم خاص الخليفة أيام الخليج و غيرها، و لكل منها رئيس، و نواتى لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان، و بقيه العشاريات الدواميس برسم ولاء الأعمال المميزه، فهى تجز لهم، و ينفق فى رؤسائها و رجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان، و تقيم مع أحدهم مدّه مقامه، فإذا صرف عاد فيه، و خرج المتولى الجديد فى العشارى المرسى بالصناعه، و لا- يخرج إلا- بتوقيع بإطلاقه، و الإنفاق فيه، و للمشارفين بالأعمال عشاريات دون هذه، و فى هذا الديوان برسم خدمه ما يجرى فى الأساطيل نائبان من قبل مقدم الأسطول، و فيه من الحواصل لعمارة المراكب شىء كثير، و إذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج إليه استدعى له من بيت المال يسدّ خلله.

قال: و كان من أهم أمورهم احتفالهم بالأساطيل و الأجناد، و مواصلة إنشاء المراكب بمصر و الإسكندريه و دمياط من الشوانى الحريه و الشلنديات، و المسطحات إلى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور و عكا و عسقلان، و كانت جريده قواده أكثر من خمسّه آلاف مدونه منهم عشره أعيان تصل جامكيه كل منهم إلى عشرين ديناراً، ثم إلى خمسّه عشر، ثم إلى عشره دنانير، ثم إلى ثمانيه، ثم إلى دينارين، و هى أقلها، و لهم إقطاعات



المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٤

تعرف: بأبواب الغزاة بما فيه من النظرون فيصل دينارهم بالمناسبة إلى نصف دينار و حواليه، و يعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الإجماع عليه لرئاسة الأسطول المتوجه للغزو، فيكون معه الفانوس، و كلهم يهتدون به، و يقلعون بإقلاعه، و يرسون بإرسائه، و يقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء، و أقواهم جنا، و يتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير، فإذا أراد النفقة فيما تعين من عدّة المراكب السائرة.

و كانت آخر وقت تزيد على خمسة و سبعين شينياً، و عشر مسطحات، و عشر حمائله، فيتقدم إلى النقباء بإحضار الرجال، و يسمع بذلك من هو خارج مصر و القاهرة، فيدخل إليها و لهم المشاهدة و الجرايات المتقررة مدة أيام السفر، و هم معروفون عند عشرين نقيباً، و لا يعترض أحد أحداً إلا من رغب في ذلك من نفسه، فإذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير، فطالع الخليفة بالحال، و فرز يوم للنفقة، فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة، فيجلس الخليفة على هيئته في مجلس، و يجلس الوزير في مكانه، و يحضر صاحباً ديوان الجيش، و هما المستوفى و هو أميرهما، و يجلس داخل عتبة المجلس، و هذه رتبة له مميزة، و كاتب الجيش الأصل، و يجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة، و لا يخلو المستوفى أن يكون عدلاً أو من أعيان الكتاب المسلمين، و أما كاتب الجيش: فيهودي في الأغلب، و يفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها الدراهم، و يحضر الوزانون بيت المال لذلك، فإذا تهيأ الإنفاق أدخل القابضون مائة مائة، و يقفون في آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة، و تكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة، و يستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق واحداً واحداً، فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه إلى الجانب الخالي، فإذا تكمل عشرة رجال:

وزن الوزانون لهم النفقة، و كانت لكل واحد خمسة دنانير صرف، كل دينار ستة و ثلاثون درهماً، فيستلمها النقيب، و تكتبت بيده و باسمه، و تمضى النفقة كذلك إلى آخرها، فإذا تم ذلك اليوم، ركب الوزير من بين يدي الخليفة، و انفض ذلك الجمع، فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها: غداء الوزير، هي سبع عجيفات أو ساط إحداها بلحم دجاج و فستق، و البقية من شواء، و هي مكمورة بالأزهار، فتكون هذه عدّة أيام تارة متوالية، و تارة متفرقة، فإذا تكملت النفقة، و تجهزت المراكب، و تهيؤت للسفر: ركب الخليفة و الوزير إلى ساحل المقس، و ذكر ابن أبي طي: أن المعز لدين الله، أنشأ ستمائة مركب، لم ير مثلاً في البحر على مدينة و عمل دار صناعة بالمقس.

دار الملك: و كان من جملة مناظرهم: دار الملك بمصر، و هي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش ابتداءً في بنائها و إنشائها في سنة إحدى و خمسمائة، فلما كملت تحوّل إليها من دار القباب بالقاهرة، و سكنها، و حوّل إليها الدواوين من القصر، فصارت بها، و جعل فيها الأسمطة، و اتخذ بها مجلساً سماه: مجلس العطايا، كان يجلس فيه، فلما قتل الأفضل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٥

صارت دار الملك هذه من جملة منتهات الخلفاء، و كان بها بستان عظيم، و ما زالت عظيمة إلى أن انقرضت الدولة، فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب دار متجر، ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري: دار وكالة، و موضع دار الملك: ما وراء حبة الخروب، بجوار المدرسة المعزى، و بقي منها جدار يجلس تحته يباعو الحناء.

قال ابن المأمون: و من جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة، و تفخيم أمر السلطنة أن المجلس الذي يجلس فيه الأفضل بدار الملك يسمى: مجلس العطايا، فقال القائل: مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار؟ يدفع لمن يسأل، و أمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس، من كل لون اثنين، و جعل في سبعة منها خمسة و ثلاثين ألف دينار و في كل ظرف: خمسة آلاف دينار سكب، و بطاقة بوزنه، و عدده، و شرابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين و الشمال في مجلس العطايا الذي برسم الجلوس، و عند مرتبة الأفضل بقاعة اللؤلؤة: ظرفان، أحدهما دنانير، و الآخر دراهم جدد، فالذي في اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الأفضل



إذا كان عند الحرم، و أما الذي في مجلس العطايا، فإن جميع الشعراء لم يكن لهم في الأيام الأفضلية، و لا فيما قبلها على الشعر جار و إنما كان لهم إذا اتفق طرب السلطان، و استحسانه لشعر من أنشد منهم ما يسهله الله على حكم الجائزة، فأرى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف، و كذلك من يتضرع و يسأل في طلب صدقة، أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال، يخرج ذلك من الظروف. و إذا انصرف الحاضرون، نزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة، و يكتب عليه الأفضل بخطه: صح، و يعاد إلى الطرف، و يختم عليه، فلما استهلّ رجب من سنة اثنتي عشرة و خمسمائة، و جلس الأفضل في مجلس العطايا على عادته، و حضر الأجلّ المظفر أخوه للهنا، و جلس بين يديه، و شاهد الظروف و القائد، و ولده، و أخوه قيام على رأسه، و تقدّمت الشعراء على طبقاتهم، أمر لكل منهم بجائزة، و شاع خبر الظروف و كثر القول فيها، و استعظم أمرها، و ضوعف مبلغها، و اتسع هذا الإنعام بالصدقات الجارى بها العادة في مثل هذا الشهر لفقهاء مصر، و الرباطات بالقرافة و فقرائها.

و قال ابن الطوير: و قد ذكر ركوب الخليفة في أوّل العام و حضور العزّة، و ينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذي هو أوّل العام، فيركبون في آحاد الأيام إلى أن يكمل شهر و لا يتعدى ذلك يومى السبت و الثلاثاء، فإذا عزم الخليفة على الركوب في أحد هذه الأيام أعلم بذلك، و علامته إنفاق الأسلحة في صبيان الركاب من خزائنه السلاح خاصة دون ما سواها، و أكثر ذلك إلى مصر، و يركب الوزير صحبته من ورائه على أخصر من النظام المتقدم يعنى في ركوب أوّل العام، و أقل جمع، فيخرج شاقا القاهرة و شوارعها على الجامع الطولونى

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٦

على المشاهد إلى درب الصفاء، و يقال له: الشارع الأعظم إلى دار الأنماط إلى الجامع العتيق، فإذا وصل إلى بابه، وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بحصر معلق عليها سجادة، و فى يده المصحف المنسوب خطه إلى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، و هو من حاصله فإذا وازاه وقف فى موضعه، و ناوله المصحف من يده، فيتسلمه منه، و يقبله و يتبرك به مرارا، و يعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلاة: ثلاثين ديناراً، و هى رسمه متى اجتاز به، فيوصلها الشريف إلى مشارف الجامع، فيكون نصيبهما منها خمسة عشر ديناراً، و الباقي للقومة و المؤذنين دون غيرهم.

و يسير إلى أن يصل دار الملك، فينزلها و الوزير معه و منذ يخرج من باب القصر إلى أن يصل إلى دار الملك لا يمرّ بمسجد إلا أعطى قيمة من الخريطة ديناراً، فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر، و عدتها: خمسون شدة على رؤوس الفزاشين مع صاحب المائدة، و هو أستاذ جليل غير محنك، و كل شدة فيها: طيفور فيها الأواني الخاص، و فيها من الأطعمة الخاص من كل نوع شهى، و كل صنف من المطاعم العالیه، و لها رواء، و رائحة المسك فائحة منها، و على كل شدة طرحة حرير تعلو القوارة التى هى الشدة، فيحمل إلى الوزير منها جزء وافر، و لمن صحبه و للأمرء، و لكافة الحاضرين فى الخدمة، و يصل منها إلى الناس بمصر ممن بعضهم بعضاً شىء كثير، و لا يزال إلى أن يؤذن عليه بالعصر، فيصلى و يتحرّك إلى العود إلى القاهرة، و الناس فى طريقه نظره، فيركب و زيه فى هذه الأيام أنه يلبس الثياب المذهبة البياض، و الملونة و المنديل من النسبة، و هو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس، و ذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر، و يتقلد بالسيف العربى المجوهر بغير حنك، و لا مظلة، و لا يتيمة، فإن ذلك فى أوقات مخصوصة، و لا يمرّ أيضاً بمسجد فى سلوكه فى هذه الطريق بالساحل إلّا، و يعطى قيمة ديناراً أيضاً، كما جرى فى الرواح، و ينعطف من باب الخرق، و يدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر، فيكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان، إمّا أربع مرّات أو خمس مرّات، و من شعر الأسعد أسعد بن مهذب بن زكريا بن أبى مليح مما فى دار الملك هذه:

حللت بدار الملك و النيل آخذ بأطرفها و الموج يوسعها ضرباً

فخيلته قد غار لما وطئتها عليها فأضحى عند ذاك لها خرباً

بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز، و لم يكن بمصر أحسن منها، و كانت مطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظره، و ما زال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها، و كانت معدة لزهتهم، و كان بجوارها حمام، و لها منها باب و موضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢٧

الهودج: و كان من منتزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء في جزيرة الفسطاط التي تعرف اليوم: بالروضة، يقال له: الهودج، بناه الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار، و كان يتردد إليه كثيرا، و قتل و هو متوجه إليه و ما زال منتزها للخلفاء من بعده.

قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالأشعار: قال القرطبي في تاريخه: تذاكر الناس في حديث البدوية، و ابن مياح من بني عمها و ما يتعلق بذلك من ذكر الأمر، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال، و ألف ليلة و ليلة و ما أشبه ذلك.

و الاختصار منه أن يقال: إن الأمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات، و صارت له عيون بالبوادى، فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب، و أظرفهم شاعرة جميلة، فيقال: إنه تزيبا بزى بدء الأعراب و كان يجول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حياها، و بات هناك في ضائقه، و تحيل حتى عاينها هنالك، فما ملك صبره و رجع إلى مقر ملكه، و أرسل إلى أهلها يخطبها، و تزوجها، فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته، و أحببت أن تسرح طرفها في الفضاء، و لا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة، فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج، و كان غريب الشكل على شط النيل، و بقيت متعلقة خاطر بابن عم لها، ربيت معه يعرف: بابن مياح، فكتبت إليه من قصر الأمر:

يا ابن مياح إليك المشتكى مالك من بعد قد ملكا

كنت في حيا مطاعا آمرانثلا ما شئت منكم مدركا

فأنا الآن بقصر مرصدلا أرى إلّا خبيثا ممسكا

كم تثينا كأغصان اللواحيث لا نخشى علينا دركا

فأجابها:

بنت عمى و التي غذيتها بالهوى حتى علا و احتبكا

بحت بالشكوى و عندي ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكى

مالك الأمر إليه أشتكى مالك و هو الذى قد ملكا

قال: و للناس في طلب ابن مياح، و اختفائه أخبار تطول، و كان من عرب طي في قصر الأمر: طراد بن مهلهل السنبسى فبلغته هذه القضية، فقال:

ألا بلغوا الأمر المصطفى مقال طراد و نعم المقال

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٢٨ قطعت الأليفين عن ألفه بها سمر الحى بين الرجال

كذا كان أبأؤك الأكرمون سالت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر: لما بلغته الأبيات، جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله، و طلب في أحياء العرب، فلم يوجد، فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد، باع أبيات الحى بثلاثة أبيات، و كان بالإسكندرية: مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة، و يحتذى أفعال البرامكة، و للشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الحداد، و أمية بن أبى الصلت، و غيرهما. و كان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام، و هو قطعة واحدة و ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره، و كان يجد في نفسه

برؤيته زيادة على أهل التنعم، و المباهاة في عصره، فوشى به للبدوية محبوبه الأمر، فسألت الخليفة الأمر في حمل الجرن إليها، فأرسل إلى ابن حديد بإحضار الجرن، فلم يجد بداً من حمله من البستان، فلما صار إلى الأمر أمر بعمله في اليهودج، فقلق ابن حديد، و صارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن، فأخذ يخدم البدوية، و من يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت البدوية: هذا الرجل أخرجنا بكثرة تحفه، و لم يكلفنا قط أمراً نقدر عليه عند الخليفة مولانا، فلما قيل له هذا القول عنها قال: ما لي حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها، و طول حياتها في عز ردّ الفسقية التي قلعت من داري التي بنيتها في أيامها من نعمتهم تردّ إلى مكانها، فتعجبت من ذلك، و ردّتها عليه، فقيل له: حصلت في حدّ أن خيّر ترك البدوية في جميع المطالب، فنزلت همتك إلى قطعة حجر، فقال: أنا أعرف بنفسى، ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه، و قد بلغها الله أملها، و كان هذا المكين قضاء الإسكندرية، و نظرها في أيام الأمر.

و بلغ من علو همته، و عظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخوا الوزير المأمون بن البطائحى: لما قلده الأمر ولاية نجر الإسكندرية في سنة سبع عشرة و خمسمائة، و أضاف إليه الأعمال البحرية، و وصل إلى الثغر، و وصف له الطيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور، فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضى إلى داره لإحضار دهن شمع. فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن أحضر حقا مختوما فكّ عنه، فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه: ثلاثة بيوت، كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت و جوهر، بيت دهن بمسك، و بيت دهن بكافور، و بيت دهن بعنبر طيب، و لم يكن فيه شيء مصنوع لوقته، فعندما أحضره الرسول، تعجب المؤمن و الحاضرون من علو همته، فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ في شكر أنعامه، و حلف بالحرام إن عاد إلى ملكه، فكان جواب المؤمن قد قبلته منك لا لحاجة إليه، و لا لنظر في قيمته بل لإظهار هذه الهمة، و إذاعتها، و ذكر أن قيمة هذا المداف، و ما عليه: خمسمائة دينار، فانظر رحمك الله، إلى من يكون دهن الشمع عنده في

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٢٢٩

إناء قيمته: خمسمائة دينار و دهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه البتة، فماذا تكون ثيابه، و حلّى نسائه، و فرش داره، و غير ذلك من التجملات، و هذا إنما هو حال قاضى الإسكندرية، و من قاضى الإسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدولة بالحضرة؟ و ما نسبة أعيان الدولة، و إن عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة، و أبهتها إلّا يسير حقير.

و ما زال الخليفة الأمر يتردّد إلى اليهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع و عشرين و خمسمائة يريد اليهودج، و قد كمن له عدّة من النزارية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة، فوثبوا عليه، و أثنخوه بالجراحة حتى هلك، و حمل في العشارى إلى اللؤلؤة، فمات بها، و قيل: قبل أن يصل إليها، و قد خرب هذا اليهودج، و جهل مكانه من الروضة، و لله عاقبة الأمور.

قصر القرافة: و كان لهم بالقرافة قصر بنته: السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة: ست و ستين و ثلثمائة، على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسى المحتسب هو، و الحمام الذى في غريبه، و بنت البئر، و البستان و جامع القرافة، و كان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار في إتقان بنيانه و صحته أركانه، و له منظره مليحة كبيرة محمولة على قبو مادّ تجوز المارة من تحته، و يقبل المسافرون في أيام القيظ هناك، و يركب الراكب إليه على زلافة، و كان كأحسن ما يكون من البناء، و تحته حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه، و كان مكانه بالقرب من مسجد الفتح.

و لما كان في سنة عشرين و أربعمائه جدّه الخليفة الأمر، و عمل تحته مصطبة للصوفية و كان يجلس في الطاق بأعلى القصر و يرقص أهل الطريقة من الصوفية، و المجامر بالألوية موضوعة بين أيديهم و الشموع الكثيرة تزهرو، و قد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط، و مدّت لهم الأسمطة التي عليها كل نوع لذيذ و لون شهى من الأطعمة، و الحلوى أصنافا مصنفة، فاتفق أن تواجد الشيخ أبو عبد الله بن الجوهري الواعظ، و مزق مرقعته، و فزقت على العادة خرقا، و سأل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالقارح المقرئ خرقه منها، و

وضعها في رأسه، فلما فرغ التمزيق، قال الخليفة الأمر بأحكام الله: من طاق بالمنظرة يا شيخ أبا إسحاق، قال: ليبيك يا مولانا، قال: أين خرقتي؟ فقال مجيباً له في الحال: ها هي على رأسى يا أمير المؤمنين، فاستحسن الأمر ذلك، وأعجبه موقعه فأمر في الساعة، و الوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية، ففرقت على الحاضرين، وعلى فقراء القرافة، ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار، فتخاطفها الحاضرون، و تعاهد المغربلون الأرض التى هناك أياماً لأخذ ما يواريه التراب، و ما برح قصر الأندلس بالقرافة، حتى زالت الدولة، فهدم فى شهر ربيع الآخر سنة سبع و ستين و خمسمائة.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٠

المنظرة ببركة الحبش: و كانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش، قال الشريف أبو عبد الله محمد الجوانى فى كتاب النقط على الخطط: إن الخليفة الأمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها بئر دكة الخرقة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات، تشرف على خضرة بركة الحبش، و صور فيها الشعراء كل شاعر و بلده، و استدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر فى المدح، و ذكر الخركاه، و كتب ذلك عند رأس كل شاعر، و بجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب، فلما دخل الأمر، و قرأ الأشعار أمر أن يحط على كل رف، صرة محتومة فيها: خمسون ديناراً، و أن يدخل كل شاعر، و يأخذ صرته بيده، ففعلوا ذلك، و أخذوا صرهم، و كانوا عدّة شعراء.

البساتين: و كان للخلفاء عدّة بساتين يتزهون بها: منها البساتين الجيوشية، و هما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل، خارج باب الفتوح إلى المطرية، و الآخر يمتد من خارج باب القنطرة إلى الخندق، و كان لهما شأن عظيم، و من شدة غرام الأفضل بالبستان الذى كان يجاور بستان البعل، عمل له سورا مثل سور القاهرة، و عمل فيه بحرا كبيرا، و قبة عشاري تحمل ثمانية أراب، و بنى فى وسط البحر منظرة محمولة على أربع عواميد من أحسن الرخام، و حفها بشجر النارج، فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط و سلط على هذا البحر أربع سواق، و جعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار، و كان يملأ فى عدّة أيام، و جلب إليه من الطيور المسموعة شيئا كثيرا، و استخدم للحمام الذى كان به عدّة مطيرين، و عمر به أبراجا عدّة للحمام و الطيور المسموعة، و سرح فيه كثيرا من الطاوس، و كان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق، لكل منهما أربعة أبواب من الأربع جهات على كل منها عدّة من الأرمن، و جميع الدهاليز مؤزره بالحصر العبدانى، و على أبوابها سلاسل كثيرة من حديد، و لا يدخل منها إلّا السلطان، و أولاده و أقاربه.

قال ابن عبد الظاهر: و اتفقت جماعة على أن الذى يشتمل عليه مبيعهما فى السنة من زهر و ثمر: نيف و ثلاثون ألف دينار، و إنها لا تقوم بمؤنهما على حكم اليقين لا- الشك، و كان الحاصل بالبستان الكبير، و المحسن إلى آخر الأيام الأمرية، و هى سنة: أربع و عشرين و خمسمائة: ثمانمائة، و أحد عشر رأسا من البقر، و من الجمال: مائة و ثلاثة رؤوس، و من العمال و غيرهم ألف رجل.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣١

و ذكر أن الذى دار سور البساتين من سنط، و جميز، و أثل من أول حدّهما الشرقى، و هو ركن بركة الأرمن مع حدّهما البحرى الغربى جميعا إلى آخر زقاق الكحل فى هذه المسافة الطويلة: سبعة عشر ألف ألف، و مائتا شجرة، و بقى قبليهما جميعا لم يحصن. و إن السنط تغصن حتى لحق بالجميز فى العظم، و إن معظم قرظه يسقط إلى الطريق، فيأخذه الناس، و بعد ذلك يباع بأربعمائة دينار، و كان به كل ثمرة لها دويرة مفردة، و عليها سياج، و فيها نخل منقوش فى ألواح عليها برسم الخاص لا تجنى إلّا بحضور المشارف، و كان فيهما ليمون تفاحى يوكل بقشرة غير سكر، و أقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم مدّة أيام الوزير المأمون، لم تخرج عنهم، و كشف ذلك فى أيام الخليفة الحافظ، فكان فيهما ستمائة رأس من البقر، و ثمانون جملا، و قوّم ما عليهما من الأثل و الجميز، فكانت قيمته: مائتى ألف دينار، و طلب الأمير شرف الدين و كانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه، فتشفع إليه، و قوّم بسبعين ديناراً، فرسم الخليفة إن كانت وسط البستان تقطع، و إلا فلا، و لما جرى فى

آخر أيام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت أبقاره، و جماله، و نهب ما فيه من الآلات و الأنقاض، و لم يبق إلّا الجميز و السنط و الأثل لعدم من يشتريه، انتهى.

و كان هذان البستانان من جملة الحبس الجيوشى، و هو أن أمير الجيوش بدر الجمالى حبس عدّة بلاد و غيرها، منها فى البرّ الشرقى بناحية بهتيت، و الأميرية، و المنية، و فى البرّ الغربى ناحية سفت و نهيا و وسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه، فاستأجر هذا الحبس الوزير مدّة سنين بأجرة يسيرة، و صار يزرع فى الشرقى منه، الكتان و منه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير و نصفاً و ربعاً عن كل فدان فيتناولون فيه ربها جزيلاً لأنفسهم، فلما بعد العهد انقضت أعقابه، و لم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة، فأفتح الفقهاء بأن هذا الحبس باطل، فصار للديوان السلطانى يتصرّف فيه، و يحمل متحصله مع أموال بيت المال و تلاشت البساتين، و بنى فى أماكنها ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى، و بنى العزيز بالله بستانا بناحية سردوس.

قبة الهواء: و كان من أحسن منزهات الخلفاء الفاطميين، قبة الهواء، و هى مستشرف بهج بديع، فيما بين التاج، و الخمس و جوه يحيط به عدّة بساتين، لكل بستان منها: اسم، و لهذه القبة فرش معدّة فى الشتاء، و الصيف و يركب إليها الخليفة فى أيام الركوبات التى هى يوم السبت و الثلاثاء.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٢

بحر أبى المنجا: و كان من منزهات الخلفاء، يوم فتح بحر أبى المنجا، قال ابن المأمون: و كان الماء لا يصل إلى الشرقية إلّا من السردوسى، و من الصمام، و من المواضع البعيدة، فكان أكثرها يشرق فى أكثر السنين، و كان أبو المنجا اليهودى مشارف الأعمال المذكورة، فنضّر المزارعون إليه، و سألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه إليهم، فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست و خمسمائة، و ركب الأفضل بن أمير الجيوش ضحى، و صحبته القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي، و جميع إخوته و العساكر تحاذيه فى البرّ و جمعت شيوخ البلاد و أولادها، و ركبوا فى المراكب، و معهم حزم البوص فى البحر، و صار العشارى، و المراكب تتبعها إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذى حفروا فيه البحر، و أقام الحفر فيه سنتين، و فى كل سنة تتبين الفائدة فيه، و يتضاعف من ارتفاع البلاد، ما يهون الغرامة عليه.

و لما عرض على الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه و قال: غرنا هذا المال جميعه، و الاسم لأبى المنجا، فغير اسمه، و دعى بالبحر الأفضلى، فلم يتم ذلك، و لم يعرف إلّا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا، و بين ابن أبى الليث، صاحب الديوان بسبب الذى أنفق خطوب أدت إلى اعتقال أبى المنجا عدّة سنين، ثم نفى إلى الإسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف، و لم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك، يتلطف بحاله إلى تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه.

و رأيت بخط ابن عبد الظاهر، و هذا أبو المنجا هو جدّ بنى صفير الحكماء اليهود، و الذين أسلموا منهم، و لما طال اعتقال أبى المنجا فى الإسكندرية فى مكان بمفرده مضيقاً عليه، تحيل فى تحصيل مصحف، و كتب ختمه، و كتب فى آخرها: كتبها أبو المنجا اليهودى، و بعثها إلى السوق لبيعها، فقامت قيامة أهل الثغر، و طولع بأمره إلى الخليفة، فأخرج.

و قيل له: ما حملك على هذا؟ فقال: طلب الخلاص بالقتل، فأدّب، و أطلق سبيله.

و قيل: إنه كان فى محبسه حية عظيمة، فأحضر إليه فى بعض الأيام لبن، فرأى الحية، و قد شربت منه، و دخلت حجرها، فصار فى كل يوم يحضر لها لبناً، فتخرج و تشرب منه، و تدخل مكانها، و لم تؤذه.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٣

و لما ولى المأمون البطائحي وزارة الأمر بأحكام الله بعد الأفضل بن أمير الجيوش، تحدّث الأمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج، و أن يكون له يوم كخليج القاهرة، فنذب الأمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان و كيله، و أمره بأن يبنى على مكان السدّ منظره متسعة، تكون من بحرئى السدّ، و سرّع فى عمارتها بعد كمال النيل، و ما زال يوم فتح سدّ هذا البحر يوماً مشهوداً إلى أن زالت الدولة



الفاطمية.

فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر، أجزوا الحال فيه على ما كان، قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع و سبعين و خمسمائة: و ركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا، و عاد. و قال: و في سنة تسعين و خمسمائة، كسر بحر أبي المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة أيام، و كان ذلك لقصور النيل في هذه السنة، و لم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه، و ركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكسره، و بدت في هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجب سوء الأفعال من المجاهرة بالمنكرات، و الإعلان بالفواحش، و قد أفرط هذا الأمر، و اشترك فيه الأمر و المأمور، و لم ينسلخ شهر رمضان، إلّا و قد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الإسلام و بدا عقاب الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره، فإنّ المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال و النساء مختلطين، مكشفات الوجوه، و أيدي الرجال تنال منها ما تنال في الخلوات، و الطبول، و العيذان مرتفعت الأصوات، و الصنجات، و استنابوا في الليل عن الخمر بالماء، و الجلاب ظاهرا، و قيل: إنهم شربوا الخمر مستورا، و قربت المراكب بعضها من بعض، و عجز المنكر عن الإنكار إلّا بقلبه، و رفع الأمر إلى السلطان، فندب حاجبه في بعض الليالي، ففرق منهم من وجده في الحالة الحاضرة، ثم عادوا بعد عوده، و ذكر أنه وجد في بعض المعادى خمرا فأراقه.

و لما استهل شوال و هو مطموغ فيه تضاعف هذا المنكر، و فشت هذه الفاحشة، و نسأل الله العفو و العافية عن الكبائر، و التجاوز عما تسقط فيه المعاذر.

و قال: في سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة: كسر بحر أبي المنجا، و باشر العزيز كسره، و زاد النيل فيه أصبعا، و هي الأصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا، و هذا الحدّ يسمى عند أهل مصر: اللجة الكبرى، و قد تلاشى في زمننا أمر الاجتماع في يوم فتح سدّ بحر أبي المنجا، و قلّ الاحتفال به لشغل الناس بهتمّ المعيشة.

قصر الورد بالخاقانية: و كان من أيام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية، و هي قرية من قرى قلوب، كانت من خاص الخليفة، و بها جنان كثيرة

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٤

للخليفة، و كانت من أحسن المنتزهات المصرية و كان بها عدّة دويرات يزرع فيها الورد، فيسير إليها الخليفة يوما، و يصنع له فيها قصر عظيم من الورد، و يخدم بضيافته عظيمة.

قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله: و عمل له بالخاقانية و كانت من خاص الخليفة، قصر من ورد فسار إليها يوما، و خدم بضيافة عظيمة، فلما استقرّ هناك، خرج إليه أمير يقال له: حسام الملك من الأمراء الذين كانوا مع المؤمن أخى المأمون البطائحي، و تخاذلوا عنه، فوصل إلى الخاقانية، و هو لابس لأمة حرية و التمس المثل بين يديه يعنى الخليفة، فاستقلّ ما جاء به في ذلك الوقت، مما ينافى ما فيه الخليفة من الراحة، و النزّهة و حيل بينه و بين مقصوده، فقال لجماعة من حواشي الخليفة: أنتم منافقون على الخليفة إن لم أصل إليه، فإنه يعاقبكم بذلك، فأطلعوا الخليفة على أمره، و حليته بالسلاح، و قوله فأمر بإحضاره، فلما وقعت عينه عليه قال: يا مولانا، لمن تركت أعداءك؟ يعنى الوزير المأمون البطائحي، و أخاه، و كان الأمر قد قبض عليهما، و اعتقلهما هذا و العهد قريب غير بعيد أمنت الغدر؟ فما أجابه إلّا و هو على الرهاويج من الخيل، فلم تمض ساعة إلّا، و هو بالقصر، فمضى إلى مكان اعتقال المأمون و أخيه، فزادهما وثاقا و حراسة، و في أثناء ذلك، وصل ابن نجيب الدولة الذى كان سيره المأمون في وزارته إلى اليمن، لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر، لما خرجت من القصر، و هي به حامل و يدعو إليه بقيه الناس، و أحضر إلى القاهرة على جمل مشوّه، فأدخل خزانه البنود، و قتل هو و المأمون، و جماعة في تلك الليلة، و صلبوا ظاهر القاهرة.

بركة الجب: هي بظاهر القاهرة من بحريها، و تسميها العامة في زمننا هذا الذى نحن فيه: بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم



من القاهرة إلى الحج في كل سنة، و نزولهم عند العود بها، و منها يدخلون إلى القاهرة و من الناس من يقول: جب يوسف، و هو خطأ، و إنما هي أرض جب عميرة، و عميرة هذا هو: ابن تميم بن جزء التجيبي من بنى القرناء، نسبت هذه الأرض إليه، فقيل لها: أرض جب عميرة، ذكره ابن يونس، و كان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء، و الحشم إلى رجب عميرة هذا، و هو موضع نزهه بهيته أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب و المجانة، و ربما حمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء، و يسقيه من معه، و أنشده مرّة الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدر العقيلي في يوم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء و لا تضح ضحى إلّا بصهباء  
و ادرك حجيج الندامى قبل نفرهم إلى منى قصفهم مع كل هيفاء  
و عج على مكة الروحاء مبتكرافطف بها حول ركن العود و النائى  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٥

قال ابن دحية: فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة الملاهي و تساق، حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق، فأقام بها سوق الفسوق على ساق، و في ذلك العام أخذه الله تعالى، و أهل مصر بالسنين، حتى بيع في أيامه الرغيف: بالثمن الثمين، و عاد ماء النيل بعد عذوبته كالفلسين، و لم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين.

و قال ابن ميسر: فلما كان في جمادى الآخرة من سنة: أربع و خمسين و أربعمائه، خرج المستنصر على عادته إلى بركة الجب، فاتفق أن بعض الأتراك جرّد سيفاً في سكر منه على بعض عبيد الشراء، فاجتمع عليه طائفة من العبيد و قتلوه، فاجتمع الأتراك بالمستنصر، و قالوا: إن كان هذا عن رضاك، فالسمع و الطاعة، و إن كان عن غير رضاك، فلا نرضى بذلك، فأنكر المستنصر ما وقع، و تبرأ مما فعله العبيد، فتجمع الأتراك لحرب العبيد، و برز بعضهم إلى بعض، و كان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك، انهزم فيه العبيد، و قتل منهم عدد كثير، و كانت أمّ المستنصر تعين العبيد، و تمدّهم بالأموال و الأسلحة، فاتفق في بعض الأيام أن بعض الأتراك ظفر بشيء مما تبعث به أمّ المستنصر إلى العبيد، فأعلم بذلك أصحابه، و قد قويت شوكتهم بانهزام العبيد، فاجتمعوا بأسرهم، و دخلوا على المستنصر و خاطبوه في ذلك، و أغلظوا في القول، و جهروا بما لا-ينبغي، و صار السيف قائما، و الحروب متتابعة إلى أن كان من خراب مصر بالغلاء و الفتن، ما كان، و كان من قبل المستنصر يترددون إلى بركة الجب.

قال المسبحي: و لاثنتي عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة، عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة، عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومي، فيه ألف ثوب بصفريّة فضة، و نصبت له فازه مثقل، و قبة مثقل بالجواهر، و ضرب لابنه الأمير أبي علي منصور مضرب آخر، و عرضت العساكر، و كان عدّتها مائة عسكري، و أقبلت أسارى الروم، و عدّتهم مائتان و خمسون، فطيف بهم، و كان يوماً عظيماً حسناً لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوه النهار إلى صلاة المغرب، و ما زالت بركة الجب منتزها للخلفاء و الملوك من بنى أيوب، و كان السلطان صلاح الدين يبرز إليها للصيد، و يقيم فيها الأيام، و فعل ذلك الملوك من بعده، و اعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاون، و بنى بها أحواشاً و ميداناً كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، و بركة الجب، و ما يليها في درك بنى صبرة، و هم ينسبون إلى صبرة ابن بطيخ بن مغالّة بن عجان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن أريش بن أراش بن جزيلة بن لخم، فهم أحد بطون لخم، و فيهم بنو جذام بن صبرة بن بصره بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخى لخم.

المشتهى: و كان من مواضعهم التي أعدت للنزّهة المشتهى.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٦

**ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً، و مواسم تتسع بها أحوال الرعية، و تكثر نعمهم**

## إشارة

و كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة: أعياد و مواسم، و هي: موسم رأس السنة، و موسم أوّل العام، و يوم عاشوراء، و مولد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و مولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، و مولد الحسن، و مولد الحسين عليهما السلام، و مولد فاطمة الزهراء عليها السلام، و مولد الخليفة الحاضر، و ليلة أوّل رجب، و ليلة نصفه، و ليلة أوّل شعبان، و ليلة نصفه، و موسم ليلة رمضان، و غزّة رمضان، و سماط رمضان، و ليلة الختم، و موسم عيد الفطر، و موسم عيد النحر، و عيد الغدير، و كسوة الشتاء، و كسوة الصيف، و موسم فتح الخليج، و يوم النوروز، و يوم الغطاس، و يوم الميلاد، و خميس العدس، و أيام الركوبات.

موسم رأس السنة: و كان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليدة أوّل المحرّم في كل عام لأنها أوّل ليالي السنة و ابتداء أوقاتها، و كان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدّة كثيرة من الخراف المقموم و الكثير من الرؤوس المقموم، و تفرّق على جميع أرباب الرتب، و أصحاب الدواوين من العوالي و الأدوان أرباب السيوف و الأقلام مع جفان اللين، و الخبز، و أنواع الحلواء، فيعمّ ذلك سائر الناس من خاص الخليفة، و جهاته و الأستاذين المحنكين إلى أرباب الضوء، و هم المشاعلية، و ينتقل ذلك في أيدي أهل القاهرة و مصر.

موسم أوّل العام: و كان لهم بأوّل العام عناية كبيرة فيه، يركب الخليفة بزيه المفخم، و هيئته العظيمة كما تقدّم، و يفرّق فيه دنائير الغزّة التي مرّ ذكرها عند ذكر دار الضرب، و يفرّق من السماط الذي يعمل بالقصر لأعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف، و الأقلام بتقرير مرتب، خرفان شواء، و زبادى طعام و جامات حلواء، و خبز و قطع منقوخة من سكر، و أرز بلبن، و سكر، فيتناول الناس من ذلك ما يجلب وصفه، و يتسبطون بما يصل إليهم من دنائير الغزّة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدّم.

يوم عاشوراء: كانوا يتخذونه يوم حزن تعطل فيه الأسواق، و يعمل فيه السماط

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٧

العظيم المسمى: سماط الحزن، و قد ذكر عند ذكر المشهد الحسينيّ، فانظره. و كان يصل إلى الناس منه شيء كثير، فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء، يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، و يتسبطون في المطاعم، و يصنعون الحلوات، و يتخذون الأواني الجديدة، و يكتحلون، و يدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء، و حزن فيه على الحسين بن عليّ، لأنه قتل فيه، و قد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء، يوم سرور، و تبسط و كلا الفعلين غير جيد، و الصواب ترك ذلك، و الاقتداء بفعل السلف فقط.

و ما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء، و كتب بها إليه ليلة عاشوراء عند ما أخرج عنه ما كان من جاريه في الأهراء:

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى و السيد بن السيد بن السيد

أقسم بالفرد العليّ الصمد إن لم يبادر لنجاز موعدي

لأحضرنّ للهنا في غدمكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف: بما يرمى به الأشراف من التشيع، و إنه إذا جاء بهيئة السرور في يوم عاشوراء، غاظه ذلك لأنه من أفعال الغضب، و هو من أحسن ما سمعته في التعريض فلله دره.

عيد النصر: و هو السادس عشر من المحرّم عمله: الخليفة الحافظ لدين الله، لأنه اليوم الذي ظهر فيه من محبسه، و يفعل فيه ما يفعل في الأعياد من الخطبة، و الصلاة، و الزينة، و التوسعة في النفقة، و كتب فيه أبو القاسم عليّ بن الصيرفيّ إلى بعض الخطباء:

عيد النصر، و هو أفضل الأعياد، و أسناها و أعلاها، و أدلها على تقصير الواصف إذا بلغ و تناهى، و نحن نأمرك أن تبرز في يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة على الهيئة التي جرت العادة بمثلها في الأعياد، و توعده بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها إليك قرين هذا الأمر بشرح هذا اليوم و تفصيله، و ذكر ما خصه الله به من تشريفه و تفضيله، و تعتمد في ذلك ما جرى الرسم فيه كل يعيد، و تنتهي فيه إلى الغاية التي ليس عليها مزيد، فاعلم هذا، و اعلم به إن شاء الله تعالى.

المواليد الستة: كانت مواسم جليله عمل الناس فيها، ميزان من ذهب، و فضة و خشكناج، و حلواء كما مرّ ذلك. ليالي الوقود الأربع: كانت من أبهج الليالي، و أحسنها، يحشر الناس لمشاهدتها من كل أوب، و تصل إلى الناس فيها أنواع من البر، و تعظم فيها ميزة أهل الجوامع و المشاهد، فانظره في موضعه تجده.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٨

موسم شهر رمضان: و كان لهم في شهر رمضان عدّة أنواع من البر منها: كشف المساجد، قال الشريف الجواني في كتاب النقط: كان القضاء بمصر إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام، طافوا يوماً على المشاهد، و المساجد بالقاهرة و مصر، فيبدأون بجامع المقس، ثم بجوامع القاهرة، ثم بالمشاهد، ثم بالقرافة، ثم بجامع مصر، ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك، و قناديله، و عمارته، و إزالة شعثه، و كان أكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم، و الشهود، و الطفيلون يتعينون لذلك اليوم، و الطواف مع القاضي لحضور السماط.

إبطال المسكرات: قال ابن المأمون: و كانت العادة جارية من الأيام الأفضلية في آخر جمادى الآخرة من كل سنة: أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة و مصر، و تختم و يحذر من بيع الخمر، فرأى الوزير المأمون لما ولي الوزارة بعد الأفضل بن أمير الجيوش، أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة، فكتب به إلى جميع ولاة الأعمال، و أن ينادى بأنه من تعرّض لبيع شيء من المسكرات، أو لشرائها سراً، أو جهراً فقد عرّض نفسه لتلافها و برئت الذمّة من هلاكها.

و منها غزّة رمضان: و كان في أوّل يوم من شهر رمضان، يرسل لجميع الأمراء، و غيرهم من أرباب الرتب و الخدم لكل واحد طبق، و لكل واحد من أولاده، و نسائه طبق فيه حلواء، و بوسطه صرّة من ذهب، فيعم ذلك سائر أهل الدولة، و يقال لذلك غزّة رمضان.

و منها ركوب الخليفة في أوّل شهر رمضان: قال ابن الطوير: فإذا انقضى شعبان اهتمّ بركوب أوّل شهر رمضان، و هو يقوم مقام الرؤية، عند المتشيعين، فيجرى أمره في اللباس و الآلات، و الأسلحة، و العرض و الركوب و الترتيب، و الموكب و الطريق المسلوكه، كما وصفناه في أوّل العام لا يختلّ بوجه، و يكتب إلى الولاة، و النواب و الأعمال بمساطرير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة.

و منها سماط شهر رمضان: و قد تقدّم ذكر السماط في قاعة الذهب من القصر.

سحور الخليفة: قال ابن المأمون: و قد ذكر أسمطة رمضان، و جلوس الخليفة بعد ذلك في الروشن إلى وقت السحور، و المقرنون تحته يتلون عشراً، و يطربون بحيث يشاهدهم الخليفة، ثم حضر بعدهم المؤذنون، و أخذوا في التكبير، و ذكر فضائل السحور، و ختموا بالدعاء، و قدّمت المخادّ للوعاظ، فذكروا فضائل الشهر، و مدح الخليفة و الصوفيات، و قام كل من الجماعة للرقص، و لم يزلوا إلى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه، فحضر بين يدي الخليفة أستاذ بما أنعم به عليهم، و على الفرّاشين، و أحضرت جفان

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٣٩

القطائف، جرار الجلاب برسمهم، فأكلوا، و ملأوا أكمامهم، و فضل عنهم ما تخطفه الفرّاشون، ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها عند الفطور، و بين يديه المائدة معبأة جميعها من جميع الحيوان و غيره، و القعبة الكبيرة الخاص مملوءة أو ساطه بالهمة المعروفة، و حضر الجلساء، و استعمل كل منهم ما اقتدر عليه، و أوما الخليفة بأن يستعمل من القعبة، فيفرّق الفرّاشون عليهم أجمعين و كل من تناول شيئاً قام، و قبل الأرض، و أخذ منه على سبيل البركة لأولاده، و أهله لأنّ ذلك كان مستفاضاً عندهم غير معيب على فاعله، ثم قدّمت الصحون الصينيّ مملوءة قطائف، فأخذ منها الجماعة الكفاية.

و قام الخليفة، و جلس بالبادهنج، و بين يديه السحورات المطيبات من لبّين رطب و مخض، و عدّة أنواع عصارات و افظلوات و سويق

ناعم، و جريش جميع ذلك بقلوبات و موز، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا، و حضر الجلساء، و أخذ كل منهم في تقبيل الأرض، و السؤال بما ينعم عليه منه، فتناوله المستخدمون، و الأستاذون و فزقوه، فأخذه القوم في أكمامهم، ثم سلم الجميع و انصرفوا.

و منها الختم في آخر رمضان: و كان يعمل في التاسع و العشرين منه.

قال ابن المأمون: و لما كان التاسع و العشرون من شهر رمضان، خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين، و المؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر، و حضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة، و الحضور على الأسطة على العادة، و حضر إخوته، و عمومته، و جميع الجلساء، و حضر المقرئون، و المؤذنون، و سلموا على عاداتهم و جلسوا تحت الروشن، و حمل من عند معظم الجهات، و السيدات و المميزات من أهل القصور ثلاثي، و موكيات مملوءة ملفوفة في عراضى ديبقى، و جعلها أمام المذكورين، لتشملها بركة ختم القرآن الكريم، و استفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة و تطريبا، ثم وقف بعد ذلك من خطب، فأسمع و دعا، فأبلغ و رفع الفزاشون ما أعدوه برسم الجهات، ثم كبر المؤذنون، و هللا و أخذوا في الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دنانير، و دراهم و ربايعات، و قدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود، و الحلواء فجروا على عاداتهم، و ملأوا أكمامهم، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة، بخلع خلعتها على الخطيب، و غيره و دراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين و المؤذنين.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٠

### ذكر مذاهبهم في أول الشهر

اعلم أن القوم كانوا شيعه، ثم غلوا حتى عدوا من غلاة أهل الرفض، و للشيعه في أثناء الشهر عمل، أحسن ما رأيت فيه. ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروتي في كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال: و في سنين من الهجرة نجت ناجمة لأجل أخذهم بالتأويل إلى اليهود و النصرى، فإذا لهم جداول و حسابات يستخرجون بها شهورهم، و يعرفون منها صيامهم، و المسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال، و تفقد ما اكتسبه القمر من النور و جدوهم شاكين في ذلك مختلفين فيه، مقلدين بعضهم بعضا في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات، فرجعوا إلى أصحاب علم الهيئة، فألفوا زيجاتهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات، فظنوا أنها معموله لرؤية الأهله، فأخذوا بعضها، و نسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، و زعموا أنه سر من أسرار النبوة، و تلك الحسابات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة أو معموله على سنة القمر التي هي: ثلاثمائة و أربعة، و خمسون يوما و خمس يوم، و سدس يوم، و أن ستة أشهر من السنة تامه، و ستة أشهر ناقصه، و إن كل ناقص منها، فهو تال لتام، فلما قصدوا استخراج الصوم و الفطر بها، خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال، فأولوا قوله عليه السلام: «صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته» و قالوا: معنى صوموا لرؤيته: أى صوموا اليوم الذى يرى في عشيته، كما يقال: تهيؤا لاستقباله، فيقدم التهيؤ على الاستقبال، قال: و رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا.

قافلة الحج: قال في كتاب الذخائر و التحف: إن المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة: مائة ألف و عشرين ألف دينار منها: ثمن الطيب، و الحلواء و الشمع راتبا في كل سنة: عشرة آلاف دينار، و منها: نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة: أربعون ألف دينار، و منها في ثمن حمايات، و الصدقات، و أجره الجمال، و معونة من يسير من العسكرية، و كبير الموسم، و خدم القافلة، و حفر الآبار، و غير ذلك: ستون ألف دينار، و إن النفقة كانت في أيام الوزير البازورى: قد زادت في كل سنة، و بلغت إلى مائتي ألف دينار، و لم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول.

موسم عيد الفطر: و كان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها: تفرقة الفطرة، و تفرقة الكسوة، و عمل السماط، و

ركوب الخليفة لصلاة العيد، وقد تقدّم ذكر ذلك كله فيما سبق.

عيد النحر: فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة، و تفرقة الكسوة لأرباب الخدم من

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤١

أهل السيف والقلم، وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد، وفيه تفرقة الأضحى، كما مرّ ذلك مبينا في موضعه من هذا الكتاب.

عيد الغدير: فيه تزويج الأيامي، وفيه الكسوة، و تفرقة الهبات لكبراء الدولة، و رؤسائها و شيوخها و أمرائها، و ضيوفها و الأستاذين

المحكّين، و المميزين، وفيه النحر أيضا، و تفرقة النحائر على أرباب الرسوم، و عتق الرقاب، و غير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدّم.

كسوة الشتاء و الصيف: و كان لهم في كل من فصلى الشتاء، و الصيف، كسوة تفرّق على أهل الدولة و على أولادهم، و نسائهم و قد

مرّ ذكر ذلك.

موسم فتح الخليج: و كانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البرّ منها:

الركوب لتخليق المقياس، و مبيت القرّاء بجامع المقياس، و تشريف ابن أبى الرّدّاد بالخلع و غيرها، و ركوب الخليفة إلى فتح الخليج،

و تفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة، و العين و المآكل و التحف، و قد تقدّم تفصيل ذلك.

### ذكر النوروز

و كان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم، فتتعلّط فيه الأسواق، و يقلّ فيه سعى الناس في الطرقات، و تفرّق فيه الكسوة

لرجال أهل الدولة، و أولادهم و نسائهم و الرسوم من المال، و حوائج النوروز.

قال ابن زولاق: و في هذه السنة، يعنى سنة ثلاث و ستين و ثلثمائة، منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك، و

من صب الماء يوم النوروز.

و قال: في سنة أربع و ستين و ثلثمائة: و في يوم النوروز زاد اللعب بالماء و وقود النيران، و طاف أهل الأسواق، و عملوا فيلة، و خرجوا

إلى القاهرة بلعبهم، و لعبوا ثلاثة أيام، و أظهروا السماجات و الحلّى في الأسواق، ثم أمر المعز بالنداء بالكشف، و أن لا توقد نار و لا

يصب ماء، و أخذ قوم، فحبسوا و أخذ قوم، فطيف بهم على الجمال.

و قال ابن ميسر: في حوادث سنة ست عشرة و خمسمائة: و فيها أراد الأمر بأحكام الله أن يحضر إلى دار الملك في النوروز الكائن في

جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الأفضل بن أمير الجيوش، فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن، فإنّ الأفضل لا يجرى مجراه

مجرى الخليفة، و حمل إليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات، ما له قيمة جليّة.

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٢

و قال ابن المأمون: و حل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة و خمسمائة، و وصلت الكسوة المختصة به من الطراز، و

ثغر الإسكندرية مع ما يتتاع من المذاب المذهبة و الحريري و السوادج، و أطلق جميع ما هو مستقرّ من الكسوات الرجالية، و النسائية، و

العين و الورق و جميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها، و أسماء أربابها، و أصناف النوروز البطيخ و الزمان و

عراجين الموز، و أفراد البسر، و أقفاص التمر القوصي، و أقفاص السفرجل، و بكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج، و لحم الضأن،

و لحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برّ مارق.

قال: و أحضر كاتب الدفتر: الإثبات بما جرت العادة به من إطلاق العين و الورق، و الكسوات على اختلافها في يوم النوروز، و غير

ذلك من جميع الأصناف، و هو أربعة آلاف دينار، و خمسة عشر ألف درهم فضة، و الكسوات عدّة كثيرة من شفق ديبقي مذهبات،

و حريريات، و معاجر و عصائب مشاومات ملونات، و شفق لاذ مذهب و حريري، و مشفع و فوط، ديبقي حريري.

فأما العين و الورق، و الكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزه القصور، و دار الوزارة، و الشيوخ و الأصحاب و الحواشي و

المستخدمون، و رؤساء العشاريات، و بحارتها، و لم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب، و أما الأصناف من البطيخ و الرمان و البسر و التمر و السفرجل و العناب، و الهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم، و يشكرهم في ذلك جميع الأمراء أرباب الأطواق، و الأقباب و سائر الأمثال، و قد تقدّم شرح ذلك، فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالإفناق.

و قال القاضي الفاضل في تعليق المتجدّات لسنة أربع و ثمانين و خمسمائة: يوم الثلاثاء أربع عشر رجب يوم النوروز القبطي، و هو مستهل توت، و توت أول سنتهم، و قد كان بمصر في الأيام الماضية، و الدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم، و مواقيت ضلالتهم، فكانت المنكرات ظاهرة فيه، و الفواحش صريحة في يومه و يركب فيه أمير موسوم: بأمير النوروز، و معه جمع كثير، و يتسلط على الناس في طلب رسم رتبة على دور الأكابر بالجمل الكبار، و يكتب مناشير، و يندب مترسمين، كل ذلك يخرج مخرج الطير، و يقنع بالميسور من الهبات، و يتجمع المؤنثون، و الفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدتهم الخليفة، و بأيديهم الملاهي، و ترفع الأصوات، و تشرب الخمر و المزرا شربا ظاهرا بينهم، و في الطرقات، و يتراش الناس بالماء، و بالماء و الخمر، و بالماء ممزوجا بالأقدار، فإن غلط مستور، و خرج من داره لقيه من يرشه، و يفسد ثيابه، و يستخف المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٣

بحرمتة، فإما فدى نفسه، و إما فضح، و لم يجر الحال في هذا النوروز على هذا، و لكن قد رش الماء في الحارات، و أحيى المنكر في الدور أرباب الخسارات.

و قال: في سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة: و جرى الأمر في النوروز على العادة من رش الماء، و استجدّ فيه هذا العام التراجم بالبيض، و التصافع بالأنطاع، و انقطع الناس عن التصرف، و من ظفر به في الطريق رش بمياه نجسّه و حرق به. قال مؤلفه رحمه الله تعالى: إن أول من اتخذ النوروز: جمشيد، و يقال في اسمه أيضا: جمشاد أحد ملوك الفرس الأول، و معناه: اليوم الجديد، و للفرس فيه آراء، و أعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم. و قد صنّف عليّ بن حميرة الأصفهاني كتابا مفيدا في أعياد الفرس.

و ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: كان اليوم الذي ردّ الله فيه إلى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز، فجاءت إليه الشياطين بالتحف، و كانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناقيرها فرشته بين يدي سليمان، فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم.

و عن مقاتل بن سليمان قال: سمى ذلك اليوم: نيروزا، و ذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز، فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم، و اتخذوه عيدا، و كانوا يرشون الماء في ذلك اليوم، و يهدون كفعل الخطاف، و يتيمنون بذلك، و لله درّ القائل:

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني و كل ما فيه يحكيني و أحكيه  
فناره كلهيب النار في كبدي و ماؤه كتوالي دمعتي فيه

و قال آخر:

نورز الناس و نورزت و لكن بدموعي

و ذكت نارهم و النار ما بين ضلوعي

و قال غيره:

و لما أتى النوروز يا غاية المنى و أنت على الإعراض و الهجر و الصّد

بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشى فنورزت صبحا بالدموع على الخدّ

الميلاد: و هو اليوم الذي ولد فيه عبد الله، و رسوله المسيح عيسى ابن مريم صلّى الله عليه و سلّم، و النصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد



عيدا، و عمله قبط مصر فى التاسع و العشرين من كيهك ،

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٤

و ما برح لأهل مصر به اعتناء، و كان من رسوم الدولة الفاطمية فيه: تفرقة الجامات المملوءة من الحلوات القاهرية، و التمارد التى فيها السمك، و قرابات الجلاب، و طيافير الزلابية، و البورى، فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف، و الأقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون فى تاريخه.

الغطاس: و من مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس فى اليوم الحادى عشر من طوبه .

قال المسعودى فى مروج الذهب: و ليلية الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، و هى ليلة إحدى عشرة من طوبه و لقد حضرت سنة ثلاثين و ثلثمائة ليلة الغطاس بمصر، و الإخشيد محمد بن طفج فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة على النيل، و النيل مطيف بها، و قد أمر فأسرج من جانب الجزيرة، و جانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل و الشمع، و قد حضر النيل فى تلك الليلة: مئو ألوف من الناس من المسلمين و النصارى منهم: فى الزواريق، و منهم فى الدور الدانية من النيل، و منهم على الشطوط لا- يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل، و المشارب، و آلات الذهب و الفضة، و الجواهر و الملاهى و العزف و القصف، و هى أحسن ليلة تكون بمصر، و أشملها سرورا، و لا تغلق فيها الدروب، و يغطس أكثرهم فى النيل، و يزعمون أن ذلك أمان من المرض، و نشرة للداء.

و قال المسبحى: فى سنة ثمان و ثمانين و ثلثمائة: كان غطاس النصارى، فضربت الخيام و المضارب، و الأشرعة فى عدّة مواضع على شاطئ النيل، فصبت أسرة للرئيس فهد ابن إبراهيم النصرانى كاتب الأستاذ برجوان، و أوقدت له الشموع و المشاعل، و حضر المغنون، و الملهون، و جلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس، فغطس و انصرف.

و قال: فى سنة خمس عشرة و أربعمائه، و فى ليلة الأربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى، فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه، و الضأن و غيره، و نزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم لقصر جدّه العزيز بالله بمصر، لنظر الغطاس، و معه الحرم، و نودى أن لا- يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم إلى البحر فى الليل، و ضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر، و جلس فيها، و أمر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بأن توقد المشاعل و النار فى الليل، فكان و قيدا كثيرا، و حضر الرهبان و القسوس بالصلبان، و النيران، فقسسوا هناك طويلا إلى أن غطسوا.

و قال ابن المأمون: إنه كان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترنج

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٥

و النارنج و الليمون المراكبى، و أطنان القصب، و السمك و البورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف و الأقلام.

خميس العهد: و يسميه أهل مصر من العامة: خميس العدى، و يعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام و يتهادون فيه، و كان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدى ضرب خمسمائة دينار ذهبا، عشرة آلاف خزوبة، و تفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدّم.

أيام الركوبات: و كان الخليفة يركب فى كل يوم سبت و ثلاثاء إلى متزهاته بالبساتين، و التاج، و قبة الهواء و الخمس وجوه، و بستان البعل، و دار الملك، و منازل العز، و الروضة، فيعمّ الناس فى هذه الأيام من الصدقات أنواع ما بين ذهب، و مآكل، و أشربة، و حلوات، و غير ذلك كما تقدّم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب.

صلاة الجمعة: و كان الخليفة يركب فى كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس فى جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الأزهر مرّة، و فى جامع الخطبة المعروف: بالجامع الحاكمى مرّة، و فى جامع عمرو بن العاص بمصر أخرى، فينال الناس منه فى هذه الجمع الثلاث، رسوم و هبات و صدقات، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الأزهر.

و لله در الفقيه عماره اليمنى فقد ضمن مرثيته أهل القصر جملا مما ذكر، و هى القصيدة التى قال ابن سعد فيها، و لم يسمع فيما يكتب فى دولة بعد انقراضها أحسن منها:

رमित يا دهر كف المجد بالشلل و جیده بعد حسن الحلی بالعطل  
سعیت فى منهج الرأى العثور فإن قدرت من عثرات الدهر فاستقل  
جدعت ما رنك الأفتى فأنفك لا ينفك ما بين قرع السنّ و الخجل  
هدمت قاعدة المعروف عن عجل سعيت مهلا أما تمشى على مهل  
لهفى و لهف بنى الآمال قاطبة على فجيعتها فى أكرم الدول  
قدمت مصر فأولتني خلائفها من المكارم ما أربى على الأمل  
قوم عرفت بهم كسب الألو ف و من كمالها أنها جاءت و لم أسل  
و كنت من وزراء الدست حين سمارأس الحصان يهاديه على الكفل  
و نلت من عظماء الجيش مكرمة و خلّة حرست من عارض الخلل

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٦ يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة لك الملامه إن قصرت فى عدلى  
بالله در ساحة القصرين و ابك معى عليهما لا على صفيين و الجمل  
و قل لأهليهما و الله ما التحمت فيكم جراحى و لا قرحى بمندمل  
ما ذا عسى كانت الإفرنج فاعله فى نسل آل أمير المؤمنين على  
هل كان فى الأمر شىء غير قسمه ما ملكتموا بين حكم السبى و النفل  
و قد حصلتم عليها و اسم جدكم محمد و أبوكم غير منتقل  
مررت بالقصر و الأركان خالية من الوقود و كانت قبله القبل  
فملت عنها بوجهى خوف منتقد من الأعادى و وجه الودّ لم يمل  
أسلت من أسفى دمعى غداة خلت رحابكم و غدت مهجورة السبل  
أبكى على ما تراءت من مكارمكم حال الزمان عليها و هى لم تحل  
دار الضيافة كانت أنس و وافدكم و اليوم أوحش من رسم و من طلل  
و فطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم تشكو من الدهر حيفا غير محتمل  
و كسوة الناس فى الفصلين قد درست ورث منها جدد عندهم و بلى  
و موسم كان فى يوم الخليج لكم يأتى تجملكم فيه على الجمل  
و أول العام و العيدين كم لكم فيهنّ من وبل جود ليس بالوشل  
و الأرض تهتز فى يوم الغدير كما يهتز ما بين قصريكم من الأسل  
و الخيل تعرض فى وشى و فى شية مثل العرائس فى حلّى و فى حلل  
و لا حملتم قرى الأضياف من سعة الأطباق إلا على الأكتاف و العجل  
و ما خصصتم بيزّ أهل ملتكم حتى عمتم به الأقصى من الملل  
كانت روايتكم للذمتين و للضيف المقيم و للطارى من الرسل  
ثم الطراز بتئيس الذى عظمت منه الصلات لأهل الأرض و الدول  
و للجوامع من إحسانكم نعم لمن تصدّر فى علم و فى عمل

و ربما عادت الدنيا فمعقلها منكم و أضحت بكم محلولة العقل  
و الله لا فاز يوم الحشر مبغضكم و لا نجا من عذاب الله غير ولى  
و لا سقى الماء من حرّ و من ظمأ من كف خير البرايا خاتم الرسل  
و لا رأى جنّة الله التى خلقت من خان عهد الإمام العاضد ابن على  
أتمتى و هداتى و الذخيرة لى إذا ارتهنت بما قدّمت من عملى  
تالله لم أوفهم فى المدح حقهم لأنّ فضلهم كالوا بل الهطل  
و لو تضاعفت الأقوال و اتسعت ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل  
باب النجاة هم دنيا و آخرة و حبهم فهو أصل الدين و العمل  
نور الهدى و مصابيح الدجى و محل الغيث إن ربت الأنواء فى المحل  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٧ أئمة خلقوه نورا فنورهم من محض خالص نور الله لم يغل  
و الله ما زلت عن حبى لهم أبدا ما أخرج الله لى فى مدّة الأجل  
و بسبب هذه القصيدة قتل عمارة رحمه الله، و تمحلت له الذنوب، انتهى ما ذكره رحمه الله تعالى.  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٨

### ذكر ما كان من أمر القصرين، و المناظر بعد زوال الدولة الفاطمية

و لما مات العاضد لدين الله فى يوم عاشوراء سنه سبع و ستين و خمسمائة، احتاط الطواشى قراقوش على أهل العاضد، و أولاده،  
فكانت عدّة الأشراف فى القصور: مائة و ثلاثين، و الأطفال خمسة و سبعين، و جعلهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر، و جمع  
عمومته، و عشيرته فى إيوان بالقصر، و احترز عليهم، و فرّق بين الرجال و النساء لئلا يتناسلوا، و ليكون ذلك أسرع لانقراضهم.  
و تسلّم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر، بما فيه من الخزائن و الدواوين، و غيرها من الأموال و النفائس، و كانت عظيمه  
الوصف، و استعرض من فيه من الجوارى و العبيد، فأطلق من كان حرّاً، و وهب و استخدم باقيهم، و أطلق البيع فى كل جديد، و عتيق،  
فاستمرّ البيع فيما وجد بالقصر، عشر سنين، و أدخل القصور من سكانها، و أغلق أبوابها، ثم ملكها أمراءه، و ضرب الألواح على ما كان  
للخلفاء و أتباعهم من الدور و الرباع، و أقطع خواصه منها، و باع بعضها.  
ثم قسم القصور، فأعطى القصر الكبير: للأمراء فسكنوا فيه، و أسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادى فى قصر اللؤلؤة على الخليج، و  
أخذ أصحابه دور من كان ينسب إلى الدولة الفاطمية، فكان الرجل إذا استحسن دارا أخرج منها سكانها، و نزل بها.  
قال القاضى الفاضل: و فى ثالث عشره يعنى ربيعا الآخر سنه سبع و ستين: كشف حاصل الخزائن الخاصه بالقصر، فقيل: إن الموجود  
فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح، و مرصع و عقود ثمينه، و دخائر فخمه، و جواهر نفيسه، و غير ذلك من ذخائر جمه الخطر، و  
كان الكاشف بهاء الدين قراقوش، و بيان، و أخليت أمكنه من القصر الغربى سكن بها الأمير موسك و الأمير أبو الهيجاء السمنى، و  
غيره من الغزو، ملئت المناظر المصونة عن الناظر، و المنتزهات التى لم يخطر ابتدالها فى الخاطر، فسبحان  
المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٤٩

مظهر العجائب، و محدثها، و وارث الأرض و مورثها.

قال: و مقدار ما يحسد أنه خرج من القصر ما بين دينار و درهم، و مصاغ و جوهر، و نحاس، و ملبوس، و أثاث، و قماش، و سلاح ما  
لا يقى به ملك الأكاسرة، و لا تتصوره الخواطر الحاضرة، و لا يشتمل على مثله الممالك العامرة، و لا يقدر على حسابه إلّا من يقدر  
على حساب الخلق فى الآخرة.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليعموري: وجدت بخط المهذب أبي طالب محمد ابن علي بن الخيمي، حدثنني الأمير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ:

أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف و شريفه، و ثمانية آلاف عبد، و خادم و أمه و مولدة و تربية. و قال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه صلاح الدين، و أخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل، إلا الخليفة، و أهله، و أولاده و لما أخرجوا منه، أسكنوا في دار المظفر، و قبض أيضا صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد، و كان ولي العهد و ينعت بالحامد لله، و اعتقل معه جميع إخوته الأمير أبو الأمانة جبريل، و أبو الفتح، و ابنه أبو القاسم، و سليمان بن داود، و عبد الظاهر حيدرة بن العاضد، و عبد الوهاب بن إبراهيم ابن العاضد، و إسماعيل بن العاضد، و جعفر بن أبي الظاهر بن جبريل، و عبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ، و جماعة من بني أعمامه، فلم يزالوا في الاعتقال بدار الأفضل من حارة برجوان إلى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل، فنقل معه ولد العاضد و إخوته و أولاد عمه، و اعتقلهم بالقلعة، و بهامات العاضد، و استمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية، و ملك الأتراك إلى أن تسلطن الملك الظاهر: ركن الدين بيبرس البندقداري.

فلما كان في سنة ستين و ستمائة: أشهد على من بقى منهم، و هم كمال الدين إسماعيل بن العاضد و عماد الدين أبو القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد، و بدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحة من القصر الكبير، و الموضع المعروف: بالتربة ظاهرا و باطنا بخط الخوخ السبع، و جميع الموضع المعروف بالقصر الياضي، بالخط المذكور، و جميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ، و غيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملة، و جميع الموضع المعروف بالقصر الغربي، و جميع الموضع المعروف: بدار الفطرة بخط المشهد الحسيني، و جميع الموضع المعروف: بدار الضيافة بحارة برجوان، و جميع الموضع:

المعروف باللؤلؤة، و جميع قصر الزمرد، و جميع البستان الكافوري: ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه، و لا لواحد

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٥٠

منهم في ذلك و لا في شيء منه، و لا مثوبة بسبب يد، و لا ملك، و لا وجه من الوجوه كلها، خلا ما في ذلك من مسجد لله تبارك و تعالی أو مدفن لأبائهم، و ورخ ذلك الإسهاد بثالث عشر ربيع الأول سنة ستين و ستمائة، و أثبت على قاضي القضاء صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي رحمه الله تعالى.

و تقرّر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها و كلاؤهم، و اتصلوا إليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال، و قبضت أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة و غيرها، و رسم بيعها فباعها و كيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا، و نقضت شيئا شيئا، و بنى في أماكنها ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى. المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢؛ ص ٤٥٠

اشترى قاعة السدره بجوار المدرسة، و التربة الصالحة قاضي القضاء شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي، مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحة: بألف و خمسة و سبعين ديناراً في رابع جمادى الآخرة سنة ستين و ستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر و كيل بيت المال، ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادي عشرى جمادى الآخرة المذكورة، و قاعة السدره هذه، قد صارت هي، و قاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية.

قال القاضي الفاضل: و في يوم الاثنين سادس شهر رجب، يعني من سنة أربع و ثمانين و خمسمائة، ظهر تسحب رجلين من المعتقلين في القصر أحدهما من أقارب المستنصر، و الآخر من أقارب الحافظ، و أكبرهما سنا كان معتقلاً بالإيوان حدث به مرض، و أثنى فيه،

فكك حديده، و نقل إلى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث و ثمانين، و استمرّ لما به، و لم يستقل من المرض، و طلب ففقد، و اسمه: موسى بن عبد الرحمن أبي حمزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخي الحافظ، و اسم الآخر: موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر، و كان طفلاً في وقت الكائنة بأهله، و أقام بالقصر الغربي مع من أسر به إلى أن كبر و شب. قال: و ذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب، و علا على جدرانه التشعث، و الهدم، و إنه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين، و ربما تسلق إليه للتطرق للنساء المعتقلات، و المتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور مانعة من التسحب.

المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، بيروت، ج ٢، ص: ٤٥١

قال: و عدد من بقى من هذه الذرية بدار المظفر و القصر الغربي و الإيوان: مائتان و اثنان و خمسون شخصاً، ذكور ثمانية و تسعون، و إناث مائة و أربعة و خمسون، تفصيله المقيمون بدار المظفر: أحد و ثلاثون ذكور، أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه، أناث عشرون: بنات العاضد خمسة، إخوته أربع، جهات العاضد أربع، بنات الحافظ ثلاث، جهات يوسف ابنه و جبريل ابن عمه أربع، المعتقلون بالإيوان خمسة و خمسون رجلاً منهم الأمير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ، المقيمون بالقصر الغربي: مائة و ستة و ستون شخصاً ذكور اثنان و ثلاثون، أكبرهم: عمره عشرون سنة، و أصغرهم عمره سبع عشرة سنة، إناث: مائة و أربع، و ثلاثون: بنات أربع و ستون، أخوات و عمت و زوجات سبعون.

قال: و في جمادى الآخرة سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة، كانت عدّة من في دار المظفر بحارة برجوان، و القصر الغربي، و الإيوان من أولاد العاضد، و أقاربه، و من معهم مضافاً إليهم ثلثمائة و اثنتين و سبعين نفساً. دار المظفر، أحرار و مماليك: مائة و ست و ستون نفساً، القصر الغربي: أحرار مائة و أربعون نفساً، الإيوان: تسعة و سبعون رجلاً بالغون، و أما منازل العز، فاشتراها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي في نصف شعبان سنة: ست و ستين و خمسمائة، و جعلها مدرسة للفقهاء الشافعية، و اشترى الروضة، و جعلها وقفاً على المدرسة المذكورة، و الله تعالى أعلم بالصواب، و إليه المرجع، و المآب، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و سلم.

تم الجزء الثاني، و يليه الجزء الثالث و أوله: «ذكر حارات القاهرة و ظواهرها»

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١). قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رجم الله عبداً أحمياً أحرناً... يتعلم علومنا و يعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَة - مكانَ البَلاتِيَّةِ المبتدلة أو الرَّدِيئَة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضِيَّة واسعة جامعة ثقافيَّة على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هُوَءَ برامج العلوم الإسلاميَّة، إنالهُ منابع اللزامة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...  
- منها العَدالة الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعدهً، على أَنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الاسلاميَّة و الإيرانيَّة - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.  
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرِّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدَّة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدِّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرِّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرِّئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع "بنج رَمضان" و "مفترق" و فائي" / "بنايه" القائمية"  
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتي: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحاليَّة لهذا المركز، شعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم



المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان  
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

